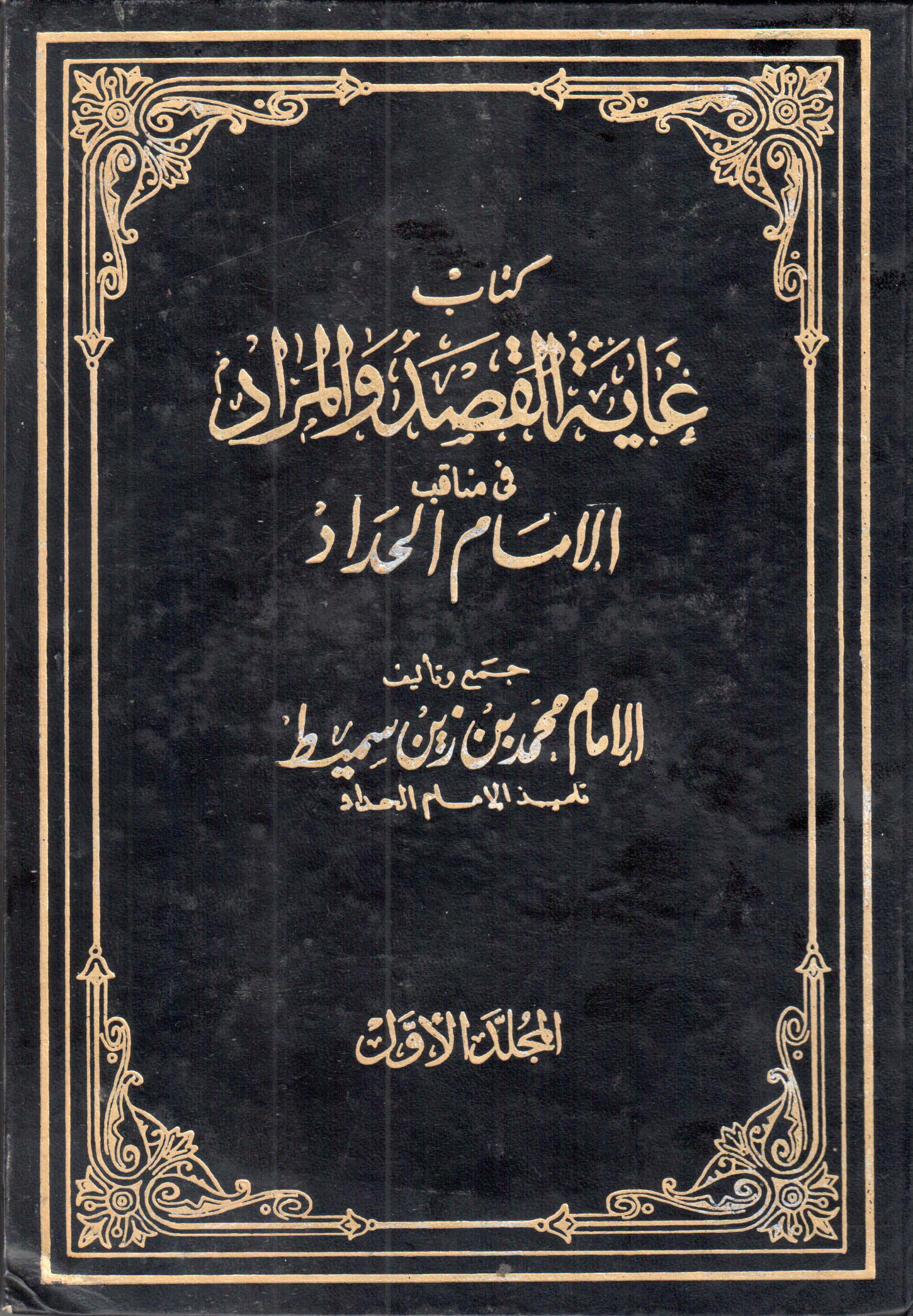

كتاب
غاية القصد والمراد
في مناقب
الإمام الحداد
جمع وتأليف
الإمام محمد بن زين سميط
تلميذ الإمام الحداد
المجلد الأول

هذا كتاب غاية القصد والمراد فى مناقب شيخ العباد والبلاد القطب الغوث
صاحب الصديقية الكبرى ، الإنسان الكامل ، قطب الأحوال والعلوم
والمقامات المبشرة به قبل وجوده، شيخ الإسلام السيد الإمام العلوى
السنى الحسينى الحبيب عبد الله بن علوى بن محمد الحداد باعلوى
الحضرمى الساكن بتريم وبمكانه الحاوى المحوط به ،
الطالعة عليه الشموس المشرقات ، مأوى للقاصدين
والزائرين فيه وبعد وفاته أولاده الكرام
القائمون مقامه بالعلوم النافعة وإطعام الطعام
لكل من قصدهم من الأنام
نفع الله بهم آمين

ومؤلف هذا الكتاب السيد العظيم والعالم النحرير الحكيم ، العارف بالله تعالى وبرسوله الحبيب الفاضل محمد بن زين بن سميط باعلوى ، نفعنا الله تعالى ببركاتهم وبعلومهم فى الدارين آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين آمين .

عنى بطبعه السيد على بن عيسى الحداد

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الحمد لله الذى ميز هذه الأمة المحمدية بالعبادة والخصوصية من بين سائر البرية وجعل منهم علماء وفضلاء ونبلاء أولى أقدار سنية ، واصطفى منهم واجتبى إليه من اختاره لمجالسته المقدسية العندية من السادة الأولياء الأصفياء الصوفية ، وقسمهم إلى أبدال وأوتاد وأغواث وأفراد أرباب مراتب سامية ومقامات علية وخصهم بالعطايا والمزايا الوهبية ، وواتر عليهم النفحات والجذبات الربانية ، وواصل لهم المكشوفات والمنوحات الإلهية ، وكشف لهم عن أسرار الأحدية ، ورفع عنهم الحجب فشاهدوا الأمور الغيبية ، وأفاض على قلوبهم العلوم اللدنية ، وفجر فيها ينابيع التوتية ، وأظهرها على ألسنتهم لصدق إخلاصهم ، وزهدهم فى الدنيا ، صفاهم من الكدر وملأهم من العبر فأرواحهم طائرة فى فضاء العوالم الملكوتية ، وأسرارهم سائرة فى سريان الغيوب اللاهوتية ، قذف فى قلوبهم من أنواره فهم بها فى رياض القرب يرتعون ، وملأها بأسراره فى مخادع الوصل يتنعمون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون .

يقول الله عز وجل على لسان نبيه ﷺ : أعددت لعبادى الصالحين ، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له فى ذاته وصفاته

وبدائع مصنوعاته . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المصطفى المجتبى المنتقى الذى هو أكبر آياته ﷺ أجل وأكمل وأفضل وأتم وأعم وأزكى صلواته ، وعلى آله الأطهرين وصحبه الأكرمين والمحسنين الاتباع له بأقصى غاياته وأسنى نهاياته وسلم كثيراً .

وبعد فهذا مؤلف مبارك إن شاء الله تعالى جمعت فيه أشياء من مناقب وكرامات وسير وشمائـــل وخصال سيدنا ومولانا الإمام الأكبر ، والغوث الأشهر ، الأستاذ الأعظام ، والزعيم المقدم ، شيخ طريق الله وإمام أهل الله سيد الخليقة ، ومعدن الحقيقة ، شيخ الإسلام ، وعلم الأعلام بدر التمام ، ومصباح الظلام ، قدوة العارفين ، ودليل السالكين ، وقبلة المريدين ، وكعبة الواصلين ، ووجهـــة القاصدين ، معقل اللائذين ، وكهف اللاجين ، صاحب الكرامات الخارقة ، والأنفاس الصادقة ، والهمم العالية الخافقة والعزمات السامية الرائقة ، من أظهر الله على يديه فنون العجائب ، وأنطق لسانه بأنواع الحكم والغرائب ، وأعطى التمكين المكين والرسوخ فى حقائق حق اليقين أخص الخواص العارفين ، وقطب الأقطاب المقربين ، العارف بالله تعالى سيدنا وشيخنا عبد الله بن علوى ابن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الحداد بن علوى بن أحمد ابن أبى بكر بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الفقيه أحمـد بن عبد الرحمن بن علوى، عم الفقيه المقدم ابن محمد صاحب مرباط بن على خالع قسم بن علوى بن محمد ابن علـوى بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن على العريضى بن جعفر الصادق بن محمـد الباقر بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهـه ورضى عنهم أجمعين ، وأعاد علينا سرهم وبركتهم فى الدارين وأحبابنا أجمعين آمين .

وأرجو من الله الكريم الغفور الرحيم أن يكون جمعى لهذه الأوراق فى مناقبه نفع الله به ابتغاء وجه الله ورجاء التقرب به إلى الله والمحبة لأهل الله ، والانتظام فى سلك محبيهم والتكثير لسوادهم ، والدخول فى حوز عناياتهم ومستجاب دعواتهم ونيل شفاعاتهم ، وإلا فكيف لمثلى وأنا القاصر فى سائر الأعمال ، الراتع فى ميدان الغفلات والإهمال ، الواقع فى مهاوى البطالة والضلال ؛ لم أضرب بسهم مع أولئك الرجال الذين لم يلههم عن ذكر الله أهل ومال ولكنى أحبهم وأحب محبهم وأحب الانتساب إلى جنابهم الشريف والانتماء إلى حمام المنيف ولولا المحبة لهم والتعلق بهم لكنت أخشى أن يكون ذلك أقرب إلى سوء الأدب لأن التعرض لذكر هذا الإمام العظيم ونشر فضائله وشمائله غاية الخطر لمن هو قاصر الباع والنظر كيف ومناقبه البحار التى لا تجارى والدهور التى لا تمارى « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » .

شعر من قصيدة قلتها مدحا فيه نحو مائة بيت تأتى إن شاء الله تعالى آخر الكتاب :

إن شئت تعلم ذرة من وصفه	أو عشر عشر العشر فى الإحصاء
إنى أقوم بوصفه أو بعضه	أيكون نزف البحر بالإ لاء
فهو البحار الزاخرات بلا مرا	وهو الجبال المرسية الأرجاء
وهو الرياح الذاريات لرملها	وهو الرمال المربية لثراء

وقلت أيضاً :

وأحواله قد أبهرت كل عارف	فأنى لمثلى ذكر عشر عشيرها
ولا عشر معشار والعشير وعشره	ولا حد فى تضعيف ذكر كثيرها
ولا أنا فى الإحصا والعد طامع	ولست بعالمها ولا بخبيرها

وقلت أيضاً :

وقد عجبت منى محـاسن وصفه　　وقالت أتدرى ما تقـول وما تحكى
متى يصف الأنوار من هو أكمه　　أيحسن وصف الشمس من هو فى الحلك
ولـكن لك البشرى بحبـك للذى　　حوى الـكمالات العلوم مع النسك
فدونك حدث عن معـالى صفاته　　بـلا حرج كلا فما فهت بالإفك

نعم وفى ذكر المحبوب راحة عظيمة وفى تتبع الآثار تسلية جسيمة ، ولله در القائل :

اسعد أخى وغننى بحديث من　　حل الأباطح إن رعيت إخاء
وأعده عند مسامعى فالروح إن　　بعد المـدى ترتاح للأنبـاء

قال سيدنا ومولانا المترجم فيه رضى الله عنه :

لك الخير حـدثنى بظبية عامر　　وما حالها من بعدنا يا سامرى
وروح فؤاد أذاب من حر بعدها　　بتذكارها إن كنت يوماً مذاكر
فإن أحاديث الأحبـة مرهم　　لقلبى من الداء العضـال المخامر
هوى حل فى قلبى وواطن مهجتى　　وخالط أجزائى وسار بسائرى
إذا فاتنى قرب الأحبـة واللقا　　ففى ذكرهم أنس لوحشة خاطرى
فإن لم يصبها وابل صيب الندا　　فطل به يحيى موات سرائرى
فشنف بتذكار الأحبة مسمعى　　وأخلصه من تذكار غير مغايرى
فتذكارهم راحى وروحى وراحتى　　يطيب به قلبى وتصفو ضمائرى

ومما اتفق لى أنى كنت أقرأ على سيدنا وشيخنا عبد الله بن علوى الحداد فى كتاب « بهجة المحافل » للإمام العامرى ، وتوفى رضى الله عنه وأنا فى آخر الـكتاب المذكور ، وكان آخر شىء قرأته عليه منه ولم أقرأ شيئاً بعده

هذين البيتين لجلال الدين بن خطيب الدمشقى :

يا عين إن بعد الحبيب وداره ونأت منازله وشط مزاره
فلك المنا لقد ظفرت بطائل إن لم تريه فهذه آثاره

ورجوت أن يكون ذلك من جملة الآثار المأمور بتتبعها، وأن فى ذلك إشارة إلى ذلك ، وأرجو أيضاً أن يكون فى ذلك متعة المتمتع ويكون فيه للربوع وأهلها أنس ونفع الطالب المنتفع ، فإن للنفوس ميلا إلى المناقب والكرامات أكثر من ميلها إلى المواعظ والمخوفات ، وكثيراً ما يحصل على استماع المناقب والانتعاش بها وإثارة الهمم للطالبين القرب من رب العالمين ، كما هو مشاهد عند جريان ذكر أهل الصلاح . وبالجملة لو لم يكن عند ذكر الصالحين إلا نزول الرحمة وأن فى ذكرهم غفران الذنوب لكفى .

قال حجة الإسلام الغزالى نفع الله به عند ذكر هذا الكلام ولا معنى لنزول الرحمة التى تكون عند ذكر أهل الصلاح إلا رقة تكون فى القلب يستوجب بها صاحبها نزول الرحمة انتهى بمعناه .

وقال الشيخ محمد بن أبى بكر بن الأشكل اليمنى : قال بعض شيوخنا الأكابر المحققين إن العارف إذا مات فنقل عنه تلميذه مسألة فى توحيد الله تعالى وأفادها فإن ذلك العارف يجنى ثمرتها عند الله ويجازى الله بها الميت فإنها من سعيه فذلك عند الله بطريق الوجوب الإلهى الذى أوجبه على نفسه . ثم قال ابن الأشكل : فمن حق الشيوخ على المريدين حفظ علومهم وفوائدهم وإبلاغها إلى من بعدهم لنستفاد منهم ويكثر بأجور من استفاد بها أجرهم ، ويعرف بها ما لهم من الله ويحيى بها ذكرهم ، فكم مات بعدم الذكر من كبير ، وكم فات بالنسيان من العلوم من كثير ، وكم ستر الإهمال من شهير . وفى ذلك قلت :

تموت الخبايا فى الزوايا وما لها   من الناس بين الناس للناس ذاكر
تفوت كرامات الرجال شواردا   إذا لم تقيدها علينا الدفاتر

وقال بعضهم : من كتب تاريخ ولى لله كان معه يوم القيامة ، ومن طالع اسمه فى التاريخ حبا له فكأنما زاره ، ومن زار وليا لله غفرت له ذنوبه ما لم يؤذه أو يؤذ مسلماً فى طريقه ، ومن أرخ واقعة يحتاج إليها المسلمون أو يجد بها مسلم راحة ، كمعرفة سنه أو غيره فكأنما أزال حجراً عن طريقهم ، ومن أزال حجراً عن طريقهم احتساباً غفر الله له . والله أعلم .

قلت : والأصل المقدم على ذلك كله إشارة جازمة فى جمع ذلك حصلت من سيدنا ومولانا وشيخنا ومن عليه بعد الله ورسوله اعتمادنا الأستاذ الأكبر العارف بالله شهاب الدين أحمد بن زين الحبشى علوى ، وذلك بعد وفاة سيدنا الإمام عبد الله بنحو سنة أو أكثر فحصل الامتثال لإشارته وحصلت المعونة ببركته ، وأخذت من تلك المدة إلى هذه السنة ، وهى العاشرة والحادية عشرة من بعد إشارته ، وأنا فى تتبع ذلك وتطلبه والفحص عنه ونقله عن سيدى أحمد المذكور وغيره من السادة والفضلاء وغيرهم من الثقات والمحبين والمتلمقين والمنتسبين من أكثر البلدان من حضرموت وغيرها .

وكنت أبحث وأسأل كل من لقيته ممن عرف سيدى : هل وقع لك معه شىء من الوقائع أو سمعت شيئاً من كلامه مع ما رأيته منقولا عنه من خط سيدى وشيخى أحمد بن زين أو سمعته منه أو عنه أو فى شىء من مؤلفاته وهو الشىء الكثير كما سنراه مثبوتاً فى سائر الكتاب ، وكذلك من خط ابنه السيد العارف بالله علوى بن عبد الله أو من نطقه ، وكذلك ابنيه السيدين الجليلين بدر الدين الحسن والحسين ، وكذلك سائر أولاده الكرام .

ومن خط السيد الفاضل عبد الرحمن بن السيد على بن الحسين ابن الشيخ على ابن أبى بكر باعلوى .

ومن خط الفقيه الصالح عبد الله بن محمد بن قطنه ، وكذلك من سماع سيدنا وشيخنا عمر بن الحامد بن علوى باعلوى ، وعن السيد العارف عمر بن عبد الرحمن البار باعلوى .

وممن نقله عنه فقيره المنور عبد الله بن محمد شراحيل الأشرم ، وكذلك فقيره الصالح المجذوب عبد الرحمن بن عبد العظيم شراحيل الشباميان .

ومما نقلته عن السيد الجليل عقيل بن عيدروس باعقيل السقاف ، وهو شىء كثير كما ستراه معزوا وغير معزو ، وكذلك عن السيد الولى محمد بن شيخ الجفرى علوى ، وعن السيد العلامة محمد بن أبى بكر شلية فى كتابه المشرع الروى ، وكذا عن غير هؤلاء جماعة لا تحصى ، منهم من يعزى إليه النقل ، ومنهم من يبهم لمصلحة رأينها فى الإبهام ، وإنما عينت هؤلاء هنا لأن النقل عنهم كثير فذكرتهم فى الخطبة .

قلت : وقد أكتفى فى ذكر سيدى بقول سيدى أو سيدنا أو مولانا عبد الله أو سيدنا الأستاذ أو الشيخ أو سيدى عبد الله بن علوى فقط من غير تقييد إيثاراً للاختصار لكثرة ذكره وتردده ، وقد أكتفى بذكر الضمير وحده لقرب العهد بذكره فى كل موضع وحضوره فى الذهن والخيال فى كل حين ، وكذا قد أكتفى عن سيدى أحمد بن زين الحبشى بقول سيدى أحمد فقط أو سيدى أحمد بن زين لكثرة الرواية عنه ، وكذا غيرهما ممن يكثر عنه الرواية كالسيد عقيل بن عيدروس باعقيل السقاف ، والشيخ عبد الله بن محمد شراحيل الأشرم بقول قال السيدى عقيل فقط أو باشراحيل فقط ، فافهم هذه القاعدة ، والله أعلم .

وما لى فى هذا المؤلف سوى النقل فقط إلا اليسير مما سمعته أو رأيته منه نفع الله به ، وما لى سوى التشرف بخدمة هذا الإمام العظيم ، والامتثال لإشارة ذلك السيد الكريم وبالحقيقة إنما هو له وإنما لى نسبة الاسم فقط ، وكفى به عزاً وشرفاً وفخراً ، وقد تكررت على منه الإشارات فى الجمع فى أوقات متعاقبات وترادفت مع ذلك منامات صالحات ومبشرات مباركات إن شاء الله مع سيدى عبد الله حال الجمع تؤذن بالإذن منه رضى الله عنه ، مع أنه فى حياته كان شديد الكراهة لنسبة الكرامات إليه كثير الإنكار لوقوعها منه ، وربما زجر من جمعها ، كما ذكره فقيره المنور عبد الله بن محمد شراحيل [السابق ذكره أنه لما جمع فى نبذته التى سماها المواهب والإمداد فى مناقب سيدنا عبد الله الحداد شيئاً من كراماته عرضها عليه فزجره وأمره بغسلها بعد عرضها على سيدنا أحمد بن زين وبعض السادة .

وقال سيدنا أحمد فى كتابه النفحات السرية والنفثات الأمرية شرح القصيدة العينية لسيدنا عبد الله بن علوى الحداد : وليعلم أنه يخطر بالبال أن أترجم لسيدنا وبركتنا الناظم نفع الله به ، فلم يثبت الخاطر أصلا لأن الأعذار كثيرة قائمة منها أنى أظن منه كراهة ذلك وكراهة التطويل ، ومنها أنى أعلم من أحواله ومعاملاته مع الله تعالى وإخلاصه وقوة يقينه وكشفه وثباته ورسوخ قدمه فيه وعلومه الباطنة والظاهرة وإقامته لظاهر الشريعة وتحقق باطنه بها وعلو معارفه بالله وغير ذلك ما تعسر على كتابته ، بل ربما يتعذر ويبقى مما أعرفه أكثر من ذلك بكثير وهذا كله على قدرى وعلى قدر ما أعطانى الله من الفهم فى حقائق الدين ، وهو من غير حول منى ولا قوة ، والله أعلم منى بحالى وأما على قدر شيخنا فلا أعرف شيئاً وبالجملة فسير أهل هذه المنظومة العينية مجتمعة فيه رضى الله عنه .

وقد عرضت جملة ما جمعت فى هذا المؤلف على سيدى أحمد ، نفع الله به ، فأقره واستجاده واستحسنه ، وذلك قبل ترتيبه وتبييضه ، وأنا عازم إن شاء الله تعالى على عرض جميعه عليه ليقرر ما استصوبه منه ، وينبه على الخطأ فيما لم يستحسنه ويعرفني وجه الصواب فيما أخطأت أو سهوت فى وضعه وإذ قد عرض على مثل هذا الإمام النقاد وراح عنده من غير استنكار ولا انتقاد فهو المأمول والمطلوب والمسئول والمرغوب ، شعر :

يكون أجاجاً دونكم فإذا دنا　　منكم تلقى طيبكم فيطيب

وسميت هذا المؤلف غاية القصد والمراد فى مناقب شيخ البلاد والعباد ، سيدنا القطب عبد الله بن علوى الحداد نفع الله به . وقد قسمت هذا المؤلف إلى ثمانية أبواب ، ومقدمة وخاتمة ، تفاؤلا بأن للجنة ثمانية أبواب ، وليس ببعيد المناسبة لأن الجنة مواطن الراحة والسرور ، ومحل الجذل والحبور ، والنظر فى أحوال الأولياء ومناقب الأصفياء وكرامات الصلحاء توجب الراحة العظيمة ، أعنى راحة الأرواح وتنعمها وتنزهها فى جنة عرضها السموات والأرض .

المقدمة : تشتمل على نبذة من فضائل الأولياء ومدحهم وحسن الظن بهم ، وفضل حبهم والتعلق بهم ، وفضل النسبة إليهم والتشبه بهم .

الباب الأول : فى بدء أمره إلى حين وفاته وما وقع له فى خلال ذلك من الوقائع وما ناسب هذا وشاكله على حسب الموافقة ، ويشتمل على ثمانية فصول وخاتمة .

الفصل الأول : فى تاريخ مولده وما تعلق به .

الفصل الثانى : فى بدء أمره ونشأته من حين صباه ، وذكر شىء من أحواله فى البداية من الجد والاجتهاد ، وغير ذلك من ذكر نسبه وما يؤذن له بالبشائر من حين صغره ويشعر بخصوصيته .

الفصل الثالث : فى ذكر زيارته لنبى الله هود عليه السلام ، وما وقع له فيها حسب ما بلغنا .

الفصل الرابع : فى ذكر زيارته لتربة تريم تربة آل أبى علوى وغيرهم .

الفصل الخامس : فى ذكر زيارته لدوعن وحريضة وشبام وغير ذلك من البلدان ، وذكر شىء مما وقع له فى خلال ذلك من الوقائع .

الفصل السادس : فى ذكر حجه لبيت الله الحرام ، وزيارته نبيه عليه السلام ، وما جرى له فى سفره ذهاباً وإياباً بالنسبة لما نقل ، وزيارة المشايخ فى اليمن وغيرها .

الفصل السابع : فى ذكر إقامته بتريم وما ناسب ذلك .

الفصل الثامن : فى ذكر شىء من توزيع أوقاته وترتيب أوراده من صباحه إلى مسائه ، وذلك مما نقلته برمته عن ابنه السيد الأكرم علوى إلا اليسير منه ، وخاتمة هـذا الباب فيما يتعلق بوفاته وانتقاله إلى الدار الآخرة ومرضه وقبره الشريف ، وغير ذلك مما هو لاحق به . وتتمة لهذه الخاتمة تتعلق بذكر أولاده وزوجاته وعددهم .

الباب الثانى : فى ذكر أخلاقه الزكية وشمائله المرضية وسيره السديدة وأفعاله الحميدة ويشتمل هذا الباب على ثلاثة عشر فصلا وخاتمة .

الفصل الأول : ذكر قطبانيته وبلوغه رتبة الكمال .

الفصل الثانى : فى ذكر علومه

الفصل الثالث : فى ذكر عبادته .

الفصل الرابع : فى ذكر استقامته .

الفصل الخامس : فى ذكر ورعه .

الفصل السادس : فى ذكر زهده .

الفصل السابع : فى ذكر سخائه .

الفصل الثامن : فى ذكر توكله على الله .

الفصل التاسع : فى ذكر دعوته إلى الله وإلى سبيله .

الفصل العاشر : فى ذكر صبره وحلمه وعفوه وتواضعه .

الفصل الحادى عشر : فى ذكر خوفه من ربه تعالى .

الفصل الثانى عشر : فى ذكر رجاه له سبحانه ، وحسن ظنه به .

الفصل الثالث عشر : فى ذكر حبه له عز وجل وأنسه به وشوقه إليه سبحانه ، وخاتمة هذا الباب تشتمل على جمل متفرقة من أخلاقه وسيره وشمائله ، تكملة لهذا الباب وعائدة إليه فيها فوائد مهمة منعشة ومثيرة للهمة والله أعلم .

الباب الثالث : فى ذكر أحرف تتعلق بشأن طريقته وسلوكه وأخذه عن الأشياخ ، وذكر خرقته وسلسلة أستاذه ، وذكر أصحابه وفضلهم ، وفيه أربعة فصول وخاتمة .

الفصل الأول : فى ذكر طريقته .

الفصل الثانى : فى ذكر أخذه عن الأشياخ ، وذكر بعض ما وقع له معهم ولهم معه من الوقائع .

الفصل الثالث : فى ذكر سند خرقته وسرده على سبيل الاختصار .

الفصل الرابع : فى أحرف يسيرة تتعلق بالآخذين عنه الطريقة وخاتمة هذا الباب فى ذكر محبة أصحابه ومزاياهم ، وذكر شيء من فوائد التعلق وحسن الظن والمحبة له

الباب الرابع : فى الحكايات والوقائع والكرامات وشيء من خوارق

العادات والكشوفات والاطلاع ويحتوى على نحو مائتين وثمانين حكاية كل حكاية تجمع جملة من الكرامات والمكاشفات ، وخاتمة هذا الباب تحتوى أيضاً على شيء من الحكايات تتعلق بجنابه الشريف وخاتمة الخاتمة تحتوى على واقعة جامعة لوقائع ذكرها عنه تلميذه الفقيه عبد الله بن قطنة ، وتتمة مهمة فيها ذكر شيء من حسن الظن وعلو الهمة .

الباب الخامس : فى ذكر كلمات تتعلق بمصنفاته وما ذكر لها من المزايا والفضائل وأنها الآية الكبرى والمعجزة العظمى وذكر تاريخ شيء منها وما له سبب ونحو ذلك ، وخاتمة هذا الباب فى فوائد متفرقة متعلقة بديوانه المسمى بالدر المنظوم وعدد قصائده وذكر ما كان لشيء من سبب ومزية وكلام سمع منه أو من غيره فيها .

الباب السادس : فى ذكر شيء من كلامه البديع النظم العزيز الوجود الذى لايكاد يصادف فى مصنف مما فتح الله به عليه أكثر من مكاتباته وفتاويه ووصاياه وغيرها من كتبه أمرنى بالتقاط ذلك بالخصوص سيدى أحمد بن زين ، فيه من الفوائد ما لا يحصى ، وخاتمة هذا الباب فى كلمات وحكم نقلت عنه فى مجالسه ودروسه ولم تدون ، أحببت إيرا ها لتحفظ إذا نظمت فى سلك هذا المؤلف إن شاء الله تعالى .

الباب السابع : فى ذكر أوراده صباحا ومساء وما حفظ منها واشتهر عنه وسردها جميعها وهى أربعة : مفتاح الفلاح والنبذة الصغرى وحزب الفتح والنصر المرتب بعد صلاة الفجر والراتب الذى بعد صلاة العشاء ، وخاتمة هذا الباب فى أدعية مخصوصة بعد الصلوات وغيرها وكيفيات من الصلاة على النبى ﷺ وأوراد وأدعية مختصرة مخصوصة .

الباب الثامن : فى ذكر شىء من المدائح من السادة الأعيان وغيرهم من الفضلاء والأدباء ، وخاتمة هذا الباب فى ذكر المراثى أخذت ذلك من نحو خمسين مديحة ومرثية فيه ، وخاتمة الكتاب تحتوى على ترجمه جماعة من أعيان الزمان ممن أخذ هو عنهم أو أخذوا عنه من المشائخ والأقران ، أو صحبه أو أثنى عليه ، وذكر شىء من سيرهم وأحوالهم وكلامهم وثناءهم عليه ، نفع الله به وبهم من حيث الجملة لا بد أن أذكر شيئاً من أحوالهم وإن كان ثناؤهم عليه قد تفرق فى جميع هذا المؤلف ؛ فإن بالتكرير يحصل التقرير ، وبالتقرير يحصل التأثير ، وبالتأثير يحصل التنوير ، وإلى الله تعالى المصير .

وذكر هؤلاء وإن كان ليس بصدد هذا المؤلف ولكنه فيه فوائد عظيمة أرجو نفعها إن شاء الله تعالى ، وتكون لى يد عند أهل الله فمن أراد نقله على حدته صلح لأنه كالمؤلف المستقل ويكون اسمه حينئذ بهجة الزمان وسلوة الأحزان وذكر طائفة من الأعيان ، ومن أراد إبقاءه كما هو فعل وخاتمة الخاتمة فى نبذة يسيرة من سير ومناقب وأحوال سيدنا ومولانا أحمد بن زين الحبشى باعلوى نفع الله به فمن أضافها إلى الخاتمة التى قبلها صلح ومن أفردها كذلك ويكون اسمها إن أفردت قرة العين وجلاء الرين فى ذكر سيدنا الغوث أحمد ابن زين .

واعلم أن كل باب من هذا المؤلف كالمستقل بنفسه خصوصا باب الشمائل ، وباب الحكايات ، وباب الأوراد ، والباب المنتخب من كلامه النفيس وفصل أوراده فمن أراد إفراد شىء من هذه الأبواب فليفعل .

المقدمة

وتشتمل على نبذة من فضائل الأولياء ومدحهم وحسن الظن بهم.
وفضل حبهم والتعلق بهم والانتساب إليهم والتشبه بهم
رضى الله عنهم

قال الله تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » .

وقال تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم » . وقال تعالى : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون . رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » . وقال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » . وقال تعالى : « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان » . وقال تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم » . وقال تعالى : « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا » . وقال تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما — إلى قوله — أولئك يجزون

الغرفة بما صبروا » . وقال : « قد أفلح المؤمنون الذين فى صلاتهم خاشعون — إلى قوله تعالى — أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس » إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الواردة فى فضل الأولياء التى لو تتبعت لخرجت عن الحصر والذكر . وبالجملة كل ما جاء فى فضل غيرهم مطلقا فهولهم بالأولى .

وكذا من الأحاديث النبوية والآثار ولنذكر من ذلك ما تيسر قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ من أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى أعطيته ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه » . وقال رسول الله ﷺ : « إن لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنان . كانوا أعقل الناس ، كان همهم المسابقة إلى ربهم عز وجل والمسارعة إلى ما يرضيه . وزهدوا فى الدنيا وفضولها ورياشها ونعيمها فهانت عليهم وصبروا قليلا فاستراحوا طويلا » . وروى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال : إن لله عبادا لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحيلة ، ولكن بلغوا بحسن الورع وصدق النية وسلامة الصدور والرحمة لجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم أربعون رجلا قلوبهم على مثل قلب إبراهيم عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى قد أنشأ من يخلفه . واعلم أنهم لا يسبون شيئاً ولا يلعنونه ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرون ولا يحسدون من فوقهم ، أطيب الناس خبرا ، وألينهم عريكة ، وأسخاهم نفسا لا تدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم ، إنما قلوبهم

تصعد فى السقوف العلى ارتياحا إلى الله تعالى فى استباق الخيرات «أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون» . وقال ذو النون المصرى رحمه الله : الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين . وقال أبو مدين: الملوك على الحقيقة هم الزهاد . وقال ابن المبارك ، وقد سئل عن الملوك قال : الزهاد . وقال سهل بن عبد الله التسترى : أعمال البر كلها فى صحائف الزاهدين . وقال الشافعى رضى الله عنه : لو أوصى إنسان بماله لأعقل الناس صرف إلى الزهاد فى الدنيا . وقال إبراهيم ابن أدهم: أتحب أن تكون لله وليا: لا ترغب فى شىء من الدنيا وفرغ نفسك لله وأقبل بوجهك على الله يقبل عليك ويواليك . وقال أبو الغيث بن جميل اليمنى : التجافى عن دار الغرور عنوان صحة العناية والتعرض لنفحات رحمة الله تعالى واجتماع الهم دليل على خصوص الولاية والاستقامة لله ما تقدم ذكره بلا غاية ولا نهاية . وقال القشيرى رحمه الله تعالى فى رسالته : قد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه ، جعل قلوبهم معادن أسراره ، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره ، صفاهم من كدورات البشرية ، ورقاهم إلى محل المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية ، ووفقهم للقيام بآداب العبودية ، وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية ، الذى للناس غيب لهم ظهور ، والذى للخلق من المعارف مقصود فهو لهم من الحق موجود ، فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال . شعر :

قوم همومهم بالله قد علقت ... فما لهم همم تسمو إلى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم ... ياحسن مطلبهم للواحد الصمد
ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف ... من القرابة والأهلين والولد

وقال سيدنا الأستاذ عبد الله بن علوى الحداد صاحب الترجمة رضى الله عنه

فى صدر بعض مكاتباته : الحمــد لله دائم الأفضال ، عظيم النوال ، عالم الغيب والشهادة ، الـكبير المتعال ، تقدس عن الأشباه والأمثال ، وتعالى عن الأنداد والأشكال ، جعل بفضله ورحمته من خلقه عبادا مؤمنين ومن المؤمنين أولياء عارفين ومن العارفين أقطابا وأوتادا وأبدالا ، بهم يرحم الله البـلاد والعباد ، ويدفع السوء عن الحاضرين والباد ، موضع نظره من خلقه وخاصته من العباد ، أخذهم عنهم وسلبهم منهم فأصبحوا مستغرقين بشهود الجمال والجلال وصلى الله وسلم على من بكمال متابعته بلغوا هذه الأحوال وبحسن اقتفائه حصلوا على هذا الـكمال إمام المرسلين وسيد النبيين وحبيب رب العالمين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه بالغدو والآصال .

وقال نفع الله به : أما بعد فان لله عبادا شغلهم عما سواه وغيبهم عنهم فـلم يشهدوا إلا إياه فهو أنيسهم فى الخلوات وجليسهم على ممر الساعات ، جوارحهم بطاعاته عاملة ، وأسرارهم عما سواه ذاهلة ، وعقولهم عنه عاقلة ، لم يشغلهم حاضر الدنيا عن غائب الآخرة ، وعلموا ما خلقوا له فشمروا ، وعرفوا شرف مطلوبهم فجدوا فى بلوغه وبادروا ورأوا حقارة الدنيا فأعرضوا عنها وأدبروا أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .

وقال قدس الله سره : الحمد لله الموصوف بكل كمال ، المعروف بكل نوال ، المحمود على كل حال ، المقصود بكل تضرع وسؤال الذى نور قلوب أوليائه بنور اليقين والعرفان ، وروح أرواحهـم بنسيم القرب على بساط الـكشف والعيان ، وكنس أسرارهم من قمامة الالتفات إلى الأكوان ، وارتضاهم لخدمته ، واصطفاهم لمحبته ، وخصهم بمشاهدته ، وفرغهم عن جميع ما اشتغل به عنه المحجوبون من أهل الطرد والحرمان ، فقلوبهم بأنواره بهجة ، وألسنتهم بذكره

لهجة ، وأرواحهم بقربه ناعمة ، وأسرارهم فى مشاهداته على أقـدام العبودية قائمة ، وأنفسهم عن شهوات الدنيا صائمة ، أخيار أحرار أبرار ، أولئك حزب الله المفلحون ، شعر :

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم   من الملك إلا اسمه وعقابه

وقال أيضاً : الحمد لله الذى بسط أنوار المعرفة واليقين على قـلوب عباده المتقين المخلصين الصادقين ، فأبصروا من حقوق ربوبيتـه ، وشاهدوا من عظمة أحديته ما عمى عنه الغافلون ، وحجب عنه المبعدون ، وحفظوا من أوامره وحرماته ما أضاعه المقصرون واستهان به المجترئون ، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الذين لا يستكبرون عن عبادة ربهم ويسبحونه وله يسجدون.

وقال سيدنا الشيخ على بن أبى بكر باعلوى نفع الله به : يا بنى عليك بمحبة الصوفية والمتشبهين بهم والمتشبهين بالمتشبهين ومحبيهم والمعتقدين لهم والمفوضين المسلّمين لهم علومهم وأحـوالهم ولطيف أنوارهم وبدائع أسرارهم المؤمنين بهم والمصدقين بما صدر من عجيب معارفهم وبديع مكاشفاتهم فطوبى لمحبهم ومجالسهم يا بنى عليك بمحبة الصالحين ومعرفتهم وصحبتهم وخدمتهم ومجالستهم .

وسئل الشيخ أحمد الرفاعى : بم يعرف الأولياء فى الخلق قال : بلطف كلامهم وسخـاوة نفوسهم وقلة اعتراضهم وقبول عذر من اعتذر إليهم وتمام شفقتهم على الخلق برهم وفاجرهم . وقال : أمارات الأولياء وكراماتهم رضاهم بما يسخط العوام من مجارى القدور . ومن شيمهم وحميد صفاتهم سلامة الصـدور مع تمام النصيحة وكمال التواضع وحسن الخلق ، وكمال حسن الظن مطلقاً ، وكمال الثقة بالله تعالى ونفحات أسرار أنفاسهم العطرة فائضة وبركات أسرارهم بالمكون عامرة ، شعر :

إذا خلوا بأرض عطروها وفاح بهـا المنبر والبير

أنوارهم فى الملكوت الأعلى ساطعة وعلى الملك والأرض لامعة ، بهم يدفع الله الضر والبلاء ، ويجلب بهم عظيم النفع والآلاء ، برؤيتهم تزول الهموم والغموم ، وتمحى الذنوب والعيوب، وتنصقل بذكرهم القلوب ، وبمحبتهم يحصل كل مطلوب ومرغوب أولئك أهل الله وصفوته ومحل نظره من خلقه ، قلوبهم معادن لحقائق التوحيد ومنابع الأسرار والأنوار والتوفيق ، شموس الهداية وبدورها ، وأقمار الدلالة ونجومها ، بهم الخروج من ظلمات الغفلة والجهالة ، وبهم الرجوع إلى الله بسابق العناية ، وبهم فى الدارين العياذ والملاذ والملتجأ والمستند ، مؤثرات عوالى هممهم مراهم شافية وأدوية نافعة ، ومرايات خوارق أحوالهم لجامع الدفع والجلب جامعة ، وأنوار حقائقهم لجميع الحجب خارقة .

وقال الشيخ العلامة أبو الحسن محمد بن الشيخ العالم عبد الرحمن بن سراج الدين جمال رحمه الله فى كتاب مواهب البر الرءوف فى مناقب الشيخ معروف بن عبد الله باجمال : روى أن الفقيه محمد بن الحسين البجلى رحمه الله قال : رأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت : يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال : وقوفك بين يدى ولى لله تعالى كحلب شاة أو كشى بيضة خير لك من أن تنقطع فى العبادة إرباً إرباً فقلت: يا رسول الله حيا كان أو ميتا قال : حيا كان أو ميتا .

وقال بعضهم : الواقف بين يدى الولى يندرج فيه ويدخل تحت استيلاء شموله فيكون الولى واسطته إلى الله عز وجل فيحصل له بتلك الوقفة بواسطة الولى ما لم يحصل له بعبادته حتى يتقطع إرباً إرباً ويكون الحاصل على قدر استعداد الولى فإن الإمدادات على قدر الاستعدادات .

قال بعضهم : ويبلغ المريد بنظر الشيخ ما لم يبلغه بعبادته واجتهاده ألف سنة.

قال سيدنا الشيخ أبو بكر بن سالم باعلوى : هذا بنظر الناظر إليهم وأما نظرهم إليه فإنهم يوصلونه إلى أعلى مقام عند الله مما لا يمكن تعبيره . وفيه دليل على أن زيارة الحى أكثر فضلا من زيارة الميت . وقال ﷺ : إن لله عباداً من نظر إلى أحدهم نظرة سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً .

وقال بعضهم : إن لله عباداً إذا نظروا إلى الشخص أكسبوه السعادة .

وقال بعضهم : لو علم الخلق ما لمن وقف بين يدى ولى لله لشدوا الرحال إليه حتى يقفوا بين يديه ولو مائة عام . وقالوا : من رأى وجه مفلح كيف لا يفلح . ويقال : إن جثث العارفين كؤوس شراب المحبة .

وقال سيدنا العيدروس الإمام عبد الله بن أبى بكر رضى الله عنه : عليك بحسن الظن فى الصالحين ومحب محب محبهم فهو من أعلى المراتب وأعلى المواهب ولصاحبه سابقة وعناية وتخصيص وهداية وسوء الظن مذموم مطلقاً .

وقال نفع الله به : عليك بحسن الظن فى مواضع الصالحين وذراريهم ولا تظن بنفسك خيراً واعتقده فى سائر المسلمين ، وعليك بحسن الظن فى ذرارى الصالحين ولو شطوا واحترمهم وعظمهم واستر عورتهم .

وقال بعضهم : ما لنا وسيلة إلا حسن الظن فى أولياء الله .

وقال بعضهم : عليك بحسن الظن فإنه دليل على نور البصيرة وصلاح السريرة ، وكفى به سبباً لحصول السعادة ونيل الدرجات ومنافعه كثيرة ، منها أن يرزق لذة الطاعة ويذوق حلاوة الإيمان ويقبل على مطالعة كتبهم المزهدة فى الدنيا المرغبة فى الآخرة والدخول فى حرز عنايتهم ومستجاب صالح دعواتهم فقد قيل إن دعاء الصالحين يصل إلى ذرية المدعو له ، ومنها استعطاف خواطرهم واستمداد بركاتهم فهم الذين ترحم بهم العباد وتغاث بهم البلاد ويرضى لرضاهم الملك الجواد

ومنها مجالستهم المأثورة فهم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم ومن فوائد حسن الظن فائدة تندرج فيها كل فائدة وهى أن حسن الظن فيهم يورث حسن الخاتمة وثمرته قد لا تظهر إلا عند خروج الروح فيفضى بصاحبه إلى السعادة الكبرى المتضمنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فحسن الظن باب الولوج إلى الأخلاق العظيمة والصفات الكريمة وليس فى سوء الظن فائدة قط وأقل عقوبة المنكر أن يحرم بركتهم بل قيل إن سوء الظن يورث سوء الخاتمة والعياذ بالله وقد لا يظهر إلا عند خروج الروح ، فاحذر يا أخى من الوقيعة فى أهل الله تسقط من عين الله وتستوجب المقت من الله إذ يقول من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب فالوقيعة تورث القطيعة .

وعن خط الشيخ العارف حسين بن عبد الله بافضل : لا ينكر على الأولياء إلا ميت القلب ممقوت ناقص العقل قليل العلم مدع راض عن نفسه أحمق جاهل مغرور غافل ضعيف اليقين يابس جامد حشوى مبتدع أعمى البصيرة مخسوف به مفتون هالك مبغوض عند الله وعند الناس لا يقبل قوله ولا يؤبه له ويخرج من الدنيا على غير دين الإسلام ويبتلى بالذل والفقر فى الدنيا والآخرة أشد وأبقى ، فالمتكلم فيهم لا ورع له ولا تقوى ولا دين بل ولا إسلام ولا إيمان ولو تلبس بشىء منها فى ظاهره فإنه خلى عن الجميع لأنه لا خلاق له . انتهى .

واعلم أن الغالب على أكثر العامة حسن الظن بمن سلف من المشائخ والعلماء وإظهار الثناء والاعتقاد لهم والإدبار عن معاصريهم وسوء الظن بهم ولا شك أن ذلك بمجرد الحسد المحبط والحرمان الظاهر ، كما قال أبو الحسن الشاذلى : ما هى إلا إسرائيلية آمنوا بموسى وعيسى وكفروا بمحمد ﷺ .

وقال أبو محمد بن يعقوب اليمنى : الحذر أن تحسن الظن بصلحاء السلف وتنكر

على أهل عصرك ولا تصدق بكراماتهم فهل يحصل النفع لمن آمن بموسى وعيسى وكفر بنبيه محمد ﷺ .

وقال سيدنا الإمام عبد الله بن علوى الحداد صاحب الترجمة نفع الله به : عليك بصحبة الأخيار والتأدب بآدابهم والاستفادة من أقوالهم وأفعالهم وبزيارة الأحياء والأموات منهم ، مع التعظيم البالغ لهم ، وحسن الظن الصادق فيهم فبذلك يحصل الانتفاع للزائر ويفيض المدد من جهتهم وإنما قل انتفاع أهل الزمان بالصالحين من حيث قلة التعظيم لهم وضعف حسن الظن بهم فحرموا بسبب ذلك بركاتهم ولم يشاهدوا كراماتهم حتى توهموا أن الزمان خال عن الأولياء وهم بحمد الله كثيرون ظاهرون ومخفيون ولا يعرفهم إلا من نوّر الله قلبه بأنوار التعظيم وحسن الظن فيهم ، وقد قيل المدد فى المشهد .

وقال سيدنا الشيخ على بن أبى بكر رضى الله عنه : فطوبى لقوم شغلوا بنفيس المطلوب فى مراضى المحبوب ، وشغفوا بحقيقة الذكر والفكر بعد التزكية والطهارة من العيوب والاستغراق بما يوجب صفاء سرائر القلوب وكشف عوالم الغيوب فبذلوا المهج والأرواح وخالفوا اللهو واللغو والسرور والأفراح وكابدوا المجاهدات فى الطاعات وحبسوا النفوس بالصبر عن المناهى والشهوات فعند ذلك ظفروا بكمال الخير والفتح والسعادات أولئك أقوام وأى أقوام ، هجروا الظلام بطول التهجد والقيام وغيرهم على الفرش الوطيئة نيام ، وعانقوا الجوع والظمأ بملازمة الصيام وغيرهم فى مراعى الغفلة والجهل سوام يأكلون كما تأكل الأنعام ويصبحون ويمسون وما يدرون ما الحال فى المآل وما ثمرات العواقب فى الأعمال والربح والفوز والوصال والبعد والنقص والخسران وكمال الربح والرضوان وما الجنة والنار وما الرضا وما غضب الجبار وما عظم لذة النظر إلى وجه الله الكريم

الغفار وما فى ضد ذلك من الحجاب والعذاب الأليم والغبن والخسران الجسيم .

هنيئاً لأرباب القلوب فإنهم ... بما غرست أيديهم يتنزهوا
هم القوم فاسعوا فى اتباع سبيلهم ... فإن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا

أولئك رجال وأى رجال جالوا فى ميدان مجال لا تجول فيه إلا الأسود الأبطال منهم أويس القرنى ، ومعروف الكرخى ، وبشر الحافى ، والعيدروس المجيد ، وسعد السويتى السعيد وغيرهم من الصفوة السادة الأجيد ، أولئك أقوام تستنزل الرحمة بذكرهم وترتجى المغفـــرة بحبهم ، بهم يدفع الله عن الخلق المحن والبلايا ويفيض على البرايا البركات من السماء ، ويشفى بهم مرض الجهل والغفلة والعمى وأفاض الله علينا مع الأحباب والمحبين والمسلمين من بركاتهم آمين .

وقال نفع الله به أيضاً : قال بعض المحققين فى كتبه : إن المشايخ إذا ماتوا تركوا هممهم متعلقة بقلوب من استند إليهم كما أنهم يتركون بزواياهم التى كانوا يعمرونها بذكر الله وعبادته وطاعته والأعمـال المرضية له أرواحاً من أذكارهم وعباداتهم يعمرون بها ذلك الموضع ولذلك يجد كل من دخل مكان رجل كبير فى الدين قد مات خشوعاً ورقة وإنابة إلى الله تعالى لا يجدها فى غير ذلك المكان وقد عاين الأخيار والسادة الأبرار مثل ذلك فى أماكن الصالحين فإنهم ما ماتوا إلا وهمتهم متعلقة عموماً بصالح الإسلام والمسلمين وخصوصاً بقراباتهم وجيرانهم وأصحابهم وتلامذتهم ، وقد وردت فصـوص الكتاب والسنة على استحباب التبرك فى المواضع التى صلوا فيها والتبرك بجميع ما ينسب إليهم ويتعلق بهم وينبغى للمتبرك بهم والمصلى فى مواضع أن يستحضر معنى مقصود هذه الأبيات :

خليلى هـــذا ربع عزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم احللا حيث حلت
ومسّا ترابا طال ما مس جلدها ... وبيتاً وظلا حيث باتت وظلت
ولا تيأسا أن يقبل الله منكما ... إذا أنتما صليتما حيث صلت

وقال السيد الإمام عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمرا : عليك رحمك الله بحسن الظن فى أولياء الله خاصة وفى المسلمين عامة تفوز ولكل خير تحوز فإن أرباحه كثيرة وفوائده غزيرة ، وهو دليل على صلاح السريرة ونور البصيرة وهو باب الولوج إلى الأخلاق والصفات السنية ، وسلم العروج إلى المراتب العلوية العلية .

هذا وفى حسن الظن فى أولياء الله منافع شهيرة أشهر من أن تذكر وفوائد أكثر من أن تحصر ، منها الفائدة الكبرى والنعمة العظمى أن تكون منهم لقوله ﷺ : المرء مع من أحب ، وقوله : من كثر سواد قوم فهو منهم ، ومنها أنه مقرب إلى الله تعالى كما قال الشيخ شاه بن شجاع الكرمانى : ما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله لأن محبة أولياء الله دليل على محبة الله تعالى ، ومنها مذاكرة فضلهم ونشر مناقبهم ومحاسنهم فقد كان السيد الفقيه الموهوب محمد بن أبى بكر عباد يقول فى أثناء ذكرهم : لو لم يكن إلا غفران الذنوب وأى فائدة أجل من هذه ظفرنا الله بها ، شعر :

بأنفاسهم نال المنى كل طالب ومن ربه يعطى الوسيلة والقربا

قال السيد الإمام عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمرا أيضاً : وقد سئل شيخنا العيدروس عبد الله بن أبى بكر ما معنى التبرك بالصالحين فقال : مثل لبس ثيابهم لأنها ملابسة لأجسامهم وأجسامهم ملابسة لأرواحهم وأرواحهم ملابسة لحضرة ربهم فصار كما يقول القائل :

تفوح أرياح نجد من ثيابهم عند القدوم لقرب العهد بالدار

شعر آخر :

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

ومن فوائد حبهم وحسن الظن بهـم الانتفاع بألفاظهم الجوهرية مراهم الأمراض القلبية فإن كلامهم دواء وشفاء لمن له نية وقابلية وسبب التمتع بلذات ثمرات نظراتهم وسبب لحياة القلب الذى فى حياته كل خـير وسبب التنظف لمعائب النفس ومعرفة خدعها وسوء الظن بها وقد سمعت بعض المشايخ يقول : إن ثمرة حسن الظن ما تظهر إلا عند خروج الروح وربمـا أدى ذلك إلى التأدب بآدابهم والاتصاف بصفاتهـم والتخلق بأخلاقهم فتفضى إلى السعادة الـكبرى المتضمنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؛ هذا ولا فى سوء الظن قط فائدة بل فيه من المضرات ماقد ذكر وأزيد قال المشائخ العارفون : أقل عقوبة المنـكر على الصالحين أن يحرم بركتهم ويخشى عليـه سوء الخاتمة نعوذ بالله من سوء القضاء .

وقال بعضهم : من رأيتموه يزدرى الأولياء وينـكر مواهب الأصفياء فاعلموا أنه محارب لله مبعد مطرود عن حقيقة قرب الله عز وجل .

وقال الشيخ أبو تراب النخشبى : إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة فى أهل الله .

وقال سيدنا وشيخنا عبد الله بن أبى بـكر العيدروس فى بعض وصاياه : عليك بحفظ لسانك عن كل مؤمن مسلم خصوصا الصالحين فإن غيبة المسلم تهلك قلبك وغيبة الصالح تصل إلى ذريتك بعدك ، فإن استطعت يا أخى أن تـكون من أهل حسن الظن المرحومين وإلا فلا تـكن من أهل سوء الظن المرجومين ، وسلم تسلم بـل تفز وتغنم ومن تأمل مصنفات العلماء وتتبـع كلمات الحـكماء وأشرف على سير الصالحين وجدها مشحونة بالثناء على أولياء الله تعالى والترغيب فى محبتهم وحسن الظن بهم ، وكيف لا وهم الأتقياء الأصفياء وراث الأنبيـاء

وحملة الملة الحنيفية وأركان الشريعة النبوية وعمد السنن المصطفوية ، حزب الله المفلحون وصفوته الصالحون المصلحون ، فطوبى لهم ثم طوبى لهم ، ثم طوبى لمن شغف بحبهم وكان رأس ماله حسن الظن بهم أعرضوا عما سوى الله فقربهم الله وأكرمهم وأتحفهم وعظمهم فقال فيهم على لسان نبيه ﷺ : هم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم ، خرقت لهم العادات وأظهرت على أيديهم الكرامات وبهم يرحم الله أهل الأرض ويشفعهم بمشيئته يوم العرض ، قال سيد البشر : يدخل فى شفاعة أويس القرنى مثل ربيعة ومضر فهم الملوك وأهل المملكة الباقية ومن عداهم فعبيد الشهوات الفانية ، وهم المصطفون الأخيار والأخلاء المتقون الأبرار ، فتمسك يا أخى بعروة حسن الظن فيهم تنج واجعل مذهبك تعظيم شعائر الله تنل ما ترجو وقل لكل عاذل فيهم مشئوم احفظ عليك يا محروم ولم فرب لائم ملوم ، شعر :

فيا أيها الإخوان من كل منتم إلى القوم من بدو من الأرض أو حضر
على مذهب القوم ابشروا لا يروعكم أراجيف تخذيل المجادل فى العصر

قيل : ما أحد حوسب على حسن الظن ، وقيل : محسن الظن مستريح خاب من ظنه قبيح ولو أحسنت ظنك فى حجر نفعك ، قال الإمام القيصرى فى شعب الإيمان : إخوانى بحق أقول نحن وإن لم نكن من أهل هذه الأحوال الرفيعة والمقامات الكريمة لما حل بنا ونزل بنا من الغفلات والركون إلى اتباع الشهوات وارتكاب المحظورات فبقينا حيارى من حب الدنيا سكارى فنحن نحب أهل هذه الطريق ونؤمن بهذه المقامات والأحوال الرفيعة ونقر على أنفسنا بالعجز ونتبرأ من الدعوى ونقول من نكون نحن حتى نرقى إلى تلك الدرجات العاليات ومتى نصلح لحضور تلك المشاهدات ، نفوسنا أحقر وأقل من ذلك وهم عبادة

المقربون الصادقون الطاهرون الزاهدون المريدون المطهرون المكرمون ونحن الفقراء المساكين الناظرون بعين المسكنة والفقر إلى تحت أقدامهم المتعلقون بأطراف أذيالهم راغبين فى الضراعة بشفاعتهم لعل قلوبهم الرحيمة تنظر إلينا لرأفتهم ورحمتهم فيرانا مولانا فى قلوبهم لأنهم موضع نظره من الخلق فيرحمنا بنفحة من نفحاتهم ويجبرنا وينفعنا بمحبتهم وإذا أعطانا محبتهم والإيمان والتصديق بطريقهم فقد أعطانا ما لا تقوم بشكره أبداً ، الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، ولعل إن شاء الله تعالى وعسى أن يدركنا معنى الخبر : المرء مع من أحب ، جعلنا الله وإياكم من أوليائه الأخيار ، ونفع الجميع بالتبرى والافتقار ، ولا جعلنا وإياكم من أهل التكذيب والاستكبار ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي المختار وعلى آله وصحبه وصفوته السادة الأبرار .

الباب الأول

في بدء أمره إلى حين وفاته وما وقع له في خلال ذلك من الوقائع
وما ناسب هذا الباب وشاكله على حسب الموافقة
ويشتمل على ثمانية فصول وخاتمة

الفصل الأول

في تاريخ مولد سيدنا الإمام الأكبر الأستاذ الأفخر ، القطب الأشهر ، العلم الأزهر، مولانا الشيخ الأعظم عبدالله بن علوى الحداد قدس الله سره ورضى عنه وعنا به ونفعنا به وسائر عباده الصالحين آمين

ثم قد ذكر صاحب أعمال التاريخ أن من كتب تاريخ ولى لله تعالى كان معه يوم القيامة ، ومن طالع اسمه فى التاريخ حبا له فكأنما زاره ومن زار وليا لله غفرت ذنوبه ، إذا علمت ذلك فاعلم أنه ولد رضى الله عنه ليلة الاثنين وخمس خلت من شهر صفر الخير سنة أربع وأربعين وألف من الهجرة النبوية المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بتريم المحروسة ، ونظمت تاريخ مولده فى هذه الأبيات من جملة قصيدة نلتها مدحاً فيه عدتها ثمانون بيتاً وستأتى إن شاء الله تعالى بجملتها فيما بعد ، وهى هذه :

ميلاد حداد القلوب لخمسة — من صفر يا حبذا إظهاره
ومن السنين لأربعين وأربع — من بعد ألف هكذا إشهاره
وبليلة الاثنين كان كجده — فلكان حقا وارثاً أسراره

وأرخه بعض السادة الفضلاء بقوله: تاريخ مولده الشمس قد طلعت على حساب

الجُمَّل فتأمل حساب ذلك تجده مطابقاً، وتاريخ آخر إمام عظيم ولد، وتاريخ آخر ولد بتريم إمام كريم .

(لطيفة) الصفر فى لغة العرب هو الخلو عن الشىء ومنه قوله : صفر اليدين وكانت العرب تتشاءم بهذا الاسم فلهذا أضيف إلى الخير ، ولعل ذلك إشارة إلى أن الزمان لما خلا عن الخير وفشا فيه الشر والضير فتح الله بفضله ولطفه وجوده وعطفه أبواب نصره وهزم عسكره من خزائن بره بالطلعة الحدادية الغراء القمرية فى فاتحة هذا الشهر ، فصار نحسه سعداً ، وأصفاره رفداً ، وحوله أن يتيه على سائر الشهور ومدى الظهور ويتحلى بالبهجة والسرور وينشد :

قد كنت صفراً فصرت وجداً وكنت نحساً فصرت سعداً
وكنت خلواً فصرت ملأً وكنت شؤماً فصرت مجداً

وقد سمعته رضى الله عنه يقول : وقعت وقائع فى السنة التى ولدت فيها منها وفاة الشيخ الإمام الحسين ابن سيدنا الشيخ أبى بكر بن سالم نفع الله بهما .

وسمعته يقول : إنى ليلة مولدى بت طول ليلى أصيح وأضج بالبكاء ولم يدر أهلى ما الذى بدا لى فلما أصبحوا وفتشوا عن سبب ذلك وجدوا فى الثوب الذى أنا ملفوف فيه عقرب عظيمة ووجدوا جميع بدنى أحمر من لسعها . زاد بعض السامعين عنه أنها ضربته نحواً من عشرين ضربة ، وفى ذلك إشارة إلى نشوئه على المحنة التى عنها يكون التمكين الذى هو غاية قصد الكاملين قال الله تعالى : « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء » وذلك بعد أن امتحنه بفعل إخوته به وغير ذلك ، وكذلك أيوب وهب له أهله ومثلهم معهم بعد أن امتحنه ، وكذا سليمان رد إليه ملكه ومكنه بعد أن امتحنه ، وأكثر أنبياء الله وأولياء الله لم يمكنوا إلا بعد

الامتحان ، كما هو مذكور فى السير وآيات القرآن قال تعالى : « الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » وقال تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » وغير ذلك كثير .

الفصل الثانى

فى منشئه وبدء أمره من حين صباه وريعان شبابه وما اندرج ضمن ذلك مما هو لاحق به وذكر شىء من أحوال بدايته وجده واجتهاده وماهو مؤذن بما هو صائر إليه من كمال حاله نفع الله به

سمعت سيدى وشيخى الإمام أحمد بن زين الحبشى نفع الله به يقول : أخبرنى سيدى ووالدى قال: قال لى السيد الجليل علوى بن محمد الحداد والد سيدنا وشيخنا عبد الله جئت عند جدك الإمام العارف بالله الشيخ أحمد بن محمد الحبشى صاحب الشعب نفع الله به قبل أن أتزوج بوالدة ابنى عبد الله فسألته الدعاء فقال : أولادك أولادنا فيهم البركة وما عرفت إشارته إلا بعد وجود ولدى عبد الله لما رأيت عليه من مخايل الولاية وظهور النجابة أو كما قال . انتهى .

فأمه رضى الله عنه وأم إخوته الحامد وعلى وعمر وبهية ورقية الشريفة الصالحة سلمى بنت السيد الفاضل العارف بالله تعالى العيدروس ابن السيد الأكبر أحمد الحبشى صاحب الشعب كان السيد عيدروس هذا شيخا عالماً فاضلا له تصانيف وزهد وعبادة وله شعر مليح تزوج بابنة عمه السيد عمر بن محمد الحبشى أولدها والدة سيدنا ومولانا عبد الله وغيرها من الأولاد ، منهم أبو بكر بن عيدروس الحبشى، سيد فاضل له ذوق فى علوم الحقائق وهو خال سيدنا ، توفى السيد عيدروس هذا بتريم سنة سبع وثلاثين وألف .

وأم والدة السيد الجليل علوى بن محمد الحداد الشريفة الصالحة العارفة سلمى بنت السيد الشجاع عمر بن أحمد المنفر باعلوى ، وكانت من العابدات القانتات

وكان سيدنا كثيراً ما يسند إليها بعض ما يحكيه ، ويروى لها مناقب وسير وكرامات. وأما أبوها فكان من العلماء العارفين الكمل صاحب كرامات وعبادات قال سيدنا : أحفظ لجدى عمر بن أحمد نحواً من أربعين أو قال خمسين كرامة ، وكان صاحب تصريف فمن كراماته أنه لما حج وسافر إلى المدينة لزيارة جده صحب المحمل الشامى أو المصرى فأمطرت السماء مطراً حثيثاً فعم على جميع المحمل دائرة فأخطأهم المطر ولم يصب أحداً منهم فأعطاه الباشا مقدم المحمل ألف دينار لما رأى منه ذلك ، ومنها أنه زار رضى الله عنه هود عليه السلام هو والشيخ أبو بكر بن سالم فعرض سيل عظيم أحجم الناس وتقهقروا عن القدوم والعبور فيه وغرق بعض المارين فيه وتقدم الشيخ أبو بكر على فرسه ومضى الماء فتبعه السيد عمر على أتانه حتى قطعاه وقال أتانى لا تقصر عن فرسك وكان إمام مسجدى آل أبى علوى باستخلاف السيد الإمام أحمد باجحدب لأنه كان آخذاً عنه وكف بصره آخر عمره وعمره نحواً من خمس وتسعين سنة ، توفى فى شهر شوال سنة عشرين بعد الألف .

وأما والدا سيدنا ومولانا عبد الله فكانا من عباد الله الصالحين ، وكان يثنى عليهما ويقول: إن والدى كان طاهرا مطهرا سمعت ذلك منه وتوفيا فى سنة بل فى شهر ، فمن أثناء مكاتبة من سيدنا إلى أخيه الحامد بن علوى وهو إذ ذاك بأرض الهند إعلاما وعزاء بموتهما قال : اعلم أن الله تعالى قد قضى بأمر وفى قضائه الخير والخيرة وفى الرضا به الثواب والمنفعة والروح والراحة عاجلا وآجلا وذلك أنه نقل إلى رحمة الله ورضاه وفسيح جنته الوالد الكريم السيد الشريف علوى بن محمد الحداد وذلك ليلة الاثنين الأولى من شهر رجب بعد أن مرض مرضا ليس بالشديد ، ومات على حالة مرضية وطريق سديدة بعد أن نطق بكلمة

الإخلاص التي من كانت آخر كلامه دخل الجنة وهي لا إله إلا الله ، وبعد وفاته بنحو خمسة أيام مرضت الوالدة ودام المرض عليها قريبا من عشرين يوما إلى أن توفيت وقدمت على الدار الباقية بعد أن شهدت ضحى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من الشهر المذكور وذلك سنة اثنتين وسبعين وألف . ثم قال وأحمد الله وأشكره حيث إنهما توفيا على حالة مرضية في هذا الزمان المفتون ، وماتا موتة حسنة تبشر بالنجاة .

وتوفي في السنة المذكورة السيد العارف بالله عمر العطاس ، والسيد الفاضل عبد الله بن شيخ العيدروس ، والشيخ الأجل أحمد بن محمد القشاشي المدني ، والسيد زين بن محمد باحسن الحديلي ، وهو ممن صحبنا بعد مسيركم إلى أرض الهند انتهى .

قلت : ودفن السيد عمر بحريضة ، والسيد عبد الله ببندر الشحر ، والشيخ أحمد بالمدينة ، والسيد زين بالحا . انتهى .

وكف بصره قدس الله سره وهو ابن نحو الثلاث السنين سببه الجدري فأعاضه الله جل وعلا تنوير البصيرة وأخبرني بعض الثقات عن والده وكان من الصالحين قال: عزمت إلى تريم مع الشيخ الأجل المكاشف عبد القادر ابن الشيخ الأكمل محمد بن أحمد باشراحيل صاحب الغريب وسيدنا الأستاذ عبد الله إذ ذاك صغير السن يلعب مع الصبيان ويقول : سيكون لهذا شأن عظيم أو نحو هذا ، والشيخ عبد القادر هذا كان سيدنا يثني عليه ويقول : إنه كان من كبار الرجال ، وأنه ضرغام الضراغم ، وكان عظيم الاعتقاد لسيدنا ويستشيره في بعض أموره كما سيأتي شيء من ذلك فيما بعد وهو المذكور في الحكاية الخمسين بعد المئتين وتوفي وسن سيدنا فوق العشرين السنة ودفن بشبام ، ووضعه في اللحد السيد

الجليل زين بن علوى الحبشى والد سيدنا وشيخنا أحمد وكشر فى وجهه وهو فى اللحد ، أخبرنى سيدنا أحمد بذلك عن والده نفــع الله بهم الجميع ، وكان صاحب كرامات وكشوفات جلية ، وكان والده الشيخ محمد من الرجال العارفين المتمكنين ذا كرامات عديدة ، وكان عظيم الاعتقاد وكبير الاحترام للسادة الأشراف آل ابن علوى رضى الله عنهم ، بلغ فى ذلك مبلغا . ويحكى عنه فى ذلك مايستغرب وقوعه ، وكان يزور تربة شبام كل ليلة أو جملة من الليالى يطلع من قرية الغريب ويعود إليها ، أدرك سيدنا من وقته عدة سنين وكان أخوه الشيخ العالم المحقق عمر بن أحمد شراحيل فاضلا جامعا لأنواع العلوم أظنه أدرك الشيخ الكبير أبا بكر بن سالم ودفن هؤلاء الثلاثة بمقبرة شبام ، وذكرهم هنا فائدة عرضت كذكر غيرهم وإن لم يكن بصدد هــذا المؤلف ، وكان سيدنا الأستاذ عبد الله ممن لوحظ بعين العناية وأتحف بزين الرعاية وحفظ بجميل الكلاية من حين طفولته وصباه ولم تعرف له صبوة قط بل كان ديدنه وهجيراه إقباله على مولاه وتشميره فيما يحبه ويرضاه ولم يؤثر عليه أبدا سواه ؛ غذته ثدى التوفيق بصافى ألبانها ، وأسعدته السعادة بصفا أوقاتها وأحيانهــا ، وألقت الهداية على ساحات قلبه وسره جرانها ، لم يزل مشمرا عن ساق الجد باذلا غاية الجهد راكبا خيل السباق فى حلبــات العبادة سالــكا سبيل التجرد والزهادة ابتغاء مرضاة مولاه العظيم ، نشأ فى حجر والده الكريم بمدينة تريم وحفظ القرآن العظيم على المعلم المنور أحمد بن محمد بلحاج التريمى .

قال رضى الله عنه : قرأنا عليه من أثناء سورة يوسف إلى آخر القرآن ، وكان هذا المعلم قد دخل الهند وأقام بها زمانا ، ولقى جماعة من أهل الفضل والعلم ، وله مشاركة فى كثير من العلوم حتى علم السيميا والطب ، وقد ذاكرناه بأشياء منها

ومن غيرها . ذكر ذلك سيدنا وشيخنا أحمد الحبشي فى كتابه النفحات السرية شرح القصيدة العينية لسيدنا وشيخنا عبد الله .

وقال قدس الله روحه ونفع به : كنت إذا رجعت من المعلامة ضحى أمضى إلى بعض المساجد فأتنفل فيه كل يوم نحوا من مائة ركعة تطوعا ، وفى رواية أو واقعة أخرى : كنت فى الصغر أصلى مائتى ركعة كل يوم فى مسجد بنى علوى ، وأطلب من الله مقام الشيخ عبد الله بن أبى بكر العيدروس ، وفى رواية عنه قال : كنا نطلب بذلك مقام أو قال حال الشيخ عبد الله بن علوى باعلوى نفع الله بهم ، وكذلك السيد عبد الله بن أحمد بالفقيه يفعل ذلك ويطلب مقام جده السيد عبد الله بن محمد صاحب الشبيكة نفع الله بهم .

قلت : ولا مراء أن الله عز وجل أعطاه السؤل والطلب وبلغه غاية الأمنية والأرب من وراثة من سلف من سلفه المقربين وسائر عباد الله الصالحين ، خصوصا الإمامين عبد الله بن علوى والشيخ العيدروس عبد الله بن أبى بكر فقد أشبههما من وجوه كثيرة باطنا وظاهرا ، أشبه الشيخ عبد الله باعلوى فى اسمه واسم أبيـــه وجده وكون أخاه عليا وأكبر ولاده محمدا وكونه طويلا أبيض وفى كف البصر وفى الضيف ، وتوزيع الأوقات والسخاء ومواساة الفقراء والمساكين ووظائف الدين رضى الله عنهم أجمعين .

وقال رضى الله عنه : كان بيننا وبين السيد العارف عبد الله بن أحمد بالفقيه الأسقع باعـــلوى المذكور اختلاط وملازمة ومعاشرة فى حين الصغر وإقبال الشباب وكنا نخرج إلى الأودية المباركة مثـــل عيديد ودمون على الانفراد ، وربما دخلنا بعض المساجد نهاراً فنتنفل بها كثيرا كأنه يشير بذلك إلى ماتقدم قريبا ، والله أعلم . قال : وكنا نتدارس أنا وإياه القرآن فيقرأ هو فى المصحف

قدر ربع جزء ويعيده بالغيب ثم أقرأ بعده كذلك أقمنا على ذلك مدة وكنت أنا وإياه نقرأ فى مختصر الفقيه الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج فضل الكبير من مختصريه على السيد الوجيه الصالح عبد الرحمن بن عبد الله باهارون، ويروى أن مدارسته هو والسيد المذكور في مسجد الشيخ محمد بن عبد الله باعلوى المعروف بمقالد، وكان بيتاهما متقاربين وهما حول المسجد المذكور.

وأخبرنى بعض الثقات المنورين المنتسبين إلى سيدنا قال: كنت إذا جئت عند السيد عبد الله بن أحمد المذكور يذكر لنا ذلك ويقول: إنا نشأنا معها ولكن السيد عبد الله سبقنا أو نحو ذلك ويقول إنه فتح له من حين صغره كنا نراه إذا قرأ سورة يس يتأثر جداً ويبكى بكاء شديداً ولا يكاد يحتمل قراءة هذه السورة الشريفة فيقع لنا أن فتحه فيها. قلت: ولم يزل سيدنا قدس الله سره منذ نشأ حتى قبضه الله إليه ملازما وملزما غيره قراءتها لسبب ولغير سبب ويرتبها بعد كل فريضة بقراءة غيره، وإذا حصل أمر مهم سيما القحط فإنه يقرؤها بعد درسه ومن حضره أربعين متوالية فما يمضى الأربعون فى الأكثر إلا وقد حصل المطلوب، وله دعاء لما يرتبه بعد قراءته لها، وسيأتى ذكره فى خاتمة الباب السابع.

وكان رضى الله عنه ونفعنا به يجله العارفون ويعظمه الكاملون ويثنى عليه المحققون العالمون العاملون المتقون الزاهدون الورعون من السادة آل أبي علوى وغيرهم من حين صغره لما يرون عليه من لوائح أنوار السعادة ومخايل بشائر السيادة وطلائع جيوش العناية وطوالع بدور الهداية وكم قد سمعت من سيدى ومستفيدى الإمام أحمد نفع الله به فى ذلك المعنى وذكره إجماع أهل عصره من أعيان دهره على ذلك وتنويههم بعباراتهم وإشاراتهم عما يشير عما هنالك

وكفى به هو مجلا ومعظما ومثنيا ومحترما لو لم يكن غيره فكيف وقد انعقد الإجماع من أهله على ذلك هذا فى بدايته وصغر سنه ونشأته . وأما بعد ذلك فأمر معلوم للخصوص والعموم إلا للجاهل الغشوم أو الحاسد الظلوم ممن لا يؤبه له ولا يعد بنظره وليس هذا محل ذكر تعظيم المحترمين ونشر ثناء المثنين عليه ، وسيأتى طرف يسير من ذلك فى خاتمة الكتاب وفى مواضع متفرقة منه إن شاء الله .

وقد سمعت بعض العارفين المحققين من خواص أصحابه يقول : إنه نفع الله به نشأ على الفطرة الأصلية والكمال فى بشريته وطبيعته وخصوصيته واستقام على ذلك ولم يعرض له ما يناقض ذلك بفضل الله ورحمته وجوده وعطفه وإعانته وتوفيقه وتأييده وتسديده وهدايته وعنايته شعر ألفته فيه :

جادت سحائب رحمة الخلاق ... صبت بوابل جودها المتدفق

وتوجهت نحو الإمام المتقى ... غمرته بفائض فيضها المهراق

ساد الرجال العارفين حقيقة ... مذ كان فى المهد على الإطلاق

مازال يرقى للمعالى سالكا ... سبل الرشاد وكامل الأخلاق

من حين منشئه على قدم الوفا ... حتى وفى بالعهد والميثاق

مازالت الألطاف تقصد سوحه ... وتؤمه بالجود والإرفاق

وكذا العناية لم تزل تعنى به ... وتحوطه بالعطف والإشفاق

قد خص بالتسديد من رب العلا ... والعون والتأييد من رزاق

غيره أيضا :

سقى بالصفا لا شك فى زمن الصبا ... وغذته أصناف من كئوس العناية

وقوبل بالترحيب من كل جانب ... وروته الألطاف من كل وجهة

فنشؤه فى مرضاة مولاه دائبا ... ولم يأل جهدا لا ولم يتلفت
وذلك فضل الله يؤتيه من يشا ... هنيئا لمن قادته أيدى السعادة

وقلت :

سلام على قطب الورى سامى الذرى ... ومن حل أوجا فى فسيح جناب
ونال من العلياء أرفع منزل ... ودانت له فى المجد غلب رقاب
بدايته كانت نهاية غيره ... فطوبى له طوبى وحسن مآب

وقلت من أثناء قصيدة وستأتى فيما بعد بجملتها :

بظهوره فخرت جميع مشارق ... ومغارب ودهوره وأعصاره
جرت ذيول التيه حقا وازدهت ... بوجوده فخرا وحق فخاره

وقد سمعت من سيدى الملاذ أحمد بن زين يحدث عن السيد الإمام أحمد بن عمر الهندوان نفع الله بهما غير مرة قال : كنا فى ابتداء الأمر وإقبال الشباب كثيرى الاجتماع نحن وسيدنا الأستاذ عبد الله رضى الله عنه ، وربما اجتمعنا على حضرات الذكر الجهرى فيحصل على سيدنا عبد الله من الوجد ما يفنيه عن إحساسه وربما لم يفق من وجده ذلك حتى نحمله ونطرحه على قبر سيدنا الإمام القطب الفقيه المقدم رضى الله عنه .

وقال سيدنا الغوث عبد الله : كان بيننا وبين السيد الجليل أحمد الهندوان المذكور الخلطة والملازمة والمجالسة والمؤانسة الدائمة فى حال اشتغالنا على السيد الفقيه عبد الرحمن باهارون المتقدم ذكره ، وعلى السيد سهل باحسن جمل الليل ، والفقيه عبد الله الخطيب ، وفى الكثير من الأوقات بزاوية الهجيرة المشهورة وبغيرها على المطالعة والمذاكرة وجميل المعاشرة .

وقال رضى الله عنه : كان السيد الجليل الصوفى أحمد بن هاشم بن الشيخ

أحمد الحبشي اجتماع بنا واختلاط كلي وصحبة صافية ، وكنا إذ ذاك إنطالع في الكتب الغزالية وغيرها ، وفي الدواوين المنظومة لأهل الذوق والشوق مثل الشيخ السودى انتهى .

قال سيدى ووالدى زين بن علوى بن سميط رحمه الله : جئت إلى عند السيد أحمد المذكور زائرا فأثنى على سيدنا الإمام عبد الله قال : كنا متحدين في البداية إلى الغاية ، وكذلك كنا في اجتماعنا على السيد العارف عمر بن عبد الرحمن العطاس قال : وكان شيخنا عمر يقول : أنت والسيد عبد الله الحداد تتفقان في البداية وتفترقان في النهاية ، وكان السيد أحمد المذكور يقول كثيرا : نشأنا معا ولكنه سبقنا .

وحدثني بعض الثقات المنورين عن السيد أحمد المذكور قال : أخبرني أنا حال اشتغالنا على السيد عمر العطاس رضى الله عنه ونفعنا به فتح على سيدى عبد الله فلما رأيت ذلك تقاصرت عندى نفسي فشكوت على سيدى وشيخي عمر نفع الله من ذلك فقال لي : اجتمع شمله بشملها اتصل حبله بحبلها انطوت الأحشاء على جنينها سطع نور المصطفى ﷺ في جبينها فعند ذلك فتح لي .

وقال سيدنا الإمام عبد الله : كان بيننا وبين السيد الجليل الصالح على ابن عمر بن الحسين بن الشيخ على أخوة وممازجة واختلاط كلي ومصاهرة وكنا كثيراً ما نطالع الكتب النافعة ونسردها ليلا ونهاراً ، وربما كان يقرأ لنا ونحن نسير في الطريق ، وربما دخل علينا الليل ونحن في المطالعة ، وكانت له القوة البالغة على مطالعة الكتب والنظر فيها .

وقال قدس الله سره : كان بيننا وبين السيد الجليل الصوفي المتفنن على بن عبد الله ابن أحمد العيدروس إخاء وامتزاج واختلاط واتحاد أيام إقامته بتريم وبقى ذلك

ولم يزل في مزيد جعل الله ذلك له وفيه ولم يزل بيننا وبينه المكاتبة والمراسلة ولطيف المواصلة ، وكان عقد الأخوة بيننا وبينه عند قبر سيدنا الفقيه المقدم لأني كنت أزوره أنا وإياه بعد العشاء من ليلة الجمعة ثم نرجع إلى زاوية المجيرة ونطالع الكتب النافعة ليلا طويلا وقد نأتي في غير ليلة الجمعة لذلك ونجتمع كثيراً في بيت لهم ببلدة تريم نهاراً وبمصلى جده الشيخ عبد الله العيدروس بمكانه في السبير من أعمال وادي دمون على الكتب الفقهية والأربعين الأصل للإمام الغزالي ، وكتب مناقب السادة آل أبي علوي كالفتوحات القدوسية في الخرقة العيدروسية للسيد الجامع عبد القادر بن شيخ العيدروس ، وكذا نطالع في دواوينهم المنظومة رضي الله عنهم أجمعين .

قال سيدنا ولم يتفق عقد الأخوة المعروف المصطلح عليه عند طائفة الصوفية إلا بيننا وبين السيد علي بن عبد الله المذكور ، والسيد الحسيب حسن بن هوظه باعقيل وكان ذلك عند قبر سيدنا الفقيه المقدم ، وكذلك كان بيننا وبين السيد أحمد بن ناصر بن أحمد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب الشحر وذلك عند وصولنا إليها للسفر إلى حج بيت الله الحرام وكذلك وقع عقد الأخوة بيننا وبين السيد أحمد الهندوان فالحمد لله على ذلك ورحم الله الجميع وجمع بيننا وبينهم في حضرته ودار كرامته بفضله ورحمته ، وقد كان هؤلاء السادة يجتمعون في بيوتهم كثيراً حتى أخبرني بعض الثقات قال : أخبرني رجل شائب محترف من أهل تريم قال : كان هؤلاء السادة يجتمعون ويأمرونني أصنع لهم قهوة ، وكان السيد علي بن عبد الله العيدروس يقول لهم قبل مجيء سيدي عبد الله الحداد رضي الله عنه : يا هؤلاء إن رضيتم أو سخطتم أخذ السابقة عليها ، وفاز بها السيد عبد الله الحداد رضي الله عن الجميع .

وقال سيدنا الأستاذ عبد الله نفع الله به : كنا فى ابتداء الأمر نطالع فى شىء من كتب الشاذلية ، وكنا نطالع نحن والشيخ المنور أبو بكر بن الشيخ محمد بن أحمد باجبير بمسجد الشيخ العارف عبد الله بن شيخ العيدروس الكائن عند قبته بتربة آل أبى علوى بتريم المسمى بمسجد النور كتاب لطائف المنن للشيخ أحمد ابن عطاء الله الشاذلى ، وكنا نزور الشيخ أحمد بن عيسى والشيخ أحمد بن محمد الحبشى بشعب بنى مخدم نحن وباجبير المذكور وربما كانت الزيارة للشعب مشياً على الأقدام ونحن أيضاً صيام ، وسمعت أن سيدى رضى الله عنه كان إذا زار الشعب المنور قد يبيت به وإذا نام من كان معه يقوم ويملأ مياضى مسجد جده لأمه الشيخ أحمد الحبشى راقبه أناس وشاهدوه يفعل ذلك رضى الله عنه .

وقال سيدنا ومولانا عبد الله الحداد رضى الله عنه : كنا نزور الشيخ أبا بكر بن سالم وكانت أول زيارة لنا عند موت السيد الفاضل عمر بن الحامد ابن الشيخ أبى بكر بن سالم نفع الله به ويحكى أن سيدي عبد الله رضى الله عنه كان فى بدايته مولعاً بكلام الشيخ ابن الفارض، وكان ربما ترنم بشىء من كلامه بالليل خصوصاً التائية ، وكذا أيضاً لم يزل معزى به مدة حياته ولم يزل يقرأ عليه وينشد بين يديه ويظهر عليه الطرب إلى أن توفى وهو على ذلك .

وقال سيدنا وشيخنا الشهاب الملقب أحمد بن زين الحبشي فى كتابه الموارد الهنية شرح الأبيات المنظومة فى الوصية : كان سيدنا الشيخ عبد الله رضى الله عنه فى ابتداء أمره له فى قيام الليل المقام الأرفع ، وكان يطوف على مساجد تريم كل ليلة حتى إنه ربما نام فى جهاز حمام مسجد آل باعلوى وله وقائع ، وهو نفع الله به قليل النوم أو لا ينام أصلا انتهى .

وكان رضى الله عنه يقول : قد طفنا على مساجد تريم مراراً عديدة حتى مسجد سويد تسورناه وصلينا فيه وكان مسجد سويد هذا مطينا ولا يكاد يعرفه إلا النادر من أهل تريم لأنه لم يكن عليه شيء من أمارات المساجد وكان يقول كنت آتى مسجد عبد الله العيدروس الكائن بحوطة تريم نجدى مسجد السقاف للتعبد بالليل وكنت أسمع نداء باسمى يأتينى من خلوة الشيخ عبد الله التى كان يخلو فيها وسألته من أنت ؟ قال: أنا عبد الرحمن بن على .

وكان رضى الله عنه فى أوائل أمره كثير التنزه والخروج إلى نواحى تريم وخلاها وخلوتها وأدويتها وشعابها كوادى عيديد وكودته ووادى دمون وغبرته وبيت جبير ومكان أهله بالسبير تتبعاً لمآثر الصالحين وتبركا بهم ولأجل الأنس بالله فى الخلوة ولترويح السر عن مجالسة غير المجانس وأخذاً بالحظ من السياحة فى البرارى والقفار كما هى عادة كثير من أرباب البصائر والأسرار من العارفين والأخيار والصديقين والأبرار المنقطعين إلى الله والمتبتلين إليه وكان كثيراً مايقول: أشتهى السياحة فى البرارى والقفار وذلك مناى ومطلوبى ، ويقول : أود أن أنفرد لله لأجل لذة الأنس به .

وكان يحضر إلى ضريح الشيخ عبد الرحمن بن أحمد باجلحبان الكائن نجدى جبل كحلان للزيارة وما سبق من الاستئناس بالخلوة وترويح السر وتأسياً بسلفه الصالحين الذين كانوا كثيرى الزيارة له .

وكان نفع الله به يأتى الضريح المتعارف بين أهل تريم ببيت الحراكة الكائن نجدى شرقى البلد حذاء مكان سيدى الحاوى من جهة الشمال ، وكان يقول : إن السيد أبا بكر بن شهاب الدين يقول إن صاحب الضريح المذكور من أولاد الشيخ عبد القادر الجيلانى وقد طرق سمعى أن اسمه مرور وكان أيضاً

يأتى العجز بقضم آل باعلوى المقبور فيه السيد العارف الشيخ أحمد بن الفقيه المقدم ويزوره ويمكث الأيام فى العجز عند أصحاب له من آل أبى قشير ؛ وهذا أوان شبابه ، أخبرنى بذلك بعض من كان يحضره هناك رجل صالح شائب من آل أبى قشير عند قبر سيدنا أحمد المذكور .

الفصل الثالث

كان رضى الله عنه ونفع به كثير الزيارة لنبى الله هود عليه السلام وقد زاره ثلاثين مرة كلها فى شهر شعبان كما هى عادة الناس ، وكان يعول عليها ويوصى بها ومشى عليهـا وعلى من يزور ويقول : إن من زار النبى هود وصنع مولد النبى محمد ﷺ هناك تمر عليه سنته طيبة جميلة ، وكان يسير بجميع من كان عنده من القرابة والفقراء والزائرين ، وكان فى الأكثر فى طريقه لزيارة الشيخ أبى بكر بن سالم صاحب عينات والشيخ أحمد ابن الفقيه للقدم بالعجز ويقصـد بيت صاحبه السيد الجليل أحمد بن عوض باحسين ويزور المصنف تربة قسم وإذا وصل الشعب المنور زار بالناس القبر الشريف فى جموع لا تـكاد تحصى ، ويمكث فى الشعب غالباً ثلاثة أيام من يوم الثانى عشر إلى مغرب ليلة النصف من شهر شعبان ، وكانت له فى تلك الزيارات حضرات مشهودة ومحاضر معقودة وجموع وجماعات واجتماعات مع أخيار وسادات ، مثل السيد الأنور سالم بن عمر بن الحامد ابن الشيخ أبى بكر بن سالم ، وكان يقول بعد أن يجتمع به لو لم يكن لنا فى زيارة النبى هود إلا كون السيد سالم المذكور فيهم لـكفى ، ومثـل السيد الخاشع المتواضع شيخان بن الحسين بن أبى بكر بن سالم وقد عده سيدى من الذين أخذ عنهم فى قصيدته العينيـة ووصفه بالمنيب الأخشع ، وكذا اجتمع بأكثر أولاد السيد الإمام الحسين ابن الشيخ أبى بكر بن سالم بعينات وبالشعب المذكور ، واجتمع فى بعض السنين هناك بالسيد العارف الـكامل أحمد بن عمران الهندوان وحصل جمع كلى ، وسمعت أن سيدى الحبيب عبد الله قال لسيدى أحمد الهندوان خاطرك معنا أنت الهندوان فقال : خاطرك أنت لا يصلح الهندوان إلا الحداد .

قال يوما وهو فى الشب المذكور مع كونه يجمع مالا يحصى من أهل الفضل الخامل منهم والمشهور : كل فضيلة توجد عند أحد من جميع من هو فى هذا الشعب فهى عندنا رضى الله عنه . وكان نفع الله به ربما ألبس الخرقة الصوفية قبة آل أبى علوى المعروف لبعض الناس فى أوان زيارته للنبى هود عليه السلام . وبلغنى أنه فى بعض السنين ألبس جميع من حضر وأمر من ينادى ألا من أراد أن يلبس من فلان . فليأت فألبس تلك السنة جموعا لاتكاد تحصى ، وكان يفعل هنالك مولداً للنبى ﷺ .

وقال رضى الله عنه يوما وهو عند قبر النبى هود عليه السلام: إن فلانا لايعيش إلا دون ستة أشهر لأنه دخل بحر المحبة بنحره فقتله ونحن استمددنا لذلك بسفينة فقوينا عليه فكان الأمر كذلك ، وقد ذكرنا ذلك فى الحكاية السادسة والثمانين وسيأتى فى باب الكرامات فى الحكاية السبعين بعد المائة قصة سقوط الجرف الذى جلسوا تحته جميعهم بعد أن أمرهم سيدى بالانحياز عنه إلى مكان آخر بكمالها وغيرها من الحكايات المتعلقة بزيارة النبى هود عليه السلام .

الفصل الرابع

كان رضى الله عنه وقدس سره كثير الزيارة لجنان بشار تربة تريم زنبل والقريط وأكدر ، ويكثر من زيارة آل أبى علوى رضى الله عنهم لا يكاد يفتر عنها ، وقد سبق قوله : إنى كنت كثير الزيارة أنا والسيد العيدروس على بن عبد الله بعد العشاء من ليلة الجمعة وكان ربما زار وحده كما سيأتى فى الحكاية الثلاثين بعد المائتين ، وكما أخبرنى بعض الصالحين قال : خرجت لزيارة آل باعلوى ليلة عرفة نحو نصف الليل فوجدت سيدى الشيخ الحبيب عبد الله عند قبر سيدنا الفقيه المقدم وحده فزار بى الفقيه ومن عنده ، ثم السقاف ومن عنده ، ثم المحضار ومن عنده ، ثم العيدروس من تحت قبته ثم أمرنى بالانصراف فانصرفت ودخل هو القبة وأغلق الباب ولم أدر كيف صار أمره رضى الله عنه . وكان دأبه رضى الله عنه الزيارة عشية الجمعة بعد أن يصلى العصر فى مسجد الهجيرة ولعله إنما اختار الزيارة فى هذه العشية رجاء أن تكون هى ساعة الإجابة يوم الجمعة لكونه مذهب جماعة من السلف ، وهو مذهب سيدتنا فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وتأثره عن أبيها ، ويحضر زيارته جماعة كثيرون من فضلاء السادة آل باعلوى وغيرهم .

وكان يبتدئ فى الزيارة بسيدنا الفقيه المقدم محمد بن على علوى ، والشيخ عبد الله باعلوى ، ثم سيدنا الشيخ علوى ابن الفقيه المقدم ومن حوله كأخيه السيد الولى عبد الله ابن الفقيه المقدم وهو الذى نعش نعشين نعش فى السماء ونعش فى الأرض وأمه زينب ، والسيد الكامل محمد بن علوى من ذرية أحمد ابن الفقيه المقدم وجده السيد العارف عمر بن أحمد المنفر ، وغيرهم . ثم سيدنا السقاف عبد الرحمن بن

محمد ومن عنده كوالده الشيخ مولى الدويلة وجده على بن علوى ، والشيخ حسن الورع ، والسيد أحمد بن عمر الهندوان وغير هؤلاء جماعة ممن حولهم ، كالشيخ على بن علوى خالع قسم ، والشيخ جمل الليل ، والسيد الولى محمد النفير بن عبد الرحمن ابن الفقيه المقدم ثم جده الشيخ الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن علوى عم الفقيه المقدم هو والشيخ مولى عيديد محمد بن على لأنهما فى قبر واحد محاذ قبر الشيخ أبى بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف وابنه أحمد بن أبى بكر ، ثم السيدين الشيخين شيخ ابن السقاف عبدالرحمن وشيخ ابن العيدروس عبدالله ابن أبى بكر ومن حولهما ، ثم سيدنا المحضار عمر بن عبد الرحمن وسيدنا الشيخ على بن أبى بكر ومن حولهما كالشيخ حسن وحسين ابنى السقاف ، والشيخ عبد الرحمن بن على ، والشيخ شهاب الدين ، والشيخ مشيخ بن عبد الله وغير هؤلاء من أكابر السادة آل أبى علوى رضى الله عنهم ، ثم يمر ويقف قليلا عند قبر الفقيه الصالح محمد بن أحمد باجبير أحد من قرأ عليه ويقول : إنه يمسك برجلى إذا مررت بقبره وهو على طريقه ، ثم يزور الشيخ العيدروس عبد الله بن أبى بكر ومن عنده كابنه الحسين وابنه أحمد ، ثم يزور أهله شرق قبة العيدروس ، ثم يجلس هناك بمن معه ويتذاكرون ويتفاوضون الحديث بينهم ، وقد قيل : كيف تتكلمون فى المقبرة فقال : لو لم نتكلم لاحترقنا .

وكان يزور أيضا عشية الثلاثاء على هذه الكيفية فى الترتيب للزيارة المذكورة. قال قدس الله سره : كنا أولا مقتصرين على زيارة الجمعة فقط فرأى بعض أصحابنا الفقيه المقدم فى المنام فقال له : قل لسيد عبد الله الحداد زيارة الجمعة فقط لا تكفى فرتبنا زيارة الثلاثاء لذلك ثم لما عجز بالكبر بقى يزور على غير هذا الترتيب من الجمعة والثلاثاء بل كان ربما زار بعض الأسباب قبل طلوع الشمس وغير ذلك .

ومن كلامه نفع الله به : إنا قد نقصد الزيارة فى بعض الأحيان ولا يمنعنا منها إلا ماشلمنا به الأموات من طلب الشفاعة فنترك لذلك أعنى كثرة التملق منهم .

وكتب لبعض السادة : نحن داعون لكم عند ضرائح السادة عند زيارتنا وقد قلت منا الزيارة لهم فى هذه الأيام لضعف القوة ووهن الجسم وقلة الصفا وترادف الأكدار بسبب حوادث حدثت فى الجهة ما كنا نظن أنها تقع ونحن فى الحياة وبين ظهرانى الناس ، ولكن الأمر كله لله ، رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين .

وكان يحض على زيارة آل أبى علوى ويأمر بها كثيرا ويوصى بها جملة من الأصحاب خصوصا سيدنا الفقيه المقدم ، ورآه بعض الصالحين بعد موته وهو يقول : عليك بزيارة الفقيه المقدم فإن بعض الناس لم يكن له كثير عبادة إلا أنه كثير الزيارة له فألحقه الله بالعاملين الكاملين أو قريبا من هذا المعنى ، انتهى .

وكان يعجبه من كان مواظبا عليها وينسب من يقلل الزيارة إلى العجز والتكسيل وقلة الاهتمام بأمر الدين ويقول : إن الشيخ على بن أبى بكر كان لا يمل الزيارة وربما زار فى اليوم أربع مرات ، وكان ربما طلع من الزيارة ثم يرجع من أثناء الطريق قبل أن يصل إلى البلد ويقول : إنها حصلت نية أخرى فى الزيارة ، وكان الشيخ عبد الرحمن المذكور لا يقوم من عند قبر والده الشيخ على رضى الله عنهما حتى يقول له من قبره : ياعبد الرحمن قم قد أحرقتك الشمس ، قال : وكان الشيخ عبد الله باعلوى يجلس عند قبر سيدنا المقدم ويطيل جدا وربما عصرت ثيابه من شدة العرق الذى يحصل من حرارة الشمس ، وكان يقول : الصيد كل الصيد فى جوف الفرا . وينشد :

يا دار إن غزالا فيك هيمنى   لله درك ما تحويه يا دار

الفصل الخامس

كان رضى الله عنه يزور دوعن ، اتفق له زيارة دوعن وحريضة ثلاث مرات، مرتين فى حياة السيد الجليل عمر بن عبد الرحمن العطاس ومرة بعد وفاته أظنها عند صدوره من الحج كان على طريقه فى خروجه لأنه كان خرج بغير عمد وإحدى الزيارات كانت عن غير قصد من تريم بل زار شعب الشيخ أحمد بن عيسى ، ثم بدا له أن يزور دوعن من هناك هكذا سمعت بعض الثقات يروى عنـــه .

قال رضى الله عنه : ومما تفضل الله به وقدره فى سنة إحدى وسبعين بعد الألف فى جمادى الآخرة يوم الاثنين الحادى والعشرين من الشهر المذكور أن أنهض الهمة وأطلق الأقدام بالسعى فى جماعة من الأصحاب إلى زيارة سيدنا وشيخنا السيد الحبيب العارف بالله عمر بن عبد الرحمن العطاس بغرض الاجتماع به فى داره بحريضة ، وحصلت لنا بسبب الاجتماع هذا فوائد ومنافع وإمدادات ظاهرة وباطنة وذلك من فضل الله . ومن جملتها أنى طلبت منه الخلوة به فخلا لى فكنت أنا وإياه ما معنا إلا الله تعالى فكشفت له عن جملة أشياء تبركا باطلاعه ، فما ذكرت له عن نفسى شيئا إلا واستحسنه وأقرأ عليه شيئا إلا ما يخفى على الدعوة إلى الله وإظهار ذلك للخاص والعام من غير مبالاة بأحد ، والتمست منه شيئا من الصلة الظاهرة مثل اللباس والتلقين والمصافحة فسمح بجميع ذلك مع الإذن العام فيه ، وقال : ألبسك وألبس منك وانتزع عمامته ووضعها على رأسى وأخذ العمامة التى كانت علىّ فوضعها على رأسه . وقد اجتمعت به قبل هذا السفر بالمحل المذكور .

ثم إنا سرنا من حضرته قاصدين زيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودى القصد به وكان فى أصل الهمة بالزيارة الشيخ عمر المذكور من الأحياء والشيخ سعيد من الموتى وما اندرج فى ضمن ذلك من عباد الله الصالحين الأحياء والأموات فهو لاحق به وتابع له وقد التقينا فى هذه السفرة بجماعات من أهل الخير والصلاح مستورين ومشهورين ، وتمت معهم اتفاقات حسنة وموافقات شريفة ومذاكرات لطيفة بإذن الله تعالى وله الحمد ختم ذلك بمصادقة السيد عمر المذكور أولا بحوره وهو على الطريق فدخلنا لزيارته وبقينا عنده من عشية يوم الخميس إلى آخر يوم الجمعة ، وحصل أيضاً فى هذا الاجتماع الثانى من المدد والخير ما لا يقدر قدره .

وبعد ماودعنا السيد عمر بموضع خارج البلد اتبعنا شخصا ومعه عكاز وهذا لكم من السيد عمر فأظهرنا البشارة حين عرفنا الإشارة وستأتى قصة متصلة بهذا فى الحكاية عن عبد الله باكثير رحمه الله .

وقد اجتمع فى سفرته هذه أو غيرها إلى دوعن بالشيخ العارف المحقق على ابن عبد الله باراس وكان من أجلّ الآخذين عن السيد عمر المذكور وحصلت بينهما مفاوضة حسنة ، قال لى سيدى بدر الدين الحسين بن عمر العطاس : كنت إذ ذاك بدوعن أقرأ على الشيخ على المذكور بإشارة والدى فى كتاب عوارف المعارف للسهروردى فى باب صلاة أهل القرب فحضر سيدى عبد الله قراءتى وتذاكرا فقال سيدى : من صلى صلاة واحدة من صلاة أهل القرب كفته ، أو قال سعد بها ، أو نحو ذلك رضى الله عنه .

واجتمع به أيضاً الشيخ المنور محمد باشموس وكان صالحا زاهدا متقشفا ، حكى عنه أنه تلقاه بالرحبة وهو مسيل الماء لما خرج رضى الله عنه من قرية

الخريبة بلو دوعن وأنه ألقى فى أذن الشيخ بامشموس كلاما قال لم أفهمه حين ألقاه ، ثم بعد عدة سنين فهمته . وفى رواية عنه أنه قال : قرأ فى أذنى سورة يس فى أسرع وقت واجتمع بجماعات من آل العمودى وغيرهم من فضلاء ذلك الوادى .

وزار أكثر المشائخ المشهورين بدوعن كالشيخ سعيد بن عيسى بقيدون ، وكالشيخ معروف بن عبد الله مؤذن باجمال بظرفون ببضه ، ومثل النبى هارون ابن هود بهدون ، وبلغ الرباط باعلوى دوعن وزار من به من المشائخ كآل باعيشن ، وآل باسندوه ، وكالشيخ صاحب الدلق بعوره ، والشيخ يوسف المعروف ببحر النور بالرشيد ، والشيخ فارس باقيس بحلبون ، والشيخ ناجية برحاب وهو من أصحاب الشيخ سعيد بن عيسى العمودى هكذا ذكروا والله أعلم ، وغير هؤلاء من عباد الله الصالحين .

ودخل الأكثر أو الكثير من قرى دوعن الأيمن والأيسر وزار بالأيسر الشيخ عمر العمودى صاحب خضر ودخل بلد المجرين فى أوان زيارته دوعن ، وحصل به اجتماعات أيضاً كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

ودخل أيضاً بلدة شبام مرات وزار تربتها مرارا كثيرة .

واجتمع إليه جموع فى أوقات شتى وقصد فى هذه السفرة فيما أحسب بيت السيد الفاضل علوى بن مرزق بن علوى باعلوى وألبسه مع جماعة التمسوا ذلك منه ، وكذا ألبس فى دوعن جماعات وحصل جمع عظيم فتكلم رضى الله عنه فى مواهب وأمداده ومواجيد أوليائه وصفوته من عباده . ثم قال : إن أحدكم يود أن يكون مثلهم أو ينال منالهم ولكن القيد حديد أو قال ثقيل . ثم أخذ يتكلم فى الوعظ والتذكير والدعوة إلى الله تعالى وإلى سبيله . ثم قال : سوف تسألون عنى وأسألى

عنكم هل بلغت أم لا ، فعند ذلك صاح الشيخ المنور عمر بن أحمد بن حمود صيحة عظيمة وجعل يفحص ويشخر كأنه مذبوح فحمل إلى بين يدى سيدى رضى الله عنه فقرأ عليه وأمر برش الماء عليه حتى أفاق ، فقال لسيدى : إنه تلقى الكلام كله ولو شاركه فيه غيره لما وصل إلى هذا الحال .

ودخل رضى الله عنه أكثر قرى حضرموت ، وزار من بها من عباد الله الصالحين أحياء وأموات رضى الله عنهم أجمعين .

ذكر الشيخ عبد الله بن عمر شراحيل فى مؤلفه أنه رضى الله عنه لما زار جرب هيصم تربة شبام كنت معه فلما انصرف عنها قام بطرف المقبرة وقرأ شيئا من القرآن وأطرق ساعة ، ثم قال لى : يا عبد الله معذبى الجرب ليسوا كثيرا ، رضى الله عنه ونفع به ، فكأنه كوشف بذلك نفع الله به .

وكان يأتى مسجده الذى بنفس شبام وربما فعل فيه حضرة الذكر الجهرى ، وكان يثنى على هذا المسجد ويقول إنه مسجد الأبدال وأن الحق يتجلى عليه وإنا نحب من يأتيه ولن يبيد حتى تفنى الأرض ومن عليها .

ولما دخل بلدة الهجرين وزار تربتها اجتمع إليه جماعة من أهلها فتكلم بما شاء الله من العلوم فكأنه حصل من بعض الحاضرين ما يشبه الإنكار ولم يجد ذلك المنكر شيئا فقال سيدى رضى الله : إنا نعلم أن فيكم من ينكر علينا أو من لم يصدق ما قلنا أو قريبا من هذا بمعناه ، وأغلظ القول على الحاضرين حتى كادت قلوبهم أن تنفطر من هيبته ، وكان من الحاضرين فى المجلس السيد الجليل العارف بالله أحمد بن أبى بكر باعقيل فقال : ياسيدى قال الله تعالى لنبيه خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، فقال سيدى عبد الله : من المتكلم فقيل فلان فقال رضى الله عنه : ما يقطع الشجرة إلا عودها يعنى أن آلات الحديد

التى تقطع بهـــا الأشجار لابد لها غالبا من عود يمسكها وتمسك به عند القطع والإشارة بهـذا المثل إلى أن السيد أحمد باعقيل كان من صالحى آل أبى علوى وسيدى عبد الله كذلك فعبر عن ذلك بذلك .

وكان رضى الله عنه يقول إن فى بلدة الهجرين صلحاء كثير من الجن وقد جاءنا جماعات من الجن لما دخلناها وطلبوا منا أن يخدمونا فاعتـذرنا منهم وقلنا إن الله قد سخر لنا الإنس أو قال الروحانيون يخدموننا فلا نحتاج إلى خدمتكم أو نحو هذا .

وقد سمعت عن سيدى رضى الله عنه أنه قال : إن الملك الأحمر ملك الجن جاءنا فى صورة هر وطلب منا الخدمة فقلنا له : ما سبق من قول إن الله قد سخر لنا، فلا أدرى أهى بعينها أم هى غيرها الله أعلم بحقيقة ذلك فـكان رضى الله عنه يقول إنه لم يكاشفنى بصريح المـكاشفة إلا اثنان واحد بمكة وآخر ببلدة الهجرين وطرق سمعى أن الذى كاشفه فى الهجرين من آل ابن قيمان وسبب ذلك أنه حصل مرض بدوعن ومات منه خلق كثير وسيدى إذ ذاك بالهجرين قاصداً زيارة دوعن فلما سمع بالمرض بها كأنه حصل معه بعض تردد بين القدوم والرجوع وكأنه لم يبد ذلك لأحد فقال له هذا الرجل تقدم وزر دوعن ولا بأس عليك ولا تخف من مرض ولا من غيره وعاد يطول عمرك وتصير كذا وكذا وتصير أملا لجميع الناس أو قريبا من هذا المعنى والرجل الذى بمكة سنذكره إن شاء الله فيما يتعلق بحجه رضى الله عنه، وزار تربة الهجرين المشهورة المذكورة الجامعة لجماعة من عباد الله الصالحين وفيها الشيخ العارف أحمد أبو الأوعار المعروف بتلك الديار وقبره إذ ذاك مبهم أو ملتبس عند الناس حتى أهل الهجرين فأظهره سيدى وبينه ولم يزل ظاهراً بيناً عند جميع الناس .

الفصل السادس

في ذكر حجه نفع الله به ، كان حجه رضى الله عنه سنة تسع وسبعين وألف

قال نفع الله به من عجيب الاتفاق أنا لما خرجنا من تريم للحج السماء تمطر وخرجنا من مكة والسماء تمطر وقد حكى أن الشيخ إسماعيل الجبرتى اليمنى الزبيدى كان إذا خرج من بلد أمطرت السماء فيقال إن ذلك بكاها على خروجه منها وكان سفره من تريم إلى بندر الشحر ، وسيأتى فى الحكاية الرابعة والسبعين شىء مما جرى له من الكرامات فى طريق الشحر ودخل بندر الشحر وقت العشاء وأراد بعض من كان معه أن يتقدم إلى البلد يهيء لهم بيتاً يقصدونه وغير ذلك مما يحتاجونه فقال له رضى الله عنه : يا هذا تأدب إنما نحن أضياف الله ننزل حيث أنزلنا ولا نختار لأنفسنا أو قريبا من هذا المعنى ، فلما دخل تلقاه السيد حسين ابن عمر باحسين السقاف وقصد به بيته وقد هيأه وأعد فيه جميع ما يحتاجه سيدى ومن معه من الفرش الحسنة وغير ذلك .

واجتمع فيها بالسيد الجليل العارف بالله أحمد بن ناصر ابن الشيخ أبى بكر ابن سالم ، وعقد بينهما عقد الأخوة وقال : وجدناه لما زرناه فوق ما توهمناه وأثنى عليه . وقال السيد أحمد المذكور : ما جاءنا السيد عبد الله الحداد إلى الشحر إلا هدية وودت أن أرسل إلى أهل الجبال التى حول الشحر يأتون ينظرون إليه فإن النظر إليه غنم .

وزار سيدى من فى الشحر من عباد الله الصالحين الأموات ، مثل الشيخ سعد تاج العارفين ، والشيخ سعيد باعمر بالحاف ، والشيخ فضل ابن عبد الله

بافضل والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باالحاج فضل وولده الشيخ أحمد الشهيد والسيد أحمد ابن الشيخ أبى بكر وولده ناصر والد السيد أحمد المتقدم ذكره ، والسيد مشيخ بن إسماعيل السقاف ، والسيد عبد الله ابن الشيخ العيدروس ، وغير هؤلاء من المشائخ والفضلاء العارفين من السادة آل إسماعيل وآل باوزير ممن هو مقبور فى الشحر .

وزار الشيخ القطب الربانى أبا بكر بن عبد الله العيدروس صاحب عدن ، وزار السيد العارف الصمدنى عبد الله بن على صاحب الوهط ، والسيد الأفضل عمر ابن الشيخ على بن أبى بكر بقرية الوهط قال : لما وقفت عند قبر الشيخ عبد الله بن على المذكور ظهر لى أنه مات فى الحقيقة لأنه كان فى غاية الامتزاج هو والسيد الإمام الشيخ أحمد بن محمد الحبشى صاحب الشعب فى حياتهما فمات السيد أحمد أولا فكان السيد عبد الله يحوز ما كان للسيد أحمد فوق ما كان له فلم يقدر على حمله فمات . انتهى كلامه رضى الله عنهم أجمعين .

واجتمع فيها بالسيد الجليل العيدروس بن عبد الله صاحب الوهط وأثنى عليه وقال : وجدته فوق ما توهمته ، وقال أيضاً للسيد الجليل أحمد بن عيدروس المذكور : إن والدك فى غاية من الكمال ونحن ما خرجنا من تريم إلا للحج وزيارة النبى ﷺ ، ولأجل الاجتماع بوالدكم عيدروس ، وبالسيد أحمد بن ناصر صاحب الشحر المتقدم ذكره أى وأمثالهما .

واجتمع به بعض فضلائها فقال ما كنت أظن من توجد فيه صفات السلف الصالحين اليوم حتى رأيت سيدى عبد الله بن علوى الحداد فرأيت فيه ما فيهم وزيادة .

وزار جماعة من أشياخ اليمن وعلمائها مثل الشيخ أبو الغيث ابن جميل

قال : وحصل لنا منه مدد وغيره من الأولياء رضى الله عنهم .

واجتمع بجماعات من فضلائها وعلمائها منهم من كان قبل أن يحج ومنهم من كان بعده .

وحكى أنه حصل عليه مرض فى الطريق حتى تخوف منه الانقطاع عن الحج فجاء إليه رجل كان منشداً فأمره بالإنشاد على سبيل التفاؤل بما يطلع فابتدأ بهذه الآية لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين فاستبشر عند ذلك وزال عنه ما كان يجده .

وقال قدس الله سره ونفعنا به : إن أهل البرازخ لما كنا بيندر عدن شكوا على من السلطان فلان بحضرموت وأن الله رماه بسنين فمات . وكان نفع الله به إنما قيل له : إنكم دعوتم على هذا السلطان أو غيره مما قد يتوهم ذلك من لا يعقل وينكر ذلك ويقول : نحن لا ندعو على أحد بعينه أبداً وكانت ظلامته مثلا فى حقنا فضلا من الخير ولكن الحق سبحانه يغار علينا وينتقم لأجلنا .

وحكى من كان مع سيدى رضى الله عنه فى البحر قال : قام سيدى يوماً ونادى الصلاة على فلان يعنى السلطان المذكور ولم يكن لأحد علم بموته وإنما ذلك كشف منه رضى الله عنه وأن موته بحضرموت كان يوم ندائه بالصلاة عليه ، وقد ذكرت أكثر من هذا فى الحكاية التاسعة فانظرها .

وكان دخوله مكة صبح ذى الحجة من سنة تسع بالتاء للثناة وسبعين وألف وكانت حجة الجمعة ، وخرج زائراً المدينة الشريفة بعد فتوح البيت وأقام بها نحواً من أربعين يوماً ورجع إلى مكة وأقام بها إلى شهر ربيع الأول وخرج منها فى أثنائه متوجهاً إلى جهته .

قال نفع الله به : لما رجعنا من المدينة إلى مكة وجدناها أمن حيث قد تفرق

الفاس منها إلى أوطانهم ورجعوا إلى بلدانهم وكان لنا المدد فيها أزهر وأنور وإن كان فى أيام الحج واجتماع الناس أوفر وأكثر . ولما دخلنا مكة كان من قصدنا النزول فى رباط ربيع المعروف مدة الإقامة فعرض علينا الشيخ الصوفى الحسين بن محمد بافضل النزول فى بيته وفرغ لنا فيه مكاناً حسناً واسعاً وهيأ فيه جميع الآلات المحتاج إليها من الفرش الحسنة وغيرها وقبلنا ذلك حيث وقع ابتداء من الله عز وجل من غير تسبب منا فى ذلك وهذه طريقتنا وهى إنزال الحوائج والأمور بالله تعالى وما ساقه منها على يد من شاء من عباده سبحانه قبلناه وسبب فعل الشيخ هذا أنه سمع قصيدتنا :

قد كفانى علم ربى   من سؤالى واختيارى

قلت : وفى هذا منزع عجيب وهو أنه رضى الله عنه لما أنشأ هذه القصيدة صدقاً وحقاً وتحققاً وذوقاً المنبه عن كمال الحال واتصافه بأكمل الخصال وهو ترك الاختيار والتفويض لعالم الأسرار وإنزال الأمور والحوائج به عز وجل جازاه سبحانه بما هو أعز وأجل من تدبيره لنفســـه واختياره ونظره لها برؤيته وافتكاره بأن قيض الله سبحانه من سمعها وألقى سمعه حتى عرف منزعها ، فكان سبباً لحصول المجازاة له من جنس عمله ووقوعه على مطلبه ومروره رضى الله عنه ونفعنا به وغفر لنا سوء أدبنا فى جنابه .

ولما قرب نفع الله به من دخوله مكة وكان آخر الليل قال له بعض أصحابه ائذنوا لى أن أتقدم يعنى إلى مكة وأهيىء لكم منزلا تنزلون به فإن الناس يكثرون بمكة فقال له سيدي : يا هذا تأدب مع أهل الله فوالذى نفسى بيده ما أود إلا أن أمشى تحت الأرض التى تمشون عليها غير أنى أسمع منادياً ينادى على بالظهور ، فإذا بأناس كثيرين يسألون عن سيدي رضى الله عنه فأول من سبق إليه مندوب الشيخ حسين بافضل المذكور فأجابه رضى الله عنه .

ومما وقع لسيدى ما حكاه عبد العظيم باشراحيل عن باسالم فقيرى سيدى قال باسالم : لما بسطت سجادة سيدى عبد الله بمسجد نمرة جاء رجل فى هيئة ترکی وجلس عليها فازدحم الناس فى المسجد وبقيت متحيراً من شأن الرجل وجلوسه على السجادة ولم أتجاسر عليه فإذا سيدى الشيخ عبد الله بن علوى الحداد رضى الله عنه قد أقبل فالتفت فلم أر الرجل مكانه فعرفت أنه جلس عليها ليحفظها عن أن يجلس عليها غيره نفع الله به .

وحال خروجه من مسجد نمرة دخل الخيمة وكنت حاضراً عنده فدخل عليه درويش من أهل السياحة يسمى عبد الخالق فسلم على سيدى رضى الله عنه وجلس متأدباً فأقبل عليه سيدى وقال له : أنت من رجال النسر الذى سألت الله أن يريفيهم فأرانى ثلاثة منهم فقال الدرويش : أجل فتواعدا أن يتجمعا بمكة فبينا نحن ندعو الله بالجبل ونبتهل فدخل علينا وقت المغرب فقام رجل على رأس سيدى لم أعرفه فأذن المغرب وأقام الصلاة وقدم سيدى للصلاة فلما انقضت الصلاة قام رجل آخر ونادى بأعلى صوته : يا أهل الموقف هذا القطب قد حج فيكم فاشكروا الله تعالى وسيدى رضى الله عنه يتبسم فحمدنا الله على ذلك .

وحكى أيضا قال : كنت مع سيدى عبد الله بمكة وقت الهاجرة فأمرنى أن أجلس على الباب وأن لا أمكن أحدا من الدخول عليه ، وأراد نوم القيلولة ، فإذا برجل عارف مستتر فى هيئة تاجر يسأل عن رجل كان هناك ثم تنفس الصعداء واشتم ، وقال : إنى أجد نفس عارف من ها هنا فأخبرته بسيدى عبد الله فطلب منى أن أستأذن له فامتنعت من ذلك ، فشعر به سيدى فأذن له بالدخول فدخل وأنا معه ، فرأيت منه عجبا من أدبه وتواضعه واحترامه ، وأخبر سيدى أنه من بغداد وأفشى عليه سره وطلب الإجازة واللباس فأجازه سيدى

وألبسه فرأيت الرجل قد امتلأ نورا لأنه ظفر حين أسبقت له من الله الرهبة ، فلما خرج طرقني حزن حين رأيت الرجل وما أعطيه فى أسرع وقت فالتفت إلى سيدى رضى عنه وقال لى : يا عبد الغنيم أمور أهل الله ومواهبهم لا ينالها أحد إلا بالتوفيق والإخلاص والجد إن شئت أن تظفر وتنل مأمولك فاعبده فى السر والعلانية ، وأما كثرة المجالسة والمحاضرة مع قلة العمل فلا تفيد وإن كان صاحبها لا يخيب إن صدق .

وحكى السيد العلامة محمد بن أبى بكر الشلى فى كتاب المشرع الروى أن سيدنا ومولانا الحبيب عبد الله بن علوى الحداد رضى الله عنه كان بمكة إذ جاءه أحد يسأله عن اسمه ونسبه لقصد الإيناس فاتفق أن بعض الناس صافحه فلم يسأله عن شىء من ذلك فتعب ذلك البعض من ذلك وخطر له فى نفسه أما يأمن هذا السيد أن يسلب فكاشفه سيدى وقال: السلب حق ولكن الله قد آمننا منه.

وحصل جمع آخر فسأل رجل سيدى عبد الله عن مذهبه قال سيدى : فأردت أن أقول له مذهبي الكتاب والسنة فخشيت من الإنكار وقلت : مذهبي مذهب محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله فكاشفنى رجل من الحاضرين وقال لى : لم لا تقول الذى فى نفسك قل مذهبي الكتاب والسنة وقيل إنه الخضر كان فى ذلك المجلس فقال لبعض أشراف مصر كان حاضرا قل للسيد عبد الله لم لا تقول الذى فى نفسك قل مذهبي الكتاب والسنة رضى الله عنه .

وحكى السيد محمد أيضا أن شريف مكة محمد بن بركات جاء إلى سيدى وطلب منه الدعاء بحصول مطلب له ولم يذكره فأجابه سيدى ، فلما انصرف قال سيدى : إن الشريف طلب منا أن يكون واليا وإن الله تعالى قد استجاب لنا أو نحو هذا فتولى بعد خروج سيدى إلى حضرموت .

وقال نفعنا الله به : اتفق لنا أنا صلينا بالناس فى الحرم الشريف صبح يوم الجمعة أول يوم فى المحرم عاشوراء وذلك بعد الحج وقبل الزيارة ، وقرأنا فى تلك الصلاة سورة السجدة آلم تنزيل وسورة هل أتى على الإنسان ، ولما خرجنا من مكة لزيارة المدينة أصحبنا بعض المؤسرين قطعة عنبر كبيرة للحضرة الشريفة ، أردنا أن نطلقها على شيخ الحرم أو خدام الحجرة فحصل عندنا بعض توقف لما رأيناهم فيه من التساهل ، وكنا قد ألفنا صدرا من النصائح الدينية أحسبه إلى باب الحج واستصحبناه معنا ونيتنا إكمالها فى السفر فما تفرغنا لذلك لكثرة ازدحام الناس علينا وترددهم إلينا من أهل الحرمين وغيرهم من أهل البلدان التى مررنا بها فى سفرنا حتى إنه لم يكن يتخلف عنا إذا وصلنا إلى بلد إلا من لا يذكر ولا يؤبه له ، وكان قصدنا قراءة ما حصل من تصنيف هذا الكتاب فى المواجهة فعقدنا لذلك مجلسا كل يوم ، واقتضى نظرنا أن نبخر بذلك العنبر فى المواجهة عند القراءة فتبخرنا بذلك مدة إقامتنا مع شىء من العود كان معنا وبقى معنا بقية أطلقناها على بعض المدرسين بالحرم النبوى بالتماس منه لذلك منا ، وكان يقرأ علينا فى كتاب رياض الصالحين مدة إقامتنا بها ، وكانت مدة إقامته بالمدينة الشريفة أربعين يوما وقصد بيت السيد الفاضل عمر أمين المهدلى لأنه كان من أصحاب الشيخ حسين بافضل وكان من أهل الفضل المدرسين بالحرم النبوى .

وقال السيد محمد شليه فى كتاب المشرع رحل إلى الحرمين وأدى النسكين وما دخل بلدا إلا انتفع أهله بمقاله ، واقتدوا بأفعاله وأحواله ، وهبت على قلوبهم رياح العناية ، وسقت رياض أحوالهم سماء الرعاية .

ولما وصل إلى بيت الله حصل له مناه ومن دعاه ربه إلى داره فاز بقربه وجواره وشرح صدره بأنواره ، وأقبل من بمكة المشرفة عليه وتمثلوا بين يديه

وفاز من أراد الله إيصاله على يديه بعز الدارين ونال شرف المنزلتين .

وممن نال هـــذه الرتبة وفاز بكل مكرمة وقربة ، صاحبنا الشيخ حسين ابن محمد بافضل ، بأنه قام بخدمته ، وواظب على مـلازمته حتى نال ما أمله ، ووصل ما أم له ، وكنت ممن انتفع بصحبته ولازمته مدة إقامته ، ثم إنه توجه لزيارة سيد الأنام ، عليه أفضل الصلاة والسلام وأصحابه الكرام .

ولما لاحت عليه أنوار الوفاق وأكرم بالتحية والتلاق ، وأرسل الله عليه غيث عنايته وساق ، وانفتحت له مفاتح الأغلاق ، وألبس خلع الرضى من الكريم الخلاق ، وقام بطيبة على بساط الأفضال والسرور بيمن الإقبال ، وأحيا الله تعالى بسببه قلوبا بشهود جماله وعاملهم بجزيل نواله وقال سيدنا عبد الله رضى الله عنه : كنت عزمت على أن لا ألبس الشاية الكساء المعروف لكونه عادة أهل الترفه فلما كنت فى المواجهة ، إذ ألبسنى عند النبى ﷺ يوما الشاية رجل من غير اختيارمنا، فقبلناها، وعرفنا الإشارة،فلبسناها واستمررنا عليها من حينئذ.

وقال ـ نفع الله به ـ : لما أردنا الخروج من المدينة المنورة ، رأيت فى المنام امرأة فى طريق السوق ، فأرادت أن تصافحنى ، فضممت يدى إلى كمى وقلت لها ما : اسمك ؟ فقالت : اسمى رحمة والمدينة اسمها رحمة فقالت لى : إن جدك ـ عليه السلام ـ يقرئك السلام ويقول لك : لا تخرج من المدينة الآن .

قال : فأصبح صاحبنا الشيخ حسين مريضا وحصل ما حصل من الكرامة المشهورة المذكورة الآتية إن شاء الله تعالى فى الحكاية الحادية بعد المائة فانظرها كغيرها مما جرى له فى مكة والمدينة وغير ذلك مما هو مفرق فى جملة هذا المؤلف سيما باب الحكاية منه كالحكاية السابعة والثامنة والتاسعة والسبعين والثمانين وغير ذلك مما ستراه مفرقا .

ومن كلامه للمنظوم رضي الله عنه ونفع به :

فلما بلغنا طيبة وربوعها ... شممنا شذى يزرى بعرف العنابر
وأشرقت الأنوار من كل جانب ... ولاح السنا من خير كل المقابر
مع الفجر وافينا المدينة طاب من ... صباح علينا بالسعادة سافر
إلى مسجد المختار ثم لروضة ... به من جنان الخلد خير المصائر
إلى حجرة الهادى البشير وقبره ... وثم تقر العين من كل زائر
وقفنا وسلمنا على خير مرسل ... وخير نبي ماله من مناظر
فرد علينا وهو حى وحاضر ... فشرف من حى كريم وحاضر
زيارته فوز ونجح ومغنم ... لأهل القلوب الخالصات الطواهر
بها يحصل المطلوب فى الدين والدنا ... ويندفع المرهوب من كل ضائر
بها كل خير عاجل ومؤجل ... ينال بفضل الله فانهض وبادر
وإياك والتسويف والكسل الذى ... به يبتلى كم من غبى وخاسر
فإنك لا تجزى نبيك يافتى ... ولو جئته سعيا على العين سائر

وقال أيضاً :

ألا يا رسول الله إنا قرابة ... وذرية جئناك اشوق والحب
وقفنا على أعتاب فضلك سيدى ... لتقبيل ترب حبذا الك من ترب
وقمنا تجاه الوجه وجه مبارك ... علينا به نسقى النمام لدى الجدب
أتيناك زوارا نروم شفاعة ... إلى الله فى محو الإساءة والذنب
وفودا وزوارا وأضياف حضرة ... مكرمة مستوطن الجود والخصب
وفى النفس حاجات وثم مطالب ... نؤمل أن تقضى بجاهك ياحبى
توجه رسول الله فى كل حاجة ... لنا ومهم فى الفؤاد وفى القلب
وإن صلاح الدين والقلب سيدى ... هو الغرض الأقصى فياسيدى قم بى

وكتب رضى الله عنه بعد الحج بمدة إلى الشيخ الصوفى العارف اللطيف الولى الحبيب فى الله النقيب النجيب الحسين بن محمد فضل ، جعله الله من الناظرين إلى الفضل ، والمنظورين بعين الفضل ، العاملين بالفضل عبودية فى الحضرات الحقية الخلقية والمظاهر الدنيوية والأخروية آمين خالص المصافاة فى الله تعالى ، والذى نشرح لكم أن شرح الله منا ومنكم الصدور والقلوب بمعرفته وحبه وأنسه وقربه ، بأنا والحمد لله فى خير وعلى خير ، نسأل الله تعالى لكم ذلك ، داعون لكم، وطالبون منكم صالح الأدعية فى الأماكن الشريفة والمواقف المنيفة.

الله الله فى ذلك وأكثروا وألحوا فإن الله يحب الملحين فى الدعاء كما ورد ، وادعوا لنا بالمعاودة إلى تلك الأماكن المشرقة عليها أنوار التجلى الخاص ؛ فإنا إلى ذلك مشتاقون ومتعطشون ، يزيدنا ذلك الورود إلا تعطشا ونزوعا ، وقد أظهرت المشاهدة من القلب أمرا كان مستكنا فيه لم يزل ظاهرا إلى ما كان عليه من قبل ، والروح والراحة الكائنان قبل اللقاء عادا بأنفسهما توقا ، يحركان القلب ويزعجانه وتحت هذه الكلمات سر يعنى ظهور الحق فى الشجرة ، وإشراق ذلك النور على طور النداء وأنت تفهم الإشارة إلى ماتقصر عنه العبارة . انتهت الرسالة .

وكان مولانا عبد الله بن علوى الحداد رضى الله عنه يقول : إن الشيخ الحسين بافضل المكى لما اجتمع بنا وصحبنا كان يقول لنا : إنه كان لى بحران أغترف منهما ، بحر فى الظاهر ، وهو الشيخ أحمد القشاشى المدنى ، وبحر فى الباطن وهو السيد محمد بن علوى السقاف المكى ، فجمع الله لى البحرين فيكم ، أى فى سيدى الإمام عبد الله بن علوى الحداد .

وكان الشيخ المذكور يقـول : أدركت ثلاثة من الرجال من حاله يغلب مقاله ، وهو السيد محمد بن علوى ، ومن مقاله يغلب حاله ، وهـو الشيـخ أحمد القشاشى ، ومن هو كامل الحال والمقال وهو سيدى الإمام عبد الله بن علوى الحداد ، نفع الله به .

وكان الشيخ حسين يقول: حججت حجات كثيرة ، وما كنت أعتد بشيء منها سوى حجتى مع سيدى عبد الله ، لرجاء القبول ، ونيل المأمول والمطلوب والسول. وقد ذكرت الشيخ حسين بترجمة فى خاتمة الكتاب، فانظرها ـ رحمه الله.

وسمعت السيد الجليل : عقيل بن عيدروس باعقيل السقاف علوى ، يروى عن السيد الفاضل عبد الرحمن بن عبد الله الحبشى علوى قال: حججت مع سيدى وشيخى عبد الله بن علوى الحـداد ، فلما زرنا السيد العارف عبد الله بن محمد بالفقيه باعلوى مولى الشبيكة ، ووقف سيدى عند قبره ، التفت إلى وقال : إنه ليس هو فى قبره الآن ، وانصرف ولم يطل الوقوف عنده ، ثم عاد إليه ثانيا . فلما وقف عند القبر قال لنا : إن السيد عبد الله بن محمد مولى الشبيكة الآن هو فى قبره ـ رضى الله عنه وعن سائر الصالحين . وقد ذكرت هذه القصة فى الحكاية العاشرة .

وكان رضى الله عنه يقول كان لى خال من السادة آل الغصن ، وكان يقول لى وأنا صغير السن : ياعبد الله سوف يحصل لك كذا وكذا ، وسوف تحج سنة كذا وكذا . وإذا بلغت مكان كذا أتيت ببغل ، وتدخل مكة وأنت عليه راكب ، ويخرج أناس من مكة فى عراضك ، ثم تسير إلى المدينة الشريفة . فإذا كنت فى مكان كذا ، صب الله عليك نورا من غير واسطة . فما عرفت كشف هذا السيد إلا لما حصل لى ما ذكره لى .

وكان رضى الله عنه يقول لما حججنا وخرجنا من الحج إلى اليمن تبعنا شخص يزعم أنه شريف ، ووقع فى قلبى أنه غير شريف . وكان هناك ـ أحسبه قال ببندر المخا ـ رجل مجذوب من آل الأهدل الحسينيين ، يقال : إنه يكاشف بالخواطر فقصدناه وأضمرنا فى أنفسنا ثلاث خصال : إحداها هل تكمل لى أمور وشئونى التى أنا بصددها من أمور المعاش والدين ؟ وهل عادتى أحج ثانيا ؟ هل هذا الذى صحبنا شريف أم لا ؟ فلما وصلنا إلى الرجل المجذوب نادانا من وراء الباب وقال لنا : السيد الذى أنتم وإياه مجمل مجمل ، وسوف يحج ثانيا ، والرجل الذى صحبه ليس هو بشريف .

قال : فخرجنا ثم بعد مدة كتب لنا ذلك الذى صحبنا من بلده وقال : إنى فتشت عن نسبى فوجدته غير شريف .

وكان رضى الله عنه يقول : إنى موعود بالحج ثانيا ، ولكنه أعجزنا الكبر وقلة الطاقة ولا عاد يكون ذلك إلا إن ظهر المهدى الموعود به فى آخر الزمان ـ رضى الله عنــه . وكان كثيرا يقول : لم يبق لنا نزوع قط إلا إلى الحرمين والاجتماع بأهل الذوق .

وقال رضى الله عنه من آخر قصيدة له مشيرا إلى الحرمين الشريفين :

وودنا طول الإقامة فيهـــا	بين تلك الربوع والآطـــام
ومغـــان تشرفت واستنارت	وأضاءت بنـــور ماحى الظلام
غير أن من ورانا شجونا	وشئونا جـــذابة بالزمـــام
ربما ربما بها قام عـــذر	ومن العـــذر مسقط الملام
فارتحلنا عن طيبة ومررنا	لاعتمار بمـــكة الاعتصـــام
ولتجديد آنف العهد وتأكيد	محـــكم العقـــد والوفا بالذمام

وجلتنا نوحـــل العيش حتى   وافت الحى حى قـــوم كرام

من بـــلاد به فنشأنا وإياه   ألفنا إلف النفوس الأجسام

هو مرعى وليس كالسعدان   وماء ولا كصدا والأمر للعـلام

وهو بعد المساجد الثلاثة لمن   خير بـلاد الله فى جنوب وشام

يعنى بذلك مدينة تريم مدينة السادة الأشراف وموطن أهـل الفضل العراف .

وكان رضى الله عنه يمتدحها ويثنى عليها . وكان رجوعه إلى وطنه بعد أن مر على اليمن ، وزار أكثر من بها ، من عباد الله الصالحين . وما دخل بلدة إلا نفع الله به أهلها ، وأخصبت قلوبهم بعد جدبها ومحلها ، وهمت عليهم سحب همة بوبلها وطلها ، وسقى قلوبا سبقت لها من الله العناية نهلها بعد علها . وكان ذلك سنه ثمانين بعد الألف ولنذكر أحرفا تتعلق بمدة إقامته بتريم إلى أن توفى إلى حضرة الرب الكريم وفاز منه بالنعيم المقيم .

الفصل السابع

لما رجع رضى الله عنه من حج بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه السلام ، أقام مدة بتريم لإرشاد الأنام ، بالدعوة إلى الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز العلام ، فهدى الضالين ، وأنقذ الغاوين ، وغير ذلك من تدريس العلوم النافعة ، وتهذيب النفوس البعيدة الشاسعة . وانجمع إليه الخلائق من كل فج عميق ، منهم الطالب للعلم ، ومنهم المتعطش لسلوك الطريق ، ومنهم التائق لشهود العرفان والتحقيق ، ومنهم الرامق إلى أن يكون له صحيب ورفيق وشريك له فيما أعطيه من المواهب الربانية والحقائق الإيمانية وكل علم دقيق .

فنهض لهم وقام أحسن نهوض وقيام حتى بلغهم السول والمرام من أعلى رتبة بلسانه ومقاله وأفعاله وحاله .

وكان أكثر مجالسه ومدارسه بمسجد الهجيرة المشهورة المأثور المعروف عند أهل تريم حتى يقال إنه من المساجد السبعة بتريم المأثورة التى لا تخلو عن رجال الغيب غالباً ، وقد كان أهله قائمين به قبله حتى نشأ هو فسلك مسلكهم .

وكان لزومه لزاوية المسجد المذكور من سنة إحدى وسبعين ، وحصل له فيها من الفتوحات والأنوار ما لا يحد ولا يقدر له مقدار ، وبقى على ذلك حتى حج وبعد أن حج مدة طويلة إلى أن استوطن بمكانه الحاوى الميمون حاوى الخيرات والبركات والسعادات المشرقة عليه شموس التجليات الربانيات والطالعة على عرصاته أقمار أفلاك الأسرار العرفانيات ، والبازغة عليه بدور الدعوة وأشهبها الثاقبات ، وكان بناه سنة ثلاث وثمانين وألف ، وسكنه سنة أربع وثمانين وبقى مدة بعد ذلك يخرج إليه وقتاً ويطلع إلى البلد وقتاً ثم استوطنه صيفاً وشتاء حتى مات .

ومنذ ابتدأ فى بناء هذا البيت لم يدخله إلا للسكنى فقط ، فافهم واعلم .

وابتنى مسجده الذى حول بيته المذكور ، وقد كان ثم مسجد صغير لجده السيد الإمام العارف بالله عمر بن أحمد المنفر باعلوى لأن بيته كان فى ذلك للسكان رحمه الله .

ونصب نفسه رضى الله عنه للتدريس فى المسجد المذكور بعد صلاة العصر كل ليلة وبكرة يوم الخميس والاثنين كان تدريسه فى دهليز بيته المذكور ثم إنه بدا له أن يدرس هذين المدرسين فى المحضرة أعلى الدار فأخذ مدة ثم رجع إلى التدريس فى الدهليز ، وقال : خشينا أن تحن علينا كما حن الجذع على النبى ﷺ لما فارقه إلى المنبر . وكان يقول : هممنا على أن ننصب لنا كرسياً نجلس عليه لتدريس العلم ، أى كما فعل الإمام الغزالى ، والشيخ عبد القادر ، والشيخ جنيد .

وقلنا إن كان فى بلدة تريم يكون فى مسجد آل أبى علوى وإن كان خارج البلد فى الحاوى يكون فى الدهليز المذكور ولكنا رأينا الناس على هذا الأمر العجيب الغريب من الإعراض عن الله تعالى وعن الدار الآخرة . وفى رواية : إنى رأيت أنه لم يسبقنى إلى ذلك أحد من سلفنا آل أبى علوى رضى الله عنهم. وألح عليه جماعة فى أن يوسع مسجده لكون الناس يكثرون فى بعض الأوقات بحيث لا يسعهم فأبى من ذلك ويقول : العمر أقرب من ذلك ويقول : كلما مضت سنة ربما لا نعود .

وكانت مدة سكناه الحاوى من حين ابتناه إلى أن توفى نحو ثمان وأربعين سنة ، وكان فى هذه المدة مأوى الصالحين ، ومستغاث الخائفين ، وملجأ الفقراء والمساكين ومقصد الغرباء ، وملجأ الطالبين والمريدين ، تشد إليه الرحال وتحط بسوحه الأثقال قبلة النيات والمطالب وكعبة الآمال والمآرب ، فكم نشأ به من

ناسك ، وكم فتح لسالك لا يقصده طالب أى مطلب إلا وفاز بالمطلوب ، ولا أمه راغب إلا وظفر بالمرغوب ، ولله در القائل :

حييت يا الحاوى وزدت مفاخراً تعلو على الأرضين والأطباق
إذا كنت مأوى جسم ذاك المجتبى ومحل نعليه من المطراق

وكان - رضى الله عنه - يتردد إلى السبير من وادى دمون المشهور كما سبق مكان أهله وابتنى به بيتاً ومسجداً قريباً من مكان الشيخ عبد الله بن أبى بكر العيدروس الذى بالوادى المذكور ، وربما قطن به فى بعض السنين وقت الخريف ، وكان أكثر ما يخرج إليه بكرة يوم الأحد آخر الوقت قل أن يتركه إلا عند ما كبر .

وابتنى أيضاً بيتاً ومسجداً صغيراً ببيت جبير الشهير وقد يخرج إليه فى بعض السنين وقد يستسقى عند ما يخرج بمن معه إذا حصل الجدب ويصنع مولدا للنبى ﷺ أو سماعاً ونحو ذلك .

سمعت سيدى أحمد يقول : اجتمعت به فيها فى بعض السنين مع السيد العارف أحمد بن عمر الهندوان فقرأ لنا السيد أحمد خبر مولد النبى ﷺ للشيخ ابن عربى وكان لسيدى بها مال ورثه من أهله وزاد عليه بالشراء ولم يكن له كثير مال إلا ما كان من أهله واشترى فوقه اليسير من غير تكلف وإنما كان يأتيه الفتوح الكثير فيصرفه فى وجوه الخير ومحاب الله ومراضيه من الصدقات والضيافات والهدايا والمواساة ، ولم يعرج على شراء مال أو بناء بيت أو نحو ذلك إلا ما كان عن حاجة وستر مع عدم التكلف والتقعر فى ذلك .

وكان فى جميع أموره ناظراً إلى الله تعالى وإلى ما ساقه إليه مفوضاً فى سائر

الأحوال إليه . ملقيا قياده بين يديه لا يختار لنفسه مع ربه ولا يتسبب ولا يتطلب الأشياء على مراده ولا يتكسب .

أخبرني بعض المحبين الثقات عن بعض الصالحين قال : رأيت كأن سيدى مستلق على ظهره وطارح يديه في جوانبه وكان متعريا عن الثياب فلما أخبر قال له أما التعرى فهو التجرد عن الدنيا من كل وجه ، وأما الاستلقاء فهو انطراحنا لقضاء الله وقدره والتفويض والتسليم له في جميع أمره .

وكان يقول : إنا لا نفعل شيئاً إلا بإشارة من الحق تعالى ، أو من النبي ﷺ ، أو من سيدنا الفقيه المقدم محمد بن على باعلوى نفع الله بهم .

وكم سمعته يقول : إن أذن لنا النبي ﷺ فعلنا كذا وكذا .

وأخبرني بعض الصالحين من آل أبي علوى قال : قال سيدنا وشيخنا الإمام عبد الله بن علوى الحداد إني لم أظهر للناس هذا الظهور ولم أقم في مقامي هذا حتى جاءني الشيخ العيدروس عبد الله بن أبي بكر وأمرني بذلك فقلت وفوق كل ذى علم عليم فجاءني النبي ﷺ وأمرني بذلك فامتثلت أمره فقمت في هذا المقام وما أشتهي إلا السياحة في القفار .

قال : إن الشيخ عبد الله العيدروس أشار لنا أن نجعل ختم مسجدنا مسجد الأوابين الكائن بنويدرة تريم ليلة ثلاث وعشرين من رمضان ، وقد سمعت أن سيدى كوشف بليلة القدر فيها .

ولما زار دوعن قال له بعض المشائخ هناك : قف عندنا أياماً فقال له لم يأذن لنا الفقيه المقدم في التخلف .

الفصل الثامن

فى ذكر شىء من توزيع أوقاته وترتيب أوراده من صباحه إلى مسائه وما كان من تقديم شىء على شىء وتأخيره وذلك بالنسبة لما روقب فيه وروعى وحفظ آخر عمره

وربما كان له فى أول الأمر ترتيب وتوزيع غير هذا ونحو ذلك مما يناسبه إلى أوان الوفاة .

وقد التمست من سيدى القدوة العمدة العارف بالله علوى ابنه أن يكتب لى شيئاً مما حفظه عنه من ذلك فأسعفنى بما هنالك فلنذكره كما ذكره جزاه الله خيراً ونفع به فقال : لا يشك محصل أنه يعنى والده عين زمانه وإمام أوانه ومجدده ومجتهده ، حامل اللواء المحمدى وقد بارك الله له فى ذلك وأعظم عليه النعمة فيما هنالك مع العمر الطويل الذى كله لله وفى الله وبالله ومع الله حتى توفاه الله على ذلك ونقله إلى حضرته العندية العلية الملكوتية نفعنا الله به وبأسراره وبارك لنا فيه فى العاجل والآجل والظاهر والباطن ، وجعله لنا فرطاً بعد الفرط النبوى المصطفوى آمين يا رب العالمين .

وكان ـ رضى الله عنه ـ إذا قام من الليل يمسح النوم عن وجهه ويأخذ فى دعاء الاستيقاظ ، ويقرأ : إن فى خلق السموات والأرض إلى آخر السورة عشر آيات . ثم يأخذ فى عمل القهوة التى اعتادها بنفسه ، وكان ذلك دأبه حتى أعجزه الكبر فاستعان بغيره فى فعلها ولم أحظ منه بذلك فى ذلك الوقت إلا بسبب ذلك وربما توضأ وربما انتظرها وتوضأ بعدها .

ورأيته عند حصولها وأخذه لها يرتب فواتح جامعة وأظنها ثلاثاً إحداها

فى صلاح أمور المسلمين وتوابع ذلك وأخرى ترجع إلى الأموات وخصوصا الأسلاف منهم على الخصوص والأخيرة تتضمن سؤالات عديدة خاصة وعامة فإذا فرغ من قراءتها قرأ آية الكرسى ويتخلل قراءتها باسم ياقوى مائة وست عشرة مرة عدة قوى بالجمل يقرأ منها إلى الحى القيوم ، ثم يأتى بعدد من هذا الاسم وإذا بلغ وما فى الأرض أتى بعدد ، وإذا بلغ إلا ماشاء أتى بعدد ثم يتمها ويتم العدد .

وكان لا يشرب القهوة حتى يفرغ من ذلك كله ثم يتوضأ وضوءا كاملا إسباغا وذكرا .

ولم أحفظ عنه زيادة على ما ذكره حجة الإسلام الغزالى فى البداية غير أنه إذا فرغ من وضوئه أول شىء يقوله : اللهم اغفر لى ذنوبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى ، أشهد أن لا إله إلا الله إلى آخره وربما قرأ بعد ذلك سورة إنا أنزلناه ؛ هذا دأبه فى جميع وضوئه ثم يفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين يقرأ فى الأولى منهما بعد الفاتحة ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم الآية ، وفى الثانية ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه الآية ويكرر الاستغفار بعد الآيتين ثلاثا ثم يقرأ بعد الآية الأولى قل يا أيها الكافرون وبعد الثانية الإخلاص فإذا سلم منهما أتى بالدعاء المشهور : اللهم أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن إلى قوله لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم يكبر عشرا ويحمد عشرا إلى آخر العشرات المذكورة فى الإحياء وغيره ، ثم يفتتح الصلاة المعنية بقيام الليل وكان يطيل الركعة الأولى فالتى تليها . وربما كان يطيلهن جدا وقت النشاط واجتماع القوى ولم أحط علما بقسط ما يقرأ أولا بماذا يقرأ لأنه نفع الله به فى الذى أدركته إنما ينزع بآيات متفرقة من الكتاب العزيز ولم أطلع منه على شىء فى ذلك إلا

تطويل عاء الافتتاح وختمـة القيام بالثلاث الركعات المعلومات القراءة فيهن فى الأولى سبح الأعلى وفى الثانية قل يا أيهـا الكافرون وفى الثالثة الإخلاص والمعوذتين وربما فصلها وربما جمعها ثلاثا وأراه لايكاد يترك القنوت فى الركعة الأخيرة منها وربما زاد فيها بعد قوله : وأتوب إليك .

وكان من عادته تأخير الوتر إلى قريب الفجر وأما قيامه فأراه القيام الداودى وتحققت ذلك إلا أنه فى الغالب ينام بعد قيامه وربمـا توضأ ثانياً لإيتاره ولصلاة الفجر .

وكان نومه رضى الله عنه خفقات ولو كنت حاضره لشككت فى كونه نائما أو ساكتا نعم وقل أن يميز بين ذلك إلا إذا نفخ النفخ النبوى ويقول بعد الإيتار : سبوح قدوس إلى آخره ثلاثا كما ورد ولا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين أربعين مرة ثم يركع ركعتى الفجر مهما طلع الفجر .

فإذا سلم قال : اللهم رب جبريل إلى آخره اللهم إنى اسألك رحمة من عندك إلى آخر دعاء الفجر المشهور وبعـده يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت أربعين مرة وأظن مع تشككى أنه يأتى بهذا الدعاء : إلهى بحق الحسن وأخيه وجده وأبيه وأمه وبنيه نجنى من الغم الذى أنا فيه يا حى يا قيوم ياذ الجلال الإكرام أسألك أن تحيى قلبى بنور معرفتك يا ألله يا ألله يا ألله يا أرحم الراحمين .

ويركع سنة الفجر فى بيته ويبقى فيه إلى أن يؤذن بالصلاة كما كان يفعل كذلك رسول الله ﷺ ثم يتوجه إلى الصلاة قائـلا : اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك إلى آخره ثم يسلم على الحاضرين .

وتقام الصلاة ويجيب للإقامة ويقول: أقامها الله وأدامها مادامت السموات والأرض اللهم أقمها وأدمها واجعلنا من صالحى أهلها رب اجعلنى مقيم الصلاة

الآية رب أعوذ بك من وسوسة الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون اللهم آتنى أفضل ماتؤتى عبادك الصالحين، وربما قرأ سورة الناس ثم يحرم رافعا يديه كما ذكر حجة الإسلام الغزالى رضى الله عنه واضعا لهما برفق مستقبلا ببطونها القبلة حسبما يمكن ولم يسمع منه فى الإحرام سوى لفظ التكبير فقط مع القرب منه ثم يقرأ دعاء الافتتاح وبما ابتدأه : سبحانك اللهم وبحمدك وربما ختم به وذلك فى مثل الفريضة ثم يقرأ الفاتحه فإذا فرغ منها قرأ فى السكتة بعدها فى الصلاة الجهرية : رب أوزعنى أن أشكر نعمتك الآية وفى الثانية : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان الآية .

وقد اقتصر فى آخر وقته لغلبة الضعف بالكبر فى الصبح على أوساط المفصل كسبح والغاشية وكان يقرأ بها صبح يوم الجمعة وإن فيه أثرا ويقرأ فى بعض الأيام سواها فكان إذا قرأ فى الأولى سورة الطارق قرأ فى الثانية سورة التين وإذا قرأ سورة لاأقسم قرأ فى الثانية سورةوالشمس وإذا قرأ والليل قرأ فى الثانية والضحى وإذا قرأ والشمس قرأ فى الثانية والضحى وإذا قرأ سورة اقرأ قرأ فى الثانية إنا أنزلناه وإذا قرأ فى الأولى لم يكن قرأ فى الثانيــة والعاديات هذا كله فى فريضة الصبح .

وأما فريضة المغرب والعشاء فكان رضى الله عنه يقرأ فى أولى المغرب ليلة الجمعة والثلاثاء قل يا أيها الكافرون وفى الثانية الإخلاص وليلة السبت والأربعاء يقرأ المعوذتين ويقرأ فى ليلة الأحـد سورة الفيل ولإيلاف قريش وليلة الاثنين والخميس سورة الماعون والكوثر وفى ثالثة المغرب كل ليلة يقرأ بعد الفاتحة ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

وأما فريضة العشاء فكان رضى الله عنه إذا قرأ فى أولها سورة الضحى قرأ فى الثانية ألم نشرح وإذا قرأ ألم نشرح قرأ إذا جاء نصر الله وربما قرأ سورة التين وإنا أنزلناه وربما قرأ إذا زلزلت وألهاكم التكاثر وكذا سورة القارعة وألهاكم وكذا سورة الهمزة وسورة الفيل وكان يقرأ فى ثالثة العشاء أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين وفى الأخيرة منها ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا .

وكان رضى الله عنه ربمـــا قرأ فى فريضة العصر ألهاكم والعصر أو سورة العصر والإخلاص هذا من جملة ما حفظ عنــه فى آخر أيامه وكان يقرأ فى ثالثة الظهر والعصر ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وفى رابعتها ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

وأما نوافل الفرائض المتعلقة وغيرها فالذى أدركناه يعمله ويواظب عليه سنة الفجر وكان يصليهما فى البيت كما سبق وكان يقرأ فيهمـا بآيتى البقرة وآل عمران فى الأولى بعد الفاتحة : قولوا آمنا بالله الآية من سورة البقرة وفى الثانية قل يا أهل الكتاب تعالوا الآية غالبا وربما قرأ فيهما بغير الآيتين من الوارد فيهما سورة الإخلاص .

وكان رضى الله عنه يصلى سنة الظهر أربـع ركعات بتحرم وتسليم واحد وكان يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحه آية الكرسى المحترمة ويقرأ من سورة يس المعظمة وثلاثا من سورة الإخلاص المكرمة وكان يطيلها جدا ثم صار يقرأ فيها بآيات مخصوصة بنحو ما سبق من قراءته فى تهجده ثم يقول بعد السلام فيها : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنبى اللهم إنى أسألك

إيماناً دائماً يباشر قلبي وأسألك يقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبته علىّ ورضني بما قسمته لي دعاء آدم المشهور عنه المذكور في إحياء علوم الدين وغيره قيل إنها الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم وكان يدعو به أيضاً بعد سنة العصر وبعد سنة العشاء القبلية فليعلم ذلك.

وأما بعدية الظهر فكان يصليها ركعتين وقد يصليها أربعاً نادراً. يقرأ في الركعتين المعوذتين غالباً.

وكان يصلي سنة العصر أربعاً بتسليمتين وتحريمين يقرأ في الأولى إذا زلزلت الأرض والثانية والعاديات والثالثة القارعة والرابعة ألهاكم ثم يأتي بعدها بدعاء آدم كما تقدم ثم يقرل ما ورد عن النبي ﷺ: إلهي تم نورك فهديت فلك الحمد وعظم حلمك فعفوت فلك الحمد، وبسطت رزقك فأعطيت فلك الحمد، ربنا وجهك أكرم الوجوه وجاهك أعظم الجاه وعطيتك أفضل العطايا وأهنأها تطاع ربنا فتشكر وتعصى ربنا فتغفر تجيب المضطر وتكشف الضر وتنجي من الكرب ولا يجزى بآلائك غيرك تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام.

وكان رضي الله عنه لا يكاد يصلي سنة المغرب القبلية بقصد أصلا. وكان رضي الله عنه يقول: لا نأمر بفعلها ولا ننهى عن فعلها كان يصلي سنة المغرب البعدية ركعتين يقرأ فيهما سورة الكافرون والإخلاص ويقرأ بعدها: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك.

وكان رضي الله عنه يصلي سنة العشاء الأخيرة ركعتين قبلها يقرأ فيهما سورتي قريش والكوثر ويأتي بعدها بدعاء آدم المتقدم ويصلي قبلهما ركعتين بنية الرضى وتسمى صلاة الرضى يقرأ في كل ركعة منهما آية الكرسي والإخلاص ثلاثاً وكان يأمر بها وكان أكثر أصحابه يصلونها.

واستجازه بعض الفقراء المجردين فى شىء من الآيات يستعين به على طعامه وشرابه إذا كان فى البرية مثلا ، فأجازه فى آيات التوكل وآيات الحفظ المعروفات وقال إنها لجلب كل خير ودفع كل ضير وأمره أن يصلى صلاة الرضا المذكورة وقال : يروى أن من صلاها يأتى وربه عنه راض وأن يصلى صلاة البتة وقال : يروى أن من صلاها غفر له البتة البتة وهى أربع ركعات وقت السحر يقرأ فى كل ركعة منها آية الكرسى مرة وإحدى عشرة من سورة الإخلاص وكان يصلى بعد صلاة الرضى سنة العشاء كما سبق ثم يقرأ بأثرها سورة الواقعة ويفرغ منها عند إقامة الصلاة .

وكان رضى الله عنه يصلى سنة العشاء البعدية ركعتين يقرأ فيهما بـ الم تنزيل وتبارك الملك ثم كان آخر الأمر يقتصر على سورتى الفلق والناس ونحو ذلك ويقول بعدهما : جزى الله محمداً ﷺ ما هو أهله عشر مرات .

وكان رضى الله عنه يصلى الأربع الركعات بعد سنة العشاء البعدية التى ورد أنها كمثلهن من ليلة القدر يصليها بتحرم وتسليم واحد يقرأ فى الأولى إذا زلزلت والثانية ألهاكم والثالثة وإلهكم إله واحد إلى قوله يعقلون والرابعة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة .

وكان رضى الله عنه يصلى سنة الجمعة القبلية أربعاً بتحرم وتسليم واحد كما سبق فى سنة الظهر وكان يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة آية الكرسى وأول سورة الجمعة إلى قوله فينبئكم بما كنتم تعملون ثم يقرأ فى الثانية بعد الفاتحة آمن الرسول إلى آخر السورة ثم تمام سورة الجمعة ثم آية الكرسى ثم يقرأ فى الثالثة بعد الفاتحة آية الكرسى وأول سورة المنافقين إلى قوله تعالى : ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقرأ فى الرابعة بعد الفاتحة بقية سورة المنافقين ثم آية الكرسى وآخر الحشر

من قوله : هو الله الذى لا إله إلا هو وأول سورة المدثر إلى قوله وثيابك فطهر ويقول بعد سلامه من هذه السنة ما سبق بعد سنة الظهر دعاء آدم .

وكان يقرأ سورة الكهف ليلة الجمعة ويومها ويقرأ أيضاً سورة طه قبل صلاة الجمعة فى الجامع .

وإذا فرغ من صلاة الجمعة سبح وحمد وكبر كسائر الصلوات ثم قرأ الفاتحة والإخلاص والمعوذتين سبعاً سبعاً وقال بعد ذلك : يا غنى يا حميد يا مبدىء يا معيد يا رحيم يا ودود أغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك ثلاثاً ويقول بعد ذلك يا كافى يا مغنى يا فتاح يا رزاق مراراً عديدة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة فهذا ما يتعلق برواتب الفرائض من الصلوات .

وكان رضى الله عنه يصلى الضحى وقل أن يتركها والغالب أنه يصليها ثمانى ركعات وكان آخر وقته يصليها أربعاً ويصلى الإشراق أربعاً ويقول بعدها : اللهم بك أحاول وبك أصاول وبك أقاتل وعليك أتوكل فتقبل منى ويقول بعدها أيضاً : رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم أربعين مرة .

وكان يقول بعد أن يصلى الظهر : لا إله إلا الله الملك الحق المبين مائة مرة ويهلل ألفا كل يوم وفى شهر رمضان يهلل بعد الظهر ألفين فيكون المجموع فى شهر رمضان ستين ألفا ويكملها سبعين ألفا فى ست شوال هكذا أخبرنى بعض الملازمين له .

وأما صلاة الأوابين فكان رضى الله عنه ونفعنا به يقول : كنا يعنى مع القوة والنشاط نصلى أكملها يعنى عشرين ركعة ثم صار آخر الأمر يصليها أربعا بعد سنة المغرب بتسليمة واحدة يقرأ فى الأولى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً إلى آخر السورة وقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون إلى قوله تخرجون وفى الثانية

والصافات إلى لازب وفى الثالثة حم غافر إلى قوله المصير وآية الكرسى وفى الرابعة لقد جاءكم رسول إلى آخر السورة وربما أتى بدلها : لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق إلى آخر السورة أو إلى قوله فتحاً قريباً .

وكان يقول بعد هذه الأربع : حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات وكان يصلى الأربع المذكورة فى المسجد وربما صلى فى بيته فى بعض الليالى زيادة عليها وخصوصاً ليلة الأربعاء يزيد ركعتين وكان ربما زاد ليلة الاثنين والخميس ركعتين أو أربعاً يقرأ فى الركعتين آية التوكل فى الأولى وآيات الحفظ فى الثانية وإن زاد قرأ فى الأولى أول سورة الأنعام إلى يكسبون والثانية الله نور السموات والأرض إلى قوله بكل شىء عليم .

وكان رضى الله عنه يسبح فى الركوع والسجود ثلاثاً قائلا بعد الثالثة وبحمده .

وكان يقول فى سجوده لصلاة الجمعة : اللهم إنى أسألك قلباً تقياً لا جافياً ولا شقياً .

وكان يؤثر فى التشهد رواية ابن مسعود وربما أتى بالرواية التى اختارها الشافعى .

وكان يؤثر فى الصلاة على النبى ما فى صحيح البخارى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت إلى آخره ويقول : اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت إلى آخره اللهم إنى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وربما قال يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك .

وكان رضى الله عنه ونفع به إذا سلم من الصلاة يقول أستغفر الله ثلاثاً اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام سبحان ربنا العلى العظيم الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاثاً ويزيد العظيم فى الصبح والمغرب سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته وقد يقول بعد الصبح فقط رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً أشهد أن لا إله إلا الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أذهب عنا الغم والهم والحزن ثم يأخذ فى التسبيح والتحميد والتكبير .

وكان يبتدىء بالمسبحة إلى الخنصر فى كل أصبع ثلاث تسبيحات ثم بمسبحة اليسرى إلى خنصرها ثم يعود إلى مسبحة اليمنى ثم الوسطى ثم البنصر وقد تم عدة الثلاث والثلاثين من كل ثم تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

ثم يفتتح الدعاء بالحمد والاستغفار والصلاة على النبى ﷺ ويدعو بالأدعية النبوية ويتحرى من الدعاء ما كان جامعاً مثل اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك اللهم اجعل خير عمرى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم لقائك .

اللهم إنى أسألك علماً نافعاً وأسألك رزقاً طيباً وأسألك عملا متقبلا وأسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون .

اللهم ارزقني طيباً واستعملني صالحاً وتوفني مسلماً وألحقني بالصالحين واغفر لي ولوالدي ولأولادي ولأحبابي وللجميع للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات واختم لي ولهم بالإحسان في سر ولطف وعافية وغير ذلك من الدعوات الجامعة العامة النافعة .

كان رضي الله عنه يدعو به على هذا النسق ثم يختم الدعاء بالصلاة على النبي والحمد ثم يقول : اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله الله لا إله إلا هو الحي القيوم إلى آخر آية الكرسي . شهد الله إلى قوله إن الدين عند الله الإسلام قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء إلى قوله بغير حساب سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

اللهم اكفني ما أهمني من أمر آخرتي ودنياي اللهم إني أسألك من الخير كله وأعوذ بك من الشر كله ثم يقرأ الإخلاص والمعوذتين مرة مرة فإن كانت صبحاً أو مغرباً أو عصراً قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشراً وإن كانت صبحاً أو مغرباً فقط زاد : اللهم أجرني من النار سبعاً .

وكان يقول بعد كل فريضة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله واحد ورب شاهد ونحن له مسلمون أربعاً ويقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته . سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليـك وأسألك أن تصلى وتسلم على عبدك ونبيك ورسولك سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله أفضل وأتم وأدوم ماصليت وسلمت على أحد من ملائـكتك المقربين وأنبيائك المرسلين وعبادك الصالحين ثلاث مرات أستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات سبعا وعشرين مرة .

ثم يقول بعد الصبح والعصر : اللهم أنت أحق من ذكر الدعاء المأثور إلى آخره ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . أعلم أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً . اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخـذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم آمن الرسول إلى آخر السورة يا ألله يا واحد يا أحد يا واحد يا جواد أنفحنا منك بنفحة خير ثلاث مرات .

وإن كانت الفريضة عصرا قرأ بعد ذلك حزب البحر المشهور ثم يقول بعده سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا إله إلا الله . اللهم ثبت علمها فى قلبى واغفر لى ذنبى وللمؤمنين والمؤمنات وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى يقول ذلك ثلاث مرات ثم يقرأ آية الـكرسى ثم يأتى بدعاء الـكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السمـوات والأرض ورب العرش الـكريم لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ثلاث مرات .

ثم يأتى بدعائه المسمى دعاء الإمداد بالقوة يا ألله يارب يا قدير يا قوى يا متين إلخ ثلاثا ثم يقول : أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم واتوب إليه توبة عبد ظالم لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا مـوتا ولا حياة ولا نشورا سبع مرات وخصوصا ذلك فى الأشهر الحرم .

ثم يفتتح الدرس قائلا : نويت التعلم والتذكر والنفع والانتفاع والإفادة والاستفادة والحث على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والدعاء إلى الهدى والدلالة على الخير وابتغاء وجه الله ومرضاته وقربه وثوابه .

ثم يقول بسم الله ويبتدئ إذ ذاك أحد الطلبة بالقراءة عليه فى الكتب الجامعة فى العلوم النافعة من الحديث والتفسير والتصوف والسير والمناقب وغير ذلك من فنون العلم الشريف وتستمر القراءة عليه إلى وقت الاصفرار غالبا فإذا انتهت القراءة قال : والله أعلم وأحكم .

ثم يختم مجلس الدرس بقراءة الفاتحة بنية صلاح أمور المسلمين ويدعو بعد ذلك قائلا غالبا اللهم اقسم لنا من خشيتك إلى آخر الدعاء المأثور عن النبى ﷺ أنه كان يختم به مجلسه وفى ذلك إشارة إلى الوراثة فافهم .

وأما أوردته رضى الله عنه فلم نطلع منها إلا على البعض وقد كان يأخذ فيها من وقت السحر فى الصباح ومن بعد صلاة الصبح إلى أول الضحى وكذا فى المساء قد يستغرقه ذلك إلى وقت النوم .

وإن كانت الفريضة صبحا فإذا بلغ ما سبق من قوله أنفحنا منك بنفحة خير يقول يا باسط عشرا ويرفع يديه جدا ثم يضعها قائلا ابسط علينا الخير والرزق ووفقنا إلى إصابة الصواب والحق وهذا أول حزب النصر المرتب بعد صلاة الفجر رضى الله عنه وسيأتى بكماله إن شاء الله تعالى آخر هذا المؤلف .

فإذا بلغ منه قوله : اللهم استر عوراتنا واكفنا كل هول دون الجنة أتى بدعاء عائشة رضى الله عنها اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله إلى آخره ثم بدعاء عيسى عليه السلام : اللهم إنى أصبحت لا أستطيع إلخ ثم دعاء فاطمة رضى الله عنها ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث ومن عذابك أستجير إلى آخره ثم

دعاء الكرب المتقدم ذكره إلى آخره ثم يقـول يا كافى يا مغنى يا فتاح يارزاق عددا لم يضبط عنه غير أنه قـد أجاز فيه بمائة وبسبعين وبأربعين وبخمس وعشرين .

ثم يقـول بعد ذلك ثلاث مرات : اللهم إنى أعوذ بك من المكر والاستدراج من حيث لا يشعر أنك جوا كريم ثم يأتى بدعاء الشيخ محمد بن واسع وهو اللهم إنك سلطت علينا عدوا إلى آخره يأتى بعده بدعاء عتبة الغلام : اللهم يا هادى المضلين ويا راحم المذنبين إلى آخره وهذه الأدعية جملتها مذكورة فى الإحياء وغيره فراجعها إن شئت ثم يكمل ورد العصر .

وكان يبتدئ المسبعات قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وكان لا يرى بأسا بقضائها مهما فاتت على الندور ويقرأ قبل الغروب والشمس والليل والمعوذات .

خاتمة هذا الباب

فيما يتعلق بوفاته وانتقاله إلى الدار الآخرة وذكر مرضه ومدة عمره

كان له رضى الله عنه من العمر تسع وثمانون سنة دون ثلاثة أشهر ؛ لأنه قدس الله روحه ولد لخمس خلت من شهر صفر من سنة أربع وأربعين وألف وتوفى ليلة الثلاثاء لسبع خلت من شهر القعدة الحرام سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف .

وعمل تاريخ وفاته بالجمل جماعة نثرا ونظما أحسنها وأجمعها شيخ الصوفية وابتدأ به المرض من آخر شهر رمضان ذلك السنة نحو أربعين يوما .

وكان يقول فى مرضه عين أصابت الإسلام وقد وقعت منه وقائع وكلام يؤذن بوفاته واطلاعه على ذلك قبل مرضه من تلك السنة من ذلك ما حدث به السيد عقيل بن عيدروس بلعقيل السقاف وقال : أردت الحج تلك السنة فلما

استشرته قال لى : إن أردت السير إلى الحج أو أردت الحضور فسكت ثم عزمت على الحج فجئت مستودعا منه وقلت لا جعله الله آخر العهد بكم فقال ما بعد الثمانى والثمانين سنة عمر . وقد ذكرت ذلك بأطول من هذا فى الحكاية الخامسة والأربعين بعد المائة والله أعلم .

ولما توفى السيد على بن عبد الله العيدروس وكان قبل وفاة سيدنا بنحو سنة قيل له نفع الله به قبل وفاته بأشهر ـ أطال الله بقاءك فقال : ما عاد بقاء السيد على بن عبد الله منتظرنى .

وأخبرنى بعض أخدامه قال : قلت لسيدى : إن فلانا يعنى بعض الموسرين بالحرمين أو باليمن عظيم الاعتقاد فيكم ويقول قل لسيدى إن تطلبوا منى شيئا فلكم الفضل والمنة فقال لى وكنت مسافرا فزيد منه شيئا من المسك فأعطانى منه جملة فجئت به إلى سيدى فأمسكه واحتفظ به فلما مات جعل ذلك فى حنوطه وعرفنا أنه ما طلبه وأمسكه إلا لذلك .

واستشاره بعض أولاده فى مرضه وكانت زوجته حاملا بماذا يسمى المولود ؟ فقال : عبد الله فعرف عند ذلك أنه اطلع على انتقاله لأنه الغالب فى العادة أن لا يسمى فى الجهة باسم أبى الولد وهو حى . وكذلك بعض خواصه قال له : سم ابنك عبد الله وما لبث بعد ذلك إلا يسيرا ومات .

وأخبرنى السيد الأفضل نور الدين الحسن بن سيدى وكان هو الذى يلى تمريضه وحظى بذلك قال : إنه نفع الله به فى مرضه كان كثير التكرير لآخر حديث فى البخارى لم يزل يلهج به وهو قوله ﷺ كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

ولما خرجت روحه الزكية رأيت بلوقته من نوره وكان ذلك نحو ثلث

الليل الأول وما ظهر خبر موته إلا صباحا وارتجت الأرض لهول مصرعه وارتاعت الخلائق وتسارعت من جميع البلدان لحضور جنازته .

وكان الذى تولى غسله ابنه السيد الحسن المقدم ذكره وسيدنا الأكمل عمر ابن الحامد المنفر باعلوى وكفن فى ثوب أهداه له السيد العارف بالله على ابن عبدالله العيدروس باعلوى حسبت أنه بوصية منه وأنه أخره لذلك وما ترك الناس شيئا من غسله يسقط على الأرض تبركا به وصلى بالناس ابنه السيد الجليل علوى وحضر الصلاة عليه خلائق لا تكاد تحصر حتى إن بعض الصالحين من طلبة العلم قال لى : إنى حزرت الذين صلوا على جنازته بالمسبح نحوا من عشرين ألفا غير الذين صلوا على قبره ممن كان بعيدا من تريم ممن لا يحصى .

ودفن وقت غروب الشمس لكثرة الازدحام على جنازته وعمل له لحد كما فعل النبى ﷺ ولقوله عليه السلام : اللحد لنا والشق لغيرنا وفى ذلك إشارة ظاهرة إلى الوراثة المحمدية لبعد وقوع اللحد بتربة تريم خصوصا للين تربتها فسبحان اللطيف الخبير وكان ذلك بالتربة الشريفة الجديدة التى عمرها السيد الفاضل زين العابدين بن مصطفى العيدروس أحد أصحابه بإشارته فكان قبره الترياق المجرب تقضى به الحوائج وتنجح به المآرب وتنال عنده المطالب وتكشف به الكربات وتدفع به المضرات وتنجلى به الهموم وتدرأ به الغموم من جلس حوله لا يود القيام من عنده أبدا لشدة ما يجد من الراحة والسرور والأنس والحبور .

أخبرنى بعض الصالحين قال : زرته فرأيت نورا ممتدا من السماء متصلا بقبره فذهبت أنا ولم يذهب ذلك النور ورثاه جماعة لا يحصون بمراث كثيرة لا تكاد تحصر ولنذكر منها إن شاء الله ما يتيسر آخر هذا المؤلف ولنقتصر على هذه الكلمات فى هذه الخاتمة والله الموفق للصواب .

تتمة لهذه الخاتمة

خلف سيدنا عبد الله رضى الله عنه من الأولاد عشرة : ستة ذكور كلهم سادة أمجاد ، وأربع أناث . أما الذكور فمحمد أكبرهم سنا ولد سنة تسع وسبعين قبل أن يحج والده . قال نفع الله به : قصدنا أن لا نحج إلا وقد عندنا أحد من الأولاد بتريم خشينا أن تحصل لنا إشارة فى المجاورة بالحرمين الشريفين .

وكان يقول : إن ابنى محمد ولد على الولاية الكاملة حتى سمعت بعض الصالحين يحدث سيدى أنه قال فسميناه محمدا رجاء أن يكون المهدى الموعود به لمطابقة اسمه واسم أبيه ، توفى بمدينة ذَمار فى اليمن ودفن بها بعد والده بسنين . عمر نحوا من ستين سنة أمه بدرية بنت عبد الله الكثيرى صاحب بور أخوها الصالح جعفر بن عبد الله الكثيرى تفقر على يد سيدى وصار من أخص فقرائه . كان من الصالحين الناسكين الذاكرين الله كثيرا . مات بتريم بمكان سيدى ودفن بها رحمه الله . وسالم ابن سيدنا حل زيدة المشقاص وتوطن بها فى حياة أبيه وأولد هناك أولادا وهو على حال مرضية إن شاء الله ثم نقل إلى تريم بأولاده مدة سنين ثم توفى ، والحسين والعلوى والحسن وعلى زين العابدين وعائشة وسلمى أمهم الشريفة الصالحة فاطمة بنت السيد الفاضل محمد الباقر باحسن جمل الليل باعلوى .

وكان رضى الله عنه رزق أولادها علوى والحسين وحامد ومحمد الباقر ورقية وشيخة فماتوا قبله بل قبل وجود إخوانهم المذكورين . قال سيدى الحسن ابن سيدى عبد الله : كان سيدى ووالدى يقول لما ولدت الشريفة فاطمة المذكورة طلبنى والدها إلى بيته لأبرك عليها فلما وضعت يدى على رأسها علمت أو قل عزمت على أن تكون أم أولادى توفيت بعد سيدى بست سنين رحمها الله تعالى ، ودفنت قريبا منه .

أما الحسين فكان والده يحبه حبا شديدا ويميل إليه من حين صغره حدثني سيدي أحمد بن زين الحبشي قال : إن الحسين هذا زار دوعن في حياة والده وهو صغير السن وكان والده كثير الشفقة عليه فبلغه أنه مرض هناك فانزعج لذلك كثيرا وبلغه أن بعض آل العمودي من المحبين له هو ووالدته قام به وآنسه في مرضه فشكر له سيدي ذلك وقال : لا نرضى لوالدته إلا بالجنة وله إلا بالولاية فتولى بعد ذلك وكان يقول : إن لي في ابني حسين أملا أرجو من الله عز وجل أن ينجزه . وأخبرني بعض الصالحين قال : رأيته بعد موته وكان عنده حور الله لم أر مثلهما في الحسن والجمال شيئا لا يوصف بحال وكان سيداً ماجداً صابراً شاكراً توفي بعد والده بل كان أول أولاده لحوقا به ودفن قريبا منه رحمه الله تعالى .

وأما علوي والحسن فهما اللذان قاما مقام والدهما بكماله من تدريس العلوم النافعة وإقامة زاويته وحضرته وإطعام الفقراء والمساكين وإيواء الغرباء وإيناس الطارقين والوافدين وغير ذلك من وظائف الدين التي وضعها والدهما زادهما الله من الخير وأعانهما عليه وأدام بهما النفع .

وأما زين العابدين فقد سافر بعد موت والده إلى جهة العراق وحصل له بتلك البلدان الجاه الوسيع والعز الرفيع لكثرة اعتقاد أهل تلك الجهات بوالده . وبقي هناك على سيرة جميلة . وكان جميع أولاد سيدنا على حال سديدة وأعمال حميدة وكان لهم نفع الله به عليهم الغيرة الكثيرة والعناية التامة كثير البحث لهم حريصا على جمعهم نفع الله بهم .

قال السيد الحسن بن سيدي عبد الله : كان سيدي الوالد يقول في أولاده الأربعة : حسين أمير وعلوي صالح وحسن حكيم وزين شيخ .

وتزوج رضي الله عنه الشريفة الصالحة خديجة بنت السيد الفاضل عبد الله

ابن عمر ابن الشيخ علي، توفيت معه وكان يترحم عليها إذا ذكرها ويقول: إنها الولود الودود وقد كلمت إنسانا من قبرها كما ذكرنا في الحكاية . أولدها ابنتيه الصالحتين فاطمة وبهية .

. وتزوج نفع الله به الشريفة الصالحة خديجة بنت السيد الحسن بن علوي الجفري ، وكان قد خطبها قبله السيد الصالح الصادق الجفري أو خطر له الزواج بها وسيدي خطب ابنة الشيخ زين بن الحسين بافضل أو خطر له فاتفق انصراف خاطر السيد الصادق عن الشريفة فتزوجها سيدي عبد الله وانصرف خاطر سيدي عبد الله عن الفقيرة فتزوجها السيد الصادق ، أولد سيدي هذه الشريفة بنتا ماتت صغيرة . وتزوج أيضا ابنة السيد عمر باعلوي أولدها ابنته خديجة . وتزوج امرأة من آل شهاب الدين ابن الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ علي بن أبي بكر باعلوي وتزوج امرأة من آل باهارون جمل الليل باعلوي أولدها ذكرا سماه عبد الرحمن مات صبيا . وتزوج الشريفة رقية بنت السيد أحمد بن حسن الجفري بعد عمتها المتقدم ذكرها قريبا . وتزوج امرأة من السادة الأشراف آل بافقيه . وتزوج ابنة أحد أصحابه السيد الفاضل الولي أحمد بن عبد الله الجفري الدوعني وحسبت أنه لم يبن بها بل كان عقدا فقط . وتزوج ابنة السيد الفاضل أبي بكر بن صالح السقاف أحد تلاميذه وتزوجها بعده بعض السادة . وتزوج ابنتي السيد الولي عبد الرحمن ابن عبد الله الحبشي أحد خواصه تزوج إحداها بعده السيد الجليل عمر بن عبد الرحمن البار أحد خواص أصحابه ولعل ذلك بإشارة منه . وتزوج بابنة السيد الأكرم أحمد بن محمد العيدروس . وتزوج بابنة السيد محمد باحسين الجديلي وهاتان الأخيرتان من آخر من تزوج به سيدي من الأشراف حسب ما بلغنا وكل من ذكرناه من نسائه من الأشراف آل أبي علوي نفع الله بهم سوى والدتي ابنيه محمد وسالم

وبقى من غير السادة آل أبى علوى امرأة من آل بافضل أولدها ابنتيه الصالحتين مريم وعلوية ثم فارقها وتزوجها سيدنا أحمد بن زين الحبشى بإشارته . وامرأته من آل باقوى وهم من آل أبى فضل أولدها بنتا ثم فارقها وتزوجها بعض فقرائه . وامرأته من آل تميم القبائل المعروفين بنواحى تريم وفارقها وتزوجها بعده اثنان من السادة. وامرأة من آل ابن سلمان وتزوجها بعده بعض السادة . وامرأتين من آل باجمال وتزوج بإحداهما الفقيه عبدون بن قطنة وهما من قبيلة معروفة بتريم . وامرأتين من آل فرتوم بالفاء والراء والتاء المثناة من فوق أيضا معروفين بتريم . وامرأة من آل باحشوان بالحاء والشين المعجمة بيتها حول مسجد الهجيرة بتريم ولعلها أول من تزوج بها مخفيا أمره لم يطلع على ذلك أحدا . وامرأة من آل باحميد بقرية مدون لما جاءها سيدى عابرا عرضها والدها عليه مكث معها نحو ستة أيام . وتزوج عائشة ابنة عبد الله مصفر الشبامى بالتماس منها لذلك تبركا به مكثت معه أشهرا توفيت بعدها بأيام يقال : إن فى بطنها له حملا وقد أشرنا إلى ذلك فى الحكاية السابعة والسبعين بعد المائتين فانظرها كثيرها من الحكايات التى أشير إليها فإنى لا أشير إليها إلا وهناك زيادة على ما هنا فافهم وتزوج ابنة الشيخ عبد القادر بن عبد الله العمودى صاحب بضة حسبت أنه لم يبن بها بل كان عقدا فقط والشيخ عبد القادر هذا كان من الصالحين صحب سيدنا لما جاء إلى دوعن قال سيدنا : كنا نسمع به ولم نعرفه من قبل فلما كنت عند الشيخ سعيد العمودى إذا أنا برجل أوقع الله العلم فى قلبى أنه عبد القادر المذكور وحسبت أنه سيدى فى ذلك الوقت بالتماس منه لذلك وتزوج أيضا بابنة فقيره الصالح عبد الله بن فارح الخرادنى المذكور فى الحكاية فهذا ما وصل إلى العلم من ذكر أولاده وزوجاته تبركا بذكرهم لأن بركته نفع الله به

قد وصلتهم ومنفعته قد أحاطتهم ودائرته قد شملتهم ودعاءه قد غمرهم . ونرجو من الله أن يدخلنا فيهم ومعهم إنه جواد كريم .

وعدد من ذكرنا هنا من أولاده الذين خلفهم والذين رحلوا قبله نيفاً وعشرين ومن الزوجات نحو الثلاثين وبقي غير هؤلاء من لا علم لنا بهم سيما وهو رضي الله عنه قد يخفي بعض زوجاته حتى عن أخص خاصته وأقرب قرابته فضلا عن غيرهم .

الباب الثاني

فى ذكر شىء من شمائله الحسنة وأخلاقه الرضية وسيره السديدة وأفعاله الحميدة

وهذا هو لب الكتاب ومقصوده وواسطة عقده وبيت قصيدته ، وذكر الشواهد من هذا الباب من أفعاله وأقواله وكذا أقوال غيره وأفعالهم من ثنائهم عليه وتعظيمهم له ليس القصد به تحقيق صفاته وشمائله وأخلاقه وفضائله والعلامات فى جميع هذا الباب بل فى سائر الكتاب لأن هذه الصفات الشريفة والأخلاق المنيفة ظاهرة محققة فيه يعرفها كل من أنصف ولم يتعسف من الخاص والعام بل القصد من ذلك أن يكون فيه متعة المتمتع :

ويكون فيه للربوع وأهلها　　أنس ونفع الطالب المنتفع

قيل لسيد الطائفة الجنيد بن محمد البغدادى : ما فائدة المريدين فى حكاياتهم فقال : لتقوى بها قلوبهم وتثبت أفئدتهم والحكايات جند من جنود الله تعالى تقوى بها أحوال المريدين وتحيا بها معالم أسرار العارفين وتبتهج بها خواطر المحبين وتجرى دموع المشتاقين ويظهر بها صدق إشارات العالمين. وهذا إن شاء الله هو المقصود . واعلم أن مقالاته الحمدية الشكرية المأذون له بها من الحضرة الإلهية التى قالها تحدثا بالنعمة ولم يقلها افتخاراً وإن كانت هنية منعشة لأرباب النفوس الزكية ومهيجة لأهل الهمم العلية المؤذنة بكمال الحال عن شهادة المقال وكريم الفعال المصدقة المقال غير أنه لم يدرك ولم يحفظ منها إلا النزر لامتداد المدة وبعد العصر بالنسبة لكثرة ما كان يقول أول الأمر وإن كان لا يقال لقليله قليل كما قيل :

قليل منك يكفينى ولكن　　قليلك لا يقال له قليل

شعر تلته :

مقالته تنبى عن الحالة التى	تحلى بها من فضل رب البرية
وما قاله منها فمن إذن ربه	وما قاله فخراً فحدث بنعمة
وتلك جنود الله يحيى سماعها	قلوباً أميتت أو نفوساً تولت
وتنتعش الأرواح إن سخت لها	وترتاح زهواً جامدات الطبيعة
وتطرب وجداً للسماع كأنها	أحاديث نجد أو أغانى أشجت
بها يحصل التشمير عن ساق جده	بها يرتقى أوج المعالى بهمة
فكيف وحداد القلوب لرينها	مجل ومن خبث الشكوك ومرية
سلام على ذاك العفيف فكم به	سعدنا وكم للرشد أهدى بحكمة
جزى الله ذا الحبر خير جزائه	وبوأه نزلا جنة بعد جنة

ويشتمل هذا الباب على ثلاثة عشر فصلا وخاتمة .

الفصل الأول : فى ذكر قطبانيته ، وبلوغة رتبة الكمال .

الفصل الثانى : فى ذكر علومه .

الفصل الثالث ، فى ذكر عبادته .

الفصل الرابع : فى ذكر استقامته .

الفصل الخامس : فى ذكر ورعه .

الفصل السادس : فى ذكر زهده .

الفصل السابع : فى ذكر سخائه .

الفصل الثامن : فى ذكر توكله .

الفصل التاسع : فى ذكر دعوته إلى الله تعالى .

الفصل العاشر : فى ذكر صبره وحلمه وتواضعه .

الفصل الحادى عشر : فى ذكر خوفه من ربه تعالى .

الفصل الثانى عشر : فى ذكر رجائه فى الله سبحانه وحسن ظنه .

الفصل الثالث عشر : فى ذكر حبه لله عز وجل وشوقه إليه سبحانه .

والخاتمة تشتمل على جمل متفرقة من أخلاقه وشمائله تكملة لهذا الباب . تتمة منعشة للهمة . والله أعلم .

الفصل الأول

اعلم أنه نفع الله به القطب الغوث من أول الشباب إلى أن كبر وشاب وصار إلى الله تعالى رب الأرباب بلا شك في ذلك ولا ارتياب ومدة إقامته في مقام القطبية نحواً من ستين سنة لأنه كما قيل إن السيد العارف الكامل محمد بن علوى صاحب مكة كان في ذلك الوقت صاحب الوقت . ولما طلب سيدنا الإمام الشيخ عبد الله بن علوى الحداد نفع الله به من شيخه المذكور الالباس توقف السيد محمد منتظر الإشارة من النبي ﷺ حتى أرسله يقال : إنه وصل إلى سيدنا بتريم يوم توفي السيد محمد بمكة إن سره انتقل إليه عند انتقاله إلى رحمة الله وأنه ورثه في ذلك الوقت والله أعلم .

وكانت وفاة السيد محمد سنة سبعين بعد الألف وسن سيدى عبد الله ستا وعشرين سنة وعاش إلى سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف . وقال رضي الله عنه في قصيدته التي يقال : إنه يمدح بها السيد محمد المذكور ويرثيه :

بقية قوم قد مضوا وخلفتهم ... وهم خلفوني في الحي عندما ساروا

قال سيدنا وشيخنا أحمد بن زين الحبشي نفع الله به إشارة إلى أنه الخليفة بعدهم فاعلم وافهم وسلم تسلم ولا تنكر تندم ثم قال نفع الله به بعد هذا البيت :

ومقتبس من نورهم وبسرهم ... عنيت وأنوار لديهم وأسرار
وليس مني إلا انكسار وذلة ... وفقر وذنب والمهيمن غفار
ولي أمل في الله جل جلاله ... وظن جميل لا تغيره أغيار
ولي من رسول الله جدي عناية ... ووجه وإمداد وإرث وإيثار
عليه صلاة الله ثم سلامه ... يدور بها بعد العشية أبكار

ورأيت بخط السيد الجليل العارف عبد الرحمن بن على بن عمر ومنه نقلت .
قال : سمعت بعض أصحاب سيدنا الإمام عبد الله يقول : سمعته نفع الله به وهو إذ ذاك بمسجد الهجيرة المعروف : أنا صاحب وقتى وليس لى فيه منازع ومن نازعنى فيه أذبته ذوبان الملح فى الماء .

وأخبرنى السيد المولى محمد بن شيخ الأخضر با لوى قال : إن بعض الناس سمع سيدى يقول : أنا وحيد عصرى وأنا فى غاية الخمول .

ومن كلامه نفع الله به ليس لنا منازع فى هذه الطريق ولا نزوع إلى شىء سوى الحرمين الشريفين والاجتماع بأهل الذوق .

لكل زمان واحد يقتدى به ... وهذا زمان أنت لا شك واحده

وعن الشيخ الفقيه الصالح محمد باجبير قال قال سيدى نفع الله به يا فقيه إنى موعود بالصديقية الكبرى وذلك فى حين نشوءه فافهم لأن الفقيه المذكور قد صحبه سيدى من صغره . وكان الفقيه أسن منه قال فى كتاب تثبيت الفؤاد جمع فقيره أحمد الشجار الأحسائى :

قال سيدى للشيخ العلامة محمد باجبير وهو خارج لزيارة أكابر الأمرات بمقبرة تريم : يا شيخ محمد إن لحبيبك منذ دخل مقام القطبية ثلاثة أيام فحسبوا من حين مقالته لباجبير إلى أن توفى نفع الله به اثنتين وستين سنة وباجبير المذكور قرأ عليه سيدنا وقت الصغر وحفظ الإرشاد عنده ثم سافر الشيخ محمد باجبير إلى الهند ورجع فوجد سيدنا أعلى منه ومن كل أهل وقته فرجع يقرأ هو أى باجبير على سيدنا فقرأ على سيدنا الإحياء فأقض العجب من الشيخ رجع يقرأ على التلميذ .

وقال فى تثبيت الفؤاد أيضاً : إن رجلا يسمى زنبر رأى فى المنام كأن

الخافات تضرب فى السموات والأرض وكأن الملائكة والأنبياء والأولياء مجتمعون لأمر عظيم . فقيل : إنهم ولوا القطبية السيد عبد الله الحداد فلما انتبه أعلم سيدنا فقال له : إن صدقت رؤياك ألبسناك فبعد أيام ألبسه .

وقال أيضاً : إن بعض السادة من أهل بلدنا الأحساء سافر إلى بلدان المغرب ووجد فيها قال فلما حضرت فى حضرته نخطر على قلبى أنه القطب فكاشفنى فقال فى ذلك الوقت: الوقت لنا واليوم الوقت لغيرنا فقلت لمن اليوم قال سأريك إياه الآن فجاءه الداعى فسرت معه إلى الحوش فقال لى : هـذا صاحب الوقت وأشار إلى سيدى عبد الله الحداد نفع الله به . انتهى ملخصا كلامه نفع الله به .

القطب ينعت بصاحب الصديقية الكبرى والصديق هو للستجمع لجميع مراتب الصدق وأحوال الصديقين على الوجه الأتم الأمكن من غير تزلزل ولا تلوين والصديق من قامت به هـذه الصفة ورسخت قدمه فى هذه المرتبة وهو عبارة عن المؤمن الكامل فى إيمانه ويقينه وإقباله على الله تعالى وعمله له ودعوته إلى الله تعالى بلسان حاله ومقاله . انتهى كلامه وهـذا وصفه ونعته بغير شك ولا ريب والله أعلم .

وعن السيد الجليل شيخ بن حسن الجفرى قال : سمعت سيدى عبد الله نفع الله به . يقول : نحن بحمد الله قد قطعنا العقبات السبع التى ذكرها الإمام الغزالى فى كتابه « منهـاج العابدين » ونحن الآن فى آخرها يعنى عقبة الحمد والشكر خافيـــم .

وكتب إليه بعضهم كتابا وأثنى عليه فيه ثناء عظيما وأحسب أن من جملته القطب الغوث فلما وصل إليه ذلك الرجل قال له نفـع الله به : لو قلت ذلك ولم تصدقه بقلبك لاحترقت من رأسك إلى قدمك وأنشد منشد بين يديه نفع الله به

بقصيدة لفقيه عمر باخرمة فأثنى بعض الحاضرين على الفقيه فقال: إن بين أظهركم من لو حضر عنده الفقيه باخرمة لقبل قدمه .

وقال رضى الله عنه : إن الشيخ عبد القادر الجيلانى جلس على بساط ثم طوى بعد ذلك البساط إلى زمن الشيخ عبد الله بن أبى بكر العيدروس فبسط له ثم طوى بعده إلى زمننا فبسط لنا فجلسنا عليه ثم يطوى بفقدنا من الدنيا ثم لا يجلس عليه إلا إن بقى من يستحى منه ولا شك أن هذين الإمامين الجيلانى والعيدروس قطبان مكينان عارفان كاملان وربما أنه يشير بذلك إلى بساط الظهور والشهرة لأن هؤلاء الثلاثة أظهرهم الله ظهورا لم يسمع بمثله لغيرهم نفع الله بهم .

وقال رضى الله عنه: نحن على بساط يود أقوام أنه يطوى ولا يطوى إلا بفقدنا من الدنيا وسمعت سيدنا وشيخنا السيد الإمام أحمد بن زين الحبشى علوى يقول : سمعت سيدنا الإمام عبد الله الحداد يقول ويشير إلى فضلاء تريم وخصوصا المدرسين منهم لو شئت قلت جميع ما يعملونه من الحسنات فى صحائفنا لأنى الدرب الخارجى عليهم أتحمل ما يسقط منهم .

قلت وهذه صفة القطب صاحب الخلافة لأن الجميع ممدون بنوره عن الشيخ الصوفى عبد الله بن سعيد العمودى .

قال : استأذنت سيدى عبد الله فى الاجتماع بالعلماء والأولياء من أهل تريم فأذن لى وقال : اعلم أن الأولياء فى هذا الزمان ممدون بنورنا .

وحصل لفقير سيدى عبد الله عمر باسالم النجار وجد وهو فى جمع من السادة آل أبى علوى وغيرهم من الفضلاء بمسجد آل أبى علوى فكتم وجده خوف السلب فقال له سيدى : إذا غلبك الوجد فعليك بقول : الله الله ولا تكتمه خوفا من السلب فإن أهل تريم فى القبضة .

وقال له ـ نفع الله به ـ قائل : نريد أن نرى الظهور والنعشة فى أصحابكم فقال : ما لأحد معنا وجود وهل للنجوم وجود مع ظهور الشمس .

ومن كلامه : نحن للناس كالشمس من فتح بابه أصابه منها بقدر ما فتح .

وكان الإمام العارف أحمد الهندوان يقول : إن سيدى عبد الله للناس كالشمس لا غنى لهم عنها أبدا .

وقال رضى الله عنه : ما نغبط أصحاب رسول الله إلا على الصحبة ولو أدركناه لكنا من أسبقهم .

ومن كلامه رضى الله عنه : نحن ملوك الأرض والسماء .

ومن كلامه : أنا سيف مجرد بلا غمد .

ومن كلامه لما قيل له كيف أنت ؟ قال : أنا النعمة المكفورة .

ووعظ رضى الله عنه بعض الظلمة وأغلظ ثم قال : اعلم أنه ما أقيم الوالى وأشار بيده نحو السماء وقال : ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وقال : الولى آية من آيات الله أنا آية من آيات الله ونفسى من جملة الخلق هذه شهادة تلقى بها ربك يوم القيامة .

وقال رضى الله عنه : إنه من مات من أهل هذا الزمان وعرض على الله وبخ من أجلى وخصوصا أهل العلم وقال: إن الله ـ وله الحمد ـ أعطانى مواهب لا تكيف من لم يسلم لى وينطوى فى لم يجد شيئا إن الله قد أبرزنى فى هذا الزمان حجة على أهله .

ومن كلامه : لولا مجالسنا لهؤلاء المحجوبين لطرنا فى سريان الغيب . ومنه تجلت علينا حقيقة وخشينا ظهورها لأن ظهورها على الولى فتنة عند من لا يعقل لكن الله تعالى سترها علينا .

ومن كلامه ـ نفع الله به ـ الأرواح تسلم على كل يوم عند طلوع الشمس وتناديني من أربع جهات : من جهة الوجه ، ومن جهة اليمين ، ومن جهة الشمال ، ومن خلفي . أما التي من جهة الوجه فهم الأولياء ، وأما التي من جهة اليمين فهم المحبون والمعتقدون ، وأما التي من جهة الشمال فهم أهل الإنكار ، وأما التي من ورائي فهم المرضون وهذا يختص بصاحب الخلافة انتهى كلامه نفع الله به .

وقال ـ قدس الله سره ـ : إنه يكون للولى ما يكون للنبي وإني قد وضع لى المعراج بمسجد المجيرة وعرج بى إلى السماء حتى وقفت بين يدى الله عز وجل وحصل لى شق الصدر بمسجد بنى علوى .

وكان رضى الله عنه يقول : لايقوم مقامنا أولا ينوب منابنا إلا أربعون رجلا أو المهدى . وهكذا من بلغ درجة الكمال يكون كذلك أو كما قال .

وقال لبعض خواصه : إن السر عظيم ويشير إلى نفسه ولا يطيق لحمله إلا من شاء الله . ولك من ذلك السر نصيب .

وقال لبعض أصحابه : أنت لابد أن تركب فرس المهدى قال : فتعجبت ثم بعد مدة قدر الله أنى ركبت فرسه فعرفت عند ذلك أنه المهدى حقيقة وأن صفة المهدى قد تحققت فيه حقـا وتحقيقا وكان يقول : لو عرف الناس وأنصفوا لتحققوا أنا أحق بأموالهم منهم .

ومن كلامه ـ نفع الله به ـ كنا نطلب من الكل والآن الكل يطلب منا . وهذه صفة القطب وقال : مقامنا لا أحد يطيق لحمله على الانفراد ولكن إذا قربت الوفاة جعلناه فى جماعة . وهذا قريب مما سبق من قوله لايطيق لحمله إلا الأربعون أو المهدى . وهكذا من بلغ رتبة الكمال وقوله : وهكذا من بلغ رتبة

الكمال وقوله فيما سبق إلا إن بقى من يُستحيي منه أدل دليل على الكمال ومعرفته بجلال الله وجماله وأنه سبحانه ليس له حاكم بل له الحكم ولا لفضله حاجز بل مبذول بحكم الكرم أولا وآخرا وأنه لايختص بزمن دون زمن وأعظم فضل وامتنان إيجاده ـ نفع الله به ـ فى هذا الزمان .

وقد ذكرنا فى الحكاية الرابعة والخمسين عنه ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : رأيت كأن شخصا أتى إلى وقال لى : أنت القطب وأنت الغوث أنت صاحب الوقت ثم نادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأن عبد الله بن علوى الحداد القطب ثم أتى إلى وشق صدرى ولم أحس لشقه ألما وأخرج قلبى وغسله وأخرج منه أشياء لم أرها وكأنه يريد أن يجعل فيه شيئا بعد إفراغه فذكرت عند ذلك قصة شق قلب المصطفى ﷺ وإيداع العلم والحكمة ثم قال : والرؤيا جزء من النبوة .

وعن السيد الجليل عبد الرحمن بن على قال : رأيت السيد الولى حسن بن عوضة باعقيل السقاف فى المنام فسألته عن القطب من هو وكررت عليه السؤال مراراً فقال : السيد عبد الله الحداد مثل أو قال عن ثلاثة أقطاب .

وقد رأيت عن بعض العلماء المحققين أنهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : قطب العلوم كحجة الإسلام الغزالى وقطب الأحوال كأبى يزيد البسطامى ، وقطب المقامات كالشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنهم . وسيدى ـ نفع الله به ـ لا أشك أنه جامع العلوم والأحوال والمقامات وقد تحققت فيه الوراثة لمن سلف قبله من الأئمة المهتدين والعلماء العارفين والأولياء الكاملين والأقطاب المتمكنين رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

قال سيدنا وشيخنا الإمام أحمد بن زين الحبشى ـ نفع الله به ـ من أثنائه

قصيدة يمدحه بها ، وستأتى بجملتها فيما بعد :

إن تلقه تلق الفقيه محمدا ... ومحمد الغزالى للمشتهرا

والشيخ سقاف العلى والمجتبى ... العيدروس القطب سر قد سرى

لا غرو أن يجمع كلا واحد ... فالسر فرد والتكثر مظهرا

وقال شيخنا السيد الإمام أحمد أيضاً: الحال من الشيخ عبد القادر الجيلانى وشيخنا عبد الله بن علوى الحداد واحد بل الذى نعتقده وندين الله به أن شيخنا الإمام عبد الله الحداد ورث أحوال الأولياء السابقين واللاحقين وجميع الصديقين وكافة المقربين والأقطاب الكاملين رأينا ذلك عيانا وكشفا وبيانا ورأينا فى غيره من الأولياء تصديقا واعتقادا حقق الله لنا ولكم الرجاء فيه فى خير وعافية وحفظ وصيانة وعاقبة حسنة آمين اللهم آمين .

وقال أيضاً : هو ـ نفع الله به ـ خاتم الأكابر كجده ﷺ خاتم الأنبياء .

وكان السيد عبد الرحمن بن شيخ عيديد إذا جاء إليه سيدنا عبد الله يطلعه على السر عنده دون من حضر ويقول: مرحبا بسيد الجماعة أو شيخ الجماعة أو شيخ القبيلة أو نحو ذلك قال شيخنا أحمد : وتحت هذه الكلمة سر جامع حافل وأذكر هنا قصة الشيخ أبى بكر العيدروس لما زار النبى ﷺ وأمره بحمل ما هنالك من فرش وغيره وقول بعض العارفين : أهل البيت أفضل من على وجه الأرض وآل باعلوى أفضل أهل البيت . وقد أجمعوا على أن الشيخ أبا بكر أفضلهم فهو الخليفة الحق ونظار مثل هذه الأشياء إلى الخليفة .

وكان السيد الإمام العارف عمر بن عبد الرحمن العطاس باعلوى نفع الله به يقول : السيد عبد الله الحداد أمة وحده . وقال السيد العلامة محمد شليه باعلوى فى سيدى : إنه الجامع بين الحقيقة والشريعة والولاية إلى مراتب الكمال بأوثق ذريعة .

وكان السيد الولى عبد الله بن عمر خرد باعلوى يقــول : السيد عبد الله اتصف بصفة الأكابر كالشيخ عبد القادر الجيلانى انطوى فيه ما انطوى فى الأولين من الأسرار فالزموه . وكان السيد الولى أحمد بن ناصر بن أحمد ابن الشيخ أبى بكر بن سالم يقول : للسيد عبد الله همة علوية وحال فائق كأبى يزيد البسطامى فاغتنموه . وكان يقول: هنيئا لكم يا أهل حضرموت بمجالستكم للسيد عبد الله الحداد وظهوره عندكم ؛ فإنه خليفة الله فى أرضه . وكلام هؤلاء السادة فى سيدنا وثناؤهم عليه إنما هو فى بدايته فافهم . وأما بالنسبة إلى نهايته فلم يقدر له قدر ولم يرم له ذت وحصر .

وكان سيدنا الإمام الكامل أحمد الهندوان يقول : ظهر لى أن سيدى عبد الله ملء الكون وأن مشيخته محققه فلبكم به . وقال : ما أحد بلغ مقام سيدى عبد الله حتى يخبر عنه ومن قال ذلك فقد كذب وقال : إن روحه تشغل روحى ، ولا أخاف أحدا غيره إلا الله . ومع ذلك يقول سيدنا عبد الله : لم نر فى زماننا أقرب إلى الصديقية الكبرى من السيد أحمد الهندوان فافهم والله أعلم .

وكان السيد العارف الأكمل على بن عبد الله العيدروس صاحب سورة يقول : سيدى عبد الله الحداد فى هذا الزمان سلطان آل أبى علوى .

وكان السيد العارف الذائق أحمد بن هاشم الحبشى يقول : أشهد أن سيدى عبد الله روحانى ليس فيه من البشرية بقية .

ومن كلامه ـ نفع الله به ـ إنا نرجو طول العمر لأنا أهل تمكين لا نخشى شيئاً من مقتضيات الكبر . والتمكين عبارة عن كمال الشأن والرسوخ فى المقام حتى لا يتزلزل صاحبه ولا يتلون ولا تحكم عليه الأحوال ولا تتصرف فيه عموما وخصوصا كما قال نفع الله به .

وكان الشيخ الجليل العالم والعامل أحمد النخلى إذا ذكر عنده أحد من أكابر العارفين الكاملين يقول : من الذى لم يقل فيه لولا من الأكابر سوى سيدنا عبد الله بن علوى الحداد .

وكان الشيخ الجليل الفاضل عبد الرحمن الخلى صاحب المدينة يقول : سيدنا عبد الله بن علوى الحداد صاحب الوقت وكلامه دال عليه لما سمع قصيدة سيدى :

قد كفانى علم ربى	من سؤالى واختيارى
فدعائى وابتهالى	شاهد لى بافتقارى
فلهذا السر أدعو	فى يسارى وعسارى
أنا عبد صار فخرى	ضمن فقرى واضطرارى

سمعت سيدنا وشيخنا أحمد بن زين يقول فى هذه القصيدة إشارة إلى وراثة المقام الإبراهيمى وشرح حاله عليه السلام حيث قال عليه السلام : حسبى من سؤالى علمه بحالى . ومع ذلك لم يرد عن أحد من الأنبياء من الأدعية مثل ما حكى الله عن إبراهيم فى القرآن فافهم واعلم .

وذكر ـ نفع الله به ـ فى قصيدة له نبينا عليه السلام وعليا كرم الله وجه وحمزة والعباس وجعفر الطيار والسبطين وأمهما الزهراء وخديجة الكبرى وزين العابدين والباقر والصادق وابنه على وابنه محمد وابنه عيسى وابنه أحمد بن عيسى وابنه عبيد الله وبصرى وابنه سالم بن بصرى وجديد وابنه على وعلوى بن عبيد الله وابنه محمد وابنه على خالع قسم وابنه محمد صاحب مرباط والفقيه المقدم وابنه علوى وابنيه على وعبد الله ومولى الدويلة محمد بن على وابنه السقاف عبد الرحمن وأبا بكر السكران وعمر المحضار ابنى السقاف والعيدروس وأخاه الشيخ على ابن أبى بكر السكران ثم قال بعد ذكرهم :

أولئك وارث النبي ورهطه ... وأولاده بالرغم للمتسامي

مواريثهم فينا وفينا علومهم ... وأسرارهم فليسأل المترامي

إذا جاء بالصدق الذى هو سُلَّمٌ ... إلى كل خير نال كل مرام

وكم حكمة عنهم واحكم وكم وكم ... نواميس قهر للطغاة روام

يريدون أن يطفوا بأفواه زورهم ... مصابيح نور قد محت لظلام

من السلف الماضين والخلف الذى ... ذكرنا كراماً أعقبت بكرام

وإنا على آثارهم وسبيلهم ... وما نحن عن حق لهم بنيام

مقرنين بالتقصير عن شأو مجدهم ... وحسن مساعيهم بكل مقام

ولكنهم آباؤنا وأصولنا ... وأسلافنا ممن مضى بسلام

ومنا إمام حان حين خروجه ... يقوم بأمر الله خير قيام

فيملؤها بالحق والعدل والهدى ... كما ملئت جوراً بظالم طغام

إذا قام قمنا والموفق ربنا ... بنصرته إن راث حين حمام

وإلا فنرجو أن يقوم بنصره ... فروع من البيت المصون نوامى

وسمعت سيدى وشيخى السيد الإمام أحمد بن زين الحبشى علوى ـ نفع الله به ـ يقول : لو قال مائة إمام بقول وقال شيخنا السيد الإمام عبد الله بن علوى الحداد بخلافه ، وجب على الكل الأخذ بقوله ؛ لأنه القطب الغوث ، ويلزم اتباع صاحب الوقت فيما قال .

وسمعته يقول : ما كان لنا أن نقدم على كلام سيدنا وشيخنا عبد الله كلام غيره إلا ما كان من كتاب الله وسنة رسوله لكون معانيهما قد رسخت فى قلبه وامتزجت بسره ، وكلامه مستمد منهما. قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا .

قيل لسيدى عبد الله : إن فلانا يعجل فى قراءته فغضب نفع الله به وقال : إن ذلك لا يصلح لكل الناس إنما يصلح ذلك لمثلى ومثل السيد أحمد المندوان ، حيث قد صارت معانى القرآن فينا ، انتهى .

وقد سئل سيدنا الأستاذ الأعظم عبد الله بن علوى الحداد نفع الله به عن صفة القطب فقال: هو عبد محبوب عليه تدور الدوائر ، وعلامته أن تكون له الهيبة فى القلوب ، تهابه الجبابرة وأبناء الدنيا ، ويحبه كل مؤمن ، وعلامته أن لا يختار شيئاً سوى الله ولا ينزعج له خاطر مما يجرى فى الكون ولو أنه نظر إلى الأرض فى كمال نباتها وزهرتها يوماً ثم نظر إليها ثانياً فلم ير من ذلك شيئاً لم يتحرك له خاطر لأنه يعلم علماً يقيناً أن الذى أوجدها وأعدمها هو الله وحده . وهذه العلامات متحققة فيه متيقنة من غير شك ، تشهدها العقول، وتؤمن بها القلوب ، وتنطق بها الألسن .

وسئل ـ نفع الله به ـ أيضاً عن وصف القطب فأشار إلى أبياته التى قالها فى وصفه إجمالا وهى :

هو سيد متواضع متخشع ورع زكى زاهد فى العاجل

الشرع سيرته الحقيقة حاله ومن العبودة بالمقام الحافل

بر رحيم بالخلائق كلهم يرعى الوجود بعين لطف شامل

يمتد من بحر البحور محيطها خير الأنام بعاجل وبآجل

وقد أكمل الله له عن فضل هذه الصفات ووهبه جزيل الهبات إلى ما لا يحيط به وصف ولا يلحقه نعت إلى أخلاق يعسر التخلق بالبعض منها على الرجال الفحول والله رقيب على ما أقول :

إمام ومقدام وقطب معظم وشيخ مكين حاز كل مقام

إمام له التقديم والعارف الذى به يقتدى فى الهدى كل إمام

مقدم أهل الله فى كل موطن له خفقت راياتهم بدوام

مجلى مباق القوم فى حلباتها ومروى الصدى المجلى لكل قيام

مزيل الردى عنا ومهدى لنا الهدى ونرجو به نيلا لكل مرام

الفصل الثاني

في ذكر شيء من وصف علومه نقلا عنه ـ نفع الله به

فمن ذلك قوله: إن عندنا علوما ما لقينا لها متلقيا إنما مثلنا كمثل رجل تاجر وسيع التجارة أتلع ببعض البنادر فجاء الناس إليه للشراء منه فأخرج لهم دنيء القماش أولا فلم يعطوا فيه قيمة فلما رأى ذلك منهم أمسك على بقية ما معه من الفاخر حيث لم يعطوا في الدنيء قيمة .

ولما قرئ عليه قوله ﷺ : « لا تتخذوا قبري عيداً » تكلم عليه بأنواع العلوم من بعد صلاة العصر حتى قارب غروب الشمس ثم قال : إن عندنا علوماً لو أبديناها لأنكرتنا ثيابنا فضلا عن الناس .

قال سيدنا وشيخنا أحمد : سألت سيدي وشيخي عبد الله بن علوي الحداد ـ نفع الله به ـ عن مسألة الكسب الواقعة في علم الأصول فقال لي : يا أحمد إن الله أطلعني على مساق الحق فرأيت أصول أهل الأصول وهذه المسألة متصلة بالذوق لا تنكشف حقيقة الحق فيها إلا في الدار الآخرة .

ولما تكلم نفع الله به في كتابه إتحاف السائل في شيء من علم كلمة التوحيد لا إله إلا الله وبيّن وحقق قال : ولولا الحرص على الإيجاز لأمور يعلمها الله لأطنبنا في هذا الفن إطنابا يبهر العاقل اللبيب والله على ما أقول رقيب . وتكلم فيه أيضاً على شيء من حقائق المعارف ودقائق اللطائف ثم قال : ولولا اندراس الطريق وأفول أنوار التحقيق لأتينا من ذلك بالعجب العجاب . فتذكروا يا أولي الألباب .

وكان رضي الله عنه إذا تكلم في شيء من الحقائق الدينية والمعارف الربانية

ولم يحضره من يفهمه يقول : إن رجالا من أهل الغيب يتلقونه منا . وكان يقول: ليس مجلسنا خاصا بكم إنه لكم ولغيركم من خلق الله من الإنس والجن ورجال الغيب يحضر منهم من شاء الله .

وكان رضى الله عنه يقول ما معناه : قرأنا فى فروع الفقه جملة صالحة وأما علم السير والحديث فأمعنا فيه النظر جداً ، وأما علوم القوم فالعمر مضى كله فيها وأما علم الاسم فأعطيناه موهبة من الله عز وجل أو قريباً من هـذا الكلام . وسمعته يقول : مضى العمر كله فى سماع كتب العلم وما زال تعطشنا إليها حتى كأنا لم نسمعها .

وسئل رضى الله عنه عن قول حجة الإسلام نفع الله به : ليس كل أحد له قلب فأجاب بكلام غاية فى التحقيق والتنميق وسيأتى إن شاء الله فى غير هـذا الموضع ثم قال : هذا ما تيسر إيراده فى هذا الوقت الحاضر من غير فكر سابق ولا روية بل هو وارد الوقت وفيض الفضل ومن أثر نفس مدد ترجمة طلسم معنى وعلمناه من لدنا علماً وكل ما معنا وما لدينا فمن هـذه الحضرة جاء . ولو أردنا أن نقول لقلنا شيئاً كثيراً ولكنا صادفنا وقتاً وزماناً تعرفه وتراه . وإن وجد مخصوص فينبغى أن يعطى على حسب خصوصه ولا تجرى له الأمور العامة الكلية .

ومن كلامه : يأتى بعدى أناس يقولون لكم : هـل أدركتم فلاناً فلو أدركناه لاستفدنا منه كذا كذا علما .

وقال قدس الله سره ونور ضريحه : لو قبل منى أهل هـذا الزمان العلم بإنصاف لصنفت كتباً كثيرة على معنى آية من كتاب الله . إنها ترد على قلبى علوم لا أجد من يعيها .

هذا كلامه مع كثرة الطالبين منه والآخذين عنه من أرباب العقول الزكية والنفوس الأبية والهمم العلية ممن ملىء علماً جماً وحُبى حكماً ونهماً من سبق الرجال الذين نالوا ببركته أهل منال وحظوا بفيض الأنوار وواردات الأسرار ومخبآت الأفكار ، منهم من ظهر له نصيبه منه وهو بعد فى هذه الدار ومنهم من حُبى له فلا ينكشف إلا فى تلك الدار .

وقد سمعت عنه أنه قال : عندنا فى هذه الآية « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » سبعون علماً ، وعندنا فى كل حرف من الفاتحة كذا وكذا علماً .

كان يسير بسيرة أهل الظاهر فى الظاهر وقلّ أن يظهر شيئاً من اختياراته إلا عند أخص خواصه رحمة بعوام العلماء ؛ لئلا ينكروا فيخسروا كما ذكرنا أنه لما دخل مكاناً سأله سائل عن مذهبه قال : فهممت أن أقول مذهبى الكتاب والسنة فتركت ذلك خشية الإنكار فقلت : مذهبى مذهب محمد بن إدريس الشافعى — رضى الله عنه .

وسئل عن عدة مسائل فأجاب عنها بجواب بديع وكلام رفيع ثم قال بعده : ونحن على بصيرة من أمرنا وهدى من ربنا ، وكتاب الله وسنة رسوله بين أظهرنا ولسنا جاهلين بأمر الدين ولا مبتدعين فيه ولا متبعين الأهواء المضلة ولا متحكمين بعقولنا فى دين الله ونقبل الحق ممن جاء به ونرجع إليه ولا نكابر ولا نقلد الرجال فافهم ما أمليناه عليك من الجواب على مسألتك ، فإنه ما من كلمة من الكلام الذى أوردناه عليك إلا وعندنا من النصوص السمعية من كتاب الله وسنة رسوله وكلام أئمة الهدى أدلة واضحة حذفناها اختصاراً وخير الكلام ما قل ودل .

وكان رضى الله عنه يقول إن علمنا علم الجنيد سيد الطائفة الذى إذا أراد الكلام فيه مع خواصه يضع المفاتيح تحت وركه وهذا العلم الذى تصدينا للتدريس فيه وظيفة علماء القاهر حيث أعرضوا عن التدريس فيه وخشينا اندراسه .

ومن كلامه : إنا نسمح عند المذاكرة والمشافهة بالشىء من هذا العلم وإن كان دقيقاً ويحتاج إلى طول كلام لا نسمح بمثله فى المصنفات والمراسلات لأن المذاكرة لا يعقلها ويعيها إلا من هو لها — يعنى العلوم الدقيقة .

وقال قدس الله سره : مذهبنا الذى نعتقده وندين الله به أنه لا يكون كائن من خير وشر ونفع وضر إلا بقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وعندنا لذلك من النصوص السمعية الواضحة فى الكتاب والسنة ومن البراهين العقلية المسلمة عند كل ذى بصيرة ما يجل عن الحصر .

وقال أيضاً : الأمر يرجع إلى قدر وهو الأصل وأسباب مكونة عنه وحمد وذم وثواب وعقاب مرتب على الأسباب ، ومن عرف هذه الأصول وذاقها سقطت عنه الإشكالات والاختلافات الواقعة بين الناس وأصبح على بحر تيار إما على ظاهر اللجة أو على السفينة أو على الساحل ، فقل لأقوام يتشدقون فى المنطق ثم يعرضون بالاعتراض علينا يخبروننا بمراد هذه الأشياء وما يئول إليه ويترتب عليه وليسوا على شىء وقد عفونا عنهم لله ولرسوله وقد علم كل أناس مشربهم ومن لم يعرف الله ويعرف الدين كما ينبغى فلا يمكنه أن يعرفنا أصلا فانظر هذه المقالة وأحسن التأمل فيها ، تر العجب وتعرف تبحره فى العلوم وغوصه على الأسرار واستخراجه خبايا الأفكار وما منحه الله عز وجل من كشوفات الأنوار وانظر وتأمل أيضاً قوله فى المنظوم وما وهبه الله له من عزيزات الفهوم وغزيرات العلوم :

مشاهــد بالفؤاد أشهــدها   من باطن العلم دونها النظر
كالجود إن أمنوا وإن شكروا   والقهر إن كذبوا وإن كفروا
والعدل إن عذبوا وإن هتكوا   والفضل إن رحموا وإن ستروا
لا أجهل الحكمة التى برزت   فى ضمن إيجادهم ولا أذر
الجــبر والإعــتزال مطرح   فالمذهبــان كلاهما ضرر
أنفى وأثبت غير مكترث   بقول من قال إن ذا خطر
والمذهب المستقيم أذهبــه   نص الكتاب وصرّح الخــبر
صرف اليقين ومحض معرفة   خص الشهود وعم القــدر
لا أدخل الشك بيت معتقد   أغلقه أو تدقه الغــير
ما كادت الغانيات توقفنى   إلا زوتها العلوم والفــكر
ولا أتانى اللعــين يفتننى   إلا رماه العلى شرر
لله فى خلقــه سرائر لا   تحصى ولا يهتــدى لها البصر
للعصر قوم لحمله صلحــوا   كم من خبير نصيبه الخبر

ومن كلامه المنظوم فى المعنى أيضاً :

أطالع أمر القبضتين فقبضــة الــيمين وأخرى لليمين الأخــيرة

فسبق سعــادات وسبق شقاوة   بمحض اختيار دون سعى وحيلة
وأعمالهم تجرى على وفق سابق   لهم عنــده والختم كالأولية
ومسح يد الرحمن ظهر صفيه   فأخرجهم كالذر يوم الشهادة
فأشهدهم والكل منهم موحــد   هناك وبعض الأمر ناف ومثبت
وسرا خفياً حار فيه أولو النهى   على صــورة للصــورة الآدمية
وأشهد لطف الفضل فى كون آدم   من الطين مخلوق اليدين النزيهة

ثم قال حاكياً لعلومه مخبراً عن نفسه قائلا فى معرض التوبيخ لها تواضعاً لربه وجرياً على عادة أسلافه فى هضمهم لنفوسهم وغيبتهم عن شهود صالح أعمالهم :

يقول بلا فعل ويعلم عاملا على ضد علم يا لها من خسارة
علوم كأمثال البحار تلاطمت وأعماله فى جنبها مثل قطرة

وإذا كانت أعماله التى هى كأمثال الجبال فى جنب علومه التى مثلها بالبحار المتلاطمة كمثل قطرة فهمت الإشارة من وراء تلك العبارة التى تقصر أيضاً عن حقيقة المعبر عنه لضيق العبارة التى هى من عالم الحس الضيق الذى لا يستوفى المعانى ولا يؤديها على ما هى عليه ولكن بالمثال يعرف المراد وكلما دقت المعانى قصرت العبارة عنها بالمثال قال تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

وفى تمثيله أيضاً بالبحار المتلاطمة عن علومه إشارة إلى سعة علومه وأنها مستمدة من كلمات الله التى لا تنفد قال تعالى : فى آية « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » وفى آية أخرى : « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » .

قال سيدنا الإمام أحمد بن زين الحبشى باعلوى فى وصفه شيخه الإمام الأكبر عبد الله بن علوى الحداد : أما كلامه فى الحقائق الحقية والعلوم العرفانية فهو الجنان العلية لكن قلّ كلامه آخر زمانه . وبالجملة فعلومه مستمدة من كلمات الله : « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » .

وكان رضى الله عنه فى العلوم والمعارف والحقائق البحر الذى لا ساحل له .

بلغ رتبة الاجتهاد فى علوم الإسلام والإيمان والإحسان ، وهو المجدد فى هذه العلوم لأهل هذا الزمان . وذلك ظاهر من حيث طريق الظاهر وجلى من حيث طريق الباطن يعرفه أهل ذلك المقام العلى .

وقد نقل الشعرانى عن الشيخ ابن عربى أن السالك يبلغ من طريق الباطن رتبة الاجتهاد فقال هو كذلك ولكن ليس شرطه الاجتهاد فى جميع العلوم بل فى العلوم المقصودة بالذات فى السلوك فى صراط الحى القيوم وكثيراً ما كنت أسمعه إذا جرت مذاكرة فى شىء من المسائل يقول : وعندنا فيها رأى آخر لكن التمسك بمذهب الشافعى كاف . ومن جلس معه وسمع كلامه عرف ذلك منه رضى الله عنه .

وكان يتكلم على مقالات العلماء وأحوال الأولياء ويبدى ما فيها من صواب ويتكلم على الأحاديث النبوية بالكلام الحسن العجاب ما لا يوجد فى كتاب وكذا الآيات القرآنية من العلوم الظاهرة والفهوم اللدنية مما تقر به العيون ولا وقع فى الأفكار والظنون من السر المصون والعلم المضنون على أهل العقول والظنون فنسأل الله أن ينفعنا والمسلمين بهذا الكنز العظيم السيد الكريم فى عافية انتهى كلام سيدنا وشيخنا أحمد بن زين الحبشى .

وكان السيد الإمام العارف أحمد بن عمر الهندوان يقول : إن السيد عبد الله الحداد مجتهد لا مقلد وكان يقول قولوا لأهل مكة : إن أردتم العلم فهلموا إلى السيد عبد الله . وكان السيد الولى عبد الله بن عمر خرد يقول : إن شئت أن تظفر بالعلم فعليك بمجالسة الشيخ عبد الله فهو الحاوى لجميع العلوم ، لا يتركه إلا من شقى وسمح بالآخرة نسأل الله العافية .

وقال السيد العلامة محمد بن أبى بكر شلميه باعلوى فى ترجمة سيدنا الأستاذ :

اشتغل بتحصيل العلوم وتهـذيب النفس ودواء الكلوم وصحب أكابر قومه وأخذ عن علماء دهره فهبت عليه من قبولهم رُخاء الإقبال وفشأ بين ظهرانيهم عن حسن الحال ورخاء البال وتفقه على جماعة من فقهاء الزمن منهم شيخنا القاضي سهل بن أحمد باحسن لحفظ الإرشاد أو أكثره وعرضه مع غيره عليه ومنحه الله حفظا يسحر الألباب وفهماً يأتى بالعجب العجاب وفكراً يستفتح ما أغلق من الأبواب .

وبالجملة فهو رضى الله عنه ونفع به من العارفين الذين وفقهم الله لأفضل الأعمال وحفظهم عن مخالفته فى سائر الأحوال وقربهم من حضرة قدسه وأجلسهم على بساط أنسه وجعل قلوبهم مطالع أنواره ومعادن أسراره وخزائن معارفه ولطائفه وأحيا بهم الدين ونفع بهم المريدين فى التطهر من كل خلق دنى والترقى إلى التحلى بكل وصف علىّ وهم أفضل من الذين عرفوا رسوم العلوم الكسبية وعويصات الوقائع الفعلية والقولية والبراهين العقلية والنقلية حتى حفظوا الشرع من أن يلم به طارق ويخرقه مبتدع مارق ، وإن كان لهؤلاء فضل أيضاً هذا إن وجدت فيهم صفة العدالة وإلا فلا مفاضلة . انتهى كلامه . وهم أفضل من الذين عرفوا رسوم العلوم الكسبية وعويصات الوقائع الفعلية والقولية والبراهين العقلية والنقلية . إن سيدنا عبد الله نفع الله به لم يكن متبحراً فى هذه العلوم وآخذاً منها بالحظ الأوفر والنصيب الأكبر ، كما يظن من عرف طرفا منها بغير تحقيق أنه رأى سيدى لا يكثر الخوض والمذاكرة فى ذلك لشغله بما هو أهل أجـل وأفضل وأكمل من ذلك ، من الحقائق الدينية والمعارف الربانية وتحقيق سلوك الطريق إلى الحى القيوم فهو ـ رضى الله عنه ـ فى كل فن من العلوم إمام العلماء فيه وقيدوم الحكماء من أهليه ولكن الأسفل محجوب من الأعلى ولا عكس .

وقد قال مرة : إن بعض المتفقهة قال لبعض من الناس : إن فلاناً لا يعرف الفقه فرأى ذلك الرجل أن بيت ذلك المتفقه احترق بسبب قوله ذلك ثم أخذ بعد هذه الحكاية يصف قراءته فى الفقه وغيره ومقروءاته على الفقهاء المحققين والعلماء العاملين ، مثل السيدين الإمامين : سهل بن أحمد ، والسيد عبد الرحمن ابن عبد الله باهارون ومثل الفقيه محمد باجبير ، والفقيه عبد الله الخطيب ، وغير هؤلاء .

وكان يقول : ما نحسب أن كتاباً يوجد فى حضرموت بأسرها إلا وقد طالعناه أو وقفنا عليه ، أو سمعنا منه ، أو سمعنا به .

وسمعت سيدى أحمد يقول : ما رأيت ولا سمعت بكتاب يوجد فى أى فن من العلوم وعرضته أو ذكرته إلا وجدت سيدى قد رآه أو سمع به ، لشدة تفتيشه عن الكتب وتطلعه عليها .

وسمعته يقول : إن أكثر العلوم سيما علم الآلات استخرجها نفع الله به من القرآن بفكره ، لما منحه الله من مزية الفهم وقوة الغريزة ، كالنحو أخذ أصوله قراءة وسماعاً ، واستكمل فروعه بصافى ذهنه . وانظر مؤلفاته بصدق وإنصاف من منظومه ومنثوره ، تعرف غزارة علومه ، وتر العجب العجيب ، والأسلوب الغريب ، وتطرب وتطيب ، وتقول : إن كنت مصيباً :

رأيت عجائب العجب العجيب من الأسلوب والأمر الغريب
تصانيف وأنفاس نفاس بها القول المزعزع للقلوب
يحار العالم النحرير فيها ويدهش للذكى مع اللبيب
إذا نظرت جهابذة إليها فقل سبحان ذى الفتح القريب
يخص بفضله من شا ويعطى ويمنع من يشا فهو الحسيب

فمصنفاته ـ رضى الله عنه ـ من أعظم المعجزات ، وأكبر خوارق العادات كما قيل فى حجة الإسلام الغزالى ـ نفع الله به ـ لو تصور أن يكون نبى بعد النبى ﷺ لكان الإمام أبا حامد الغزالى وإنما يحصل ثبوت معجزاته بالنظر فى مصنفاته .

وكان بعض العارفين يقول : إن سيدى عبد الله أعطى لسان التعبير . ويكفى فى نعت كلامه ، ووصف علومه النظر فى منثوره ومنظومه من المصنفات والمراسلات والحكم والوصايا والديوان المنظوم وغير ذلك ما يتكلم به فى مجالسه ويلقيه إلى أصحابه .

وانظر شيئاً من ذلك فى باب مفرد ، إن شاء الله يأتى فيما بعد ، وبحمد الله ومنّه ، فعلومه فى جميع أقطار الأرض شائعة وعلى ألسنة الآخذين عنه والمنتسبين إليه ذائعة وشموسها على قلوبهم طالعة ، وبروقها فى مجامعهم لامعة ، وثمارها فى أسرارهم يانعة ، ومن جالسهم عرف ذلك منهم .

ولا تغفل عن قول سيدنا الأستاذ فيما تقدم : لو قبل منى أهل الزمان المسلم بإنصاف لصنفنا كتبا كثيرة على آية من كتاب الله . وعندنا سبعون علما فى آية كذا وفى كل حرف من الفاتحة كذا كذا علما ، ولو أملينا عليكم فى علم كذا لعجبتم ولسمعتم مالم تسمعوا ولو أردنا أن نقول لقلنا شيئاً كثيراً وإن الله أطلعنى على مسانى الحق فأريت أصول أهل الأصول . وعندنا علوم لو أبديناها لأنكرتنا ثيابنا فضلا عن الناس وعندنا علوم ما لقينا لها متلقيا . ولولا الحرص على الإيجاز لأمور يعلمها الله لأطنبنا فى هذا الفن ، يعنى علم التوحيد إطنابا يبهر العاقل اللبيب والله على ما أقول رقيب ولولا اندراس الطريق وأفول أنوار التحقيق لأتينا من ذلك بالعجب العجاب . فتذكروا يا أولى الألباب واستدل بالشاهد على الغائب واعرف أن ما أظهره بالنسبة إلى ما كتمه قليل من كثير .

قال سيدنا وشيخنا أحمد : وما أظهره ، أى شيخنا إلى ما لم يظهره كرشفة من بحر ، أو رشحة من زق . ولو ذهبت أتتبع الشواهد فى هذا الباب وغيره لكنت فى ذلك إلى الجرأة أقرب منى إلى الأدب ، وكنت فى ذلك أطمع من أشعب .

وكتب إلى بعض أصحاب : جعله الله ممن تعرف إليه فعرفه وما أنكره بباطن ولا بظاهر ثم عرف به ودعا إليه فكان من الدالين به عليه وله كذلك منه إليه ، إذ ليس ثم غيره من حيث الحقيقة ، وإن كان للأغيار وجود وشهود من حيث الظاهر والصورة فكل حق فى بابه وباعتبار ومن وجه ، والجامع من جمع ووضع الأشياء مواضعها فلم يشغله حق عن خلق ، ولا خلق عن حق نخرج من تفصيل هذه الجملة أربع مراتب ، بعضها حق ، وبعضها باطل ، وبعضها فيه حق ، وبعضها فيه باطل .

فانظر وتفكر ، ولعله ينفتح لك علم ذلك فتهتدى إلى تلك المسالك ولا تظنن أنا لو أردنا أن نجرى خيل السباق فى هذه الميادين بعبارات لا يفهمها أهل الزمان ، ولا يجدونها فى الكتب المؤلفة فى هذا الشأن كنا لا نستطيع ذلك وإنما انصرفنا عنه اشتغالا بما هو أهم ، ولأن أهل الزمان محتاجون إلى غيره من علوم الأمر والنهى ، والوعد والوعيد .

وقد كان من علماء الظاهر من يقول بهذه الوظائف فخرسوا فى هذه الأزمان لغلبة الهوى والاشتغال بزخارف الدنيا ، فأعرضوا بذلك عن الحق ونصح الخلق ، كأن الموجود الآن على حواشى ألسنتهم نبذة من العلوم الظاهرة الرسمية التى يتميزون بها عن العامة ، ويصطادون بها ما هم بصدده من طلب الجاه والمال لا غير ، واضطرنا ذلك إلى السكون عن علوم الحقيقة ، والاشتغال بعلوم عزائم

الشريعة ، حفظا للنظام ، وقياما بأمر الله التام ، والله حسبنا وحسبهم ، وإليه مصيرنا ومصيرهم ، وحينئذ تبلى السرائر ، ويسأل كل مؤمن عن أمانته .

ومن كلامه : قد وضعنا مؤلفات ووصايا كثيرة ، وكلاما منثورا ومنظوما ، والحال كما قال الإمام الغزالى ، بعد ما ألف كتبه النافعة لكافة المسلمين :

لو أنهم أخذوا بها غزلت لهم غزلا دقيقاً فلم أجد

لغـــزلى نســـاجا فكسرت مغـــزلى

وقال نفع الله به : وقعت لنا مذاكرة مع أحد من الذين هم بالعامة أشبه ، وذكروا فتوحات الشيخ ابن عربى - رحمه الله - فقلنا لهم : ليس تصنيف مثل فتوحاته بالمتعسر ولكن أن يكون ذلك حالا وذوقا هو المتعسر . وكذلك نقول الآن . فتأمل هذه المقالة .

وقال رضى الله عنه - بعد كلام طويل - فتنبه لما أشرنا إليه ، وتأمله حقه واقنع بهذه اللامعة ، فإنها من العلم المكنون المتلاطمة بحاره .

وعن بعض المباركين أنه رأى فى المنام كأن سلسلة نزلت من السماء . وكأن علوم النبى ﷺ نزلت لسيدنا الأكبر عبد الله بن علوى - نفع الله به - وقد ذكرنا هذه القصة فى الحكاية القسمين بتمامها .

وقال السيد الجليل عبد الرحمن ابن السيد العارف على بن عمر فى سيدنا الأكبر عبد الله بن علوى - نفع الله - به - : لم يزل مدمنا على استماع الكتب النافعة قبل أن يفتر أو يمل عن ذلك بل لم تزل رغبته تتجدد فى ذلك قرأ أولا فى الفقه كتبا كثيرة وحققها تحقيقا بينا وقرأ أيضاً فى علم العربية وجميع الآلات ، له اليد الطولى والسابقة الأولى ، والحظ الأسمى والقدح المعلى . وكثيراً ما كنت

أسمعه يقول : لو أردنا تحقيق العلم الظاهر لكان ذلك سهلا علينا جداً ولأتينا بأشياء لا توجد منصوصة فى الكتب .

وأما فنون الحقائق فهو أبو بجدتها ، وأخو علتها ، ومالك أزمّتها ، وكأنها تومئ إليه بالإشارة بمحاسنها ، والتفرد ببدائعها . فكم شفى الله بكلماته من عليل ، وأروى ببيان أقلامه من غليل ، وكم لان عند سماع وعظه من قلب قاسى وقد ذكرنا فى الحكاية الثانية والخمسين أن سيدى ـ نفع الله به ـ رأى سيدنا الإمام السقاف باعلوى وعنده ابنه الشيخ عمر المحضار قال سيدى : فخطر لى تمنى حال الشيخ عمر فقال لى السقاف : قد وهبك الله تعالى من العلوم والرحمة ماهو خير لك والحكاية طويلة .

ومن كلامه رضى الله عنه أن الله وله الحمد قد أحيا بنا علوما قد أميتت .

وأخبرنى بعض الصالحين قال : سمعت بعض العلماء الكبار من أهل الشام المرجوع فى الفتيا فى جهته إليه يقول : ما على وجه الأرض اليوم أعلم من السيد عبد الله بن علوى الحداد .

وسمعت سيدى الإمام أحمد بن زين الحبشى يقول مرارا : سرت مع والدى إلى تريم وأنا فى سن الصبا قاصدين زيارة سيدنا الإمام عبد الله بن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ فجئنا عنده بعد العشاء فسأله والدى عن العارف والمحب أمشغول هو أو مستريح ، فأجاب عن ذلك بأبدع جواب وأعجب عجاب ، ولم يزل يلقى على هذه المسألة ما يحير الألباب إلى آخر الليل ، وهو يتكلم فى ذلك ، ووالدى تجرى دموعه ـ رضى الله عنهم أجمعين .

وقال سيدنا ومولانا أحمد المذكور فى كتابه «الموارد الهنية» المشهور فى شيخه المشكور ، فهو نفع الله به من أكبر العلماء بالله عز وجل . والخشية دليل المعرفة بالله إنما يخشى الله من عباده العلماء .

ومن كلامه ـ قدس الله روحه ـ : ما وجدنا العلم بالقيل والقال، ولا بمزاحمة الرجال ، ولكنا وجدناه فى خلو القلب عن الدنيا ، والبكاء فى جوف الليل ، ومراقبة الجبار . ولا وجدنا الخير كله إلا فى العلم . ولولا العلم ما عرف العبد ربه ، ولا عرف كيف يعبده . فاجتهد يا أخى فى طلب العلم ، انتهى .

ولنقتصر فى هذا الفصل على هذه الرشفة من بحر لجى ؛ لأن علومه مستمدة من كتاب الله الذى لو كانت البحار مدادها ، والأشجار أقلامها لنفد البحر والأشجار ، وما نفدت كلمات الله . وفى هذا كفاية للطالب النبيه ، والكثير لا يؤثر عند المدبر السفيه ، فنرجو من فضل الله تعالى، أن ينفعنا بعلومه، وأن يمدنا من أمداده ، ويعيد علينا من أسراره ، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين .

في طرف يسير ، من ذكر عبادته ، وجده واجتهاده وتبتله

وهذا باب واسع جدا، لايحيط به وصف واصف ، ولا يتناوله ضبط ضابط، وهو البحر الذى لايجارى، فكيف يخوض غمرته الخائضون ، أو يركب متن لجته القاصرون ، فقد كان ـ رضى الله عنه ـ من المشمرين عن ساق الجد ، الباذلين غاية الجهد فى عبادة ربه ، ابتغاء رضوانه وقربه ، لم يزل فى العبادة سالكا سبيل السعادة من حين الصبا ، وهو فى جهد جهيد ، وهواتف العناية تناديه : هل من مزيد ؟ هكذا دأبه ليلا ونهاراً ، وما فتر عنه عشية وأبكارا ، وما زالت مطايا همه وعزمه تجدّ به السير ولا تتوانى فى القليل والكثير .

وقال السيد الجليل محمد شليه باعلوى : لازم الجد والاجتهاد فى العبادات ، وجميع أنواع القربات ، وأضاف إلى العلم العمل ، وشب فى ذلك واكتهل ، وواظب على ذلك سراً وجهراً ، وأخذ بما هو أولى وأحرى ، حتى نال ما نال مما لايخطر لأحد على بال وتلا لسان حاله القويم : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . انتهى .

وسمعت عنه ـ رضى الله عنه ـ أنه كان يقول : كنت من حين الصغر وأنا فى الجد والعبادة ، وأنواع المجاهدة . وكانت جدتى الصالحة سلمى بنت السيد الولى عمر بن أحمد المنفر باعلوى تقول لى : ترفق بنفسك ، إذا رأت ما أنا فيه من الجد ، شفقة منها علىّ . وكذا كان والداه يشفقان عليه من إتعاب نفسه بأنواع المجاهدة . وكان يقول : إنى قد أترك كثيراً من المجاهدات فى أيام بدايتى رعاية لوالدىّ لما أرى منهما من كثرة الشفقة علىّ .

وكان ـ رضى الله عنه ـ يقول : كنت فى حال الصبا إذا خرجت من المعلامة بكرة أصلى فى بعض المساجد نحوا من مائة ركعة . وقال ـ نفع الله به ـ : كنا فى حين الصغر ، وإقبال الشباب ، نخرج إلى الأودية المباركة ، مثل عيديد ودمون على الانفراد . قال مشيرا إلى هذا العهد والمعاهد نظما :

فى حين كنا بدال ميم	بالوادى للنور
بجانب السفح من تريم	والعيش غض أخضر
يسرى لنا البرق والنسيم	بمسك معنبر

قال : وربما خلا بعض المساجد نهاراً ، فنتنفل بها كثيراً . وكان يقول : كنا فى الابتداء نسير فى البلاد لقاء الصالحين ، وزيارة الأموات منهم . وكنا نزور شعب ابن مخدم ، المقبور فيه السيدان الإمامان : أحمد بن عيسى ، وأحمد ابن محمد الحبشى . وربما كانت الزيارة على الأقدام ، ونحن أيضاً صيام نحن والشيخ الصالح أبو بكر ابن الفقيه محمد باعبيد المذكور . إنه فى بعض زياراته للشعب المذكور قال : إذا أنا نمت يقوم سيدى إلى بئر مسجد الشيخ أحمد الحبشى ، ويملأ المياضى ، ولا يمكن أنى أشرب به .

وكان ـ رضى الله عنه ـ أوان البداية يدور كل ليلة على مساجد تريم للتعبد بها ، وتتبع مآثر أسلافه الطاهرين .

وكان يقول : قد استقصينا جميع مساجد تريم مرارا كثيرة ، حتى مسجد سويد تسورناه لأجل الصلاة فيه ، ومسجد سويد هذا مطينا ولا يكاد يعرف أنه مسجد ؛ لك لشدة تحفله ، ونطلب بركات مواضع الصالحين ومراكعهم رضى الله عنه .

كان يزور تربة آل أبى علوى كل ليلة . وانظر شاهد هذا فى الحكاية .

وقال سيدنا وشيخنا شهاب الدين فى كتابه الموارد الهنية : كان لشيخنا عبد الله ـ رضى الله عنه ـ فى ابتداء أمره ، فى قيام الليل المقام الأرفع .

وكان يطرف على مساجد تريم كل ليلة ، حتى إنه ربما نام فى مجاز حمام مسجد آل باعلوى ، وله وقائع فى ذلك . وهو ـ رضى الله عنه ـ قليل النوم ، أو لا ينام أصلا ، ويعجبه أهل الهمة والنشاط فى قيام الليل ، من المنتمين إليه وغيرهم ، ويعينهم على ذلك ، ويدعوهم إليه بالحال والمقال بل والمال فربما أعطاهم شيئاً من قشر البن يصنعونه قهوة تدار عليهم ، لينشطوا للعبادة ، وفعل الخير . وليس ذلك بالعجب منه ؛ فإنه قد حاز قصب السبق فى جميع مقامات الدين ، ولم نر ولم نسمع مثل حاله ومقامه ؛ فإنه ـ نفع الله به ـ على القدم النبوى ، فى جميع عباداته وعاداته ، وله الوراثة الكاملة ، من جده محمد ﷺ .

وأخبرنى بعض الثقات ، من السادة آل أبى علوى قال : جئنا مرة لزيارته ، وكان وصولنا إلى مكانه قبل مضى نصف الليل ، فلما اجتمعنا به صباحاً قال لنا : إنى أحسست بمجيئكم لأنى من ذلك الوقت لا أنام أصلا .

وذكر بعض الإخوان عن بعض خواص سيدى قال : كنت مع سيدى ، أوان زيارته لنبى الله هود ، قبل وفاته ، بأكثر من عشرين سنة ، فأرقت ليلة طول الليل ، فما رأيت سيدى نام إلى الصباح ، فسألته عن ذلك فقال : إنى منذ ثلاثين سنة لم أنم فيها .

وحدث السيد الجليل شيخ بن حسن الجفرى باعلوى قال : لما تزوج بأختى ، فسكن فى بيتنا مدة مديدة ، فكنت أرقبه لا يكاد ينام بالليل ، بل يبيت يدور ، وربما ترنم بشىء من كلام سلطان العاشقين أبى حفص بن الفارض ؛ لأنه رضى الله عنه كان مغرما بكلامه ، لما فيه من تهييج الهمة ، وتحريك العزيمة .

وكانت همته ـ نفع الله به ـ تحرك الجبال الرواسى ، وتزعزع كل قلب قاسى ، كما قيل :

له همـــة لا منتهى لكبـارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

يقول : قد وزنّا القوت بالعود الأخضر من أجل التقليل . وذلك أوان البداية وبقى إلى أن توفى ، ولا يأكل من الطعام إلا اليسير ، وكان يقول : ما عاد بقى لى شهوة فى الطعام منذ مدة طويلة ، وإنما آكل بحسب الموافقة ، يعنى موافقـة الشرع والأهل والعيال . يقول : ما تركنا غسل الجمعة لا حضراً ولا سفراً .

وكان ربما صلى الفجر يوم الجمعة فى الجامع من أجل حيازة فضيلة التبكير ، كما سمعت بذلك . قال سيدنا ومولانا أحمد بن زين فهو مقدم فرسانها ، وبهلوان أقرانها ، لم يعرف أصـــلا أنه صلى صلاة الخمس منفردا ، ولا غير أول الوقت ، ولا استعجل فى صلاته ، ولا ترك قيام الليل .

وكان أكثر ما رأيته فى صحبتى إياه وزيارتى لنبى الله هـود عليه السلام ويصلى ثلاث عشرة ركعة ، مـع كمال حضور وتمـــام فهم وخشوع ، وحسن استكانة وخضوع ، وإدامة تضرع واستغفار ورجوع ، ويطيل الدعاء عقيب كل ركعتين ، مع سؤال الرحمة ، والاستعاذة من العذاب ، كما نقل من صلاة النبى ﷺ ، ويقوم من الليل النصف الأخير ، أو ثلثه أو أدنى من ذلك ، أو أكثر من ذلك ، ويفعل قهوة مليحـــة . انتهى كلام سيدنا أحمد زين كثير الأوراد جدا . وكان فى ذلك بالمحل الأقصى لا تـكاد تحصر وتحصى .

سمعت سيدى وشيخى أحمد بن زين يقول : كنا نراه ـ نفـع الله به ـ كثير الأذكار ، وخصوصا لا إله إلا الله بحيث لا يفتر عنها قط ، ويسرد منها الأعداد

المعدودة ، والألوف المعقدة قال : وكان يدخلها فى خلال كلامه ، فربما خاطب أحداً، أو أتى بها عشراً، مدة إجابة ذلك المخاطب بالكلمة أو الكلمتين، فافهم.

ويبتدئ فى أوراد الصباح من بعد نصف الليل إلى أن يعلو النهار . وفى أوراد المساء من وقت الاصفرار إلى وقت نوم الناس لم يبق له وقت، ولا مكان إلا وقد شغله بوظيفة من أفعال الخير وأعمال البر ـ رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا به فى عافية ، حكى السيد الجليل ابن عيدروس باعقيل قال : قلت لسيدى يوماً : ليس فى أورادكم أسمـــاء الله الحسنى كمثل أوراد الشيخ عبد القادر الجيلانى . فقال : إنا لم نظهر من أورادنا إلا القليل وما أخفيناه أكثر . يقول : إنا كنا نأتى بالكلمات العشر التى ذكرها حجة الإسلام ، فى الإحياء والبداية ، كل واحدة منهن مائة مرة .

وكان من أوراده الظاهرة كل يوم، بعد صلاة الظهر: لا إله إلا الله ألف مرة وفى شهر رمضان كل يوم ألفى مرة ، وتكمل السبعين الألف فى ست شوال ، ولا إله إلا الله الملك الحق المبين ، كل يوم مائة مرة ، بعد أن يصلى الظهر .

وكان رضى الله عنـــه يقول : كنا نصلى صلاة الأوابين عشرين ركعة .

وكان ـ نفع الله به ـ كثير الصيام، سيما فى الأيام الفاضلة، كالاثنين والخميس، وكالأيام البيض ، ومثل عاشوراء ، وعرفة وست شوال ، حتى أعجزه الكبر .

وكان غاية فى إخفاء العبادة والمجاهدات والرياضات . وكان لا يظهر من عباداته ومجاهداته إلا ما كان ضرورة الاقتداء والتأسى به .

وكان يقول: إنا لا نظهر شيئاً من أعمالنا بالقصد، وإن كنا بحمد الله لا نخشى الرياء ، ولكن كما قال الصديق : « وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء » وهذا آخر ما تيسر إيراده فى هـــذا الفصل . وهو خير كثير ، لصاحب القلب المنير ، وإلى الله المصير .

الفصل الرابع

في ذكر استقامته على السبيل الأتم والصراط الأقوم ، وكمال اتباعه لجده الأكرم ، واحتفاظه شرعه المكرم ﷺ

وقد سبق قول سيدنا الإمام أحمد في وصف سيدنا الإمام عبدالله نفع الله به آمين، على القدم النبوي المحمدي ، في جميع عباداته وعاداته، وله الوراثة الكاملة، من جده محمد ﷺ . قال : وكان آخذاً من الاستقامة ، والاتباع لجده المصطفى ﷺ بالحظ الأوفر ، والنصيب الأكبر .

وقال أيضا : بحمد الله ومنه فهذا السيد العظيم ، مثل الشمس الشارقة ، في صحوة النهار من غير سحاب ولا غبار في اتباعه لجده المصطفى المختار ، لا يجد المعترض فيه ذرة مما يقتضي الاعتراض ، ولا يشم منه في عبادة ولا عادة رائحة اعوجاج ولا انخفاض ، فهو من نعم الله العظيمة ، ومناهجه المستقيمة ، وأبواب جنانه النعيمة ، وأهل زمانه ليسوا شاكرين ولا سالكين ولا طالبين ؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وكان رضي الله عنه يقول : قد عملنا بجميع السنة النبوية ، ولم نترك منها شيئا قط سوى تبقية الشعر على الرأس ، يعني الوفرة ، لأنه ﷺ كانت له وفرة إلى شحمة أذنيه .

وكان الشيخ الجليل العلامة الفاضل أحمد النخلي إذا ذكر أحدا من الأكابر ، يبالغ في الثناء عليه ، ثم يقول : من الذي لا يقال فيه لولا غير الشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به يشير إلى معنى ما سبق من قول شيخنا

لا يجد أحد فيه ذرة مما يقتضى الاعتراض ، ولا يشم منه فى عبادة ولا عادة رائحة اعوجاج ولا انخفاض ـ نفع الله به ـ بل كانت جميع حركاته وسكناته ، فى عباداته وعاداته ، مقيدة بالكتاب والسنة ، واتباع الرسول ﷺ . لا يرى خارجا عن سيرة الاتباع قط ، لا ظاهرا ولا باطنا ، فى قيامه وقعوده ، ودخوله وخروجه ، ومجيئه وذهابه ، وحضره وسفره ، وسكونه وتقلبه ، وأخذه وعطائه ، وأكله وشربه ، ونومه ويقظته ، وصلاته وصيامه ، وفطره ولباسه ، وخلقه وعشرته .

وبالجملة فى جميع ما يكون منه ، يعرف ذلك من شاهده وجالسه وراقبه وسبر أحواله وأقواله . وقد بلغ فى ذلك اليد العليا ، والغاية القصوى ، والمنزلة السامية . وله فى ذلك وقائع عجيبة ، وأقوال غريبة .

أخبرنى بعض قضاة تريم ، من السادة آل أبى علوى . قال : جاء إلىّ إنسان وقال : أخاصم إليكم السيد عبد الله بن علوى الحداد فى أمر كذا قال : فكتبت إلى سيدى رضى الله عنه ، إعلاما بقول الرجل وما يدعيه عليه ، فأجابنى بقوله : « إنما قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا » فكان ـ نفع الله به ـ يعيب جدا من تساهل فى الاتباع ، ويحذر جدا من مجالسة ومخالطة من لم يكن ظاهره الاستقامة ، وربما منع من زيارة بعض الصالحين أرباب التخريق ، شفقة على الناس من الاغترار بهم ، سيما العامة ، فإنهم عند مخالطتهم ، ربما انحلت عنهم رابطة الورع ، وتسلط عليهم التساهل فى الدين ، كما هو مشاهد . ولذا كان الشيخ على الخواص شيخ الشعرانى الحاكى عنه أنه يصف بعض أولياء مصر من المخرقين للشريعة بأنه فى ظاهره الحية الرقطاء . ولما بلغه موته كبّر عند ذلك فرحا بموته ، شفقة على الناس ،

وغيرة على دين الله . وأين هذا من قول القائل : إذا فترت عن العمل ، يعنى بالطاعة ، نظرت إلى محمد بن واسع نظرة ، فنشطت للعبادة ، وعملت على ذلك أسبوعا ، وأين هذا ، وأين من قول سيدنا الإمام أحمد بن زين حيث يقول : كنت إذا جاءنى كتاب من سيدى أنشط للعبادة مدة مديدة ، فكيف عن مشاهدته ورؤيته . وهذه وراثة محمدية .

قال سيدنا الأستاذ لما حججنا كان من قصدنا الاجتماع بالسيد الولى عبد الرحمن المغربى ، فلما وصلنا إلى مكة أرسل إلينا السيد المذكور قبل أن نجتمع به شيئاً من الطيب ، ونحن محرمون ، فامتنعنا من الاجتماع به ، لعدم احتفاظه بظاهر الشريعة ، حيث أرسل إلينا الطيب ، ونحن محرمون غيرة على الدين ، وشفقة على المسلمين ، أن يقتدوا به . وقال سيدنا السيد الإمام شيخنا أحمد بن زين ، فى كتاب سبيل الرشد والهداية ، ثم إنه ممن تحقق بالأخلاق القرآنية والشمائل السنية ، حتى فاز بالخلافة المحمدية ، والأسرار الأحمدية ، وتحقق بصدق الوراثة الكاملة وأثبت النسب الشرعية ، وحقق مقام العبودية ، وجدد السنن الدائرة ، وقام بأعبائها ، وتكفل بعلمها ، وتقلد عملها ، وشمر فى إحيائها ، فبذل فى ذلك روحه وعقله ونفسه وماله ، فكان فى حلبة سباقها مقدم فرسانها ، وشاوش أبطالها فى ميدانها ، وفاز برتبة تتضاءل درجات الكمال عن ذروتها فى أعلى مكانها سراج الزمان ، وبركة الوقت والأوان ، شيخ العباد أبو محمد عبد الله بن علوى الحداد نفع الله به ، وضاعف مزيد قربه .

وقال أيضاً فى كتابه « الموارد الهنية » علامة المتحقق بالمشيخة معنى الوراثة المحمدية أن تجد الراحة برؤيته والزيادة بطاعته ، والإعانة بتوجهه . وهذه الصورة موجودة فى سيدنا وشيخنا ، بغايات كمالها ، مع الزيادات التى لا يحاط

بهـا . وكذا التى فى الحديث وهو قيل : يا رسول الله أى الجلساء خير ؟ قال : من تذكركم الله رؤيته . وزاد : فى علمكم منطقه ، وذكركم بالآخرة عمله . ولو ذهبت تتتبع الآثار، وتنقل ما روى فيه وعنه من الأخبار،ولو لم يكن إلا ما أرويه مما سمعته من سيدى ومعتمدى ، أحمد بن زين الحبشى ، مما يلقيه فى المجالس والدروس ، لضاقت عنه الألسن والطروس من ذكر سيره وأحواله وأفعاله وأقواله والثناء الجسيم من ذلك السيد العظيم .

فمن ذلك قوله الذى نعتقده وندين الله به أن شيخنا الإمام عبد الله ورث أحوال جميع الأولياء السابقين واللاحقين وجميع الصديقين وكافة المقربين والأقطاب الكاملين رأينا ذلك عياناً وكشفاً وبياناً .

وكم غير هـــذا من ثنائكم وكم   فسل عنه واسأل كل شىء تناله

له عادة يا صـــاح تعظم شأنه   وينبيك عنهـــا حاله ومقاله

يشنف أسماع الحضور بذكره   ويظهر بالإطراء فيه كماله

فلله ما أحـــلى ثناه وذكره   وأطيبه عنـــد المحبين يا له

الفصل الخامس

كان رضى الله عنه فى الورع والاحتياط على جانب عظيم ، متحرياً فى جميع حركاته وسكناته وسائر حالاته مجانباً لكل ما فيه أدنى شبهة أو رخصة ، أو شىء مما يوهم التساهل .

كان شأنه العفاف والتقى ، بلغ فى ذلك أعلى الرقى .

وله فى ذلك وقائع عظيمة يطول ذكرها ، ويتعذر حصرها . من ذلك ما أخبر سيدى الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ قال : كان لبعض السادة من قرابتنا تعلق بسيدنا ـ نفع الله به ـ وكانوا أرباب ثروة . وكان من عاداتهم يعطون سيدى كل سنة شيئاً من التمر لفقرائه وضيفانه ، فحصل عليهم تلك السنة مطالبة ومصادرة فى شىء من المال ، من جهة الدولة ، فشكوا ذلك إلى سيدى ، فشفع لهم عند الدولة ، فارتفع عنهم ما طلب منهم ببركته وشفاعته ، ثم إنهم بعد ذلك بمدة أرسلوا التمر على العادة إلى عندى ، فأخبرت سيدى بذلك ، فامتنع من قبوله أشد الامتناع . وقال : لعلهم لهم بعض قصد فى إعطائنا فى مقابلة شفاعتنا لهم ، وهذا لا يجوز لنا أخذه ، أو نحو هذا . فقلت له : إنى أعرف قصدهم إنه لغير مقابلة ، فأبى وقال : رده إليهم . وكانوا ببلد آخر ، فأخرت رده . وقلت : لعل سيدى يقبله ، فأخذ مدة مديدة ، فهمّ سيدى ببناء مسجده ، مسجد الأوابين ، فأرسل إلىّ إن كان التمر باقيا عندك ، قصدنا به يكون فى بناء المسجد ، فأخبرته ببقائه فقال : تأخره عندك دليل على صدق نيتهم فى إعطائنا ، وأخذه وصرفه فى بناء المسجد ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ .

فانظر كيف بالغ فى الاحتياط إلى هذا الحد ، ومع هذا فلم تطب نفسه إلا

بصرفه فى بناء للمسجد الذى لا شبهة فيه بحال . فافهم وكم كم غير هذا ، مما يعجز عن التحلى ببعض بعضه الفحول من الرجال ويتقهقر دون الجولان فى حلباته الليوث والأبطال ، له الزهد زاد ، والتورع مشرع ، والمشرع هو المسلك والطريق . فافهم .

وأخبرنى أيضاً قال : لما حج السيد الأكمل عبد الرحمن ابن السيد الولى نور الدين على بن عمر باعلوى ، وهو إذ ذاك متزوج بابنة سيدى عبد الله وقد ألحقت ابنه محمد فقيه ، فجـاء خبر وفاة السيد عبد الرحمن بمدينة تعز إلى عند سيدنا وشيخنا عبد الله .

وكان لى مع السيد عبد الرحمن صحبة واختصاص ، فأرسل إلىّ أن أخرج إلى مكاننا الحاوى ، وما علمت ببغيته منى . فلما أصبحت خرجت فإذا عنده الفقيه الصالح عبدون بن قطنة أحد تلامذته ، فأخبرنى بوفاة السيد عبد الرحمن ، ثم كشف عن جميع ما كان مع السيد عند وفاته ، من ثياب وغيرها قد أهداها هدية لقرابته وأصحابه بتريم فقال سيدى لى وللفقيه ابن قطنة : انظر قيمة جميع ذلك بالاحتياط ولا تدعوا من ذلك شيئاً بغير قيمة أبدا .

قال : قال : فأقمنا جميع ما كان بنحو مائة قرش فقال نفع الله به : اشهدوا أنى قد التزمت قيمة جميع ذلك فى ذمتى لابنه فقيه والولد إذ ذاك صغير فى كفالة سيدنا ، ولم يزل على ذلك ينفق عليه حتى مات ، وأعطاه بالذى التزمه له . ثم إنه نفع الله به قال : اعرضوا جميع التركة على السيد حسين أخى السيد عبد الرحمن يأخذ منها ما استحسنه قال : فعرضناها عليه ، فلم يأخذ منها شيئاً قط غير سبحة أخيه تبركا بها .

فلما رجعنا إلى سيدنا أخبرناه فأعجبه فعله وأرسل إليه ثوبا فاخرا وقال :

علمت أن أخاه قد نواه له ثم قسم جميع ذلك على قرابة السيد عبد الرحمن وأصحابه من رجال ونساء حسبما قصد السيد عبد الرحمن ونوى ، نفع الله بالجميع آمين .

ولما وفق الله بعض المنورين ممن أراد له السابقة الحسنة لقضاء ما على سيدنا وبركتنا الأستاذ عبدالله رضى اللهعنه وكان ذا ثروة ، وأراد ذلك على يد سيدنا وشيخنا أحمد بن زين الحبشى . فلما قال ذلك لسيدنا عبد الله ، أبى من قبول ذلك ، وامتنع أشد الامتناع تورعا واحتياطا . وقال : ربما إن ذلك الرجل غير زاكى العقل ؛ لأنه قد حصل عليه من قبل بعض ، واختلاط فى دماغه ، ثم إنه قبل بعد أن تحقق اعتداله ، وأعانه على حسن نيته .

وكذا آخر أوصى إذا مات بقضاء ما على سيدنا من تركته ، على نظر سيدنا أحمد أيضاً . فلما مات لم يقبل سيدي وقال : رجونا قضاء الدين ، من غير هذا الوجه . وربما إن الورثة غير طيبة نفوسهم بذلك ، حتى قيل له : إن الذى عليكم لا يكون إلا يسيراً مما خلف ذلك الرجل ، فقبل بعد الإباء الشديد ، ثم قال : انظروا تاريخ ما استقرضنا من بعد وفاة ذا الرجل للوصي ؛ فإنه لا يكون من الوصية . فانظر شدة زهده وورعه واحتياطه في امتناعه أولا زهدا وتورعا عن القبول ، وعن كونه تمكن فيه شبهة بالنسبة إلى مقامه العالى من ورع الصديقين وزهد العارفين رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

وبالجملة فقد كان نفع الله به من أورع الورعين ، وأكبر أرباب الاحتياط في الدين، يبلغ في ذلك الرتبة القصوى ، فى جميع حركاته وسكناته ، ظاهرا وباطنا ، كما ذكرنا في فضل استقامته واتباعه لجده ﷺ ، واحتفاظه بشرعه المكرم واحترامه لمن كان على هذا القدم . والله أعلم .

وكان يقول : عملنا فى الحلال والحرام حسبما ذكر الإمام حجة الإسلام الغزالى نفع الله به فى الأربعين الأصل ولا ريب أنه رضى الله عنه عمل فى الكتاب المشار بالقسم الرابع مما ذكره الحجة وهو ورع الصديقين الذى هو الأخذ لله وعن الله ، والامتناع عما لم يكن لله ومن الله ، بل الورع المشاهد المحقق فيه ، من حين بدئه إلى أن قبضه إليه مولاه ، ولم ينقل عنه أنه لم يحتط فى شىء من جميع ما يتعاطاه . بل حكى عنه وشوهد منه ما يستغرب وقوع مثله ، من كل من سلف من الأكابر ، فضلا عمن خلف من الأواخر فى جميع أخلاقه وأعماله وأقواله فى سائر أبواب الدين ، وفى سلوك الطريق المستقيم ، والتحقق بمقامات اليقين ، والشرب من حياض القرب من رب العالمين ، والسكون فى مخدع الوصل من أعلى رتب الواصلين .

وكان يأخذ بعلم ويعطى بعلم ، حسبما نقل عن سيد المرسلين وأصحابه الكاملين وأتباعهم المحسنين رضى الله عنه ومنهم أجمعين وبارك لنا فيهم آمين ، من غير تنطع ولا تفتيش على الناس ولا تتبع ولا استقصاء ، يؤدى إلى الخروج عن سنن الاتباع ، ومن غير إخلال يئول إلى سوء الظن بمسلم . إنه مثلا يعامل بمعاملة فاسدة أو يتعاطى الحرم ، فإن ذلك مما يرد على الأعقاب ، بل كان له نفع الله به التحرى البالغ ، من حسن الظن الكامل من وضع كل شىء فى محله .

وكان يأخذ ما يأخذ من يد الفضل والفتوح ؛ لأنه لا يرى المعطى إلا الله ، ولا يلتفت إلى الوسائط ، بل يراها كما هى وسائط ؛ لأنه كوشف بصحة التوحيد ، وصحة الكفالة من الحميد المجيد ، قد تجرد له فعل الله ، وانمحى عنده غير الله ، فيرى المعطى والمانع هو الله ذوقا وحالا ؛ فأنى له والحالة هذه استشراف نفس ، أو خطور على بال ، ولا شك ولا ارتياب ، إنه لا يتناول إلا أحل الحلال ، مع ما يصحب تناوله من النيات الصادقة .

وكان فى غاية التورع عن الكلام فى الناس ، وعن كل ما يعنى ، بل عن كل ما لا فائدة له فى الدين ولا عائدة منه على المتكلم ، ويمقت الخير على الكلام فى الناس أشد المقت ، قد طهر الله لسانه كما طهر جنانه ، ويشد أركانه ، كما شد بنيانه ، لا يتكلم قط إلا بذكر أو مذاكرة علم أو نصيحة مسلم أو إيناسه ، وغير ذلك من المقاصد الصالحة فى النطق .

وكان إذا استأجر أجيرا ، ضاعف له الأجرة ، وزاد فوق أمله ، لا على مقتضى عمله ، فضلا عن الاستقصاء . ويقول : إنما قصدنا فيما يفعله الأجير لله ، وإعطاؤنا الأجرة إنما هو لله ، فلا نستقصى لذلك .

وكان رضى الله عنه بعد أن بنى بيته بتريم الذى هو قريب من مسجد بنى علوى ، لم يزل يقول : إنه متخوف من بناء هذا البيت وكونه متعاليا ، للوعيد الوارد فى تطويل البنيان ، وظننت أنه يقول : ليس لنا اختيار فى ذلك .

وكان يحترز من الفتوى فى الأمور الفقهية خصوصا ، وربما أحال فى بعض الوقائع على غيره ، سيما إذا كانت المسألة ذات وجوه . وإن أفتى بشىء أفتى بالأحوط للدين ، والمرضى لرب العالمين .

وإذا جرى منه كلام فى مسألة أو نحو ذلك عزا الكلام إلى قائله غالبا ، هذا إذا كان فيما يتعلق بأمور الظاهر . وأما فى أمور الباطن فكأنها لم تصدر إلا عنه ، وكأنه لم يوجد إلا لها . وحسبك من ذلك ما دون منها فى كتابه « النفائس العلوية فى المسائل الصوفية » له رضى الله عنه والجامع لذلك سيدنا وشيخنا أحمد ابن زين الحبشى .

ومن تتبع مؤلفاته ، من المنثور والمنظوم ، بتأمل وفكر ، عرف ورعه ، واحتياطه فى النطق ، وتقييده الكلام ، وتوقفه فى موضع التوقف ، وإيراده

كلام العلماء معزوا إليهم من غير جزم ، لعلمه رضي الله عنه أن الكلام له إلا إن اقتضت المصلحة السكوت عن العزو .

وبالجملة فكل ما جاء في استقامته مع الله عز وجل واتباعه لنبيه ﷺ واحتفاظه بشرعه المكرم ، فهو من هذا الباب ، وهو باب التقوى الجامع لخير الدنيا والآخرة ، وهو باب الله الأعظم .

ولنقتصر على هذه الأحرف ؛ فإن الاستقصاء فيه وتعديد ما جاء عنه طمع في غير مطمع ؛ فإنه البحر الذي لا ساحل له ، والقليل يدل على الكثير رضي الله عنه .

الفصل السادس

في زهده في الدنيا وإعراضه عنها بالكلية من مالها وجاهها وزينتها وسائر أمتعتها

كان رضى الله عنه في الزهد في الدنيا ورفض الفانيات والإعراض عما سوى الله واطراحه بالكلية من المال والجاه وغير ذلك من الأعراض الدنيوية بمكان .

كان رضى الله عنه يقول : كان سلفنا يؤثرون الخمول لشيئين : غيرة لله ، وخوف فتنة الشهرة ، وثلاث خصصنا بها من فضل الله ، وهي قلة الرغبة ، وقلة المبالاة ، وقلة التعويل على أهل زماننا .

وكان رضى الله عنه يقول : طلبت من الله تعالى زهد فلان فأعطيته . وكان هذا الرجل الذى طلب زهده ، غاية في الزهادة ، تأتيه الأموال الكثيرة ، فيفرقها في المجالس ، من غير أن يلتفت إليها . ولقد زاد الله سيدى فوق ما طلب أضعافا مضاعفة .

وكان يقول : يظنون أنا نبالى بالدنيا ، أو نعول عليها . ولو أنه جاء إلىّ ملك الروم وملك الهند وغيرهما من الملوك لم أهتم بهم ولم ألتفت إليهم ، ولم أفتح لهم الباب من أجل الدنيا ؛ وأين نحن من هذا .

ومن كلامه : نحن يا آل أبي علوى نؤثر الخمول ومن مد له في العمر أدبر عن الدنيا وأقبل على الآخرة كذا كان سلفنا الأكابر .

ومن كلامه ـ نفع الله به ـ : طبيعتي تكره المذاكرة في أمور الدنيا وأحوالها من قديم . وازداد اليوم بسبب الكبر والضعف ، وتكره الظهور ، وتكلفات الناس .

وكان كثيراً ما يقول : لا أحد يستشيرنى فى أمور الدنيا ، ولا يذكرها لى أبداً ، فإنه لا ينبغى ذلك ولا يحسن ، إنما ينبغى أن يكون للآخرة فقط . وأما الدنيا فينبغى أن يستشار فيها غيرنا يعنى من أهلها . ويكفيكم منا خروجنا إليكم وابتذالنا لكم .

وقد كان فلان يعنى بعض الأكابر لا يخرج للناس إلا يده يقبلونها فقط انتهى بمعناه .

ومن كلامه رضى الله عنه بنحو ست عشرين سنة : نحن الآن إنما نعد من جملة الأموات ، لأنها قد ماتت منا جميع الشهوات الدنيوية ، لا أجد ميلا ولا رغبة إلى شىء من الدنيا أصلا من مأكول وملبوس وغير ذلك ، ولا أجد لذلك لذة ، ولكنه إذا قرب إلينا المأكول أكلنا منه ما تيسر ، بحكم الموافقة . ولنا بهذا الحال مدة .

وقد كان لى إلى مثل هذه الأمور ميل ضعيف جداً قبل هذه المدة والآن عدم ذلك الميل ، وإن رأيتم منى خلاف ذلك ، من حيث الحركات والمخاطبات من الناس . وقد قال ﷺ موتوا قبل أن تموتوا .

وكان يقول : مكثت مدة فى ابتداء أمرى على القوت الخشن واللباس الخشن .

ومن كلامه رضى الله عنه : أما الدنيا فلو جاء إلينا بعض أهلها وبذل لنا الألوف المتعددة منها والخزائن المملوءة بها لكنا لا نلتفت إلى ذلك ، ولا نرغب فيه ، ولا نأخذ منه ، إلا أن يكون شىء قليل تدعو إليه الضرورة فى الحالة الحاضرة . وما الدنيا وما قدرها وهى التى يقول فيها ﷺ : لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء والدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . فاعلم وافهم .

ومن كلامه : لو كان مكاننا الحاوى كله ذهباً ما اهتزت لها لنا شعرة فرحاً به .

ومن كلامه : من سجيتى أنى لا أعول على العوائد الدنيوية إلا فى نوم بقدر مخصوص ولا أعول على فراش ولا وسادة ونحو ذلك إلا إن فعل لى بغير طلب منى قبلته . وبسبب ذلك أنى عازم أول الأمر على أحد أمرين : إما سياحة وتجرد عن الناس ، وإما خلافة بإقامة عدل ، ولكنه لم يتم لنا ذلك . ومن كان قصده أحد هذين لا يعول على الزوائد . والسياحة أحب إلىّ لأن فيها سلامة الدين ، وراحة القلب ، وقد علمنا ذلك بالأسباب الظاهرة ، ثم إن امتداد هذه الخواطر معنا يدل على أن للمهدى بنا تعلقا أو نسبة . والآن ما عاد خلافة ولا سياحة إلا زيارة القبور . ونرجو أن يكون المهدى من آل أبى علوى .

قال سيدنا ومولانا أحمد بن زين : كان شيخنا عبد الله فى الزهد فى الدنيا والتوكل على الله فى أقصى غاياته وأسنى نهاياته ، لا يبالى بإقبال الدنيا وإدبارها ، بل يظهر عليه التكدر من إقبالها ، ويبادر بالإنفاق ، ويوسع إدخال الإرفاق عكس ما الناس عليه . وكان فى رفضه لشهوات الدنيا بالمقام العالى حتى كأنه روحانى لا بشرى .انتهى .

وأخبرنى بعض الثقات وكان تاجراً قال : جعلت لسيدى عبد الله وسيدى أحمد بن زين الحبشى شيئاً معلوماً من ربح تجارتى فى بعض السنين من غير أن أعلمهما بذلك فقدر الله تعالى أن ذلك المال الذى جعلت فيه المعلوم لهما انتهب وذهب فأخبرت سيدى عبد الله بذلك فقال : ما أصبت حيث عينت لنا وللسيد أحمد من ربح مالك أخطأت .

أما علمت أنه ليس لنا مساعدة فى أمور الدنيا فإن الله لم يرضها لنا

ويصرفها عنا . ولعل السبب فى ذلك التعيين ولو أنك قصدت ولم تعين شيئاً لربما سلم من النهب .

وقد بلغنا أن بعض أهل الهند أهدى لنا مالا جزيلا لا يليق بحالنا فغرق ذلك المال فى البحر ، ففرحنا بذلك وسررنا ، فإن ذلك لا يصلح لنا فالحمد لله رب العالمين .

وكان السيد الجليل أحمد بن هاشم الحبشى يقول : أشهد أن سيدى عبد الله روحانى لم يبق فيه من البشرية بقية .

ورأى بعض المنورين المتعلقين بسيدى كأنه نفع الله به قائم على مزبلة ، وكأنه عار من الثياب ، وهو ينادى على الناس . فلما قص عليه الرؤيا فرح واستبشر وقال : أما المناداة على الناس فهى الدعوة إلى الله وإلى سبيله ، وأما المزبلة فهى الدنيا وقد دسناها بأقدامنا . وأما التعرى عن الثياب فهو التجرد عن الدنيا كما قال صاحب الوترية :

عرىّ برىّ عن ملابسة الدنا　　　له الزهد زاد والتورع مشرع

وشكا إليه بعض المتعلقين به جورا لحقه من جهة الدولة، واستشرف الرجل على أن يشفع له سيدى الأستاذ فقال له نفع الله به : الدنيا بأسرها لا تساوى القيام منا . وأما الآخرة فنحن لك فيها .

وكان رضى الله عنه قوى الهمة فى الإعراض عما سوى الله ، والتخلى عن الأكوان ، وعن كل ما هو فان ، مع الإقبال التام على ذى الجلال والإكرام وأنشد مخبراً عن نفسه :

عزمت سأقطع كل أمر أرى　　　فى قطعه نيل المقام الكريم
وأرفض الدنيا الغرور التى　　　من حبها كان الحجاب المقيم
والنفس والشيطان أعصيهما　　　بقوة الله العلى العظيم
أولى الأكوان ظهرا ولا　　　أرى سوى الله العزيز الحكيم

ومن نظمه الفائق الرائق ، فى المعنى والإخبار عن النفس ، والتحدث بالنعمة :

ولما حدانى حادى الشوق قاصدا	إليكم بجندى فطرتى وهوائى
دعتنى إليها ذات مكر وحيلة	وقالت : أنا المقصود ليس سوائى
فأف لها خداعة لا تغرنى	برونقها الممدود فوق خباء
تنحى تنحى لا سلاما ولا مرضى	تريدين ، قطعى عن سبيل غنائى
تحققت مطلوبى فأسرعت نحوه	فدام سرورى واضمحل عنائى
ودام شهودى واستمرت مباهجى	وطاب زمانى واستمر صفائى
بربى قيامى لا بنفسى ولا السوى	فشكرى له سبحانه وثنائى

وكان رضى الله عنه يؤثر الوحدة والخمول ، والفرار من الناس ، من حيث الطبع والجبلة . وكان يقول : الانقباض عن الناس هو الغالب علىّ من أول أمرى إلى الآن .

وكان يقول : كنت فى ابتداء أمرى إذا صليت الجمعة خرجت من الجامع من أجل ألا يتبعنى أحد ، ثم آتى مسجد الهجيرة ، وأدخل الزاوية ، وأغلق الباب ، وربما أتى الآتى فيقرع الباب فلا أجيبه ، وربما كنت بركن من أركان المسجد ، وينادى علىّ المنادى فلا أجيبه . ويقول: نود أن نزور المشاهد ونطوف البلاد ، ولكن امتنعنا من أجل تعلق الناس واتباعهم لنا ، وكنا نغبط السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس على اختلافه ، وتردده فى البلدان للدعوة إلى الله ، من غير أن يتبعه أحد . ولعل امتناعهم عن مثل هذا السيد مع كبر حاله وجلالة قدره إلا من باب التصريف الذى يكون للأولياء أو قريبا من هذا اللفظ بمعناه .

وكان يقول: إنما أكلم الناس لقصد الإيناس وإلا فلا شهوة لى فى ذلك طبعا .

كان يقول: ليس لنا لذة فى مخاطبات الناس وكلامهم، ولا نبالى بأحد منهم.

وكان نفع الله به يقول: ربما يستثقل بعض الناس ما يرى ويسمع من كثرة الظهور، إنما نحن من أهل الخمول قصداً ووقوعا بالنسبة لحالنا، ولو كان لنا قصد فى الظهور، لكان أمراً لا تسعه العقول.

وكان يقول: لو أردنا الظهور العادى لما بقى لأحد وجود البتة، يعنى من أرباب العادة من المظاهر والمناصب الدنيوية.

وكان يقول: ما نطلب من الله إلا أحد أمرين: إما كلمة نافذة وأمر مطاع حتى ترجع الأمور إلى ما كان على عهد رسول الله ﷺ وعهد السلف الصالح، من الخلفاء الراشدين، من العدل واستقامة الأشياء وأحوال الخلق على القانون الشرعى والطريقة المحمدية، وإما تجرد وسياحة فى البرارى والقفار، ولا مقصودنا إلا رضى الله تعالى ومحبته، ودخولنا فى العوائد الدنيوية التى حقائقها فوائد دينية له؛ لأنه رضى الله عنه لا يدخل فى شىء، أى شىء كان إلا بصدق نية. ومن الصدق فى النية كون ذلك موافقة لأهل الزمان وسيراً بسيرهم، رفقاً بهم، ودعوة لهم إلى ربهم، ليسيروهم بسيرة لعلهم يرشدون. ومن صدقه فى التجمل وهو الصيانة عندهم بعدم التظاهر بما ينافى ما هم عليه من الظواهر؛ لئلا ينكروا فيخسروا لأن من هو خارج لا يرى من هو داخل، ومن هو أسفل لا يرى من هو أعلى. وستر الحال من أسنى ذخائر الرجال وقد قيل: قلوب الأحرار قبور الأسرار.

ومن كلامه: وددت أنى لا أعرف ولكن وقع بخت الناس بى أعظم من بختى بهم. وكان يقول: الخلق محجوبون عنا بحجابين كثيفين: أحدهما منا، وهو أنا لا نريدهم ولا نريد الظهور، والثانى منهم وهو قلة رغبتهم فى الخير.

وكان كثيراً ما يقول : أبغض الجاه والصيت طبعاً وجبلة . ومن أشهى الأحوال عندى : السياحة فى البرارى والقفار . وذلك مناى ومطلوبى ، ولكنى منعت ذلك لينتفع بى الناس ويحتمى بى خير من يحتمى بهم .

وكان يقول : سلفنا يؤثرون الخمول لأمرين : أحدهما غيرة لله تعالى ، والثانى خوف الشهرة .

ومن كلامه : وددت أنى بأرض فلاة أتلذذ بمناجاة الله تعالى والأنس به سبحانه لا يرانى غيره ، وإن أراد الله ذلك هيأ من يقوم بغير العلم والضيف ؛ فإنى لا أسمح بذلك .

وكان يقول : غرست شجرتى على الظهور ولا أريده فجاءت أغصانها وورقها كذلك .

وكان رضى الله عنه يقول : قد خرجت من نفسى ولجأت إلى ربى ، فلا يخطر لى خاطر من شأن الاهتمام بالرزق . لولا خوف الشهرة لأخرجت من تحت هذه القطيفة — وأشار إلى الفراش الذى تحته — ما يكفى جميع أهل تريم .

وكان يقول : أنا لا أجد شيئاً من هم الدنيا ، وإنما أصدق بوجوده لغيرى ، وعندى من الشجون القلبية ما لو وزع على أهل تريم لهربوا ، ولا أجد فى شعرة تهتز وتميل إلى غير الله تعالى أصلا ، قد ملأ الله قلبى بمحبته ، وأميل إلى المؤمن من حيث إيمانه فقط ، ولا محبوب عندنا إلا من أحبه الله ، ولن يبلغ العبد محبة الله تعالى إلا بحسن المحافظة على فرائض الله ، مع النوافل المقربة إلى الله .

وكان يقول : الناس آلمتهم هموم الدنيا لمحبتهم لها ، وأنا بحمد الله فاض على

قلبي محبة مولاى عز وجل ، فامتلأ قلبي حزناً فصار دار الأحزان وقد انتهى الـكلام فى زهده فى المال والجاه وسائر أمتعة الدنيا بالنسبة لما عرفنا ونقل إلينا من الأفعال والأقوال وظهر ، وما خفى وبقى فهو أكثر وأكثر ، والعاقل من اكتفى واعتبر واتعظ بذلك وادكر ، وقبل الحق وما استكبر ، فنال المطلوب والظفر ، ولـكل نبأ مستقر .

الفصل السابع

فى سخائه وجوده وبذله للمال فى محاب الله ومراضيه

قال سيدنا ومولانا أحمد بن زين الحبشى رضى الله عنه : كان سيدنا ومولانا عبدالله بن علوى الحداد نفع الله به ـ فى الجود والسخاء والبر ليس له ثان ، كثير البر والإحسان ، عديم النظير فى تفقد القرابة والأصحاب والجيران لايدخل عليه شىء من الفتوح إلا ويخرج فى هذه المواضع من قريب وشاسع ، حتى إن الأشياء التى تأتيه على قصد اختصاصه بها من مرسلها يستعملها مدة ثم يعطيها لمن شاء الله كالكسوات المرسلات .

ولهذا كان يلبس الثياب الفاخرة على هذه النية ونحوها من النيات الصالحة . ومن كان مثله فلا يبالى بما لبس ولا ينقصه فكيف إذا قرنت به هذه النيات من بلوغ نية المرسل فيما أرسله على قصده ، ثم التصدق به أو إهداؤه إلى من ينتفع به ويتبرك بإلباسه ولبسه ، وعدم حضور نية صالحة فى بيعه أو طرحه من غير لبس له ، فإن ذلك مما ينقل أو يعدم فيه النية الصالحة .

وكان يخرج ما يحصل له من غلة ماله ، خمساً للفقراء والمساكين ، من قرابة أو أصحاب أو فقراء . وكان لا ينفض من بيته السؤّال والضيفان انتهى .

وسمعته يقول : إنه فى بعض السنين والناس مجدبون ، حصل لسيدى كذا كذا مائة قهاول من بيت جبير فأمر بتقسيم جميعه ولم يُبق له شيئاً منه ، مع أنه لا يدخر ما يدخر إلا لأجل الضيف . وذلك عكس ما الناس عليه ، ثم قال بعد ذلك بمدة يسيرة : أسقى الله تلك الأرض ، وحصل منها مثل ماقسمه سواء بسواء جزاء وفاقاً انتهى .

وكان رضي الله عنه لا يبالي بما أنفق على الضيفان ، أو تصدق على المساكين والجيران أو أهدى للقرابة والإخوان قل ذلك أو كثر ، صغر عنـــده المعطى أو كبر . وذلك لهوان الدنيا وصغرها في عينه وقوة يقينه بالله ، وتوكله وقناعته ، ولحصول صدق نيته في العطية والمعطى وتزيينه .

وكان أكثر صدقاته سراً لا يكاد يطلع عليها أحد حتى من خاصته وقرابته لأنه لا يبتغي بها إلا وجه ربه الأعلى وكانت له مواساة لبعض أصحابه والمنتسبين إليه من السادة وغيرهم تقارب كفايتهم مدة حياته لم تنقطع عنهم إلا بموته ، لا يعلم بذلك غيرهم كما أخبرني بذلك أناس منهم .

وكان رضي الله عنه حريصاً على كتمان الصدقات . وكذا غيرها من الحاجات وربما أودع من أعطاه أن لا يتكلم . وكان يقول : إنا لا نطلع أحداً بالقصـــد من الخاصة ، فضلا عن العامة على شيء من أمورنا إلا إن كان مما يعنيه أو ممن يحتاج إليه فيه ، وبسبب ذلك تخفى على بعض خواصنا أشياء كثيرة من شئوننا حتى إنهم فيها بمنزلة من لا خصوصية له منا انتهى .

وكان يقول : والله لا أبالي لو كان جميع أهل تريم عيالي إذا قنعوا بحالي .

ومن كلامه : لو كان في اليد والمقدرة شيء لكنا نملأ لهم مدينتهم فقراء ومساكين ، يعني تريم . فإن أول هذا الدين لم يقم إلا بضعفة المؤمنين .

وكان يقول : أموالنا وجميع ما كان لنا إنما هو للبذل والتكرم على ذوي الحاجات والمستحقين .

وأخبرني بعض الصالحين من آل أبي علوي الآخذين عنـه الطريق قال : جئت يوما من بلدي لزيارة سيدي والأخذ عنه ، فطلعت عليه البيت ، ولم يتفق عنده أحد ذلك اليوم من أولاده ، فما لبث إلا يسيرا حتى جاءه إنسان من بندر

الشعر ، برسالة دراهم مصرورة فى خرقتين ؛ وعليهـــا كتب ، فأمرنى بقراءة الكتب ، فإذا هى من السواحـل ، وفيها تعيين الدراهم التى هى فى الخرقتين ، وهى ثلاثون قرشا نذرا لسيدى من أهلها ، فأعطانى إحدى الخرقتين ، فإذا فيها أربعة عشر قرشا ، وأمرنى بإخفاء ذلك . وكم غير هذا ممـــا لا يعد ولا يحد خصوصا فى هذا الباب ؛ فإنه حريص على أسراره ، فـلا يظهر منه إلا اليسير بالنسبة إلى ذلك الشىء الكثير ، بل الظاهر منه كثير كثير ، ومن تتبع أحواله فى ذلك ، وذكر فيها من خدمه أو لازمه أو عاشره عرف ما هنالك .

في توكله على الله وثقته به واعتماده عليه سبحانه

فمن كلامه نفع الله به : نحن في جميع أمورنا معوّلون على الله وعلى كرمه وفضله ، ومنفقون من خزائن جوده، لايهمنا بحمد الله إخراج الشيء ، بل يهمنا وجوده ، والأحوال جميلة ، والأمور ميسرة بعون الله ، والسلف الصالح .

وكان يقول : أنا لايخطر لى خاطر الاهتمام بالرزق ، وإنما أصدق بوجوده لغيرى لاغير .

وكان يقول : أنا لا أشهد المعطى إلا الله حقيقة ولو أعطانى رجل من المال ما أعطى لم يزده عندى قدرا ؛ لأنى أراه من جملة الأسباب والوسائط .

قلت : وهذا هو حقيقة التوحيد ، أعنى رؤية الأسباب أسبابا ، وأن الفاعل بها هو الله تعالى ، وأنه ليس لها بالحقيقة وجود ، بل بإيجاده لها سبحانه وجدت ، وعلى وفق علمه وإرادته وقدرته برزت .

وكان يقول : نحن لايقتدى بنا في مثل إطعام الطعام ونحوه ، إنما مثلنا في ذلك مثل من ركب سفينة ، فلما توسط بها البحر قطع الشراع الذى يسيرها ، وبقيت تعوم في اللجة ، لا تدرى إلى أين تتوجه . أشار بذلك إلى قوة توكله ، وشدة اعتماده على ربه وتفويض الأمور إليه سبحانه ، وأنه ليس إليه من الأمر شيء .

قال بعض فقرائه : اتفق في بعض السنين غلاء وقحط ، فكان ربما جاء سيدى الضيف فيصنع له الطعام الكثير ، بحيث يكفى جماعة كثيرين ، فكنت أعجب منه ، حيث يصنع مثل هذا في مثل هذا الوقت . فقال نفع الله به :

لاتعجب ، أنا من أموري أعجب . ليس لى من هذا الأمر شىء ، وإنما أنا مأمور به ، ولا يجوز الاقتداء بى فى ذلك لأحد ، إلا أن يكون ذلك الأحد قد أعطى ما أعطيته ، أى من التوكل على الله تعالى ، والاعتماد عليه ، والثقة به ، والسكون إلى وعده ، والاستناد فى جميع الأحوال إليه وطلب التأييد والتسديد والعون منه سبحانه . ومن كان هذا وصفه فهو الإمام المتبوع ، والصدر المرفوع ، ويحق له أن لايهتم ولا يغتم ، لعلمه بأن ربه أحكم وأرحم .

وأهدى إليه ملك الهند الأكبر دراهم كثيرة فى بعض السنين ، بواسطة بعض وزرائه . وكان الوزير خيّرا فاضلا وكتب الوزير كتابا بتعيين ما أرسل الملك ، ولم يكتب لسيدى كتابا سوى الواسطة ، وطلب من سيدى كتابا للملك بوصول الرسالة . ولعل قصده أن الملك يثبتها له كل سنة أو يزيد عليها إذا جاءه الكتاب ، فأجاب رضى الله عنه الواسطة ولم يكتب للأمير . وقيل له ، فأبى أشد الإباء وقال : إنه لم يكتب لنا . ومن عادتنا أن لا نبتدئ أحدا بالمكاتبة ، سيما أبناء الدنيا وملوكها اللهم إلا أن يكون الابتداء لأجل شفاعة ونحو ذلك ، وأما للدنيا فلا . فانظر إلى زهده فيهم وفيما فى أيديهم ، وعلو همته ، وكرم نفسه عن الميل والسكون إليهم ، ثم الثقة بالله وشهوده أن لا معطى إلا إياه ، وأن لا مسخر وحامل على الإعطاء لهذا الملك وغيره من الوسائط إلا هو سبحانه ، وغير هذه من الوقائع ، فى هذا الباب وغيره كثير ، فاستدل على الكثير باليسير .

وكان يقول فى سفره إلى الحج : إنما نحن أضياف الله ، ننزل حيث أنزلنا ، ولا نختار لأنفسنا أمرا .

ومن كلامه : طريقتنا إنزال الحوائج بالله ، وما ساقه منها على يد من يشاء من عباده سبحانه قبلناه .

ولما كان حاله مع الله ترك التدبير والاختيار وتفويض الأمور لعالم الخفيات والأسرار ، وإلقاء القياد فى كل حال إليه ، والتسليم والاستسلام بين يديه ، جازاه سبحانه ، بتسخير الأكوان من قلوب الخلق وقلب الأعيان ، فأقبلت الخلائق بالأموال والهدايا ، يبتغون الفضل من ربهم والرضوان ، فيقبل منهم نظرا إلى الله ، وإعانة لهم على حسن نياتهم ، وصرف جميع ذلك فى وجوه الخير ضيافة وصدقة وإهداء ، وغير ذلك ، لايدخر لنفسه شيئا ، بل يخرج ما جاءه على حسب ما نواه . وكانت تأتيه الأكسية الفاخرة من الأماكن البعيدة ، فيلبسها مدة ، ثم يهديها أو يكسيها لمن نواها ، من غير فغار والتفات إليها وقد تكون الفاخرة فلا يبالى لأن العارف لايستكثر لمولاه شيئاً يتقرب به إليه .

الفصل التاسع

في ذكر أحرف تتعلق بذكر دعوته إلى الله وإلى سبيله ، وإرشاده لعباده ،
وتشميره في ذلك إلى أقصى الغايات ، بمقاله وأفعاله ،
وهمته وحاله ، وبذل استطاعته وجهده في ذلك

وهذا الباب واسع لا يرام لعادّ وحاصر ، لا سيما لمن هو في كل الأحوال قاصر ، ولكنا نذكر من ذلك اليسير . واليسير يدل على الكثير ، كنحوه مما سبق مع الاعتدال والحق .

قال سيدنا وشيخنا الإمام العارف أحمد بن زين الحبشي في كتابه الموارد الهنية في شرح قصيدة سيدنا الأستاذ عبد الله الوصية : وبعد ، فحمد كثير لرب عظيم كريم ، تفضل وجاد على خلقه ، بتجديد دينه المرتضى لديه ، بأقوال وأعمال عبده ، المتصف بكمال عبادته ، المزين بصافي صفو عبوديته المتحقق بسر نور عبوديته ، السيد الوالي العارف إمام أهل الله ، الشيخ الكبير في طريق الله ، قطب رحا الدين ، عين أعيان الصديقين ، وغوث الخليفة أجمعين : عبد الله ابن علوى الحداد الحسيني ، نفع الله به ، وضاعف له مزيد الترقي ، في أعلى رتبة ، وأجزل جزيل وافي شربه منه ومشروبه ، وأدام لنا ولسائر المسلمين الانتفاع به ، والتأدب بأدبه ، مع شمول العافية الحقيقة للكل ، وبلوغ كل لأربه .

وله رضي الله عنه في دعوة الخلق إلى الله العناية التامة ، والهمة العالية بالحال والأفعال والأقوال . ولقد صدق فيه ما ورد عن جده ﷺ : إن الله سبحانه يبعث لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها ، الحديث . والحديث الآخر : علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل . الحديث . والحديث الآخر : في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين .

وقال أيضاً فى النفحات العصرية والنفثات الأمرية ، شرح العينية لسيدنا :
ولا أشك ولا أرتاب أن سيدنا الشيخ عبد الله بن علوى الحداد مجدد الدين ومحيي الإيمان لقلوب المسلمين ، بإذن ربه رب العالمين . والله بكل شيء عليم .

وقال فيه أيضاً عند ذكره إحياء القلوب الميتة بالغفلة بإحياء علوم الدين الغزالية إن الله أحيى بسيدنا الشيخ عبد الله الحداد الإيمان والإيقان ، فى قلوب أهل الغفلة ، من أهل الإسلام والدليل عليه الشهود والعيان ، والذوق والعرفان ، الذى هو أوضح من كل برهان. والعجب ممن استعظم أمر من أحيى ميتا من قبره وهو يرى كل وقت إحياء أموات الجهل والغفلة من قبورهم وغفلتهم، مع كونهم أحياء نائما عند الله المحيي المميت، لا إله إلا هو يختص برحمته من يشاء من عبادہ .

وسمعته مرارا يقول : لو خرجت أنا وسيدنا الإمام عبد الله بن علوى الحداد إلى المقبرة وقال للموتى : قوموا بإذن الله تعالى فقاموا من قبورهم ، وأنا أنظر لما زاد ذلك فى اعتقادى شيئا . وذلك أنى أراه ـ نفع الله به ـ فى كل وقت وحين يحيي موتى الجهل والغفلة ، بنور العلم والتذكير .

وقال فى كتابه النفحات المشار إليه قريبا لباب التوحيد : أن يرى الأمور كلها رؤية تقطع التفاته عن الوسائط ، وأن يعبده عبادة يفرده بها . ثم قال : وهو من مقامات الصديقين . والمقام الرابع درجة فوق هذا ، وهذه المقامات من مقامات صفوة الله من عباده وموضع نظره ، ومعادن أنواره ، وخزائن أسراره ، ومنهم وعنهم تؤخذ أسرار الدين وحقائقه من الإخلاص والصدق والزهد والتوكل ، وأشباهها من مقامات الدين ، ودرجات اليقين . فمنهم من جمع الله له بين الظاهر والباطن ، ونفع الخاص والعام ، والجمع بين الشريعة والحقيقة كشيخنا ومولانا شيخ الإسلام عبد الله بن علوى الحداد نفع الله به .

وقال أيضاً عند شرحه المقــام العاشر من كلام سيدنا الأستاذ ، وإطالة النفس فيه بما لايكاد يصادف فى شىء من المؤلفات ، وهو أعلم منا بمراده بذلك ، وباعتباره ونظره بل وذوقه وتحليه بتلك الصفات وتخلقه بمعظم تلك الأخلاق ، وتحققه بحقائق درجات القرب ، ونيله أعالى المقامات ، رضى الله عنه ، وعن سائر الصالحين .

وسمعته يقول : إن سيدنا الإمام شيخ البــلاد والعباد ، عبد الله بن علوى الحداد ، نفــع الله به ، كامل من حيث بشريته . وأما خصوصيته فلا يقدر قدرها ، وهو من جنود الله العظام ، فى دعوة الأنام إلى الملك العــلام المهيمن السلام ، وانتفاعهم به أكثر وأعظم ، من انتفاعهم بالملائكة الكرام لجمعه للكمالات الحقية والخلقية . والسلام .

وسمعته يقول ـ رضى الله عنه ـ : برز شيخنا عبد الله ـ نفع الله به ـ لنفع الخاص والعام ، ولم يتصد الدعوة إلى الله تعالى لأحد من طوائف الناس دون أحد ، بل دعا جميع الناس إلى الله عز وجــل ، خاصهم وعامهم ، من الأولياء والعلماء ، وسائر المؤمنين والمسلمين ، من الملوك والأمراء ، وأتباعهم وأعوانهم ، باطنا وظاهرا ، بحاله ومقاله . وما ذاك إلا لما وهبه الله من كمال الوسع ، وأيده به ، من رسوخ القدم فى الشريعة ، والطريقة والحقيقة .

وأنشد منشد بتائية سيدى الأستاذ بين يدى شيخنا أحمد . فلما بلغ قوله :

ومنهــم رجال ظاهرون بأمره ... لإرشاد هذا الخلق نهج الطريقة
لهم همة فى دعوة الخلق جمــلة ... إلى الله عن نصح ولطف ورحمة
فهم حجــة المؤمنين بربهــم ... وفيهم لمرتاد الهدى خير قدوة

قال ـ نفع الله به ـ : إن سيدنا ومولانا الحبيب عبدالله الحداد ، تحقق بهذه الأوصاف ، وانتصب للدعوة إلى الله التامة العامة ، من حين إقباله ، وبدو أمره .

ولعل الله قد كشف له عما هو صائر إليه ، من كمال الحال ، وبلوغ المقام العالى . فلما عرف ذلك ، بتعريف الله إياه كشفا ، صدع بالحق ، ودعا إليه ، ولم يبال بالخلق وما شنعوا عليه ، ولم يخص بدعوته إلى الله ، بل عم وتكلم بنحو ما تقدم قريبا ، فافهم . ويدل على هذا قوله فيما نظم دعوة الخلق جملة إلى الله ، والله أعلم.

وقد نقلت عن سيدنا عبد الله ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : ألسن الدعوة إلى الله تعالى خمسة : لسان يدعو إلى الشريعة ، ولسان يدعو من الشريعة إلى الطريقة ، ولسان يدعو من الطريقة إلى الحقيقة ، ولسان يدعو من الحقيقة إلى الحق ، ولسان يدعو من الحق فى الحق . ولا يدعو بهذه الألسن كلها إلا صاحب الخلافة .

وعن سيدى أحمد قال : سمعت سيدى عبد الله يقول : إن أهل هذا الشأن يقابلون السكون من العرش إلى الفرش ، فمنهم من يبقى فى العلو فلا يُرى إلا هناك ، ومنهم من يبقى فى السفل فلا يُرى إلا هناك ، فيحصل بهذين الصنفين الاغترار والتلبيس لأكثر الناس ، ومنهم من يبقى يتصرف فى الأحوال كلها ، فيتخلق للناس بحسبهم . ونحن بحمد الله من أهل هذا الصنف الثالث .

وكان ـ رضى الله عنه ـ يقول : لو أقبل علينا أهل العصر جميعهم ، كبيرهم وصغيرهم ، وذكرهم وأنثاهم لانتفعوا بنا أجمعين ، فى دينهم ودنياهم ، وظاهرهم وباطنهم ، وعاجلهم وآجلهم . وإن أناسا بالمغرب ، أجسامهم هناك ، وأرواحهم عندنا ، وإن أناسا بالعكس .

ومن كلامه : إن الذين تبعونا وانتفعوا بنا أكثر ممن تبع وانتفع بفلان وفلان ، وعيّن كبيرين من العارفين والصديقين المقربين ، ومع هذا يقول : إن أحد هذين العارفين هدى الله به ربع أهل زمانه .

وجاء إليه شخص فطلب منه مطلبا عزيزا وكان لأبيه معه صحبة ، فقال له :

نق أرضك وأصلحها فإذا فعلت ذلك فتعال إلينا ، فإن عندنا جميع البذور .

وقال سيدى أحمد : رأيت سيدى عبد الله فى المنام فقال لى : إن الله أعطانا جميع ما يوصل به الخلق إليه ، غير أنه ما ثم منهم إقبال قال: فقصصت عليه هذه المبشرة فقال : كذلك الأمر .

وطلبه بعض الناس إلى بيته لضيافة فقال له : إنا لم نقصد فى التنقل والمسير إلى البلدان شيئاً من هذا ، إنمـــا كان قصدنا أن من له عندنا وديعة أطلقناها عليه . وقال : الحمد لله الذى أعطانى من التنزل للخلق على قدر مراتبهم ما لم يعطه أحدا من أهل هذا الشأن .

وقال السيد العلامة محمد شليه فى المشرع : اشتهر كسلفه بالحداد الفائق على الأمثال والأنداد ، الذى شيد ربوع الفضل وشاد . ودل كثيراً من العبا ، وهداهم إلى سبيل الرشاد ، وبلغ نهاية السؤل والمراد . إمام أهل زمانه ، الداعى إلى الله فى سره وإعلانه ، المناضل عن الدين الحنيفى بقلمــه ولسانه ، المشار إليه بالبنان ، فى العلوم والعرفان ، الغنى عن الدليل والتبيان . ثم أظهره الله بدرا مشرقا ، استنارت به حنادس الجهل ، وشمسا مضيئة ، زين بها سمـــاء الفضل ، ونصب نفسه لتربيــة المريدين ، وإرشاد السالـكين ، وقصده الناس من أكثر الأمصار ، ونفـــع الله به فى غالب الأقطار ، وأخذ عنه الجم الغفير ، وصحبه الكبير والصغير ، وتخرج به الـكثير ، وأفاض عليهم من بحـور فضله الفرائد والفرائد ، وجلى لهم عرائس الخرائد . ثم رحل إلى الحرمين ، وأدى النسكين ، وما دخل بلدا إلا انتفع أهله بمقاله ، واقتدوا بأفعاله وأحواله ، وهبت على قلوبهم رياح العناية ، وسقت رياض أحوالهم سماء الرعاية .

وكان السيد الولى العارف بالله ، محمد بن عبد الرحمن مدعج باعلوى يقول :

كلام سيدنا عبد الله بن علوى الحداد دواء لأهـل القلوب المنورة ؛ لأنه طرى وقريب عهد بربه . وكان السيد الإمام الكامل : أحمد بن عمر الهندوان يقول : لا تحدثونى بحديث أهل الزمان ، إلا أن يكون كلام سيدنا عبد الله بن علوى الحداد ؛ فإنه كلام ناصح فيحصل لى به النفع . وأما كلام غيره فلا .

وكان ـ رضى الله عنه ـ عظيم الهمة فى دعوة العباد إلى المعاد ، شديد الحرص على سلوكهم سبيل الرشاد ، كثير الاعتناء بهدايتهم قال ـ رضى الله عنه ـ : إنا نحب ونعتنى بكل من نراه راغبا فى سلوك طريق الله تعالى . فعليك بالإقبال على طاعة ربك ، وإنزال جميـع حوائجك بباب كرمه ، وارجع إليه فى جميع مهماتك ؛ فإنه منك قريب ، وعلى إسعافك بمسألتك قدير .

وكان يقول : إنا نضع المدد فى طعامنا وشرابنا . وكان يقـول : نحن ما نخدم إلا الضمائر ، يعنى القلوب . وكتب لبعض أصحابه : نحن ما نطلب من أحد أن يصلح لنا حتى أنفسنا ، بل نطلب أن يصلحوا لربنا فإذا صلحوا لله تعالى ، فقد صلحوا لنا ، ولا عكس . وافهم ؛ فإن هذا فرق بين أهـل القلوب وأهل النفوس ، الأول لأهل القلوب ، والثانى لأهل النفوس ، وهـو ميزان عظيم ، زن ما لديك ، وزن به غيرك إن فرغت من نفسك .

واعلم أن الخلق لو طلبونا ما وجدونا، أعنى وهم على ما هم عليه، من الاشتغال بهذا العالم المظلم، وما بيننا وبينهم إلا التحمل والتجمل. والمرجع إلى الله ، وحسبنا الله الفرد الصمد . والسلام .

ومن كلامه : نحن على قدم مما نشير به ونراه ، وقد مارسنا الأيام ، وجربنا الأمور ، وعرفنا ما يصلح لكل أهل مرتبة فى مرتبتهم ، ومـا يحسن منهم الأخذ به ، فيما يفعلونه ويذرون . والتجربة عقل بل هى القسم الوافر منه ، بعد

صحة الغريزة الأصلية ، ولا نضع المتاع إلا في الأوعية الحافظة له ، لقصد النفع . وما نحن إلا نصحاء ، فمن قبل منا فهو له ، ومن خالف وأصابه مكروه ، فلا يلومن إلا نفسه .

وكان يقول : كنا نطلب من الكل ، والآن الكل يطلب منا . وصدق — نفع الله به — فقد كان أوان بدايته يطوف البلاد ، للقاء الزهاد والعباد ، وطلب النجب الأفراد ، والتماس البركات والتعرض للنفحات منهم ، لا يكاد يسمع بولى لله أو عامل ، أوذى زهادة وعبادة ، ونور وصلاح ، إلا وقصد الاجتماع به والاستفادة ، وطلب اللباس والإجازة ، إما باجتماع الظواهر والأجسام ، كالسيد الإمام : عمر بن عبد الرحمن العطاس ، وإما بالباطن والأرواح ، كالسيد الإمام : محمد بن علوى المكى ، وغيرهما من عباد الله الصالحين ؛ الأحياء منهم والأموات .

وقال — نفع الله به — لبعض أصحابه ، يحرضه على كثرة المجىء إليه : ظننتم أنا حصلنا ما حصلنا بالهوينا ، طفنا جميع البلدان للقاء الصالحين ، والتبرك بهم ، ثم بعد ذلك صار الكل يطلب منا ويأخذ ، حتى من الذين أخذنا عنهم ، صاروا يستمدون من بركاته ، وفيض هباته ، ويقتدون بآثاره ، ويقتبسون من أنواره ، ويستشفون من وراء مشكاة ظاهره أشعة أسراره ، وكوشفوا بما منحه الله ، من فتوح الغيب ، والنظر بغاية للأمول والمطلوب ، وعظيم الفضل والجود الموهوب ، ورأوا مناشير الولاية قد خلعت عليه ، وسمعوا تباشير العناية قد تنادت لديه ، وشاووش الناموس الأكبر قد صاح بين يديه .

ولما شاهد منه ذلك السيد الأكبر : عمر بن عبد الرحمن العطاس — نفع الله به — وقد كان جاءه سيدنا عبد الله زائرا ، ومستمدا ومتبركا ، هاله أمره ،

وعظم لديه قدره ، وكشف الله له عن حاله ، وما هو عليه من كماله ، وما جيء من شهود جلاله وجماله . قال عند ذلك : ما ظننت أن الله تعالى يوجد فى زماننا مثل هذا السيد ، وما هو إلا أمة وحده ، ولم يكن من أهل هذا الزمان وإنما أخره الله رحمة لهم إلى هذا الآن ، وأبى أن يتقدم عليه عند إمامة الصلاة ، وعند الدعاء ، وعند تناول القهوة . ثم لما طلب منه سيدى أن يلبسه أبى أشد الإباء إلا أن يلبسه سيدى ، فلبس منه وألبسه . وكذلك السيد الولى محمد بن عبد الرحمن مدعج ، كان لا يتقدم على سيدى فى الصلاة .

ولما اجتمع سيدنا بالسيد المكاشف أحمد بن ناصر ببندر الشحر عند طلوعه للحج ، وظهر له حاله . قال : السيد عبد الله عطية من الله تعالى ، فى هذا الزمان ؛ له همة علوية ، وحال فائق ، كأبى يزيد البسطامى فاغتنموه ، ما جاءنا إلى مكاننا إلا هدية من الله . هنيئا لكم يا أهل حضرموت مجالستكم له ، وظهوره عندكم ، فهو خليفة الله فى أرضه ، وددت أن أرسل إلى أهل الجبال بأودية الشحر ، يأتون ينفرون إليه ؛ فإن النظر إليه مغنم .

وكان السيد الولى شيخان بن الحسين يسميه كعبة القلوب . قلت : وثناء هؤلاء السادة الأعلام وغيرهم ممن لا يحصى ، هو فى أول عمره ، وبدء أمره ، لأنه قد عد هؤلاء فيمن أخذ عنهم ، وسمع كلامهم فيه ، وتعظيمهم واحترامهم له ، ذلك لما شاهدوا من عجائبه العجيبة ، وأحواله الغريبة . فما ظنك بما آل إليه الحال ، من الترقى إلى مراتب الكمال ، التى تتأخر عنها أقدام الأكثرين ، من الرجال الأبطال ، خفيت على كثيرين من أرباب المقامات العوال .

قال السيد الإمام الشهاب القمقام ، أحمد بن عمر الهندوان : ما أحد بلغ مقام السيد عبد الله ، فيخبر عنه ، من قال ذلك فقد كذب . وقد ظهر لى أنه

تملى السكون ، وكل يحمى مقامه ، ونفتخر على من سبق بوجـوده ، ووجوده للناس مثل الشمس ، وانعدامه كانعدامها .

وكان السيد الجليل نور الدين على بن عمر بن حسين يقـول : وهب الله سيدى عبد الله أمورا لا تكييف . وقد اطلعت مرة على ما وهبـه الله ، من عظيم الفضل ، فبهت عقلى من ذلك فلاح لى لائح من القـــدرة الإلهية ، فرأيته يسيرا بالنسبة إلى فضل الله تعالى عز وجل ، فإنه لا نهاية له .

وأحواله قد أبهرت كل عارف ... فأنى لمثلى ذكر عشر عشيرها

ولا عشر معشار العشير وعشره ... ولا حد فى تضعيف ذكر كثيرها

ولا أنا فى الإحصاء والعد طامع ... ولست بعالمها ولا بخبيرها

رضى الله عنه وأرضاه وأعاد علينا سره فى الدارين آمين .

وهنا ينتهى الكلام فى هذا الفصل ؛ لأنا لا نقدر على إحصاء ما أعطى من الفضل . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

الفصل العاشر

فى ذكر صبره وحلمه ، وعفوه عن الجانى ، وتحمله لأذى الخلق ومداراته لهم ، ورحمته بهم ، وشفقته عليهم ، وتواضعه للخالق والخلق ، وهضم نفسه

كان رضى الله عنه صبوراً حليما عفواً غفوراً ، كظوماً للغيظ ، حمّالا لأذى الخلق ، صفوحا عن زلاتهم ، متغاضياً عن هفواتهم ، يعامل أهل الخفا بالصفح والوفا ، طارحاً لهم حقوق نفسه ، قائماً عليهم بحقوق ربه ، لا يغضب لنفسه ، ويغضب لربه إذا انتهكت محارمه ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، منصفاً من نفسه ، غير منتصف لها ، مشفقاً على الخلق ، نصوحا لهم ، رحيما بهم ، شديد الاهتمام بأمورهم ، عظيم الجهد فيما يصلحهم ، خصوصاً فى دينهم .

وكان ـ رضى الله عنه ـ يقول : أما الحقوق التى لنا فقد سمحنا بها ، والحقوق التى لله عز وجل فلا نسمح بها أبداً . وكان يقول : إنا نسمع أناساً يأكلون طعامنا ويسبوننا ، فلا نتأثر لذلك ولا نجد عليهم ، بل ندعو لهم .

وكان يقول : لو علم الخلق ما أفاض الله على قلبى من الرحمة لهم لما تركوا لى شيئاً ، ولكن الله عز وجل يلبس أولياءه الهيبة فيمتنع عنهم الخلق .

وكان يقول : إنى أصبح وأمسى وليس عندى على أحد من الخلق حقد ولا حسد .

وكان يقول : إن لى نفسا تقوم ، ولكنها لا تقوم إلا بحق ، كما قال عليه السلام : إنى لأغضب ولكنى لا أقول إلا حقا . ولعله معنى الغضب لله ، والغيرة على دينه إذا تعديت حدوده ، وانتهكت محارمه . والحامل على ذلك قوة الإيمان ،

وإيثار الله تعالى على كل شىء . ولولا ذلك لما غضب الحق لغضبهم ، ورضى لرضاهم .

عباد كرام آثروا الله ربهم　　فآثرهم واختارهم بالولاية
وآنسهم بالقرب منه وبالرضا　　حباهم وأسقاهم بكأس المودة

رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .

وكان يقول مشيراً إلى نفسه : اتق من يغضب الحق لغضبه ، ويرضى برضاه فإنه عبد يدعو إلى الله بالصدق ، فاقبل منه النصيحة . وكان يقول : اقبلوا نصيحة من أخذ عليه العهود فيها .

أيا صاحبي والنصح دأبي ومذهبي　　على به أخـذ العهود الوثيقة
ألا فالق سمعاً واعياً لقبول ما　　أشير به محمد أخى مشورتى

قال يوماً ـ وهو فى تربة تريم ـ : لو أخذنى رجل ولطمنى ، ورمانى إلى خارج التربة ، لم أجد عليه فى قلبى شيئاً أبداً . وكان يقول : إنا رأينا كل من تعرض لنا بمكروه ، أو بما ينافى الأدب ، تعجل له العقوبة ولا يمهل . فربما تكلمنا فى جانبه بما يشبه العقاب ؛ لئلا تعجل له العقوبة ، رحمة به ، وشفقة عليه .

وحصل عليه ـ رضى الله عنه ـ أذى من بعض الناس ، فحلم عنه وصفح ، ثم إن ذلك الرجل مرض مرضاً هائلا ، وطال به ، ثم مات منه . فقيل لسيدى : ربما أنكم دعوتم عليه . فقال : نحن لا ندعو على أحد من المسلمين ، ولكن الله ـ عز وجل ـ يغار على أوليائه إذا أوذوا ، أو معنى هذا الكلام . ثم إنه طلع من مكانه إلى البلد ، وصلى على الرجل ، وشيع جنازته .

وقال ـ نفع الله به ـ لبعض الأمراء : لنا شفقة عليكم ، وغيرة على دين الله

وقد فرض الله علينا النصيحة ، والسعى فى إظهار الحق حسب الاستطاعة ، وأخذ علينا العهود بذلك ، والمواثيق الغليظة .

وذكر عنده بعض من كان له تردد عليه ، ثم انقطع فقال ـ قدس الله روحه ـ : نحن ما نؤاخذ أحداً أبداً ، إن قصر فى حقنا ، ثم قال : إن صاروا إلى الله قبلنا ، عرفوا الحق من المبطل . وإن صرنا إلى الله قبلهم عضوا أيديهم أسفاً علينا .

وكان يقول : لا بد أن يموت الإنسان أسفاً علينا ، بعد خروجنا من الدنيا حيث لم يبلغ جهده فينا . انتهى .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : نحن نتكلم على قصد النفع والانتفاع ، ونحن على نية صالحة ، وطوية سليمة ، فيما يكون فيه صلاح المسلمين وإقامة شعائر الدين . وما نحن إلا نصحاء ، فمن قبل منا فهو لنفسه ، ومن خالف وأبى فلا يلومن إلا نفسه .

وكتب ـ رضى الله عنه ـ لبعض ولاة الأمور : أما نحن فلا نشير إلا فيما يظهر لنا أن فيه صلاحاً للمسلمين ، وحقن دمائهم ، وحفظ نفوسهم وأموالهم وحرمهم ، هو الذى نحبه ونشير به على جميع من ولى شيئاً من أمورهم . ومن التمس منا غير ذلك أو نقله عنا ، أو نسبه إلينا فقد خان ومان .

وكتب لسيدنا ومولانا أحمد بن زين : وإن تسألوا عنا فإنا طيبون ، والضعف كالغالب ، والصبر يستره ، والتغافل عنه . إنى لريب الدهر لا أتضعضع . ويكاد يطابق الحال من الوجوه البيتان من أول الرائية :

ترق لىَ الأحباب إذ مسنى الضنا وتشمتِ بى الحساد بين العشائر

وإنى لمشغول عن الكل بالذى أقاسى بمحبوبى سويجى النواظر

وسمعت سيدى أحمد مراراً يقول : سيدى عبد الله فى آخر أيامه يذكر لى تحمل أمور ومكابدة أحوال مما يوجب الضنا ، ويؤدى إلى الونا ، وهو يكتم ذلك ولا يشكوه إلى أحد من الخلق ، وربما قاسى الشدائد من صحبه وعشيرته وأصهاره حسداً من أحد ، أو أذى فى جسد ، من مرض وغيره ، ولم يطلع على ذلك أحداً من قريب أو بعيد .

قال : ولقد قال لى آخر عمره : إن الحمى فى جسدى ، منذ خمس عشرة سنة لم تزايلنى أبداً ، ولم يعلم بذلك حتى أهل بيتى ، ثم أدخل يدى من كمه ، وألمسنى جسده الشريف والحمى فيه . قال : وربما رأيت الضنا بادياً فى وجهه من التكلف للناس ، بطول المجلس، وكثرة المصافحة والخطاب ، عند ما كبر وضعف ، جبراً لخواطرهم ، وإعانة لهم على نياتهم ومقاصدهم ، فيحصل عندى بمشاهدة ذلك منه التعب الكلى رقة وشفقة عليه ـ رضى الله عنه ونفع به ـ انتهى .

وكان يقول : ليس لنا لذة فى مخاطبات الناس ، ولا فى كلامهم ، ولا نبالى بأحد ، ولا نخاف من أحد غير الله ، ولكننا نعامل بالصبر ما دام الصبر يحسن فإذا جاء ما لا يصبر عليه فنحن رجال .

وكان ـ رضى الله عنه ـ حريصاً على كتمان البلايا والرزايات والمصائب والأذيات ، لا يكاد يظهر عليه شكوى من ذلك ولا ذرة ، ولو عاوده الألم والأذى ألف مرة .

وكان إذا حصلت له المشقة من المخاطبات للناس ، ومعاناتهم فى بعض الأمور سيما لما ثقل سمعه آخر وقته يقول : تريدون منا أن نشكر مولانا جلت قدرته ، يعنى نخبره بعجزنا وضعفنا ، والثقل فى سمعنا ، سمعت ذلك من سيدى أحمد ـ نفع الله به ـ وسمعته أيضاً يقول : ما مات سيدى عبد الله ـ نفع الله به ـ إلا وقد ماتت

أكثر حواسه الظاهرة ، كف بصره من أول عمره ، وضعف أو فقد سمعه وشمه آخر عمره . ومع ذلك كان فى غاية الرضا والتسليم للحكيم العليم .

ومن كلامه : إنا لنريد ومولانا يريد ، وما يكون إلا ما يريد : وقد سلمنا له ما يريد عسى أن يكفينا شر ما نريد ؛ إنه حميد مجيد، وما ربك بظلام للعبيد.

وأما تحمل الأذى من الخلق ، وعدم مكافأته لهم إلا بالرفق ، فأمر ظاهر ، ومن سائر الناس ، مثل سائر يعامل من جنا أو خفا بالفضل والإحسان،والعفو والصفح والامتنان ، كما سبق ذكر شيء من ذلك .

وروى أنه استطال رجل على بعض أصحابه فشكا إليه منه . فقال له ـ نفع الله به ـ أما تحتمل له فى كلام يسير ، ونحن نسمع الكلام فينا ، فنصبر ونعفو ، ونحسن إلى من أساء إلينا .

وشكا إليه آخر من آخر كذلك ، فقال سيدى : ما حمله على ذلك ؟ فقال : إنه غبى . فقال : إذاً وجب عليك احتماله إذا شهدت عليه بالغباوة .

وسمعت أنه لقيه بعض الناس فى بعض شوارع تريم ، وكان ذلك الرجل قد أضر به الحال من ضنك المعيشة ، فلما صافح سيدى قال له ـ على سبيل النصيحة والشفقة ـ : لو أنك سافرت هناك يسر الله عليك رزقك أو قريباً من هذا اللفظ بمعناه ، فاستشاط الرجل وأجاب سيدى بكلام غير لائق، فضحك سيدى ، ومضى فلما بلغ بيته رد خادمه بشيء من الدراهم واعتذر إليه بقوله : إنما قلنا لك ما قلنا على سبيل المحبة والنصيحة ، فلا تجد علينا .

ومن نظمه الرائق اللائق بالكلام السابق ، شاهداً لنفسه بنفسه قوله ـ رضى الله عنه ـ :

إذا آنستُ من خل جفاءً ... فلا أجفو وإن هو قد جفانى
ولكنى أفارقه برفق ... وأمسك عن تناوله لسانى

رأيت له فى مكاتبة إلى سيدى وعمدتى أحمد بن زين الحبشى ـ نفع الله به ـ جواباً لشكوى من أذى حصل عليه من بعض الناس وهو ما هناك كبير أمر والناس كما تعلم وترى وعلى ما هو أكثر من ذلك ، فاتق ما بدا منهم ، وما خفى من فتنهم وشرورهم ، باللطف وحسن المداراة عند الملابسة ، واغتنم العافية التى هى أوسع الأشياء ، والسكون من أفضل أجزائها كما يقال : السكون عافية ، ولا تأخذ بشىء ولا فى شىء أى شىء .

كان يؤول إلى تحريك الطباع ، وإيحاش القلوب ، ممن لا يتقى عاراً ولا ناراً وعامة أهل الزمان كذلك إلا من رحم الله ، وقليل ما هم ، فلا تغالب ولا تزاحم ولا تنازع ولا تخاصم .

واعلم بأنا آخذون بهذا المأخذ فى محلنا ومع أصحابنا ، وهو أطيب من محلكم وأطهر ، وأكثر خيراً وأظهر . ولولا ذلك لتحرك علينا من شرورهم وفتنتهم ما تضيق به الصدور والأماكن ، وينزعج له كل ظاهر وباطن واسمع ولا تجرب . واقبل النصيحة عفواً ممن قامت عليه عالية . وخذها لهذه ولغيرها . انتهى .

فانظر هذا الكلام تقض منه بالعجب ، وتسلم إن أخذت به من العطب وتنل المسئول والطلب ، وتبلغ المأمول والأدب ، وترق إلى أعلى الرتب . والسلام .

ولما بلغه ـ رضى الله عنه ـ أن بعض الممقوتين تكلم فى جنابه الشريف بما لا يليق ، وطعن فى بعض المنسوبين إليه ، بما هو أى الطاعن به خليق . أنشأ قصيدته التى يستنصر بها برسول الله ﷺ ، وبأهل بيته المطهرين التى مطلعها :

نسمات الحى وهنا إذ سرت   بشذى نجد لروحى بشرت
واكفنا يا ربنا شر العدا   والأذى من فرقة قد بطرت
بهتـــرنا بمقال سيىء   كانت الأحرى به لو أبصرت
قد حلمنا وصفحنا عنهم   وبذا أسلافنا قد أخبرت
يظلمونا ثم نعفو عنهم   هكذا الفضل لقدم قدرت

وقال ـ رضى الله عنه ـ لبعض خدمه الذى جعلهم فى زرعه : الحذر أن تدفعوا أحدا بالقوة ، إذا جاء يأخذ منه شيئاً ، وأعلموه أنه زرعنا . فإن أخذه عن حاجة ، فما أموالنا وجميع ما كان ، إلا للبذل والتكرم على ذوى الحاجات والمستحقين له . وإن كان قدومه لينا على سبيل القهر والاستهانة ، ففعله يعود عليه ضرره إما عاجلا وإما آجلا ، ولم يدفع ـ رضى الله عنه ـ عن أذى وظلامة أبداً إلا بالتى هى أحسن وما يلقاهـا إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ، قد حفظه ، وأعاذه السميع العليم ، فى جميع حركاته وسكناته ، من نزغات الشيطان الرجيم وبحق أقول : إنه من عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . الذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا الذين يدفعون بالتى هى أحسن السيئة ، الكاظمين الغيظ ، العافين عن الناس . والله يحب المحسنين . الذين إذا مروا باللغو مروا كراما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنـا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما.

وبالجملة فلا أعرف من أوصافه شيئاً ، لا حرمنا الله بركته ، وغفر لنا سوء أدبنا فى حقه . واسمع الآن بتلبك قول من يعرفه. قال سيدنا ومولانا أحمد بن زين : كان أى شيخنا السيد الإمام : عبد الله الحداد آخـذا بالعفو ، آمرا بالعرف ، معرضا عن الجاهلين .

وقد وقع له فى العمل بهذه الأخلاق الشريفة مالا ينضبط . وقد رأيت منه من ذلك الشيء الكثير ، مع تأخر انتسابى إليه وصحبتى له ، كيف وكنت إذا رأيت أخلاق أحد من السلف الأكابر أعرض عليها أخلاق شيخنا عبد الله ، فلا أراه يقصر منها ، بل يزيد بأشياء كثيرة ، إلا ما كان مقتضى حكم الوقت ، مما ينبغى العمل بمقتضاه ، بحسب الوقت .

وكان شديد الاهتمام . بما يصلح المسلمين ، فى معادهم ومعاشهم ، سليم الصدر لهم ، قوى الصبر عليهم ، لين الجانب ، مخفوض الجناح ، سهل الأخلاق ، واسع الاحتمال ، مكين الحلم ، معامل بالعلم . وفى المجالسة يظن جليسه أنه أحب الناس إليه . وإذا نزل فى بعض الأحـــوال لمجالسه ، يحصل له أنس لا يكاد يحصل بمجالسة غيره . انتهى .

وقال السيد الجليل محمد الشلى باعلوى : له حسن خلق كغرة الوجه الوسيم ، وطبع كأنفاس النسيم . شعر :

طبع الأنام على الخلاف وطبعه ... فى الناس مسألة بغـــير خلاف

يعامل من جنا أو جفا بالصفح والوفاء ، والمودة والصفاء . وإذا أتاه من أخطأ طريق السلامة والنجاة ، وخسر آخرته ودنياه ، نهض له بالعناية والاجتهاد ، والمساعدة على هدايته بكل حال ، حتى يوصله إلى نهاية الآمال ، ويصلح ماضى فعله بحسن الاستقبال . انتهى .

وكان ـ نفع الله به ـ يكلم الناس على قدر عقولهم ، ويتخلق لكل بحسبه ، وينزل كلا منزلته ، على معنى ما نقل من أخلاق رسول الله ﷺ مع الناس . وكان إذا جاءه الرفيع رفعه ، وإن كانت رفعته فى الدنيـا من منصب وولاية ، لقوله ﷺ : إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه . وإذا جاءه الوضيـع عند الناس آنسه وجبره ، سيما إن كان من الفقراء .

وكان ـ قدس الله سره ـ صابرا نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، لا يميل إلى غيرهم من الناس ، ولا يمل من مجالستهم مع الأنفاس . وكان يخصهم بزيادة الإيناس ، وخصوصا طلاب العلوم ، وأرباب الفهوم منهم ، لا يؤثر على مجالستهم إلا ما يخصه من مجالسة الحق ، بالحضور الخاص معه ، على معنى من قوله عليه السلام : لى وقت لا يسعني فيه إلا ربى .

وكان يقول : إذا وجدنا فى هذا الزمان من يقبل الحق ويعمل به ، رفعناه فوق رءوسنا وتداوينا بريقه ؛ لأنه قد عز ذلك وخفى ، وما بقى اليوم مع الناس إلا القيل والقال بغير فائدة . وكان يقول : إنى أفرح بالمريد الصادق لنفسه ؛ لأنه يعيننى على تسليكه ، ببركة صدقه .

وكانت له ـ رضى الله عنه ـ أوقات تخصه ، يخلو فيها بربه ، ويسلو من معاناة الخلق ، ويأنس بالوحدة والانفراد ، ليطيب له العيش ، ويتلذذ بالمناجاة فى الخلوة ، كما كان يقول : أشتهى السياحة فى البرارى والقفار ، وذلك منای ومطلوبى .

وكان يقول : أود أن أكون بأرض فلاة ، متلذذا بمناجاة الله ، والأنس به سبحانه لا يرانى غيره ، وإلا فهو القوى الذى لا يشغله الخلق عن الحق ، ولا يصرفه عن مراده منه صارف . وهو الذى يقول : ما جلس عندى أحد من الخلق ، فشغلنى عن ذكر الله عز وجل ، فناهيك ناهيك .

وكان يقول : لو أن جميع أهل تريم عيالى ، وجميع مؤنهم وحوائجهم علىّ ، لقمت بهم جميعهم ، ولم يشغلنى ذلك عن الله تعالى . هـذا فى ظاهرى . وأما باطنى فليس لأحد فيه شىء غير الله تعالى أبداً .

وكان يقول : لا أجد قلبى مستأنسا كل الأنس إلا بذكر الله ، وبمباع

كتب الغزالى ، فهى مؤانسة من غير مؤنس ، ومنادمة من غير منادم . جزى الله عنا الإمام الغزالى خيرا ؛ لقد أرشدنا بكتبه وبركاته إلى سره .

وكان ـ قدس الله سره ، وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته وأسراره ـ فى غاية من التواضع لله رب العالمين ، ولسائر المسلمين أجمعين ، كما سبق جملة من الشواهد لذلك ، من أقواله وأفعاله ، متهما لنفسه ، لايرى لها مع الله حالا ولا مقاما .

وكان يقول : إن السيد العارف بالله عمر بن عبد الرحمن العطاس كان آية فى التواضع وطرح النفس ، وإنى طلبت من الله تعالى تواضعه فأعطانيه ؛ وكل ما جاء فى تنزله مع الناس ، واحتماله منهم ، وإحسانه إليهم ، مع الرفق واللطف ، وخفض الجناح ، ولين الجانب لهم ، ومداراة أهل الجفاء منهم ورؤية ما عليه من الحقوق دون ماله ، أدل دليل على التواضع . وكان هذا دأبه ـ رضى الله عنه ـ فى سائر أحواله ، ومعاملاته مع الخلق .

وكان يقول : نقبل الحق ممن جاء به ولو كان عبداً أسود مفلفل الرأس ، ومع ذلك نحمل التراب على رءوسنا ، ولو لقينا من يقبل الحق لرفعناه على رءوسنا ، وتداوينا بريقه . وهذا أكبر شاهد فى التواضع ؛ لقوله ﷺ : الكبر بطر الحق ، أى رده ومفهومه الصريح أن التواضع قبوله .

ومن كلامه ـ رضى الله عنه ـ : إنما نحن ضعفاء ومساكين ، لانستطيع حمل ذرة من البلاء ، ولا نقوى عليها ، وعافية الله أوسع لنا ، وأستر لضعفنا ، وأليق بعبوديتنا وفقرنا ، ومنه قد غلبت علينا أهل الزمان أهوية النفوس ووهن العزائم ، وإيثار الشهوات ، والأخذ بالرخص ، فصار الواحد منا لا هو سماوى فيرتفع ، ولا هو أرضى فيتضع ؛ فإن فى كلا الأمرين راحة ، وإن كانا

غير متساويين فى الشرف والمقدار ، وصار التعب بينهما ، وهـو الذى نحن فيه حصلت الحيرة وهى بلا شك حيرة دعائه ـ رضى الله عنه :

اللهم اعصمنا واحفظنا من جميع ما يسخطك علينا بحولك وقوتك ، واهدنا ووفقنا لكل مايرضيك عنا ، بفضلك ورحمتك ، فإنا عاجزون عن جلب النفع ، وعن دفع الضر من حيث نعلم بما نعلم ، فكيف لانعجز عن ذلك ، من حيث لا نعلم بما لا نعلم . فوحقك ما بقى بأيدينا إلا الاعتصام بك ، والاعتماد عليك ، والتفويض إليك . فإن عذبت فبعدلك ، ولك الحجة . وإن رحمت فبفضلك ، ولك المنة . سبحانك لانحصى ثناء عليك ، ولا نقول إلا مايرضيك ، ولا نعترض عليك فى ملكك ، ولا ننازعك فى سلطانك ، وقد رضينا بك ربا وبالإسلام دينا ، ومحمد نبيك رسولا .

قال ـ رضى الله عنه لبعض السادة الفضلاء من إخوانه ـ : ثم المطلوب منكم صالح الدعاء دواما ، والاعتناء بالأخ الفقير الكسير ، المتعثر فى أذيال القصور والتقصير ، على كل وجه ، وفى كل حال ، من غير دعوى ، ولا مكابرة ولا مخالفة ظاهر لباطن .

والفقير المحض المعترف منه بالإفلاس والعدم

لأخيه فى الله على بن عبد الله العيدروس : ادعوا لأخيكم الضعيف إلا من الأمل فى عفو الله ، وقوة الطمع فى الخفيات من ألطافه ، وجميل ستره ، على التقصير عن القيام بحقه إلى الغاية والنهاية .

يارب إنك مقصودى ومعتمدى ومرتجاى لدنيـاى ومنقلبى
فاغفر وسامح عبيدا ما له عمل بالصالحات وقدأوعى من الحوب
لكنه تائب مما جناه وقد أتاك معترفا يخشى من الغضب
فإن عفوت ففضل منك يا صمد تجـد علىّ إلهى وأزل رهبى

على سبيل التوبيخ للنفس ، والاتهام لها ، وعدم القناعة منها ، لمعرفته بربه ، وما يستحقه من القيام بواجب حقه .

ألا يا نفس ويحك كم توانى	وكم طول اغترار بالمحال
وكم لهو وكم هزل وسهو	وكم ميل إلى دار الزوال
وكم ذا تركنين إلى الدنايا	وكم تتقاعدين عن المعالى
وكم شغل بما لا خير فيه	وكم حرص على شرف ومال
وكم تلوين عن محمود فعل	وكم تقوين فى قبح الفعال
لعمرى دل هذا الفعل منك	على نسيان شأن الارتحال

إلى أن قال :

فوا أسفى ووا ندمى وحزنى	على ما كان منى فى الحوال
والهفى على زمن تقضى	على عمل بمذموم الخصال
وعمر ضاع فى إيثار دار	حقيقتها تشبه بالخيال

ومن أخرى :

أشكو إليك وأبكى	من شؤم ظلمى وإفكى
وسوء فعلى وتركى	وشهوة القيل والقال
وحب دنيا ذميمه	من كل خير عقيمه
فيها البلايا مقيمه	وحشرها آفات وأشغال
ياويح نفسى الغويه	عن السبيل السويه
أضحت تروج عليه	وقصدها الجاه والمال
يارب قد غلبتنى	وبالأمانى سبتنى
وفى الحظوظ كبتنى	وقيدتنى بالأكبال

قـــد استعنتـــك ربى … على مـــــداواة قلــبى
وحــــل عقــــدة كربى … فانظر إلى الخسم ينجـــال

وقال رضى الله عنه :

يا نفس هـــذا الذى تأتينه عجب … عـــلم وعقل ولا شك ولا أدب
وصف النفاق كما فى النص تسمعه … علم اللسان وجهل القلب والسبب
حب المتاع وحب الجـــاه فانتبهى … من قبل تطوى عليك الصحف والكتب

وقال ـ رضى الله عنه ـ فى معنى ما سبق ، من هضم نفسه ، وتبريه من دعوة الصلاح ، وسلوك سبيل النجاح ، والتأسى بذوى الصدق والفلاح ، والتواضع لله العظيم العليم الفتاح ، وعلما بأن حقه سبحانه عظيم ، وإن بلغ العبد فى العبادة ما بلغ ، وأتى من الجهد والطاعة ، ما عسى أن يأتى . وما قدروا الله حق قدره . وإن أطاعوا أمره ، واجتنبوا زجره ، كما نقل من الإقرار بالعجز ، والاعتراف بالتقصير عن أنبياء الله ـ عليهم السلام . وعن ملائكته الكرام ، فى عباداتهم الجليلة ، فى الآماد الطويلة ، يقولون : سبحانك سبحانك ، ما عبدناك حق عبادتك ، فى التائية الكبرى ، بعد وصيته الجامعة :

عجبت لمن يوصى سواه وإنه … لأجدر منهم باتبـــاع الوصية
يقول بـــلا فعل ويعـــلم عاملا … على ضد علم يا لها من خسارة
علوم كأمثال البحـــار تلاطمت … وأعمـــاله فى جنبها مثـــل قطرة
وقد أنفق الأيام فى غير طـــائل … كمثل الليالى إذ تقضت وولت
على السوف والتسويف شر مصاحب … وقول عسى عن فــترة وبطالة
تنـكب عجزا عن طريق عزيمة … ومال لتأويـــل ضعيف ورخصة
يهـــم بـــلا جد وليس بناهض … على قدم للتشمير من فرط غفلة

وقد سار أهل العزم وهو مخلف ... وقد ظفروا بالقرب من خير حظرة
وقد نالوا المطلوب وهو مقيد ... بقيد الأمانى والحظوظ الخسيئة
ولم ينتهز من فائت العمر فرصة ... ولم يغتنم حالى فراغ وصحة
ولم يخش أن يفجأه موت مجهز ... فإن مجىء الموت غير مؤقت
ولم يتأهب للرجوع لربه ... ولم يتزود للطريق البعيدة
وبين يديه الموت والقبر والبلا ... وبث وميزان وأخذ الصحيفة
وجسر على متن الجحيم وموقف ... طويل وأهوال الحساب المهولة
ولكنه يرجو الذى عم جوده ... وإحسانه والفضل كل الخليقة

كان فى التشمير والاجتهاد فى العبادة ، فى أقصى الغايات ، وأنهى النهايات ، ممتثلا لما به أمر ، منتهيا لما عنه زجر ، عاملا بما أوصى ، لم تخالف أقواله أفعاله ، ولا ظاهره باطنه . قد والله انتهز الفرصة ، وامتطى العزيمة ، وقضى فى طاعة مولاه لياليه وأيامه ، واغتنم الصحة والفراغ ، ولا زاغ عن ذلك ولا راغ ، لم يَصْبُ ، ولم يَلْغُ ، ولم يلْهُ ، منذ نشأ إلى أن توفاه الله تعالى إليه ، رسخت قدمه فى الاستقامة ، وجدّ ونهض على قدم التشمير ، حتى بلغ غاية الكرامة والأمر الخطير ، وظفر بالقرب من حضرة الرب القدير ، وغاب عن رؤية ذلك ، وشهود ما هنالك من نفسه ونسبته إليها ، لكونه لا يرى أنه عامل بالصالحات ، بل شهد فضلا من الله مطابقاً ، ومنة سابقة لرسوخ قدمه فى التوحيد ، ونسبة الأشياء إلى الله عز وجل ، وإن كل ما منه من الكسب والعمل ، توفيق من الله تعالى ، وأن ليس له ولا إليه من ذلك شىء معرفة للحق لأهله ووضع كل شىء فى محله . والله خلقكم وما تعملون ، ولا يشهد أن وصوله إلى الله تعالى بأعماله ، بل بفضل الله ؛ لأن الأعمال من جملة الأسباب ، وهو لا يريد إلا مسبب الأسباب ، وكل منه .

ومن كلامه : مذهبنا لقاء الله ، بالافتقار المحض ، وليس مذهبنا مراعاة الأسباب ، فاعلم . وأيضاً لا يشهد ذلك اتهاماً لنفسه في عدم الصدق والوفاء بما عاهد الله عليه من القيام بحقه . وهذا هو التحقيق بمقام المعرفة ، لأن من عرف نفسه عرف ربه ، ومن عرف نفسه بالعجز والضعف ، والذل والفقر والحاجة ، عرف ربه بالقدرة والقوة ، والعز والغنى ، والجلال والعظمة والكبرياء ، فلا يقنع من نفسه فى العمل لربه ، بل يرى التقصير منها فى كل حين ، ويرى شؤمها وشرها فى كل طرفة عين . وكان السيد الجليل العارف بالله نور الدين على بن عمر بن حسين ابن الشيخ على باعلوى يقول : إن الله عز وجل أعطى سيدى عبد الله الحداد ـ نفع الله به ـ الاتهام لنفسه .

وقال ـ نفع الله به ـ فى كتاب رسالة المعاونة : أما بعد ، فيقول العبد الفقير ، المعترف بالقصور والتقصير ، الراجى عفو ربه القدير : عبد الله بن علوى الحداد ، الشريف الحسينى ـ عفا الله عنه وعن أسلافه ـ أنا أستغفر الله ، ولا أقول : إن نيتى فى وضع هذه الرسالة مقصورة على المقاصد الحسنة الدينية ، كيف وأنا أعلم ما عندى من الشهوات الخفية ، والحظوظ النفسية والإرادات الدنيوية . وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم . والنفس عدو ، والعدو لا يؤمن ، بل هى أعدى الأعداء ، كما قال رسول الله ﷺ : أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك . ولله در القائل :

توق نفسك لا تأمن غوائلها   فالنفس أخبث من سبعين شيطانا

إلهى ألهمنى رشدى ، وأعذنى من شر نفسى . اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما أعلم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ فى آخر كتاب « إتحاف السائل » : ثم إنى أعرف

عن علم ويقين : لا عن ظن وتخمين ، بإفلاسى وخلوى عن حقائق أهل الله ، وعن مواجيدهم ، وطرائقهم الحميدة . ثم أعرف من نفسى حبهم والموالاة لهم ، والميل إلى التشبه بهم ، والتكثير لسوادهم مع حسن الظن ، والتصديق بكل ما يفتح الله عليهم به ، من المكاشفات والمشاهدات ، فأرجو من الله أن يلحقنى بهم ، ويجعل لى نصيباً مما خصهم به من معرفته ومحبته ، وجعله أى هذا الكتاب خالصاً لوجهه ، مقرباً إلى رحمته ورضوانه ، وغفر لنا كل ما وقع فيه مما يخالف الحق ، ويميل إلى الباطل ، أو يوافق الهوى ، أو دخلنا من رياء وتصنع لخلق . اللهم ما بنا من نعمة ، فى بواطننا وظواهرنا ، وديننا ودنيانا ، فإنا نعلم ونؤمن أنها منك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ، ولك الشكر ، عائذين بوجهك الكريم ، من سلب النعم ، وحلول النقم ، سائلين من فضلك أن تعاملنا بمقتضى الجود والكرم ، وإن لم نكن أهلا لذلك فإنك أنت أهله . رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين .

فبهذه الدعوات له ، يبين لك منى ماسبق ، أنه لا يشهد له عملا بالصالحات ، بل يشهد الفضل لله تعالى ، والنعمة منه . ولا يرى إلا ما منّ الله فقط . وأما ما كان منه فلا يرى إلا التقصير المحض . والله أعلم .

وأستغفر الله من سوء الأدب والجرأة . نعم يقع لى أن أورد فى هذا الباب قصيدته الفريدة المشتملة على الفوائد الجزيلة والنكت المفيدة ، للطالبين السالكين فى المناهج السديدة ، والطرائق الرشيدة التى مطلعها :

تفيض عيونى بالدموع السواكب   وما لى لا أبكى على خير ذاهب

وقصدى فى ذلك أن تعرف ما انتهى إليه أمره فى التواضع لله عز وجل ،

من الاعترافات والمعرفة بالنفس ، والاتهام لها ، وعدم الرضى عنها ، والقناعة منها ، ومقته لها فى ذات الله ـ عز وجل ، ثم يقبل على نفسه ، فيكون لها أشد مقتاً ، وتعرف تحققه بمعرفة ربه ، التى هى من لوازم معرفته بنفسه ، وتعرف شدة تواضعه فى أقواله ، كما عرفتها من أفعاله ، وشدة خوفه منه ـ عز وجل ، وعدم الأمن من مكره ، لكمال معرفته ؛ إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . وقد كان يقول : إنى لم أقم فى مقامى هذا إلا وقد بويعت على الحفظ الكلى .

وكان يقول : السلب حق ، ولكن الله تعالى قد آمننا منه . ومع ذلك يقول : لا آمن المكر ، ولكننى أريد أن أخزيك يا غالى ، يشير إلى الشيطان من الإنس والجان ، وكل عاذل عن سبيل الرحمن .

وكان من أوراده كل يوم بعد صلاة الصبح ـ ثلاث مرات ـ : اللهم إنى أعوذ بك من المكر والاستدراج ، من حيث لا أشعر ؛ إنك جواد كريم . وهذا الدعاء عن الشعرانى ، ذكره فى عهود المشائخ ، وذكر له واقعة جرت ، حاصلها أنه سمع قائلا يقول : من قال هذا الدعاء كل يوم ثلاث مرات ، آمنه الله تعالى من مكره .

وقصدى من إيراد القصيدة المشار إليها اعتبار السامع ، وكونه أحق وأولى بما سمع ، من توبيخ النفس ، والعقاب لها ، واتهامها ، وعدم الرضا عنها ، والقناعة منها ، وتأسفه واحتراقه ، على ما فات من زمانه ، وولى من عمره ، وما صرفه منها فى غير حق وصائب ، وغفلة وجرم ووزر ، ومعاطب ، وغير ذلك مما شرحه ـ رضى الله عنه ـ فيها من القائل لها ، ويعرف بالضرورة أنه أولى بذلك إن كان منصفاً ، رأى أنه بجميع ذلك متصف ، وأن ليس له عن ذلك مصرف إلا الرجوع إلى الله تعالى مستعطفاً ، وهى هذه القصيدة :

تفيض عيونى بالدموع السواكب — وما لىَ لا أبكى على خير ذاهب
على العمر إذ ولى وحان انقضاؤه — بآمال مغرور وأعمال ناكب
على زهرات العيش لما تساقطت — بريح الأمانى والظنون الكواذب
على أشرف الأوقات لما غبنتها — بأسواق غبن بين لاه ولاعب
على أنفس الساعات لما أضعتها — وقضيتها فى غفلة ومعاطب
على صرف الايام فى غير طائل — ولا نافع من فعل فضل وواجب
على ما تولى من زمان قضيته — وزجّيته فى غير حق وصائب
على فرص كانت لو أننى انتهز — تها نلت فيها من شريف المطالب
وإحيا آناء من الدهر قد مضت — ضياعا وكانت موسماً للرغائب
على صحف مشحـــونة بمآثم — وجرم وأوزار وكم من مثالب
على كم ذنوب كم عيـوب وزلة — رسيئة مخشية فى العواقب
على شهوات كانت النفس أقدمت — عليهـا بطبع مستحث وغالب
على أننى آثرت دنيـا دنيـــة — منغصـــة مشحـــونة بالمعائب
على عمــل للعلم غـــير موافق — وما فضل علم دون فعل مناسب
على فعل طاعات بغـــير توجه — ومن غير إخلاص وقلب مراقب
أصلى الصلاة الخمس والقلب جائل — بأودية الوسواس من كل جانب
على أننى أتلو القرآن كتابه — تعالى بقلب ذاهل غير راهب
على أننى قد أذكر الله خالقى — بغير حضـــور لازم ومصاحب
على طول آمال كثير غرورها — ونسيان موت وهو أقرب غائب
على أننى لا أذكر القبر والبـلا — كثيراً وسفراً ذاهباً غير آيب
على أننى عن يوم بعثى ومحشرى — وعرضى وميزانى وتلك المصاعب

مرادف من أهوالها وخطوبها ... يشيب من الولدان شعر الذوائب
تغافلت حتى صرت من فرط غفلتي ... كأني لا أدرى بتلك المراهب
على النار أني ما هجرت سبيلها ... ولا خفت من حياتها والعقارب
على السعى للجنات دار النعيم وال ... كرامة والزلفى ونيل المآرب
من العز والملك المخلد والبقا ... وما تشتهيه النفس من كل طالب
وأكبر من هذا رضى الرب عنهم ... ورؤيتهم إياه من غير حاجب
فآها على عيش الأحبة ناعماً ... هنيئاً مصفى من جميع الشوائب
وآها علينا في غرور وغفلة ... عن الملأ الأعلى وقرب الحبائب
وآها على ما فات من هدى سادة ... ومن سيرة محمودة ومذاهب
على مالهم من همة وعزيمة ... وجد وتشمير لنيل المراتب
على مالهم من عفة وفتوة ... وزهد وتجريد وقطع الجواذب
على مالهم من عزلة وسياحة ... بقفر الفيافي والرمال السباسب
على مالهم من صوم كل هجيرة ... ومن خلوة بالله تحت الغياهب
على الصبر والشكر الذين تحققوا ... وصدق وإخلاص وكم من مناقب
على ما صفا من قربهم وشهودهم ... وما طاب من أذواقهم والمشارب
فكم بفؤادى من غليل ومن أسى ... ومن حسرات متعبات غوالب
وكم من دموع في الخدود سواكب ... تجود بها سحب الجفون الذوائب
ولو أنني أبكى الدموع وبعدها الد ... ماء على ما فاتني يا معاتبي
لكان قليلا في كثير وما عسى ... يرد البكا من ذاهب أي ذاهب
فأستغفر الله العظيم جلاله ... وقدرته في شرقها والمغارب
إليه متابي وهو حسبي وملجئي ... ولي أمل في عطفه غير خائب

وأسأله التوفيق فيما بقي لمـا   يحب ويرضى فهو أسنى المطالب
وأن يتغشانا بعفو ورحمـة   وفضل وإحسان وستر المعائب
وأن يتولانا بلطف ورأفة   وحفظ يقينا شر كل المعاطب
وأن يعوفانا على خير ملة   على ملة الإسلام خير المواهب
مقيمين للقرآن والسنة التي   أتانا بها عالى الذرى والمراتب
محمد الهادى البشير نبينا   وسيدنا بحر الهدى والمناقب
عليه صلاة الله ثم سلامه   وآل وأصحاب له كالكواكب

انتهت .

وبانتهائها ينتهى هذا الفصل من هذا الباب من الكتاب ، وفيه كفاية وتنبيه للبيب النبيه ، وفيه عبرة لمن اعتبر ، وفكرة لمن ادكر .

●●●●

الفصل الحادي عشر

فى كر خوفه وخشيته و إشفاقه من ربه تعالى

كان ـ رضى الله عنه ، ونفع به ـ شديد الخوف من الله سبحانه ، دائم الخشية والهيبة له عز وجل ، غزير الدمعة لا يكاد يسمع المخاوف إلا وجادت عيناه بالدموع ، ولا يطوف بساحات قلبه منها إلا وظهر على ظاهره ما سكن باطنه من الخشوع والخضوع .

وكان عند سماعه للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والآثار المروية عن السلف الصالح ، التى فيها ذكر الخوف والرجاء ، يظهر عليه التلون بحسبها ، من الكآبة والانبساط والحزن ، والسرور ، يغلبه البكاء عند الخوف ، وتعلوه الكآبة . ولا ترقأ دمعته . وكان لا يقدر على إمساكها إذا غلبته ، لشدة ما فى باطنه من دواعيها ومقتضياتها . وكان عند إرسالها ، ربما سالت على لحيته الشريفة ، كأنها قضبان الفضة .

وكان ربما بكى مع الدمع الدم ، كما أخبرنى بذلك بعض الصالحين ، من خواصه الملازمين المراقبين له قال : كنت أرى فى بعض دموعه ما يخالطه صفرة . قال : وكان الدمع قد أثر فيما تحت مآقيه جراحة . وكان إذا أنشد بين يديه بالمواعظ والوصايا ، سيما من كلامه ، يشتد بكاؤه ، ويكثر تأوهه ، وخصوصا من كلامه المنظوم القصيدة التى مطلعها :

تفيض عيونى بالدمع السواكب ... ومالىَ لا أبكى على خير ذاهب
على العمر إذ ولى وحان انقضاؤه ... بآمال مغرور وأعمال ناكب

تظهر منه الأحزان وتبدو منه الأشجان نتيجة التحقق بالإيقان والتحلى بالعرفان .

وروى أن بعض الناس قال له : خاطــرك ياسيدى عبد الله أن الله يجمعنا معكم فى الفردوس الأعلى . فتغير وجهه وقال : أهكذا تقول ونحن لا نطلب من الله إلا النجاة من النار ولو إلى الأعراف فقال له الرجل : ألم يقل جدك المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى فعند ذلك انشرح ودعا بذلك .

ولقد رأيته أنا عند قراءتى عليه بمكانه فى السبير من أعمــال وادى دمون قبل وفاته بسنين فى كتابه سبيل الأذكار فى وصف الجنة والنــار يبكى بكاء شديداً واحمر وجهه احمراراً زهو مع ذلك يتنفس تنفسا بعيدا ثم بعد أن أتممت القراءة عليه وقلص دمعه قال ـ نفع الله به ـ هذه أوصاف الجنة وأين نحن منها إنما رجاؤنا فى الله النجاة من النار ولو إلى الأعراف بين الجنة والنــار هكذا سمعت منه بلفظه أو قريب منه رضى الله عنه .

وكان يظهر عليه الحزن والخشوع عند سماع شىء من سـير أرباب العزم والجد والاجتهاد والتبتل من العباد والزهاد والعلماء والأوتاد كأويس القرنى وأحمد بن حنبل وغيرهما كما شاهدت ذلك منه .

وكان رضى الله عنه يكثر خوفه وانزعاجه عند أصوات الرعد والريح . وكان ربما قام وقعد لشدة الوجل ويأمر من يجلس عنده ولا يجلس وحده ويأمر بضم الأطفال وبهدوء الأصوات ويكثر عند ذلك من سؤال العفو مع إشفاق كلى ووجل من ربه عز وجل ولا يسكن رَوعه حتى يحس أو يخبر بالمطر .

وكان هذا من أوصاف رسول الله ﷺ لشدة خوفه من ربه .

الفصل الثانى عشر

فى ذكر رجائه وحسن ظنه بربه عز وجل

أما رجاؤه فى ربه وحسن ظنه به واعتماده عليه واستناده إليه وأمله فيه سبحانه وتعالى، وتوكله فى جميع أحواله عليه وتبرؤه من حوله وقوته إلى حول الله تعالى وقوته، فأمر بيّن ظاهر عليه فى جميع حركاته وسكناته من أقواله وأفعاله.

وكان يقول : إن أغلب أحوالنا صدق الرجاء فى الله وحسن الظن به تعالى بالنسبة إلينا وإلى جميع المسلمين ولكن الله أعطانا لسان الحرف رحمة للعامة إذ هم عظيمو الاغترار بالملك الجبار ويغلب علينا الرجاء حتى المخالفين من أرباب الفرق.

ومن كلامه : إن عندنا من الرجاء وحسن الظن بالله تعالى ما لو ظهر للناس منه سم إبرة لتركوا العمل اتكالا .

ومن كلامه فى المعنى نظما :

أرجو ولى ظن جميل بخالقى	وإن الرجاء فى الله أسنى ذخائرى
أخشى إلهى وآماله	وحسن ظنى فيه أولى لى
لم أزل بالباب واقف	فارحمن ربى وقوفى
وبوادى الفضل عاكف	فأدم ربى عكوفى
ولحسن الظن لازم	وهو خلى وحليفى
وأنيسى وجليسى	طول ليلى ونهارى

وكان لسانه رضى الله عنه طافحا بالثناء على الله بالجميل وحسن الظن به سبحانه فى كل حط ورحيل والرجاء فيه عز وجل والتأميل منه تعالى للخير الجزيل والثقة به والاعتماد عليه فى الكثير والقليل لا تظهر منه ذرة من الشكوى

دأبه الشكر لله في السر والنجوى والتبرى من الحول والقوة والدعوى وعدم السكون إلى النفس والنزاهة من الأهوا، وكتمان الأسرار والأدواء والبلوى . قد طيب الله عز وجل من الخنا لسانه، كما طهر من العيوب جنانه، وحفظ عليه بطاعته أوقاته وأحيانه كما أطلق بالعلوم والحكم والمعارف لسانه .

ومن نفسه الطيب قوله :

يا من أرجو فيض فضله　　　وأخاف من سطوات عدله

مالى سواك فلا تكلنى　　　يا من له الخلق والأمر كله

ومنه في المعنى أيضاً :

أرجو إلهى ذا الكرم والأفضال　　　يفتح على قلبى سنى الأحوال

مما منح أوتادها والأبدال　　　وأغواثها وأفرادها والأقطاب

ولعمرى لقد أعطاه الله رب الأرباب الملك الوهاب الرجا وفوق الرجا وأحسن له المآب ومن رجاه سبحانه ما خاب لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب . ومنه :

إنى لأرجو عواطف الله　　　المحسن المفضل الجواد

سبحانه جل من كريم　　　قد عم بالفضل والأيادى

ومن نظمه الفائق في المعنى :

ولى حسن ظن به قربتى　　　بربى وحسبى به يا غلام

ومنه أيضاً :

ولى أمل في الله جل جلاله　　　وظن جميل لم تغيره أغيار

ومنه أيضاً :

لولا الترجى لما يأتى　　　من نفحة الملك القدوس

لمزقت قلبى الأحزان　　　وذبت من شدة الكرب

عش بالرجاء والأمل يا صاح ... وحسن الظن بالمعبود
وزجّ وقتك بالأفراح ... ولا تأسف على مفقود
وارق إلى عالم الأرواح ... فإنه الأصل والمقصود
ولا تعول على الجثمان ... فإنما هو للترب

ومنه أيضاً :

فالظن بالله مولانا وسيدنا ... ظن جميل مع الأنفاس يزداد
نرجوه يرحمنا نرجوه يسترنا ... فمنه للكل إمداد وإيجاد
ندعوه نسأله عفواً ومغفرة ... مع حسن خاتمة فالعمر نفاد
وقد رضينا قضى الله كيف قضى ... واللطف نرجو وحسن الصبر إرشاد

ومنه :

وظننا فيه سبحانه والمنى طويل ... نرجوه يرحم ويغفر كل ذنب ثقيل
ويجبر الكسر فهو المرتجى والكفيل ... والمحسن المنعم المفضل ومعطى الجزيل

ومنه :

ولكننى أرجو إلهى وخالقى ... وإن الرجا فى الله حصنى ومعقلى
وما بقى فى اليد غير الرجا ... لرحمة الله إله الأنام
هو ربنا والحسب نعم الوكيل ... ندعوه نسأل منه حسن الختام

ومنه :

إن لى فى الله آمالا طويله ... وظنونا حسنة فيه جميله
ليس لى فى نيل ما أرجو توسيله ... غير طه المصطفى زين الوجود

ومن الشواهد العظيمة والدلائل الجسيمة على قوة الرجاء وشدة الطمع فيما عند المولى تعالى المنبئة عن كمال الحال والسكون مع الرجال الراقين للرتب العوالى

التى هى محض تعلق بذى الإكرام والإجلال فى سائر الأحوال هـذه القصيدة له . أحببت إيرادها للمناسبة ولما فيها من الدعاء والتوسل والافتقار والادكار والاعتبار والرجاء والتفويض والتبرى من الحول والقـوة والإقرار بالوحدانية والثناء وكال التملق بالله وقطع التملق بما سواه والاعتراف والتملق والإدلاء بالحوائج بين يديه تعالى ومعرفة أن لا نافع ولا ضار غيره وأن الحوائج عنده وفى قدرته والحضور معه وغير ذلك من الفوائد الجمة . وكان الناظم يقول : من حزبه أمر أو أراد حاجة فليقرأ هذه القصيدة :

ما فى الوجود ولا فى الكون من أحد   إلا فقير لفضل الواحد الأحد

معـولون على إحسانه فقـرا   لفيض أفضاله يا نعم من صمد

سبحانه من خلق الأكوان من عدم   وعمها منه بالأفضال والمـدد

تبارك الله لا تحصى محامـده   وليس تحصر فى حد ولا عدد

الله الله ربى لا شريك لـه   الله الله معبودى وملتحدى

الله الله لا أبغى بـه بـدلا   الله الله مقصودى ومعتمدى

الله الله لا أحصى ثنـاه ولا   أرجو سواه لكشف الضر والشدد

الله الله أدعـوه وأسألـه   الله الله مأمولى ومستندى

يا فرد يا حى يا قيـوم يا ملك   يا أول أزلى يا آخر أبـدى

أنت الغنى عن الأمثال والشركا   أنت المقدس عن زوج وعن ولد

أنت الغياث لمن ضاقت مذاهبه   ومن ألم بـه خطب من النكد

أنت القريب المجيب المستغاث به   وأنت يارب للراجين بالرصـد

أرجوك تغفر لى أرجـوك ترحمنى   أرجوك تذهب ماعندى من الأود

أرجوك تهدينى أرجوك ترشدنى   لما هو الحق فى فعلى ومعتقدى

أرجوك تمنيني أرجوك تكفيني ... بفضلك الله ياركنى ويا سندى
أرجوك تنظرني أرجوك تنصرنى ... أرجوك تصلح لى قلبى معا جسدى
أرجوك تعصمني أرجوك تحفظنى ... يارب من شرذى بغى وذى حسد
أرجوك تحييني أرجوك تقبضنى ... على البصيرة والإحسان والرشد
أرجوك تكرمنى أرجوك ترفعنى ... أرجوك تسكننى فى جنة الخلد
مع القرابة والأحباب واشملنا ... بالفضل والجود فى الدنيا ويوم غد
وجهت وجهى إليك الله مفتقرا ... انيلنى معروفك الجارى بلا أمد
ولا برحت أمد الكف مبتهلا ... إليك فى حالة الإملاق والرغد
وقائلا بافتقار لا يفارقنى : ... ياسيدى يا كريم الوجه خذ بيدى

وكان رضى الله عنه كثير الدعاء والابتهال والتضرع والسؤال فى جميع الأحوال عظيم الافتقار والانكسار لعالم الخفيات والأسرار آناء الليل وأطراف النهار كثير التملق فى الأسحار .

وكان يطيل الدعاء ولا يمل منه طرفة عين كل حين وكان يظهر عليه التلون عند الدعاء من آثار الخضوع وما ينازل باطنه من أنوار الإنابة والرجوع ويعرف كل من هو حاضره بما يبدو على أسارير محياه مامنحه مولاه من مزايا القرب وحباه وما أكرمه من التحف وبإزاء يكاد يفصح مايبدو عليه من السرور والحبور ما انطوى عليه ضميره من الحضور وما ووجه به من الكشف والنور .

وكان كثير الدعاء بالجوامع الكوامل من الدعوات النبوية والمأثورة عن السلف الصالح وله أدعية مخترعة جامعة نافعة تشبه الأدعية النبوية كما ستراها فى باب أورده غالبها يشتمل على الأمور الكلية الشاملة الظاهرة والباطنة والعاجلة والآجلة والأكثر أن يدعو بلفظ الجمع خصوصا وعموما .

وكان فى دعائه كثير الاهتمام بأمـــور المسلمين وإصلاح شئونهم العاجلة والآجلة لما غلب عليه من الرحمة والشفقة عليهم حتى أحب الناس إليه وأحظاهم عنده من يخبر بمسارهم وأبغضهم وأبعدهم عنده من يخبره بمساءتهم .

وكان يقول : من أخبرنى بأمر فيه مساءة للمسلمين فكأنما يستقبلنى بشهاب من نار .

وكانت تظهر عليه البهجة والسرور التام إذا تجددت لهم المسارّ ويكثر من الشكر لله تعالى على ما تفضل به ويسأله التمام والدوام وبعكسه يظهر عليه التكدير والاهتمام مع الرضا والتسليم للحكيم العليم .

قال نفع الله به ـ بعد أن وصف بعض الأحوال المهولة التى جرت على المسلمين من ولاتهم وأظهر شدة الاهتمام بذلك وكثرة الشفقة ـ قال : والقلب فى بحر من التسليم سابح ومن ترك الاعتراض على الله تعالى عز وجل فى حكمه وتدبيره فهو السعيد الرابح .

وكان أكثر دعائه للمسلمين ، ويوصى من أوصاه أن يدعو للمسلمين وانظر شيئاً كثيراً من ذلك فى مراسلاته تعرف بشدة اهتمامــه بأمور المسلمين . وكذا فى كلامه المنظوم ما لا يحصى من الأدعية الخاصة والعامة ، تعرف قـوة رجائه ، وتعلقه بربه واعتماده واستناده وتوكله وثقته وتبرءه من حـوله وقوته ، وشهود أنه لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

الفصل الثالث عشر

فى ذكر حبه لربه وشوقه إليه وأنسه به سبحانه

وكان رضى الله عنه يقول : أفاض الله على قلبى بمحبته فامتـلأ قلبى حزنا فصار دار الأحزان . ويقول : دكتنى المحبة ، وأخذت كليتى وأذابنى الحب حتى خامر جميع أصولى ، فأنا ذاهب القلب ، وإن رأيتنى بين هذا الخلق . وفى المعنى له ـ نفع الله به ـ :

قـــد مازج الدم ودادى له وغاص فى لحمـــى وأوصالى

ولعل فى ذلك الإشارة إلى قول صاحب العـوارف ـ رحمه الله ـ خالص الحب هو أن يحب الله تعالى بكليته . وذلك أن العبد قد يحب الله ورسوله بحكم الإيمان ، ويحب الأهل والولد بحكم الطبع . وكان رسول الله ﷺ يدعو : اللهم اجعل حبك أحب إلىّ من نفسى وسمعى وبصرى ومالى ومن الماء البارد . وذكره الأهل والمال والماء البارد استئصال عروق المحبة بمحبة الله تعالى حتى يكون حب الله غالبا ، فيحب الله بروحه وقلبه وكليته حتى يكون حب الله أغلب فى الطبـع أيضاً والجبلّة من حب الماء البارد . وهذا يكون حبا خالصا لخواص تنغمر بنوره نار الطبع والجبلّة . وهـذا يكون حب الذات عن مشاهدة بعكوف الروح وخلوصها إلى مواطن القربى وهو الحب الخالص وهـو حب الذات عن مطالعة الروح وهو الحب الذى فيه السكرات وهـو الاصطناع من الله تعالى لعبده واصطفاؤه إياه . وهذا الحب يكون من الأحـوال لأنه محض موهبة ليس للكسب فيه مدخل ، وهو مفهوم من قوله عليه السلام : أحب إلىّ من الماء البارد ؛ لأنه كلام عن وجدان روح تلتذ بحب الذات وهذا الحب الخاص هو أصل الأحوال السنية وموجبها انتهى .

وكان يقول : أنا بحمد الله لا أجد هَمَّ الدنيا ، إنما أصدق بوجوده لغيرى وعندى من الشجون القلبية ما لو وزع على أهل تريم لهربوا ، ولا أجد فىَّ شعرة تهتز لأحد أصلا . قد ملأ الله قلبى بمحبته .

وإلى ذلك المعنى والمشرب الأهنى يشير بالقول الأسنى فى التائية له ـ رضى الله عنه ـ :

ولله روح خالط الحب كلها ومازجها حتى صبت للصبابه
وخامرها خمر الغرام فأصبحت وأمست على حب الحبيب مقيمه
يظن بها من ليس يدرى بشأنها بأن بها سكر الخمور الأثيمه
لها أبدا شوق إلى خير معهد به خير عهد فى العصور القديمه
يذكرها العهد القديم سماعها لترجيع تال للمثانى الكريمه
ورنة أذكار وصوت مسبِّح ونغمة حادٍ بالمطايا الجديه
وتغريد ورق فوق أغصان دوحة وتلحين شادٍ بالأغانى الرقيقه
وكل نسيم هب أو بارق سرى وأشيا أرى فى سترها حفظ حرمه

وكان يقول : أصوات النغمات تورثنى الحزن وما أحس من سماعها وأتأثر إلا كما أسمع قارئاً حسن الصوت بالقراءة فى غاية الجودة والحسن والرقة والتخويف .

وكان يقول : أجد فى قلبى محبة ومودة لكل مؤمن أمراً عظيما ولكن محبة الله سبحانه سترت ذلك .

ومن كلامه المنظوم :

ظن الخلق بأن العبد يؤنسنى فكيف يؤنسنى طردى وإبعادى
أم كيف أسلو غريباً صار قربهم أقصى مرادى ومطلوبى ومرتادى

أم كيف أنسى لهم عهداً وقد منحوا ... محض الوداد وجادوا قبل إيجادى

وأتحفونى بسر لو أبوح به ... لشاع فى الناس لوّامى وحسادى

إنى ليتلقنى هــذا النسيم متى ... ما هب من حيث إغوار وإنجاد

وما تمايل غصن فى حديقته ... إلا تذكرت أوقاتى وأعيادى

ولا تغنَّى بذكر الـانيات شجٍ ... إلا جرى الدمع من عينى على النادى

أحبكم لـكم ولما منحتم ... من الإحسان واللطف العجيب

فكم أهدت إلى سرى يداكم ... مواهب دونها أرب الأريب

وكم برزت لروحى من حماكم ... محجبة عن الفطن اللبيب

ولى أمل ورا هــذا بعيد ... وذاك بأن أصير إلى الحبيب

فأشهده مشــاهدة وأفنى ... عن الـكون البعيد مع القريب

وأن أبقى به بعــد التفانى ... فيا بشراى ما أوفى نصيبى

وقال رضى الله عنه :

يا من هواهم فى فؤادى مقيم ... وحسنهم فى مشهدى مستقيم

هل من سبيل لى إلى وصلكم ... من قبل أن تمسى العظام رميم

ويظهر السر الذى صنته ... من ودكم عن مبغض والحميم

ياسادتى منوا على عبــدكم ... الهائم الواله بكم من قديم

عطفاً على من صار فى قلبه ... من حبكم والشوق أمر عظيم

لو كان يدريه العذول له ... فى حسنكم عاد الشفيق الرحيم

وقال رضى الله عنه :

أنا مشغــول بليلى ... عن جميع الـكون جمله

فإذا ما قيل من ذا ... قل هو الصب المولّه

أخـــذته الراح حتى لم تبق فيـــه فضله

راح ألمس راح قدس ليست الراح المضله

نسمات القرب هبت من ربوع العامريه

أطربت روحى وسرى حين أهدت لى التحيه

وسرت فى الكوز منها نفحـــات عـــنبريه

فأرو عنى من حديثى إن تكن يا سعد أهله

إنه سر شريف ليس للأغيار يذكر

إنه معنى لطيف عن جميع الناس يستر

غير عن عبـــد تقى صاف صوفى محرر

ذى شريعة وحقيقـــة جمع الفرع وأصـــله

أين أرباب المثـــانى والعـــلوم اللدنيه

أين أصحاب المعانى والنفوس العـــلويه

أنا أدعو من دعانى هكذا حكم القضيه

فى خصوص لا عموم هـــله من نهـــله

وقال رضى الله عنه :

هواكم بقلبى والفؤاد مقيم وشوق إليكم مقعد ومقيم

وأنتم لروحى روحها ونعيمها فيا حبذا روح لها ونعيم

إلى آخر ما قال فى المدنى من هذه القصيدة .

وقال فى أثناء أخرى ـ نفع الله به ورضى عنه ـ :

إن الهوى فى الصب قد تحكم وتم من شأنه عليه ما تم

والله يعـــلم ما هنا وما ثم وما الخبر يا صاح كالعيان

وقال قدس الله سره :

قل للأحبة حيث ما أبصرتهم   إن المحب المستهام يلام
أيلام مثلى فى هوى أمثالهم   كلا وكلى لوعة وغرام
وجوارحى وجوانحى فى طيها   كبد تذوب ومهجة وسقام
ولقد سبانى حسنهم وجمالهم   وجميلهم والفضل والإنعام
إنى أحول وأنثنى عن بابهم   وبه تحط السادة الأعلام
من كل علام منيب خاشع   يحيا به الإيمان والإسلام
كم عارف متمسك متحقق   فى الكشف والتقوى له أقدام

وله نفع الله به :

مرحباً مرحباً بعرب المصلى   بأحبابنا وأهلا وسهلا
هم مرادى وهم مناى وقصدى   لست عنهم يا صاحبى أتولى
كيف أنسى ودادهم كيف أنسى   عهدهم والفؤاد بالحب يملى
من قديم فى عالم الروح روحى   بشهود جمالهم تتملى
قدم الصدق مقعد الصدق حسبى   وهو حسب الذى على القصد يتلى

وقال نفع الله به :

محب ليس يدرى من يحب   ولا ماذا يحب أيستقب
له هذا فقل لى يا نديمى   وأوضح ما تحب لمن تحب
إذا هبت نسيمات المعالى   تزلزل قلبه إن كان قلب
وإن سجعت حمامات المعالى   على أغصانهن تراه يصبو
وإن صرت أحاديث الغوانى   به يبكى بدمع لا يغب
وإن عرضت لطيفات الأغانى   على أسماعه يغشاه كرب

وقال رضي الله عنه :

لجيران لنـــا بالأبطحيه ... بعثت مع النسمات التحيه
وأودعت النسيم حديث حب ... قديم كان من يوم القضيه
دفين في الفؤاد به حياتي ... إذا صال الفناء على السويه
تزمزم لي الحداة بذكر ليلى ... وما هي يا فتى بالعامريه
فأصبو ثم أصبو ثم أصبو ... ولا كالصبـــوات العذريه
وليست للأغاني والغواني ... ولا للشهوات الدنيويه
ولا لفانيات بأي معنى ... ولكن للأمور العلويه
حقائق من رقائق قد تسامت ... بأوج الحضرات القدسيه
مناظر للنواظر من قلوب ... مطهرة زكيات نقيه
وأرواح تطير إلى علاها ... بأجنحة الغـــرام المقلديه
فتسرح في رياض من جنان ... وتأوى للقنـاديل المضيه
فوا شوق الفؤاد لخير عيش ... مع الأحباب في الغرف العليه
عسى الرب الكريم بمحض فضل ... يبلغنـا أقاصي الأمنيه

وقال قدس الله سره ونفع به :

أنتم أنتم أحبـــة قلبي ... ومناي من الوجود وحسبي
وإذا ما وجدتكم طاب عيشي ... وتولى همي وغمي وكربي
ويرق لي الزمان ويحيي ... كل ميت مني ويسهل صعبي
شرفوني بالقرب منكم ووصل ... يداوى لي من كل داء وطبي
يا سكونا في مهجتي وفؤادي ... لا بغور ولا بنجد وكثب
حبكم وودادكم حشـــو قلبي ... من قديم وقبل ماء وترب

وإذا ما وجدتم سرّ سرى ... واستراحت روحى بأنس وقرب

فارتضونى عبداً لكم ونزيلا ... ولزيماً لكم فقيراً ملبى

دعوة الحق حين يدعو إليكم ... داعى الحق خير عجم وعرب

أحمد الحامدين خير البرايا ... سيد المرسلين صفـــوة ربى

صلوات من الإله عليه ... وعلى الآل خير آل وصحب

ما سرى بارق وهب نسيم ... واستهلت غمامة فوق شعب

خاتمة هـذا الباب

فى جمل متفرقة مهمة ومثيرة ومنعشة الهـــمة من شمائله

كان ـ رضى الله عنه ـ كثير النزوع إلى الحرمين الأكرمين ، عظيم الشوق إلى المشاهد الشريفة والمعاهد المنيفة، زائد التأثر بذكر تلك المآثر كما هو مشاهد من أقواله وأفعاله ، بل أكثر تغزلاته بها فى نظمه . ويميل جدا إلى الأشعار التى فيها ذكرها أكثر من غيرها ، سيما كلام الشيخ ابن الفارض وقل أن يسمع بذكر هاتيك المعاهد إلا ويحصل له الشجا والبكا .

قال بعض فقرائه : أنشدت عنده قصيدته الرائية الكبرى فلما بلغت منها قوله رضى الله عنه :

لمغنى قباها والكثيب ورامة ... واحد وسلع والنقا والمآثر

بكى بكاء شديدا وتأثر تأثرا كثيرا وقال لى : أتريد أن تطرح الملح على الجرح ، أتريد أن تذكرنا تلك الربوع ، أتظن أنا نسيناها وإنما نتناساها ثم قال : إن لله رجالا يستجلبون الغفلة وهى فى حقهم رحمة .

ومن كلامه : أود أن أشترى ساعة غفلة ، أتروّح بها فما وجدتها . وكان

رضى الله عنه يقول : لم يبق لنا نزوع إلى شىء إلا الحرمين الشريفين والاجتماع بأهل الذوق .

قال لى بعض الصالحين من السادة آل أبى علوى : أشار علىّ سيدى بالحج سنة من السنين ، فحججت ، وزرت النبى ﷺ . فلما جئت إلى تريم بقى نفع الله به يسألنى عن أفعالى فى الحج والزيارة ، وترددى فى المزارات والمآثر فحصل عنده الشجا فضرب على كتفى وقال :

وحدثتنى يا سعد عنهم فزدتنى شجونا فزدنى من حديثك يا سعد

وكان قلّ أن يسمع الأغانى الرقيقة أو شيئا من آلات السماع إلا ويغلبه البكاء والشجو . وكان يقول فى آخر أيامه : لا أحتمل سماع كلام الفقيه الذائق عمر بامخرمة. أخبرنى بعض النشاد المجيدين قال: أمرنى ـ نفع الله به ـ بحفظ قصيدة الفقيه التى أولها :

سلام يا من بذكر اسمه يزين الكلام سلام يشفى الخواطر والقلوب السقام

فحفظتها ثم أنشدتها بين يديه فتأثر بها وأعطانى شيئا ودعا لى بخير الدارين .
وكذا آخر قال : أنشدت عنده قصيدة الشيخ التى أولها :

مر ساجى البابليه دائم أيامه معجب

إلى أن قال :

ما على من حب معتب وإن أحد أعاتب يعاتب

فظهر عليه الشجا والبكا وأمر بإعادتها ثلاثا وقال : لا تأتنا هذه الليلة إلا من كلامه .

وكان ـ رضى الله عنه ـ غاية فى التعظيم والاحترام لجده المصطفى عليه السلام وآله المطهرين وأصحابه الكرام والسلف الصالح. ويكفى فى تعظيمه للرسول ﷺ

وشدة احترامه ، كمال المتابعة له فى جميع أقواله وسائر أحواله ، كما عرف ذلك من سيره وشمائله .

وكان عظيم الغيرة على المنصب النبوى وأهل بيته المطهر ، كثير الثناء عليهم والمدح لهم والنضال عنهم كما تراه فى نثره ونظمه ، وكذلك على أصحابه الكرام الأكرمين والسلف الصالحين . وكان يقول من فضل الله علىّ أنه لم يحصل منى اعتراض على ولى لله عز وجل قط لا باطنا ولا ظاهرا .

ومن كلامه المنظوم :

وآل رسول الله بيت مطهر ... محبتهم مفروضة كالمودة
هم الحاملون السر بعد نبيهم ... وورّاثه أكرم بها من وراثة

وأشار بقوله هم الحاملون السر بعد نبيهم وورائه إلى القول بأن القطب لا يكون إلا منهم أعنى الفاطميين . وكان يميل إلى ذلك كما سمعته من سيدى ومعتمدى أحمد بن زين الحبشى — نفع الله به — ثم قال بعد ذلك :

وأصحابه الغر الكرام أئمة ... مهاجرهم والقائمون بنصرة
نجوم الهدى أهل الفضائل والندى ... لقد أحسنوا فى حمل كل أمانة
ومتبعوهم فى سلوك سبيلهم ... إلى الله عن حسن اقتفاء وأسوة
أولئك قوم قد هدى الله فاقتده ... بهم واستقم والزم ولا تتلفت
ولا تعد عنهم إنهم مطلع الهدى ... وهم بلغوا علم الكتاب وسنة
فذو القدح فيهم هادم أصل دينه ... ومقتحم فى لج زيغ وبدعة
فما بعد هدى المصطفى وصحابه ... هدى ليس بعد الحق إلا الضلالة

وكان شديد الاحترام والتعظيم للسادة آل أبى علوى خصوصا الأسلاف منهم لا يكاد يعتب عليهم شيئاً قط مما نقل عنهم من الأفعال والأقوال فى عباداتهم

وعاداتهم بل كان عظيم التأسى والاقتداء بهم ويرى الخير كله فى الاتباع لهم على ما كانوا عليه وله فيهم الحب العظيم والثناء الجسيم والذكر الفخيم خصوصا ولسائر أهل بيت رسول الله ﷺ عموماً نثرا ونظما لا نطيل بذكره .

وكان كثيراً ما يأمر بملازمة ما كانوا عليه ويزجر عن مخالفتهم فى سائر الأحوال . وكان يقول لو وضع السلف وضما فى بناء ونحوه وتغير ذلك الوضع لم يسعنا إلا رده كما كان من غير زيادة فيه ولا نقصان ويقول : إنهم وضعوه بنية صادقة وكان يقول: نحن لا ننكر شيئاً مما فعله السلف الصالح قبلنا لأن ما فعلوه حسن .

وكان عظيم الاحترام والإكرام للعلم والعلماء ، كثير الثناء عليه وعلى أهله غاية فى الحث على طلبه وتحصيله ، وإفراغ الجهد والطاقة فيه ولم يزل طول عمره يحرض الناس وينعشهم ويقوى هممهم على طلبه إلى الغاية والنهاية بحاله ومقاله ومآله . وكان يواسيهم ، وينفق عليهم إذا جاءوا إليه ، ويأمر الغير بالإحسان إليهم والمعاونة لهم وكان يلوم ويعاتب من تخلف أو أبطأ منهم .

وكان يقول : ما وجدنا الخير كله إلا فى العلم ولولا العلم ما عرف العبد ربه ولا عرف كيف يعبده . فاجتهد يا أخى فى طلب العلم . وكان مدة حياته فى تحصيل الكتب من فنون العلم الشريف وخصوصا كتب الحديث والسير وكتب القوم ، وخصوصا كتب الغزالى منها حتى جمع منها عدة كبيرة بالشراء والكتابة وغير ذلك .

أخبرنى بعض فقرائه المنورين قال : لما علمت أنا وصاحب خزانتى الكتب لسيدى نفع الله به أنفق علينا مدة العمل شيئاً كثيراً من المطاعم الطيبة وغير ذلك . ولا يميل من عندنا إلا فى بعض الأوقات . ثم بعد الفراغ من العمل

ضاعف لنا الأجرة أضعافا كثيرة . وقد كان أعد بعض ذويه خشبا مليحا يريده أبوابا لبيت سيدى فقال لنا : خزائن الكتب أولى من البيت خذوا من الخشب ما حسن للخزائن وزان واتركوا ما دون ذلك للبيت إذا كان ولا بد .

وكان معظما محترما لأرباب العبادة والنسك سيما أهل قيام الليل يثنى عليهم وربما أمدهم بشىء من ماله وكثيراً ما يحثهم عليه وينسب المقصرين عن ذلك إلى الكسل والعجز .

وكان يوصى من استوصاه غالبا ، بتقوى الله وعلو الهمة ، والمحافظة على الفرائض . وكان إذا أراد أحد منه الاستيداع لسفر يوصيه بتقوى الله والمحافظة على الفرائض فى الجماعة ، وبالأذان أن يرفع الصوت ما أمكن ، وبقراءة حزب الأسبوع ، وبقراءة سورة يس عند الخوف أو لإيلاف قريش وقد يقرأ هو للمسافر الفاتحة بنية الحفظ والتيسير ولإيلاف قريش ، وقد يقرأ آية الكرسى ، ويأمر بالأذان والإقامة بعد للمسافر .

وكان نفع الله به من أولى التمكن والرسوخ فى اليقين قال سيدنا الإمام أحمد بن زين الحبشى نفع الله به : كان عند حدوث الحوادث المزعجة جبلا راسيا لا يكاد يظهر عليه أثر هذا فى الحوادث الخارجة . وكذا كان فى غاية التمكين عند طروق الأحوال الباطنة ، فلا تحركه رياح الحوادث والأهوال ، ولا تستفزه طوارق الأحوال لثبوت أصل شجرة يقينه وعلو مراق فروع عرفانه وتمكينه .

وشكا إليه بعض أصحابه الصادقين خواطر وأوهاما ووساوس ، فأجابه بما معناه وما ذكرته وشكوته مما يخرج به الصدر مثله وأمثاله لا يحرك منا شعرة والسعة المشاهدة فى الظاهر وفى الباطن أضعافها . الحمد لله . واعلم أن الخلق

لو طلبونا ما وجدونا . أعنى وهم على ما هم عليه من الاشتغال بهـذا العالم المظلم وما بيننا وبينهم إلا التجمل والتحمل والمرجع إلى الله . وحسبنا الله الفرد الأحد والسلام . وكتب إليه أيضاً : من طرح يده وقت طلبنا ومن بقاها بقيت فى الهوى ، وانهض وسارع تنتفع ، واسلك وشمر ترتفع ، انتهى . فسألت سيدى أحمد عن معنى ذلك فقال : إشارة إلى سعته واتساع دائرة دعوته من أى وجهة جاءه الطالب وجده .

وكان ـ نفع الله به ـ قوى الهمة والعزم فى الدين ، لا يقنع بدون الاستهلاك فى سبيل رب العالمين ، يأخذ فى جميع الأمور بمعاليها ولا يلوى على الدون منها بل لم يسمع بمكرمة أو فضيلة كائنة ما كانت فى عادة أو عبادة إلا وشمر فى العمل بها كمالها وجميع ماذكر من شمائله وفضائله شاهد له بعلو الهمة والحزم وقوة الجأش والجزم .

وكان يأمر أصحابه ويحثهم على الهمة بقوله وفعله . قال سيدى أحمد : مامررت من عند سيدى عبد الله فى جميع سفراتى إلا وهو يوصينى بالهمة ويقول : إنها قالب التوفيق ، وهو روحها .

وقال رضى الله عنه مشيرا إلى الهمة متحدثا بالنعمة فى أثناء التائية الكبرى :

خليلىّ هل من مسعد منكما على	سلوك سبيل دارس وخفية
تأخر عنها الأكثرون وأعرضوا	لما علموا فى قطعها من مشقة
فإن تسعدانى بالوفاق فإن لى	به بعض أنس وارتياح وقوة
وإلا فأمر الله عندى معظم	وعندى بحمد الله يا رب رغبة
وكم طرفة كم تحفة كم عطية	بها دونها بسطى وروحى وراحتى

وقال أيضاً رضى الله عنه مشيرا إلى النفس :

سأمضى لشانى وأطرحها وشأنها فشغلى بها قد بان من أقبح الشغل

وأعملت من غمد السجية مرهفا من العزم ماض قد تحاشى عن الفل

وغير ذلك من الأقوال والأفعال التى لو تتبعت لاتسع المجال وطال . وكان يعجبه كل ذى همة عليه ونفس عن الدنايا أبية .

وكان صاحب الوفاء العظيم والمروءة التامة والفتوة العامة لجميع المسلمين خصوصاً من له به نسبة من قرابة أو صحبة ولو على بعد . وكان له غيرة عظيمة على أصحابه واللائذين به .

وكان رضى الله عنه ينكر المنكرات العامة ، ويشدد الإنكار ، ويطلق اللسان فى ذلك ، ولا يخاف لومة لائم .

وكان يلوم غاية اللوم من لم يقم فيها ممن يقدر على القيام .

وكان معظماً لمحارم الله على الإطلاق ، ويذم للمتهاونين بها غاية الذم .

وكان إذا شاوره أحــد فى أمر دينى أو دنيوى يتوقف حتى يظهر له أمر النصيحة فى المشورة ، ويتبين له الصواب ، ويعجبه أن يستشار فى الأمور شفقة منه ورحمة على عباد الله تعالى ، ويثقل عليه جداً من شاوره ويخالف مشورته .

وكان يشدد النكير على أهل الظلم والتجبر والتمرد والتكبر على عباد الله تعالى ويتلطف كالنساء والصغار والخدم ، ولا يكلفهم من العبادة مالايطيقون خصوصاً المحترفين منهم .

وكان يكره التكلف فى العوائد النفسية ، وينهى عن ذلك ويأمر بالاقتداء بالسلف الصالح خصوصاً آل أبى علوى ويشير إلى طريقتهم فى العبادات والعادات وأنها الطريق المثلى من لزوم الكتاب والسنة والتقوى والتورع والتوكل على الله

والزهد فى الدنيا والقناعة باليسير منها والصبر على خشونة العيش من غير تكلف ومراعاة للخلق .

وكان يحفظ من سيرهم فى عباداتهم وعاداتهم ما لا تسعه المجلدات الكثيرة ومن أنسابهم وتداخلهم ما يقول السامع : إن هذا لا يكون إلا من قبيل الكشف لا من جهة الكسب وكذا سير وأنساب غيرهم من السلف والخلف .

وكان رضى الله عنه إذا ضحك تبسم كجده المصطفى ﷺ ، وإذا سر واستبشر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وتبدو أسارير وجهه .

وإذا نظرت إلى أسرّة وجهه تبدو كمثل البارق المتهلل

وكان فى أكثر أوقاته ضحوكا مستبشراً مسروراً لما ينازل باطنه من أنوار الجمال الأقدس ، ويسرى منه السر والسرور والبشر إلى جلسائه فينسون بذلك ما وراءهم حتى أنفسهم وربما ذهل الجائع عن جوعه والمتألم عن ألمه والمهموم عن همه ولا يودون انقضاء مجلسه أبداً .

وكان مجلسه وقوراً هادئاً مطمئناً وإن طال مجلسه .

وكان فى جلوسه ربما تربع وربما احتبى بيديه أو بحبوة . وربما رفع ركبتيه جميعاً واستوى على بطون قدميه ، وربما جلس واضعاً فخذه اليسرى ، ورافعا ركبته اليمنى وهو الأكثر ، ويضع يده اليمنى على ركبته اليمنى . وذلك لما شاهدته . ولعل غير ذلك . والله أعلم .

وكان مجلسه مهيباً لا يكاد يتكلم أو يتحرك منه أحد حتى كأن على رءوس جلسائه الطير كما قيل :

يدع الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
عز الوقار وعز سلطان التقى فهو المهاب وليس ذا سلطان

قال سيدنا وشيخنا أحمد : له هيبة عظيمة فى القلوب حتى إنه فى بعض الأحوال يكاذ ينفطر قلب جليسه من الهيبة لا لشىء يظهر منه ولـكن هيبة الولاية .
يقول « إن الله عز وجل يجللنا بالهيبة إذا شاء ، وإلا فنحن من أهل الجمال .
وقال: إن لله رجالا إذا جلس عندهم أولو العقول سُلبوا عقولهم، مشيراً إلى نفسه، فى واقعة حذفتها اختصاراً .

●●●●

الباب الثالث

فى أحرف تتعلق بشأن طريقته وسلوكه ، وأخذه عن الأشياخ وأخذهم ، وفى لبس خرقته ، وتلقنه الذكر ، ومصافحته وغير ذلك ، وسلسلة الإسناد للخرقة بالاختصار ، وكذا شىء مما يتعلق بصحبته ومزاياها وفوائدها وأسرارها ، وحصول النفع بها ، وخصوصية أصحابه وتميزهم على الغير ، وذكر شىء من إلباسه لهم وتلقينه ، وذكر بعض من اجتمع به وانتفع من أهل الخصوص ، من الأحياء والأموات بالتعيين والإبهام ، فى يقظة أو منام ، وغير ذلك مما يشاكل هذا الكلام ، ومن الله العون والمدد والتمام وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول

فى ذكر طريقته ـ نفع الله به ـ

قال رضى الله عنه : طريقتنا ليس يحتاج فيها من حيث الإجمال إلى شرح فإنما هى الكتاب والسنة والاقتداء بالسلف الصالح لا غير . ولهذه الجملة تفصيل يطول . ولو وجدنا من صدق فى طلبه ورغبته وجدّه وتشميره كما ينبغى من أهل هذا الزمان لشرحنا لهم على التفصيل ، وبينا ما يخص منها وما يعم ، وما هو به الأولى لبعض ، وما هو الأولى بغيره .

والحاصل أن طرائق أهل هندستان موافقة طريقتنا ؛ لأنه غلب عليهم التحفظ والتمسك بالكتاب والسنة والاحتياط فى الدين .

وكان يقول : طريقتنا على نحو ما كان عليه الحسن البصرى ، أى وأمثاله من كمّل السلف المتقدمين .

وكان يقول : مذهبنا إنما هو الكتاب والسنة ، وطريق السلف الصالح فى كل شىء ، الإمامة فيه بسير أهل الزمان فى ذلك إن وجد .

وكان يقول : ما فيها إلا الله ورسوله وسيدنا الفقيه للقدم ، وطريقة الفقر ما حاجتنا إلا منه . وقد أسس لنا سلفنا يعنى آل أبى علوى الأمور ، فلا نقتدى إلا بهم .

وعن السيد الفاضل العالم العامل عبد الرحمن بن السيد العارف على بن عمر باعلوى قال : سمعت الأستاذ عبد الله بن بن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ ذات يوم ، وقد جرى ذكر طريق القوم وحكمها ، وما ابتدع من الكيفيات والرسوم فيها ، فأخذ فى الكلام على وصف طريق السادة بنى علوى ومدحها ، وأطال النفس فى مدحها وتفخيم شأنها وتقوية أركانها إلى الغاية .

من ذلك أن طريق السادة بنى علوى أقوم الطرق وأعدلها وسيرتهم أحسن السير وأمثلها ، وأنهم على الطريق المثلى ، والمهيع الأفيح ، والمشرع الأوضح ، والسبيل الأسلم الأوضح . ولا ينبغى لخلفهم أن ينتهجوا بغير النهج الذى درج عليه سلفهم ، ولا أن يميلوا عن طريقهم وسيرتهم باتباع غيرهم وإلقاء القياد إلى كل من يدعى التسليك والتحكيم ممن يخالف ظاهره سيرة آل أبى علوى وطريقهم ، لأنها التى يشهد لصحتها الكتاب والسنة الكريمة والآثار المرضية ، وسير السلف الأكمل ؛ تلقوا ذلك خلفا عن سلف ، وأبا عن جد إلى النبى ﷺ ، وهم فى ذلك متفاوتون ، فمن فاضل وأفضل ، وكامل وأكمل . إنما كان ينبغى أن يحسن لمن كان منهم أن يدعو الناس إلى طريقهم وما كانوا عليه وينبغى لمن أخذ منهم عن الغير أن لا يكون أخذه إلا على سبيل التبرك مع تمسكه بسيرة سلفهم وما من أهل طريق إلا وقد خلطوا وبدلوا وخلفوا هدى سلفهم ما عدا آل أبى علوى . ولا يبعد أن تكون لأكابر آل أبى علوى فى الآخرة رتبة ومزية ليست لغيرهم من الأكابر ؛ لما كانوا عليه من الضعف والخمول ، وعدم الشهرة ، وانتشار الصيت والذكر ، مع عظم الحال وجلالة القدر ، انتهى .

وسمعت أن بعض السادة سأله نفع الله به عن طريق القوم كيف هى اليوم ؟ فقال : عافية ، يعنى خالية عن السالكين فقال له : كيف حالكم فيها أنتم ؟ قال : أما نحن بحمد الله فنى أعلاها ، وأعطينا حالا من الفرش إلى العرش .

وكان يقول : إن علم التصوف قد طوى بساطه ، ولكن أذن لنا فى نشره .

وكان يقول : إن طريقتنا طريق الإمامة الكبرى ، لا يقدر أحد على سلوكها . إن أرادها فليلق يده فى يدنا ، ونحن نوصله ، أو معنى ذلك .

وكان يقول : إلباسنا للعامة خرقة الصوفية إنما هو لتبرك والتشبه ، وسيرتنا مع الناس إنما هو على الطريق العامة ، ولكنها اليوم صارت خاصة ، ومنذ نشأتنا إلى الآن ما أشهرنا أنفسنا بسلوك طريق السابقين ؛ لا سابقا ولا لاحقا ، ولا سلكناها بين الناس ظاهراً ، وأين الزمان اليوم من الزمن الأول ، والناس من الناس طالبا ومطلوبا ؟ فقيل له : إذا جاءكم من لا يعرف طريق السابقين ولا طريق أصحاب اليمين فماذا تأمر به ؟ قال : يعمل على ما نحن عليه . فما يرانا نعمله يعمله كما يرى ، من إقامة الصلاة ، وقراءة القرآن ، وترتيب الأوراد من الأذكار وغيرها ، وطلب العلوم النافعة ، مع المواظبة والدوام على ذلك ، فقل من هو اليوم على هذا الحال . وهل رأيت من ينكر هذه الطريقة ، أو يخالفه فيها . وهذه هي طريقة أهل اليمين ، وهي اللاحقة اليوم . ولا ينبغى أن يسمح لأهل الزمان إلا بها لتعذر سلوك طريق الخصوص .

وكان السيد الجليل نور الدين على بن عمر بن حسين ابن الشيخ على يقول : إن شأن التصوف قد خفى وما ظهر اليوم إلا ببركة سيدى عبد الله الحداد . وكان يقول : إن سيدى عبد الله ظهر بكمال المعرفة ، فلا ينبغى أن يفضل عليه أحد أبداً .

وكان سيدى العارف أحمد الهندوان يقول : ظهر لى أن سيدى عبد الله على الكون وأن مشيخته محققة ، ولا بقى اليوم شيخ يرشد غيره ، ولو ظهر فى زمان غيرنا لم تجد عنده لجلوسك موضعا من ازدحام الناس عليه .

❊❊❊❊

الفصل الثاني

في ذكر أخذه عن الأشياخ ، وما وقع له معهم ، حسب ما نقل عنه

قال سيدنا ومولانا : أحمد بن زين الحبشي علوى ـ نفع الله به ـ قال شيخنا الإمام عبدالله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ : إن بعض المتلقين بنا طلب منا أن نكتب له أسانيدنا إلى الأشياخ وإن لنا نحو مائة شيخ الواحد منهم لا يسمح هذا الزمان بمثله ، لرسوخ أقدامهم في الطريقة . وحصل لنا من جميعهم مدد على حسبهم .

وكتب قدس الله سره إلى بعض أصحابه : وإذا كان قصدك أن نذكر لك بعض من أخذنا عنهم من المشايخ وبعض الأسانيد التي لنا في الخرقة ونحوها فاعلم أنا لقينا وأخذنا عن خلق كثير وجماعة ، يطول عددهم ، من السادة آل أبي علوى وغيرهم ممن أدركناه بتريم وجهة حضرموت ونواحيها ، وممن لقيناه في حال سفرنا إلى الحج بالحرمين الشريفين، وباليمن. والظاهر أنا لو عددناهم يزيد عددهم على المائة ، ما بين عالم وعارف ، وأخ صالح .

وقد سئلنا مرات أن نعدهم ونذكر شيئاً من مناقبهم فمنعنا عن ذلك عوارض الزمان ، وقلة رغبة أهله في هذا الشان ، وموانع أخر ، وما كل عذر يتهيأ ذكره كما قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ انتهى .

وقال مرة : الذين أخذنا عنهم نحو مائة وأربعين . ثم قال : ولكننا نذكر شيئاً يسيراً على سبيل الإجمال . فاعلم أنا أخذنا العلم الظاهر عن جماعة من أهله ،

واشتغلنا اشتغالا معتبراً فى أوقات صالحة لذلك ثم أخذنا علوم الطريقة عن جماعة من أهلها ، من ظاهر وخامل .

وكانوا من البقايا فى ذلك الزمان ، وقد صاروا إلى الله والدار الآخرة فمن أجلّهم أعنى أهل الطريق ، السيد الصوفى الملامتى ، عقيل بن عبد الرحمن ابن عقيل السقاف . ترددنا عليه ، وأخذنا عنه ، ولبسنا منه الخرقة .

وذكر لى عند الإلباس أنه لم يلبس أحداً غيرى . ولقينا السيد القدوة أبا بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين والسيد الصوفى عبد الرحمن بن شيخ عيديد وولده السيد المجذوب ، شيخ بن عبدالرحمن والسيد المجذوب العارف بالله عمر بن أحمد الهادى بن شهاب الدين ، والسيد المجذوب الملامتى سهل بن محمد باحسن الحديلى باعلوى والسيدالفاضل العارف المحقق الشيخ عمر بن عبد الرحمن العطاس ، صاحب حريضة ، اجتمعنا به مراراً ، وأخذنا عنه أخذاً تاماً ، طريقة الذكر والمصافحة ، وإلباس الخرقة الشريفة ، وأخذنا عن السيد المشهور العارف المذكور محمد بن علوى باعلوى ، نزيل مكة المشرفة . وذلك بالمكاتبة والمراسلة ، ولم نجتمع به ظاهراً ، وقد لبسنا منه بالمكاتبة أيضاً ، رحم الله الجميع ، ونفعنا بهم ، وأعاد علينا من بركاتهم وأسرارهم ، وعلى كافة المسلمين . انتهى ما كتبه ـ نفع الله به .

ورأيت ما مقاله : بسم الله الرحمن الرحيم . ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير . الحمد لله الذى جعل لباس التقوى خير لباس ، وأشرفه وأفضله وأحسنه ، وأنصفه وأنفعه ، وأدفعه لكل شر وبأس . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه السادة الأكياس .

أما بعد فيقول العبد الفقير إلى عفو الله ، المنتسب إلى أهل الله : عبد الله

ابن علوى الحداد الحسينى : طلب منى الأخ فى الله ، السيد الصوفى : عبد الله ابن أحمد بروم باعلوى الحسينى ، أن أكتب له سلسلة إلباسنا ، وسند نسبتنا فى الخرقة الشريفة العلوية النبوية الإلهية . وكنت قد ألبسته بالتماس منه متقدم ، فقد جددت له الإلباس الآن ثانياً ، وأجبته إلى ما طلب منى من ذكر السلسلة ، وسند الخرقة لمعرفتى بصدق رغبته ، وحسن نيته .

فأقول ـ ولله الحمد من قبل ومن بعد ، وبه الاستعانة ـ : اعلم ـ أسعدك الله وأهلك لكمال معرفته وحبه ، وأنسه وقربه ، وجعلك من المختصين برحمته وبفضله ، ونظمك فى خالص ديوان خاصته وأهله ـ بأنى قد لبست الخرقة الشريفة من يد جماعة من السادة العارفين المشهورين والمستورين ، وأكثر أسانيدهم ومعظمها يرجع إلى سيدى قطب الأقطاب العيدروس : عبد الله بن أبى بكر ، ولنا منه ـ بحمد الله ـ يد باطنة ، فى واقعة عظيمة ، بل وقائع متعددة ، ولنا يد أيضاً من الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلانى ، باطنة ، وصلة ظاهرة ، ومن غيرها ، نفع الله بهما .

ونذكر الآن من جملة طرائقنا وأسانيدنا فى الخرقة ، من حيث الإمام محمد ابن علوى باعلوى ، نزيل مكة المشرفة . وهو الذى أجازنى فيها إجازة مطلقة ، بإذن من رسول الله ﷺ ، كما ذكر ذلك ، نفع الله به . والإجازة فى آخر كتاب منه إلىّ ، ولم يعش بعده إلا يسيراً ، ولم أجتمع به ظاهراً ، وإنما هى الأوراق والرسائل فيما بينى وبينه ، نفع الله به .

قال سيدنا ومولانا أحمد بن زين الحبشى : ألبسنى سيدى وشيخى عبد الله وقال: ألبسنى السيد محمد بن علوى الخرقة مراسلة أرسل بها إلىّ من مكة المشرفة وأذن لى فى إلباسها إذناً مطلقاً ، وهى القبع المشهور عند آل أبى علوى . وذكر لى أنا خشينا اندراس السند للخرقة الشريفة .

وقال السيد محمد شليه ، فى كتابه المشرع : حكى غير واحد أنه أرسل إليه خرقة أخرى ، مع كتاب آخر فى السنة التى مات فيها قيل : إنه وصل هذا اللباس يوم انتقل السيد محمد بمكة . قال بعضهم : أشار بذلك أنه خليفتها . انتهى .

ورأيت بخط بعض أصحاب سيدى عبد الله ـ نفع الله به ـ أنه لما كتب لسيد محمد وطلب منه الإلباس، توقف السيد محمد عن ذلك، حتى استأذن النبى ﷺ فى ذلك ، اعترته عند ذلك حالة ، وهو إذ ذاك فى الحجرة الشريفة ، ثم خرج منها قائلا : قد أذن لنا النبى ﷺ فى إلباس السيد عبد الله ، وأثنى على سيدى فى جوابه بثناء جميل ، حتى إنه حسده على ذلك بعض من حضر . وقيل : إنه الذى كتب جواب السيد ، فأصيب عند ذلك حتى تاب فى سره . وقد ذكرنا ذلك بأطول من هذا ، فى الحكاية الثانية والسبعين بعد المائة ، وأشرنا إلى ذلك فى ترجمة السيد محمد فى خاتمة الكتاب .

وقال سيدنا الأستاذ ـ رضى الله عنه ـ : رأيت فى المنام كأنى أستبق أنا والسيد محمد بن علوى ، فكأنى سبقته فسمعت قائلا يقول : لا تسبقه ؛ فإنه شيخك .

وعن سيدى أحمد عن سيدى عبد الله أنه قال : إن الشيخ أحمد القشاشى المدنى كتب إلىّ يأمرنى أن أرتب بعد كل صلاة : أستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ، وأجازنى بذلك ، وهو سبع وعشرون ، وإنى طلبت منه الإلباس فقال : إنى لا ألبس ، ولكن خذوا هذه السبحة ، فإنها التى أسبح الله تعالى بها .

وعنه أيضاً قال : قال لى : لبسنا الخرقة من السيد عقيل بن عبد الرحمن

ابن عقيل السقاف فإنه صاحب قدم فى الطريقة. وحصلت لنا كرامتان، واحدة: إنى جالس عنده، وفى عزمى أن أطلبه الالباس، وأنا لابس كوفية أخذها منى ولبسها، ثم ألبسنى إياها. وقال: ألبسناكم ولم نلبس أحدا غيركم. وكنت إذا جئت أيام البداية إلى بيت السيد عقيل، يخرج إلىّ وهو ينشد هذا البيت للفقيه الذائق عمر بامخرمه:

ومن رعتـــه العناية فى المجـ ىء والذهاب فـــلا يبالى

ورأيت بخط الشيخ المنور عبد الله بن عمر شراحيـل، صاحب الغريب، وكان من الآخذين عن سيدى، وهـــو قال: سيدنا ومولانا الشيخ عبد الله ابن علوى الحداد لما كان سنة إحدى وسبعين وألف فى جمادى الآخرة، منهـا يوم الاثنين الحادى والعشرين، من الشهر المذكور، تفضل الله عز وجل، أن أنهض الهمة، وأطلق الأقـدام بالسعى من الأصحاب، إلى زيارة سيدنا وأحد مشايخنا السيد: الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس، وكان الاجتماع به فى داره بحريضة، وحصلت بسبب الاجتماع هـذا فوائد ومنافـع، وإمدادات ظاهرة وباطنة. ذلك من فضل الله.

ومن جملتها: أنى طلبت منه الخلوة به، نخلى لى، فكنت أنا وإياه ما معنا إلا الله، فكشفت له عن جملة أمرى تبركا باطلاعه، فما ذكرت له عن نفسى شيئاً إلا واستحسنه، وأقرنى عليه، وأكثر مايحثنى على الدعوة إلى الله وإظهار ذلك للخاص والعام، من غير مبالاة بأحد، والتمست منه شيئاً من الصلة الظاهرة، مثل الإلباس والتلقين، فسمح بجميع ذلك مع الإذن العام فيه: ألبستك وألبس منك، وانتزع عمامته، ووضعها على رأسى، وأخـــذ العمامة التى كانت علىّ، فوضعها على رأسه. وقد اجتمعت به فى هذه السفرة بالمحل المذكور.

قلت : وقد دخلت المنزل المذكور ، وسمعت السيد الحسين ابن السيد عمر المذكور يقول : إنه حال اجتماعهما فى المنزل هذا ، جئت لهم بطهور ، وجلست تحته أسمع مفاوضتهما قال سيدى : ثم إننا سرنا من حضرته قاصدين زيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودى القصد به . وكان فى أصل الهمة بالزيارة ، زيارة السيد عمر المذكور من الأحياء ، وزيارة الشيخ سعيد من الموتى وما اندرج فى ضمن ذلك من زيارة عباد الله الصالحين الأحياء والأموات ، فهو لاحق به ، وتابع له .

وقد اجتمعنا فى هذه السفرة ، بجماعات من أهل الخير والصلاح ، مستورين ومشهورين ، وحصلت معهم اتفاقات حسنة ، وموافقات شريفة ، ومذاكرات لطيفة . ثم إن الله ـ وله الحمد ـ ختم ذلك بمصاحبة السيد عمر بحورة ، وهى على الطريق ، فدخلنا لزيارته ، وبقينا عنده من عشية يوم الخميس إلى آخر يوم الجمعة ، وحصل فى هذا الاجتماع الثانى ، من الخير والمدد ما لا يقدر قدره . وبعد ما ودعنا السيد عمر خارج البلد ، اتبعنا شخص ومعه عكاز ، وقال : هذا السكم من السيد عمر ، فأظهرنا البشارة ، حين عرفنا الإشارة . وكان هــذا السيد عمر حجة فى الاستقامة ، وتصحيح مقام العبودية ، وغاية فى كتمان الأسرار ، وطرح النفس ، وآية فى التواضع ، وإيثار الخمول ، والإعراض عن الخلق ؛ ولكنه لا يعرفه كل أحد ، لأن أكثر كماله وكمالاته كان باطنا لا يهدى إليه إلا بنور الفهم والبصيرة ، وإن كان كله كمال ـ نفع الله به .

وقال سيدنا الإمام عبد الله ـ رضى الله عنه ـ : جئت إلى عند السيد الجليل أبى بكر ابن السيد عبد الرحمن بن شهاب الدين ، وهو مريض أعوده ، فصنع لنا قهوة بنية ، فلما أديرت أبى أن يشرب قبلنا . وقال : قال النبى ﷺ : سؤر المؤمن شفاء . فحفظت هذا الحديث منه ، وما كنت سمعته قبل ذلك .

وقال رضى الله عنه : بيننا وبين السيد الشيخ أبى بكر بن سالم والسيد الشيخ عبد الله بن شيخ العيدروس والسيد الشيخ عبد الله بن أحمد العيدروس فى الأخذ واحد ، وهو السيد الجليل عبد الرحمن بن شيخ عيديد ، أخذنا عنه ، وهو أخذ عن الثلاثة المذكورين ، أخذ عن الشيخ أبى بكر ، وهو ابن سبع سنين . وقرأ على السيد عبد الله ابن الشيخ يحكى أنه قرأ عليه ، أو على السيد عبد الله بن أحمد المتقدم ذكره ، فى كتاب تاج العروس للشيخ ابن عطاء الشاذلى فقال لشيخه مستفهما : ما معنى تاج العروس ؟ قال له : أنت تاج العروس . وكان السيد عبد الرحمن هذا إذا جاءه سيدنا للأخذ عنه ، يطلعه على السر عنده ويقول له مرحبا بشيخ الجماعة ، أو سيد الجماعة . قال سيدنا أحمد : وهذه الكلمة تحتها معنى كبير ، وسر حافل جامع .

وقال رضى الله عنه : كنت إذا جئت عند السيد الجليل العارف المجذوب شيخ بن عبد الرحمن ابن شيخ عيديد ، ونحن إذ ذاك فى المعلامة أنا والصغار ، يأخذنى من بينهم ، ويجلسنى عنده دونهم . وقيل : إنه هو الذى يقول : مرحبا بشيخ الجماعة ، أو سيد الجماعة ، والله أعلم .

ولما وصل ـ رضى الله عنه ـ بندر الشحر ، سائراً للحج ، اجتمع بالسيد العارف الأجل أحمد بن ناصر ابن الشيخ أبى بكر بن سالم ، وأخذ عنه وعقد بينهما عقد الأخوة . قال نفع الله به : لما اجتمعنا بالسيد أحمد بن ناصر ، وجدناه فوق ما توهمناه . وكان الغالب عليه الحال والذهول ، فى أكثر أوقاته.

وقال ـ قدس الله روحه ـ : كنت أطلب الاجتماع بالسيد المجذوب الصالح : سهل بن محمد باحسن الحديلى ، وكانت مجالستى لهذا السيد من أسباب تملق وعوقى لطريق القوم ، لأنه كان يذم متفقهة العصر ، فكان سماعى لذلك

سبب انصرافي ، وتلقى بالطريق . وكان بعض أهلي ينهاني عن مجالسته . فقلت : أنا أعرف بمصلحتي ولم أتركه .

وقال ـ رضي الله عنه ونفعنا به ـ : إن اليد في هذا الشأن لنا من أربعة : من أهل البرزخ ، من الفقيه المقدم ، والشيخ عبد الرحمن السقاف ، والشيخ عمر المحضار ، والشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس . وأما الآن فاليد لنا من النبي ﷺ بلا واسطة . وقال : أسس أمري وبنى على الأكابر ، منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني ، والفقيه المقدم ، والشيخ عبد الرحمن السقاف ، والشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس . وقال : أخذنا عن الشيخ عبد القادر بواسطة ، وبغير واسطة ولنا به اتصال ، من حيث رحم أهل البيت وغير ذلك .

وقال يوما لسيدي : إن الشيخ عبد القادر الجيلاني البارحة أتى إلى مكاننا هذا ، وصلى ركعتين في هذا المكان ، وأشار إلى مكان في مجلسه الذي بمكانه الحاوي . وقال : إن الشيخ عبد القادر لنا بمنزلة الوالد الشفيق ، لما قيل له : إن فلانا ، يعني بعض العلماء الفضلاء ، من المنتسبين إلى الشيخ عبد القادر في الطريقة والتعلق ، يقول : كنت أرى الشيخ عبد القادر ، ويظهر لي . فلما انتميت إلى سيدي عبد الله الحداد ، انقطع عني ظهور الشيخ عبد القادر . وقال : بايعت الشيخ العيدروس أخرج لي يده من التابوت . وقال : الفقيه المقدم والشيخ عبد القادر إمامان كبيران قطبان جامعان شريفان سفيان ، كل منهما سابق مقرب ، وانتفاعنا واعتمادنا على المقدم أكثر وأظهر ؛ لأنه الأب والشيخ ، والذي تدور عليه الدوائر ، في هذه الجهة لنا ولغيرنا ، وهما في المقام سواء ، غير أن ظهور الشيخ عبد القادر في العالم الدنيوي أكثر ، وسيدنا الفقيه في العالم البرزخي أكثر .

وقال ـ قدس الله سره ونفع به ـ : رأيت ذات يوم كأنى جئت إلى مسجد آل أبى علوى ، وكأنى بالشيخ عبد الله العيدروس ، وأخيه الشيخ على جالسين بين الاسطوانتين اللتين هما عن يسار المحراب ، من عمارة الشيخ عمر المحضار ، فصرت عندهما ، فبقى كل منهما يريد صاحبه يحكمنى ، حتى أقبل على العيدروس ، ثم ألقى إلى شيئاً فى فمى ، ذهبت به عن حسى ، ثم إنى بعد ذلك لم أتوجه إلى شىء إلا ونلته ، أو قريبا من هذا المعنى ـ رضى الله عن الجميع .

وقال فى أثناء قصيدة أجاب بها السيد الفاضل أحمد بن عيدروس بن عبد الله صاحب الوهط :

سليل الشيوخ العارفين معادن السـ	ـرائر والعرفان أهـــل الولاية
لنا منهم نظم الصلات ومحكم الـ	روابط فى أحكام علم الطريقة
فعنهم أخـــذنا واقتبسنا حقائق	الطريقة عن صدق وصفو مودة
فبالحق فليأخذ عـــلوم طريقهم	يدا بيد حتى مقـــام النبوة
فيا أحمد الخير المبارك يا ابن من	سما بعــلو القـــدر بين البرية
فعن عيدروس القسر بعد عفيفه	إلى الشيخ قطب العارفين الأئمة
على بن أبى بكر الإمام ملاذنا	وعمدتنا فى نقل عــلم الحقيقة

وقد اجتمع سيدنا ـ نفع الله به ـ بالسيد عيدروس بن عبد الله صاحب الوهط ، بقرية الوهط وقال : لما اجتمعت به وجدته فوق ما توهمته . ولما زرت والده السيد العارف عبد الله ، عرفت أنه فى الحقيقة . وقد ذكرت ذلك فيما يتعلق بحجه .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : رأيت فى المنام السيد العارف الهمام الشيخ أحمد ابن محمد الحبشى ، صاحب الشعب ، ألبسنى خرقة الصوفية : قميص آل باعباد

للعروف ، ثم ألبسنى فوقه قبع آل أبى علوى المشهور . وسألنى فى النوم عن مسألة فأجبته عنها . وهى أنه قال لى : من الحى ؟

فقلت : الحى من حيى بمعرفة الله تعالى .

قال لى : صدقت أخبرنى بذلك سيدى أحمد ـ نفع الله بهم أجمعين . وقد رأى السيد الصالح عمر بن حسن بن الشيخ على باعلوى كأن عينين جاريتان من قبر الشيخ عبد الله العيدروس . فسأل : لمن هاتان العينان ؟

قيل : للسيد عبد الله الحداد من السيد عبد الله العيدروس . انتهى .

الفصل الثالث

فى ذكر سند خرقته على سبيل الاختصار تبركا به ـ نفع الله به

فنقول : لبس وأخذ وصافح وشبك ، وتلقن عن السيد العارف : عمر ابن عبد الرحمن العطاس ، ولبس أيضاً ، وأخذ عن السيد الإمام محمد بن علوى ، صاحب مكة ، وهما أخـــذا عن السيد الحسين ابن الشيخ أبى بكر سالم ، وهو عن والده الشيخ أبى بكر ، وهـو عن السيد العارف عمر بن عبد الله باشيبان ، وهو عن الشيخ الكامل السيد عبد الرحمن ابن الشيخ على بن أبى بكر ، وهو عن والده الشيخ على نفع . وأخذ السيد محمد بن علوى أيضاً عن شيخه ، صاحب الوهط ، الإمام عبد الله بن على ، وهو عن السيد شيخ بن عبد الله العيدروس ، صاحب العقد ، وهو عن السيد الإمام عمر بن عبد الله العيدروس، صاحب عدن، وهو عن والده عـبد الله ، وهو عن والده علوى ، وهو عن أخيه الشيـخ أبى بكر العدنى العيـدروس ، وهو عن أبيه العيدروس الـكبير : عبد الله ابن أبى بكر ، وأخذ العيدروس وأخوه الشيخ على عن والدهما الشيخ أبى بكر السكران وعمهما الشيخ عمر المحضار : ابنى الشيخ الإمام عبـد الرحمن السقاف ، والسكران والمحضار عن والدهما السقاف، وهو عن والده الشيخ محمد مولى الدويلة وهو عن والده الشيخ على ، وعمه الشيخ عبـد الله ابن الشيخ علوى ابن سيدنا القطب الفقيه المقدم محمد بن على ، وهما عن والدهما الشيخ علوى ابن الفقيه ، وهو عن والده المقدم، وهو عن والده الشيخ على وعمه الشيخ علوى : ابنى محمد : صاحب مرباط ، وهما عن والدهما الشيخ محمد ، وهو عن والده الشيخ على بن علوى ، خالع قسم ، وهو عن والده الشيخ علوى بن محمد ، وهو عن والده الشيخ محمد

ابن علوى ، وهو عن والده الشيخ علوى، وهو عن والده الشيخ عبد الله ،وهو عن والده الشيخ أحمد بن عيسى ، وهو عن والده الشيخ عيسى ، وهو عن والده الشيخ محمد ، وهو عن والده الشيخ على العريضى ، وهو عن والده الإمام جعفر الصادق ، وهو عن والده الإمام محمد الباقر ، وهو عن والده الإمام زين العابدين على ، وهو عن والده الإمام الحسين ، وعمه الإمام الحسن ، وهما عن والدهما الإمام على وأمهما الزهراء البتول الطاهرة ، وجدهما ﷺ وعلى وفاطمة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ، عنه ـ ﷺ ـ عن جبريل ، وهو عن رب العالمين تعالى .

نعم وثم طريق آخر لسيدنا المعظم الفقيه المقدم أخذ رضى الله عنه ـ عن الشيخ أبى مدين شعيب بالواسطة ، وهو أخذ عن أبى يعزا ، وهو أخذ عن أبى حرازم ، وهو عن أبى بكر بن العربى ، وهو عن حجة الإسلام الغزالى وهو عن إمام الحرمين عبد الملك ، وهو عن والده محمد الجوينى ، وهو عن أبى طالب المكى : محمد بن عطية ، صاحب القوت ، وهو عن أبى بكر الشبلى ، وهو عن الجنيد أبى القاسم ، وهو عن خاله السرى ، وهو عن معروف الكرخى ، وهو عن داود الطائى ، وهو عن حبيب العجمى ، وهو عن الحسن البصرى ، وهو عن الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وهو عن النبى ﷺ ، وهو عن جبريل عليه السلام ، وهو عن الله تبارك وتعالى .

وقد نظم هذا الإسناد الشريف العالى المنيف ، سيدنا ومولانا وشيخنا أحمد ابن زين الحبشى ـ نفع الله به ـ فى سلك قصيدة ، ذكرها فى كتابه : « المسلك السوى التقاط من المشرع الروى » ، فلنذكرها تبركا بها وهى :

لبست بحمد الله لبساً محققاً ‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌ مع الإذن فى الإلباس من قطب دوره

لبست لباس القوم صوفية الورى ... عن العارف الداعي بنجد ونوره
أبي الحسن البحر المحيط بلمهم ... عنيت به الحداد شيخ عصوره
له في لباس القوم طرق عديدة ... يمز على الحصى كتاب سطوره
ولكنني أذكر نهجاً محررا ... له ينتهج من مال جانب طوره
فمن عمر العطاس موصول يده ... بلبس وتلقين ومبسوط نوره
وتشبيك أيد مع دفاء تذاكر ... وخلوة سر واجتماع حبوره
كذاك عن الشيخ الإمام محمد ... نزيل الحرم من قد بنى بظهوره
وأخذها عن شيخ عصر بقطره ... حسين ابن أبي بكر للذنيث لفوره
فأخذ حسين عن فريد زمانه ... أبيه أبي بكر إمام دهوره
وللفخر لبس واتصال بسادة ... أئمة دين محببين دثوره
نعم لنا أيد بوصلة جدنا ... شهاب السنا الحبشي بفخر نحوره
مع أقمار عصر قد سعد بوجودهم ... فطاب زمان قد كمل ببدوره
فمن سادة العصر المقدم ذكرهم ... عمر بن أبي شيبان بحر بحوره
عن السيد المشهور أوحد عصره ... وجيه الدنا والدين حامي عذوره
وأخذ وجيه العصر عن فرد وقته ... أبيه ابن أبي بكر العالي بظهوره
أخذ عن إمام القوم قطب مدارهم ... أخيه عفيف الدين ماسك سوره
لباسه عن الضرغام محضار مهتر ... دعامة دين الحق مجلى عسوره
وصنوه أبي بكر الملقب بسكره ... حظي بانهتاك الحجب عند حضوره
وأخذ عمرو الفخر عن سر والده ... إمام لأهل الله درب بروره
وثيق العرى وارث سر أشرف الورى ... على الذر محيي الموات بصوره
وأعني به السقاف من كان لبسه ... ثبت عن جمال الدين بدر شهوره

عرف بالدويلة الجمال محمد — قهر داعى الدنا فطن بغروره
أخذ فى طريق الله عن سر والد — وعم له ابنى علوى صدوره
على وعبد الله شيخى زمانهم — إمامين صديقين من أهل نوره
وأخذها عن شيخ أشياخ إنه — سمى علوى الوقت لاسمه نيوره
أخذ لبسه من عين أعيان سرهم — فقيه الورى سمى بحر دهوره
إمام لدين الله شمس طريقة — خليفة رسول الله مجلى سروره
أبى السادة الأقطاب أعنى محمداً — أخذ عن أبيه فارتقى بعبوره
إلى سر أسرار النبوة واصلا — ولاح الشذا والعرف عند نشوره
أب عن أب حتى الإمامين سبطى النبى — رسول الله معدن نوره
وقد وصلا بالمرتضى فيصل القضا — وبنت النبى الطاهرة بطهوره
عن المصطفى المختار عن سر ربنا — بواسطة الروح الذى من أموره
وثم طريق موصل لإمامنا الفقيه محمد عن فريد دهوره
شعيب أبى مدين بالأخذ عن أبى — يزا جبور للإله شكوره
عن ابن حرازم عن أبى بكر آخذا — عن الحجة المأمول يوم نشوره
محمد الغزالى شيخ شيرخنا — إمام لأهل الله صدر حضوره
آخذ عن إمام الحرمين بأخذه — عن الجامع العلم الجرينى ثموره
عن السالم المكى مؤلف قوتهم — عن العارف الشبلى عريق شكوره
عن السيد المدعو له بجنيدهم — به فى طريق الحق رفع ستوره
آخذ عن السر السقطى بأخذه — عن الشيخ معروف الهفى عن كدوره
تلقى عن الطائى الذى رفض الدنا — عن العجمى المقبول بركة جوره
عن الحسن البصرى أحسن تابع — إمام هدى مستبصر فى أموره

عن السيد المأمون حيدرة الرضى ... وصىّ النبى المصطفى ووزيره
على أبى السبطين ختم خلافة النبو ... ة والسبط الزكى فى شهوره
ولبس أمير المؤمنين وأخذه ... عن الهادى المهداة بنوره
حبيب إله العالمين رسوله ... إلى الحق بالحق المبين بشيره
عن الروح جبريل الأمين لربنا ... على وحيه فى ورده وصدوره
عن الله رب العالمين إلهنا ... تقدس عن قول الجهول وزوره
على عظيم واحد متفرد ... كريم رحيم عمنا بخيوره
وخص له الحمد الكثير برحمة ... وفضل ومن خير الأنام شكوره
فنسأله التوفيق والعفو والرضى ... وحسن ختام والنزول بدوره
بجنته الفردوس مع سادة لنا ... ومشيخة نلقاهم فى حضوره
عسى الله نرجو الله ما خاب من رجا ... وليس الرجا المحمود مثل غروره
وتمت وصلى الله أزكى صلاته ... على أحمد داعى الهدى ونصيره
وآل النبى المصطفى وصحابه ... وأتباعه فى حطه ومسيره
وغفرانك اللهم فاغفر لمذنب ... فقد لاذ عبد مذنب بغفوره
وسبحانك اللهم تسبيح ذاكر ... شكور لمن أرخى جميل ستوره

قال مولانا أحمد ـ نفع الله به ـ : لما قاربت إتمام هذه المنظومة أرسلتها إلى سيدى عبد الله فأكملها . وقلت : أكملوها ، فأكملها نحو عشر أبيات من آخرها ، سيدى عبد الله ـ نفع الله به ـ :

وهذه الأرجوزة للسيد الجليل الشريف الجميل عبد الرحمن بن السيد على بن عمر ابن الحسين بن عمر بن محمد فقيه ابن الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ على بن أبى بكر علوى ، ضمنها إسناد خرقة سيدنا الشيخ الكبير ، شيخ الإسلام ، وحجة الله

على الأنام السيد الإمام أبى محمد عبد الله بن علوى الحداد علوى ـ نفع الله بهم ـ آمين :

قال الفقير المعترف بذنبه ... المنطرح لخالقه وربه
هو عبد الرحمن المسمى ابن على ... نسل الكرام الغر من آل النبي
الحمد لله الذى فضلنا ... بأكرم الورى من أنفسنا
محمد خيرته من خلقه ... ميزه بخلقه وخلقه
صلى عليه الله تترى دائما ... ما انهل ودق من سحاب هاميا
وبعد فالإلباس عند القوم ... برتبة عالية عن لوم
إذ سلسلوا إلباسهم بالمصطفى ... والآل والصحب نجوم أهل الوفا
ويلبسون كابراً عن كابر ... من غير تعنيف ولا تشاجر
ولم تزل كذلك الأعلام ... ينافسون فيه والسلام
حتى أتى سيدنا المشهور ... وشيخنا الظاهر والمذكور
ذاك ابن علوى هو الحداد ... العالم النحرير والجواد
فهذب الطريقة السنيه ... وقوّم الشريعة العليه
عم الإله بنفعه الأنام ... وصار كالشمس لدى الظلام
به هو اليوم الإمام الأكبر ... وقطبنا الغوث الشهير الأنور
وعلمه كمثل بحر مزبد ... وسره مطهر عن حسد
وليس فى زماننا يا صاح ... شبه له من ساكر أو صاح
له التواضع خلقه سجيه ... ونفسه عن الدنا أبيّه
وهو على ظالمه حليم ... وقلبه على الورى سليم
وجوده أزرى بجود الطائى ... وفضله على الأنام سامى

وخلقــه متســع عظيم ... يشبهـــه التسنيم والنسيم

قد جمع الله له الفضـــائلا ... فصـــار للخلق ممدا نائلا

مستوياً فى الخلقـــة العظيمه ... أعضـــاؤه معتدلة سليمه

لا بالطويل البائن الكبير ... ولا الدنى الدانى القصـــير

أم مثل نور الشمس فى الظلام ... أم وجهه كالبـــدر فى التمام

ويسقط الدر إذا تكلما ... بالوعظ أو بالعلم حيث علما

فنسأل الله الكريم الأكرم ... بذاته واسم الإله الأعظم

تطويل عمر شيخنـا الهمام ... من فاق بالوهب على الأنام

هـــذا وقد ألبسنى للخرقه ... كلبس أهل الحق من ذى الفرقه

وهو لبسها من الأستاذ ... محمد بن عـــلوى الملاذ

وهو من الشيخ الكبير الفاضل ... عبد الله الوهطى مفتى السائل

وهو من السيد شيخ العيدروس ... ولبسه من والده شمس الشموس

وهو من القطب الكبير الماجد ... العدنى الشيـخ ذى المحامد

وأخذه الإلباس عن أبيه ... أعنى الإمام الكامل النبيه

العيدروس الغوث قطب الأوليا ... وشمس أهل الله لب الأتقيا

وقد لبس من بحـــر العلوم ... محضـــارنا الشجاع فى القروم

من غيث جوده عمنا المدرار ... شيخ الشيوخ من سمى محضار

ولبسه من سيد الســادات ... إمامنا الخارق للســـادات

سقافنا الحاضر فى الشـدائد ... من قد غنى بحاله عن شاهد

كما لبسها عن أبيــه الأعظم ... مولى الدويلة الحليم الأكرم

ولبسه عن والده علي ذي الفضل والقدر العلي السني
وأخذه عن الإمام المشتهر من نوره كل الأنام قد غمر
الشيخ علوي الفقيه الأكبر السالم القطب الشهير الأشهر
ولبسه عن شيخنا المقدم بتربة الأخيار جالي الظلم
وقد لبسها شيخنا ذا السامي إلى ذرا المجد بلا اهتمام
محمد هو ابن نور الدين من يد شيخ المرب الثمين
شعيب الراق بهمته إلى أعلى ذرا الفضل وأعلام العلى
وهو عن الشيخ كبير الحال ابن حرازم يا له من عالي
وأخذه مشتهر مذكور وهو لدى أربابه مسطور
عن ابن عربي ذي الأيادي من نال أقصى غاية المراد
ولبسه له عن الإمام الفائق الحبر على الأنام
غزالنا المشهور من بين الملا برفع شان خصه رب العلا
وقد أخذها من أبي المعالي من نال غاية منتهى الآمال
ولبسه لها عن الجويني محمد ذاك النقي عن رين
وهو عن الشيخ العظيم الطالب العالم النحرير ذي المناقب
ولبس المكي عن الشبلي العارف المحقق الولي
ولبسه عن الجنيد قد ذكر وهو لدى كل الأنام مشتهر
وأخذه اللابس له عن خاله بشرى النبي بشهرة حاله
ولبسه والأخذ ظاهر موصوف عن سيد الأبدال أعني معروف
وهو عن الطائي ذي العلوم مشفي الجراحات مع الكلوم
ولبسه عن شيخنا العجمي سمي حبيباً يا له من علم

وهو عن الشيخ الإمام الحسن تابعي هدى المصطفى والسنن
وأخــــذه حق بلا ارتياب عن الرضى على أبي تراب
وهو عن الرسول خير العالمين محمد هادي الهداة المهتدين
وأخــــذه لها عن السفير جبريل في الملائك كالأمير
وهو عن الله الكريم الواحد الأحد الموصــــوف بالمحامد
فجل وصف الله عن تعيين وجل عن حــد وعن تبيين
ثم صلاة الله تغشى أحمدا ما أظلم الليل وما صبح بدا
والآل والصحب الكرام الأتقيا وتابعي آثارهم والتــــاليا

ووجدت في ديوان سيدنا الشيخ الحبيب عبد الله : ولما وقف على هذه الأرجوزة المباركة ، الفقير إلى الله ، المتعلق بأذيال أهل الله ، الشريف عبد الله ابن علوى الحداد علوى ، عفا الله عنهم ، ولطف بهم ، أجازها بهذه الأبيات :

أحسنت يا وجيه دين الله يا ابن الكرام الغر أهل الله
في نظمك الإسناد للالباس من أولياء الله رب الناس
أهل الهدى والحق والتأييد والعلم واليقين والتســديد
مشايخ الطريق والحقيقه وخلفاء الله في الخليقه
من كل علام إمام قدوه صوفي مصفى للإله صفوه
هم غيثنا في المحل والجدوب وغوثنا في الكروب والخطوب
فالله ينفعنـا بهم ويرفع ويكشف السوء بهم ويدفع
ويجري النــــاظم للاسناد خير الجزا في الحال والمعاد
ويختم الآجال باليقـــين مع اتباع المصطفى الأمين
صلى عليه الله ثم سلما وبارك وشرف وكرما
وآله وصبـــه الأئمه والتابعين من هداة الأمه

الفصل الرابع

فى أحرف يسيرة ، تتعلق بالآخذين عنه الطريقة ، والملتمسين منه أنوار الحقيقة ، والطالبين للباس والتلقين والمصافحة ، وغير ذلك . وذلك شيء لا يكاد يحصر ولا يعد ، ولا يستقصى ؛ لأنه ـ رضى الله عنه ـ حظى بطول عمره ، وظهر بالدعوة إلى الله تعالى ، من أول أمره . فكم شاد بالطريق وساد ، وألحق الأحفاد بالأجداد ، وقصد لذلك من جميع الأقطار ، واستوى فى الأخذ عنه القريب وبعيد الدار ، من جميع الجهات والأمصار ، من أهل الحرمين الشريفين ، والحجاز واليمن والعراق ومصر والشام والهند والغرب .

وأما أهل حضرموت فأخذ عنه منهم الجم الغفير ، ولم يتخلف عنه من أهلها إلا من لا يؤبه له ولا يذكر ، ولا يرفع له علم فى أهل الدين ولا ينشر ، سيما السادة الأشراف الحسينيون السنيون ، أولو المعارف والمحامد ، وغيرهم من الفقراء ، أهل الفضائل والمراشد ، من أهل تريم وغيرهم ، من أهل الجهات كآل العمودى ، وآل باوزير ، وآل باجابر ، وآل باشراحيل ، وغير هؤلاء ، ممن لا مطمع فى تعدادهم على الإجمال ، فكيف على التفصيل .

وأما آل أبى علوى ، فقد أخذ عنه منهم ، وقرأ عليه جميع قبائلهم من جميع ذرية سيدنا الفقيه المقدم ، وجميع ذرية عمه الشيخ علوى بن محمد ، صاحب مرباط . سمعت ذلك منه ، لما ابتدأت بحمد الله أقرأ عليه قال : لم يبق أحد من قبائل السادة آل باعلوى لم يقرأ علينا إلا ثلاثة : أنتم ، وآل باهاشم ، وآل بارقبه ، ثم إنه قرأ عليه بعد ذلك السيد الصالح عبد الرحمن بن محمد باعلوى الذى يذكر فى هذا المؤلف . وكذلك السيد المنور السقاف ابن السيد شيخ باهاشم باعلوى ،

فكملت القبائل كلها ، بحمد الله ، ولم يتم ذلك لأحد قبله ، من سلفه أبدا ، مع تعددهم فى وقته ، وتفرقهم فى البلدان . وما ذلك إلا فضل من الله وإحسان .

وقد ذكر منهم فى هذا المجموع جملة ، عزاه بالنقل والرواية عنهم ، فى مواضع متفرقة ؛ لأن أكثرهم ، ممن لقيه وصحبه ولازمه ، واستمد من أنواره ، واقتبس من أسراره ، وألقى قياده إليه ، وطرح نفسه بين يديه ، ووقف واعتكف ببابه ، وانتسب وانتمى إلى جنابه ، وحط رحله وثقله ببابه ، حتى حظى بخير مآبه ، وصار له التعلق من أقوى أسبابه ، وجلهم قد تلقن منه الذكر ، ولبس لباس أهل الطريق ، وشم وشام روائح ولوائح من بروق التحقيق .

خاتمة هذا الكتاب فى ذكر خصوصية أصحابه ومزاياهم ،

واعتنائه بهم وغيرته ، وشفقته عليهم ، وفوائد صحبته ،

وعوائدها عليهم عاجلا وآجلا

كان ـ رضى الله عنه ـ كثير الاعتناء بأصحابه ، شديد الاهتمام بما يصلحهم فى دينهم ودنياهم ، رءوفا رحيما بهم ، مشفقا عليهم ، له عليهم الغيرة التامة ، والرحمة العامة ، لا يكاد يثنى على أحـد منهم قط إلا إذا مات أو غاب ، أو تحقق فيه الكمال ، بحيث لا يحركه الثناء والمدح ، وإذا أثنى على أحـد ، فغايته الكلمة والكلمتان ، خشية الاغترار ، وخوفا عليه من الإعجاب . وقد قالوا ما معناه : إن المريد يحمل من الأعمال مثل الجبال بثناء الشيوخ عليه .

وكان ـ رضى الله عنه ـ يقول : إنا نطوى خصوصية أصحابنا فى بشريتهم . ومعناه ـ والله أعلم ـ كما سمعته من سيدى أحمد بن زين الحبشى : إنه ربما يظهر عليهم فى ظاهرهم ما يستر ما لهم من الخصوصية ، والمدد الحاصل لهم منه ـ نفع الله

به ـ عن الناظر ، بل وعن أنفسهم أيضاً ؛ فإنهم لا يكادون يشهدون لأنفسهم حالا ، ولا يدعون مقاما ، ولا يتحققون من أنفسهم صدقا مع الله ، فى أكثر الأحوال ، كما هو مشاهد منهم ـ نفع الله بهم ـ .

وكان يقول : إن أصحابنا موسومون ، يعنى بذلك الوسم الذى يعرف به الشىء ، وهـــو العلامة . قال سيدنا العلامة أحمد بن عمر الهندوان : أنا أعرف أصحاب سيدى عبدالله، وأميزهم من بين الناس سيماهم فى وجوههم من أثر السجود.

وقال ـ رضى الله عنه ـ : لا يخرج أحد من أصحابنا الذين نعول عليهم من عندنا إلا ويكون خوفنا عليه من التغير خوف الأب على ولده الصغيره ، إذا دخل أجمة فيها السباع والحيات ، وأنواع المتلفات ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وكان يقول : إنا من قد عرفناه لا نضيعه ، ولا نتركه ، وإن تركنا وإن قطع الحبل بيده هكذا ، وأومأ بيده الشريفة .

وشكا إليه بعض أصحابه من أمر مهم ، فقال : نحن معك ، ومن كنا معه لا يخاف .

فقال له : لكنا مخلطون ومقصرون ، أو معنى ذلك مما يوجب الاعتراف بالتقصير فى القيام بحق أدبه .

فقال ـ نفع الله به ـ : لا يحسن الجفا منا بعد الصلح .

وكان ـ رضى الله عنه ـ يقول : أصحابنا لا تنكشف لهم أحوالهم، أو قال : أعمالهم الصالحة إلا فى الدار الآخرة ، وهو قريب من قوله فيما تقدم : إنا نطوى خصوصيتهم فى بشريتهم ، أى لا يظهر لهم وجود خصوصيتهم ، مـــع ظهور بشريتهم ، فلا يشهدون الكمال فيهم ، وفى ذلك سلامتهم وفوزهم وغنيمتهم ، جعلنا الله منهم . آمين .

وكان يقول : سوف تظهر الزيادة على بعض أصحابنا بعد خروجنا من الدنيا لصدقهم فى صحبتنا .

وكان ـ رضى الله عنه ـ يقول : الذى صحبنا خلق كثير لا يحصون ، منهم المتحقق ، ومنهم من كان على حسب مراتبهم . وكان كثيراً ما يقول : الحمد لله الذى أعطانى من التنزل للناس ما لم يعط أحداً ممن قبلنا . وقد ذكرنا فى هذا المؤلف ، مما سبق قوله ـ رضى الله عنه ونفع به ـ : إن من أهل هذا الشأن من يقابل الكون كله ؛ من العرش إلى الفرش ، فيتصرف فى الأحوال كلها ، ويتنزل للناس ، ويتخلق لهم بحسبهم ، ونحن منهم .

وكان يقول : قيل لى : من خطا إليك خطوة بصدق أنجح . ويقول : من شرب من مائنا شربة فكأنما شربها من زمزم .

وقد ذكرنا فى الحكاية الرابعة والستين عن فقيه الصالح عمر بن أحمد حمود أنه رأى أنه مات ، فلما وضع فى لحده ، وأتاه الملكان ، جاء سيدنا وشيخنا فصرفهما عنه ولم يكلماه . فلما استيقظ وأخبره قال له : نحن كذلك لجميع أصحابنا .

شكا إليه بعض المنتسبين إليه جوراً لحقه ، من مطالبات الدولة ، وأخذ شىء من المال فقال له : الدنيا بأسرها لا تساوى القيام منا ، وأما الآخرة فنحن لك فيها ، وضرب على صدره ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ .

ومن كلامه ـ نفع الله به ـ : إنا نحب ونعتنى بكل من نراه راغبا فى سلوك طريق الله تعالى ، والصاحب عندنا من صحب الله بحسن الأدب ، وهو أن يكون عند أمره بعيداً عن موضع زجره ، مستسلما لقهره ، قائما بشكره ، فارغ القلب من غيره ، مفتقرا إلى فضله وخيره .

ومن كلامه : من تقرّب إلينا شبراً تقربنا منه ذراعا ، ومن تقرّب ذراعا تقربنا منه باعا . إشارة إلى التخلق بخلق الله الموهوب ، المعار من الوهاب ، المعير لعبده المتحقق فى العبودية . لا إله إلا هو إليه المصير ، كما فى الحديث القدسى : من تقرّب منى شبراً ، أى بطاعتى ، تقرّبت منه ذراعا برحمتى إلى آخر الحديث . وفى الحديث الآخر القدسى أيضاً : لا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ولسانه الذى ينطق به . فافهم واحكم ، وسلّم تسلم .

وأخبرنى بعض الصادقين فى صحبته قال : كان يطلب منى جماعة من الفضلاء والصالحين شيئاً من المال قرضاً ، وقد أعتذر عليهم . وحصل لى خوف من جهتهم أنى أصاب من قبلهم ، فشكوت إلى سيدى عبد الله من ذلك فقال : لا تخف — ونحن معك — من أحد أبداً ، كائناً من كان .

وحدثنى أيضاً قال : عزمت على المسير إلى بعض البلدان ، وخفت من واليها أن يؤذينى فقلت لسيدى ، فقال : لا تخش منه ، فسرت وأنا خائف منه . فلما وصلت أراد أن يؤذينى ، فصرفه الله عنى ببركة سيدى .

فلما وصلت إلى سيدى قال لى : إنك لما توهمت أنه يؤذيك عمل فيه وهمك فمد يده إليك ، فمددنا نحن يدنا إليه . وانتظره يعزل عن الولاية قريباً فأخذ أياماً وعزل ، كما أشار — نفع الله به .

وقال — رضى الله عنه — : قد تعرض لبعض أصحابنا وقفة ، ولكن الغالب عليهم الرجوع فى آخر الأمر . وعمدة هذه الطريق قوة الرابطة ، فإذا قويت لم يضره ما وقع فى خلالها من العوارض ، وإن اختلفت بسبب ذلك المراتب ، وتفاوتت الدرجات والمنازل ، وكل شىء فمنه وإليه ، وإن اختلفت الوجوه ،

ونسب كل شيء إلى ما قام به ، وظهر عليه من الوسائط والأسباب التى أقامها سبحانه على حضرات عدله وفضله ، كالحجاب والبواب .

وكان بعض المتعلقين بسيدى ، والمنطوين فيه وكان يذكر عنه بعض تخليط وكان سيدى يوبخه . فقال له يوماً : اعصر نفسك ، يعنى بالتوبة ، وإلا عصروك أى بالعقوبة ، فقدر الله أن والى الأمر قبض على هذا الرجل ، وحبسه وقيده ، وأخذ عليه مالا جزيلا ، وأخذ فى الحبس مدة طويلة ، ثم إن سيدى شفع فيه فأطلق ، فسأل الرجل عن حاله . فقال له : أخبرنى أنت عن حالك معى . فقال له : — نفع الله به — : نحن معك ، كلما عثرت أخذنا بيدك . فمات الرجل شبه الفجأة ، فرئى بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : حصل خفض ورفع . فلما جاء كتاب سيدى عبد الله بن علوى الحداد ، فرق تلك الأحوال ، وحصل الإفراج من تلك المخاوف ، ورأى عليه أساور من ذهب فقال : هذه مكان القيود التى قيدت بها .

ورأى بعض المنورين المنسوبين إلى سيدى ، بعض الناس بعد موته فى حالة سرور وبشر .

فقال له : أخبرنا عن الموت . فقال : الموت لا يعرفه إلا من عاينه وذاقه ، ولكن شيء لله يا عبد الله حداد ، إشارة إلى أنه نفعه عند موته وبعده ، لكونه منسوبا ومحبا له .

وكان سيدنا الإمام أحمد بن عمر الهندوان يقول : من عرف سيدى عبد الله الحداد وأحسن الظن به كفاه .

الباب الرابع

فى ذكر الحكايات والوقائع من كراماته ، وأشياء من كشوفاته ، واطلاعه على الخواطر ابتداء من غير تطرق علم إليه من جهة الظاهر ، وإخباره بالمغيبات الحاليات والمآليات ، ورؤيته الأشياء الظاهرة ، مع أنه مكفوف البصر ، وإعلامه بوقوع أشياء قبل كونها ، فكانت كما قال ، وإغاثته وإدراكه لمن استغاث به ، وشىء مما أكرمه الله به فى أصحابه ، من حصول نفع عاجل وآجل ، أو دفع بلاء ظاهر أو باطن ، أو حصول نقمة لمن انتهك حرمته وأساء الأدب فى حقه ، وشىء مما خصه الله به ، من مزايا القرب ، فى يقظة أو منام له ولغيره ، من الصالحين والمحبين . وذكر شىء مما صرفه الله به فى الأكوان ، ومن تسخير الأشياء ، وقلب الأعيان ، وتصرفه فى قلوب الخلق بما شاء كيف شاء ، وغير ذلك من الوقائع المتضمنة للكرامة على الجملة .

وهذا شىء لا يحصى ولا يحد ، ولا يحصر ولا يعد ، وهو مما شاع وذاع وانتشر ، وسارت به الركبان فى البدو والحضر ، وقلّ من له به عشرة أو صحبة أو نسبة أو قربة إلا وهو يحفظ من كرامته وخوارق عاداته . ثم إن أكثر أصحابه القدماء من الصالحين والعلماء من الملازمين له للأخذ عنه ، ممن كان يحفظ من ذلك الشىء الكثير ، كان قد درج قبله ، وما بقى من المحفوظ عنه إلا الشىء اليسير ، بالنسبة إلى ما اندرس وخفى ؛ لقلة التقييد والتدوين . وصدق القائل شعراً :

تموت الخبايا فى الزوايا وما لها	من الناس بين الناس للناس ذاكر
تفوت كرامات الرجال شوارداً	إذا لم تقيدها علينا الدفاتر

وأكثر ما نقلته، وأثبته من الكرامات، إنما هو بالنسبة لما حفظ عنه أواخر أوقاته؛ وإلا فقد كان السيد الجليل الحسن بن علوى الجفرى باعلوى، وهو من قدماء الأصحاب يقول: لو شئت أن أجمع كل يوم من كرامات سيدى عبد الله بن علوى الحداد عشرين كرامة لفعلت. وهـذا السيد قد صحب سيدنا فى بدايته، وعاش بعده سيـدنا عمراً طويلا، وصحبه أولاده، وأولاد أولاده، وأولادهم. وكل يحفظ من كرامات سيدى الشيء الكثير، فقس على ذلك ما سواه.

وكان سيدى قد لقى والد السيد حسن المذكور، واستفاد منه، وتزوج بابنة السيد حسن، انتهى.

وكان ـ نفع الله به ـ يقول: إن الله ـ وله الحمد ـ إذا أراد أن يحدث فى الوجود حادثة، قد يطلعنا عليها.

وكان يقول: الخاطر عندى كالصائح، والخواطر مثـل الرطب فى الطبق أنظرها، يعنى من الناس.

وكان السيد العارف الإمام أحمد بن عمر الهندوان يقول: إن سيدى عبدالله الحداد، يطالع فى الكشف القضاء المبرم، لا معقب له. فكل ما أخبر به، فإنه سيكون كائناً ما كان. وغيره من الأولياء فى زمانه يطالع المحو والإثبات، يعنى فى الكشف.

وكان ـ رضى الله عنه ـ يقول: عندنا مرآة ننظر بها إلى القلوب، ولاشك ولا مراء أن كراماته ـ نفع الله به ـ تبلغ حد التواتر كما قيل فى حق الشيخ الإمام عبد القادر الجيلانى ـ رضى الله عنه، ونفع به وسائر الصالحين. شعر:

كراماته جلت عن الحصر والعد ولا تحص بالأقلام كلا وبالمد

وسارت بها الركبان شرقا ومغربا ومصرا وشاما والحجاز وبالنجد
وينبيك عنها كل من قد لقيته فسائل وحدث عنه إن رمت للسعد

واعلم أن هذا الباب يستدعى حسن الظن ، والتصديق بما يكرم الله به أولياءه ، من خرق العادات ، والتصريف فى الأشياء وإذا ظن أن هذا كرامة مثلا ، وقع كما ظن وإن لم يطابق ما فى نفس الأمر ، كالرؤيا متى عبرت سقطت ، يعنى وقعت كما عبرت ، ولا يلزم من وقوع الكرامة التى اعتقد صدورها من الولى ، وجريانها على يديه علمه بها ، بل قد يجرى الله على يديه ، وتنسب إليه من غير علمه بها .

وجملة هذا الباب مائتان وثمانون حكاية ، مشتملة على جملة من الكرامات من المكاشفات وغيرها ، سيما إذا كانت الوقائع مختصرة ، جمعت منها فى حكاية واحدة ، اثنتين وثلاثاً وأربعاً وخمساً .

وخاتمة هذا الباب فى حكايات أيضاً لاحقة بما قبله لها به — نفع الله به — نسبة وتعلق أحببت حفظها وتقييدها .

وخاتمة الخاتمة تشتمل على واقعة فى ضمنها وقائع ، وفوائد كثيرة ، نقلها عنه تلميذه الصالح الفقيه عبد الله بن محمد بن قطنة — جزاه الله خيراً — وتليها تتمة تتعلق بحسن الظن ، وعلو الهمة . وهذا حين الابتداء فى وضع الحكايات ، والله الموفق ، لا رب غيره ، والمهدى لإصابة الصواب . وما راعيت فى ذلك ترتيباً ولا مناسبة إلا بحسب الموافقة ، بل كل ما جاء فى هذا الشأن الذى ذكرته أول الباب ، كتبته لقصد الحفظ بالجمع رجاء الفائدة والنفع — إن شاء الله — مع الاعتراف الكلى بالقصور والتقصير .

(الحكاية الأولى)

عن عبد الله شراحيل ـ رحمه الله تعالى ـ عن سالم بن فلان ، من أهل مريمة بالراء الساكنة والمثناة التحتية : القرية المعروفة بحضرموت قال : استشرت سيدى عبد الله الحدا ـ نفع الله به ـ فى السفر إلى بعض البلدان ، فأشار علىّ بالمسير إلى حج بيت الله الحرام . قال لى : ونحن معك ونظرنا عليك ، فطابت نفسى ، وسافرت متيمماً إشارته ، وركبت البحر . فلما قاربت بندر اللحية تصغير لحية ، المعروف باليمن ، حصلت علينا شدة عظيمة ، أشرفنا منها على الغرق . فقال أهل السفينة ، بعضهم لبعض : كل منكم يتوسل إلى الله ، ويستغيث بشيخه ، فجعلت أستغيث ، وأهتف بسيدى ، أقول : يا سيدى عبد الله يا حداد ، بأعلى صوتى لك كذا وكذا .

وذكرت كلمة عتاب عليه ، حيث قال : نحن معك فى سفرك ، فما هو إلا أن فرج الله عنا ما نحن فيه من الشدة والخوف ، بأن هدأ البحر وسكن اضطرابه وسارت السفينة ووصلنا البندر سالمين آمنين ، وحججت . فلما رجعت وجئت إلى سيدى ـ نفع الله به ـ وصافحته قال لى ـ قبل أن أكلمه ـ مكاشفاً ، أخطأت علينا يا سالم ، حيث قلت كذا . وأعاد علىّ كلمة العتاب ، بعد أن نسيتها ، فذكرنى وأخبرنى بما جرى لنا فى البحر من غير أن يعلمه بذلك أحد . ثم قال : لأن من هتفت به فى تلك الحالة حضر ، غير أنه وقع التقديم فى ذلك البحر للشيخ أحمد بن عمر الزيلعى ، المقبور باللحية .

وكان الشيخ أحمد بن عمر هذا من رجال الله الكاملين العارفين بالله تعالى ـ نفع الله به ـ .

(الحكاية الثانية)

حدثنى أحمد بن على العمارى قال : عزمت على السفر إلى الحج فاستشرت سيدى عبد الله ، فأشار علىّ به فلما أردت الاستيداع منه طلبت منه الدعاء والاعتناء بى فى سفرى ، فدعا لى ، وسافرت قاصداً إلى الحج . فلما حججت ورجعت ، وركبت البحر ، وقاربنا الوصول إلى بندر جازان بالجيم والزاى والنون باليمن ، خرج من السفينة بعض من كان فيها ، وبقى فى السفينة أناس أنا منهم ، ولم يكن بين السفينة والساحل إلا نحو غلوة سهم . وكنت أحكم السباحة ، فخرجت أعوم قاصداً الساحل ، فلما توسطت الماء ، عصفت ريح شديدة هائلة ، فجعلت تردنى عن الجنوب ، وأنا أنازعها ، وهى تجاذبنى ، وعظم الموج ، واشتد الأمر ، ولم أتمكن من الرجوع إلى السفينة ، ولا الخروج إلى البر ، ولا أحد سمع صياحى من شدة دوى الرياح ، واضطراب الأمواج ، حتى أيقنت بالتلف ، وعرفت أنى هالك ، فألهمنى الله أن أستغيث ، وهتفت بسيدى عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ وقلت : إن تكن إغاثة فهى الآن ، ثم إنى تهيأت للموت ، وأردت أن أغوص ليأسى من النجاة ، ففى الحال والساعة إذا أنا نائم على حجر متمكن وعاد إلىّ حسى ، وأفقت من غشيتى فتحسست برجلى ، فإذا هى غبة من كل الجوانب ، ولم يكن غير الحجر الذى أنا قائم عليه ، فعرفت أنها إغاثة من سيدى ، حيث لم أذكر حينئذ إلا هو ، ووقفت حتى سكن البحر ، وهدأت الرياح ، فتمت وصلت إلى البر ببركته وإغاثته ـ رضى الله عنه .

(الحكاية الثالثة)

عن عبد الله بن محمد شراحيل قال : سافرت مرة إلى الحج بإشارة سيدى عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ فلما ركبنا البحر ، عصفت علينا ريح شديدة هائلة ، فاستغثت به ، ففرج الله عنا .

وعن بعض الزبدة ـ بالزاى والباء الموحدة ـ للعروفين بحضرموت . قال : حصل علينا شدة عظيمة ، ونحن فى البحر ، فاستغثت بسيدى عبد الله بن علوى الحداد ، وبالعارفة بالله : سلطانة بنت على الزبيدى ، لكون الرجل من قبيلتها قال : فحضرتنى سلطانة فى الحال . وقالت : لأى شىء أزعجت السيد عبد الله الحداد ، ونحن نكفيك ، وفرج الله عنا .

وعنه أيضاً قال : حصلت علينا شدة أخرى فى البحر ، فهتفت بسيدى عبد الله ، وتوسلت به إلى الله عز وجل ، فأنجانا ببركته .

(الحكاية الرابعة)

أخبرنى الرجل الصالح عمر بن عبد الله خريصين ؛ أحد المتعلقين بسيدى ، والمحبين له قال : خرجت أنا وصاحب لى فى أيام مطر وغيث ، فأردنا عبور سيل عظيم ، فى مسيل حول شبام ، فدخلنا الماء ، فإذا هو يكثر ويتزايد ، ونحن فى وسطه ، إلى أن تعاظم علينا وغلبنا ، فلم نقدر على السباحة ، ثم حصل علينا أمر عظيم ، حتى كدنا نغرق ، وقاربنا التلف ، فعند ذلك هتفت بسيدى وملاذى : عبد الله الحداد ، وناديت باسمه ، وأنا فى غاية الشدة ، وكررت النداء مرارا ، فإذا أنا بقائل يقول لى : تعال إلى هنا أنا صاحبك ، فاتبعت الصوت ، وظننته صاحبى ، فلم أر أحدا ، وإذا أنا قائم على مرتفع ونجوت ، فإذا بصاحبى قد قطع

الوادى الآخر ، وغرق فى الماء ومات ، ونجوت أنا ببركة ندائى ودعائى لسيدى ه
فأخذت أياما وأنا مريض من شدة التعب ، ثم انحدرت لزيارة سيدى عبد الله ،
فأقمت عنده مدة ، ولم أعلمه بما جرى لى ، ولا أحد أخبره . فقال بعض الناس من
أهل بلدى ـ كان حاضرا ـ : هذا فلان اعتنوا به . فقال : قد اعتنينا به ، وهو
فى السيل ، فكيف لا نعتنى به فى غيره ، فعرفت عند ذلك أنه هو الذى قال لى :
تعال إلى هنا ، أنا صاحبك ـ رضى الله عنه ـ .

أخبرنى هذا الرجل قال : كان سبب تعلقى بسيدى ـ نفع الله به ـ أنى كنت
أصلى فى مسجد بامكا ، المعروف بسحيل شبام ، فرأيت فى المنام رجلا فى ذلك
المسجد ، فسألت عنه ، فقيل : هذا النبى ﷺ ، فكل من الحاضرين سأله عن
شىء ويجيبه . فأقبل علىّ ، وقال لى : وأنت عمّ تسأل ؟ فقلت له : المشيخة
تكون بماذا ؟ فقال ـ مجيبا مسرعا : بالعلم ، فأخذت بعد ذلك أربعة أيام ،
ثم رأيت كأنى فى ذلك المسجد . وكان فيه شخص يجىء ويذهب ، فإذا جاء نظر
فى وجهى ، فعل ذلك ثلاث مرات وكان جمع فى المسجد يذكرون قول سيدى :
يا عالم السر منا ، لا تهتك الستر عنا ، وعافنا واعف عنا ، وكن لنا حيث كنا . فأخذ
ذلك الشخص بمجامع ملبى ، فاستيقظت ، وسألت عمن هو على صفة الذى رأيت .
فقيل : هذا وصف سيدى عبد الله ، فسرت معتمدا إليه ، فلما وقع بصرى عليه ،
فإذا هو الذى رأيت فى النوم بعينه ، فلزمته من ذلك الحين ، إلى أن توفاه الله .

قال : وقال لى السيد العارف أحمد بن عمر الهندوان ـ نفع الله به ـ : إذا
أحزنك أمر فاستغث بالسيد عبد الله الحداد ، فإنه يسمعك أينما كنت .

(الحكاية الخامسة)

عن عبد الله شراحيل عن عبد الله بن صالح باكثير قال : أتانى سيدنا وشيخنا عبد الله ـ نفع الله به ـ بعشائى إلى مسجد الهجيرة ، فلما أردت أن آكل وفد على سيدى رجل زائرا . فقال لى ـ رضى الله عنه ـ : أمسك عن الأكل حتى آتيك ، فأمسكت حتى جاء ، ووضع يده الكريمة فيه . وذكر اسم الله عليه . وقال لى : أطعم الرجل ، وكل أنت وهو . وكان الطعام إذ ذاك لا يكفى واحداً فى إناء صغير ، وأشهد لقد رأيت ذلك الطعام يزداد وأنا أنظره حتى شبعنا منه ، وبقيت بقية منه فى الإناء لم نأكلها .

وحدثنى السيد عقيل قال : أخبرنا رجل من المتمسكين ، من أصحاب سيدنا عبد الله الفقراء قال : أعطانى سيدى شيئاً من الطعام ، فأخذته ووضعته فى إناء . وقلت لأهلى : كلما حصل معكم شىء من الطعام ضعوه فى هذا الإناء على طعامه ، من أجل البركة ، ولا تخرجوه أبداً . قال : فبقينا مدة مديدة ، وكلما حصل شىء معنا من الطعام ، طرحناه فوق طعامه ، وبقى بحاله لم ينقص ، ولم يخل الإناء من الطعام، إلى أن اتفق فى يوم من الأيام أخرجوا الطعام جميعاً ، ولم يبقوا منه شيئاً، فأخبرت سيدى بذلك . فقال: لو لم تخرجوه لبقيت البركة فيه ، ولم يفرغ الإناء .

(الحكاية السادسة)

حدثنى أيضاً قال : عزمت على الحج سنة من السنين ، فاستشرت سيدى عبد الله ، ثم استودعت منه ، وليس لى قصد إلا الحج فقط ، وما قصدت زيارة المدينة بعد ، فقرأ لى الفاتحة: ودعا لى ، ثم اتفق أنى لقيته ثانيا ، فاستودعت منه .

فقال لى : ذاك استيداع الحج ، وهذا استيداع زيارة المدينة ، فعجبت منه ، حيث لم يحصل لى قصد زيارة المدينة حينئذ ، فسافرت وقصدت الحج فحججت ، ثم جاءنى بعد الحج رجل يقال له : عبد الرحمن الحجار العمرى . وكان ذا عقيدة فى سيدى عبد الله . فقال لى : هيا نزور النبى ﷺ ، فاعتذرت ، فألح علىّ ، واكترى لى جمالا ، فوافقته واسترحت ، وانشرح صدرى ، وعرفت اطلاع سيدى على أنى أزور بقوله هذا الاستيداع للزيارة . وبقى هذا الرجل كلما حججت كلفنى على الزيارة .

(الحكاية السابعة)

أخبرنى السيد الجليل : عقيل بن عيدروس باعقيل السقاف أيضاً قال : مرضت فى بعض السنين مرضا متلفا ، ظننت منه الهلاك ، من هول ما رأيت . وقلت فى نفسى : عسى الله أن يبقينى إلى يوم الجمعة ، ليصلى علىّ ، ويحضر الصلاة سيدى عبد الله ــ نفع الله به ــ . فلما كان يوم الجمعة ، وأنا بحالى ، فمضت والدتى إلى سيدى وشيخى ، وغوثى وغياثى : عبد الله بن علوى الحداد ــ نفع الله به ــ من غير شعور منى ، وطلبت منه ماء يقرأ وينفث فيه على نية الشفاء فقرأ ونفث ، فشربته وبرئت ، وعوفيت من وقتى ، وكأنى نشط من عقال ، حتى إنى خرجت ذلك اليوم إلى سيدى ، وصليت الجمعة كعادتى ، كأنى لم أشتك ألما ، ببركته .

وأخبرنى بعض الصادقين قال : كنت مرة مع سيدى فى السحيل ، مكانه المعروف بوادى دمون ، فى جمع من السادة وغيرهم ، فقدم لهم رطبا فجعلوا يأكلون ، وأنا أتتبع النوى الذى يطرحه سيدى ــ نفع الله به ــ وألتقطه ، وخبأته ، وقصدى أن أغرسه فى بلدى بركة . فلما وصلت إلى بلدى لم أجد منه

إلا نواتين فقط ، فجلتهما حرزا ، وعصبت عليهما ، فكنت كلما أصابنى أو غيرى مرض ، ووضعت عليه النواتين المربوطتين برئ في الحال ، وأخذت على ذلك مدة ببركته ـ نفع الله به ـ آمين .

(الحكاية الثامنة)

أخبرنى عمر بن أحمد بافضل التريمى ـ رحمه الله تعالى ـ قال : خرجت سنة من السنين ، من أرض الهند ، مع جماعة من الأحسائية ، فاتفق أن رجلا منهم اسمه إبراهيم له اعتقاد كبير ، فى سيدنا الإمام عبد الله بن علوى الحداد ، فعدا عليه رجل شيعى أو رافضى ، من أهل البحرين ، وجرت بينهما خصومة قوية جدا ، وتشوش على إبراهيم هذا حاله ، وتكدرت عيشته ، وبلغ من ذلك مبلغا عظيما ، حتى كاد يود أن يبذل فى ذلك مالا جزيلا ، وينقطع عنه ذلك الرجل . فقلت له ـ وهو فى غاية من الكرب ـ : أما لك اعتقاد فى سيدنا عبد الله الحداد . قلت له : اجعل له شيئا على سبيل النذر ، لقصد أن ينجيك الله من خصمك هذا ، فقصد عند ذلك ، وجعل شيئا لسيدى ـ نفع الله به ـ على نية تفريج كربته ، وقرأ الفاتحة لأجل الوفاء بذلك ، فما كان مساء ذلك اليوم إلا وقد جاء الرجل الخصيم لإبراهيم معتذرا إليه ، مما جرى منه ، ونادما على فعله ، قائلا : أبرأتك من جميع ما ادعيته عليك ، واجعلنى فى حل من دعيى بك ، فدهش إبراهيم عند ذلك ، لاستبعاده الاعتذار والبراءة وطلب الحل منه ، بالنسبة إلى ما مضى من المعاملة . وتحقق أن ذلك من كرامات سيدى وخوارق عاداته ، مع كل من استغاث به ، وانتسب إليه .

(الحكاية التاسعة)

ذكر جماعة أن سيدنا ومولانا عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ونفع به ـ لما أراد السفر إلى الحج ، شكا إليه أهل حضرموت من واليهم ، وجوره عليهم فقال : لا نرجع من الحج إلا وقد مات ذلك الوالى ، فاتفق أنه سافر إلى الحج ، فلما كان ببندر عدن قال : إن أهل البرزخ شكوا إلىّ جور هذا الوالى ، وإنى رميته بسهمين فأصيب . فلما كان بالبحر نادى بالصلاة على ذلك الوالى ، فصلوا عليه صلاة الغائب ، وحضره جماعة ممن حج معه ، ولم يتجاسر أحد منهم أن يسأله عن حقيقة الحال ، فأرخوا ذلك اليوم ، فوجدوه يوم موته بحضرموت . وكان هذا الوالى يتردد إلى سيدى ، وهو يعظه وينصحه ، من أجل الشفقة بالرعية .

قيل : إنه كان يقول : إن سيدى عبد الله يريد أن أكون مثل عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل . فبلغ سيدى كلامه فغضب ، وقال : لو أراد الكامل فى هذا الزمان أن يعدل فى بيته ، فضلا عن غيره ، يوما واحداً مثل عمر بن عبد العزيز ، لعاداه كل شىء حتى ثيابه ، أى فضلا عن غيره ، من ولاة الأمور ، أهل التقصير والقصور ، سيما فى هذا الزمان المبتور المنكور . ولهذا استشنع قوله : مثل عمر بن عبد العزيز .

(الحكاية العاشرة)

حكى السيد عقيل عن السيد عبد الرحمن بن عبد الله الحبشى أحد خواص أصحاب سيدى العلماء العاملين ، المتواضعين الخاملين ، ممن صحب سيدى قديما . وكان سيدى يأخذ بكتفه ، فى خروجه إلى الجمعة . وكان عظيم الاعتقاد فيه

والأدب معه . وتزوج مولانا بابنته ؛ وهذه له من الخصوصيات ، كما ذكرت في خاتمة الباب الأول .

قال : حججت معه ، فلما زرنا السيد العارف : عبد الله بن محمد ، صاحب الشبيكة ، انصرف سيدى سريعاً من قبره ، ولم يدع ، ولم يقف أبدا وقال لى : إن السيد عبد الله ليس الآن هو فى قبره ، فما بقى لوقوفنا عند قبره فائدة ، ثم زرنا معه ثانيا فاطمأن وأطال الدعاء والجلوس عنده ، والتفت إلىّ قائلا : إن السيد عبد الله الآن فى قبره .

توفى السيد عبد الرحمن هذا بتريم، على حالة مرضية، واستقامة وعلم وورع ، وتقوى وعبادة — رحمه الله .

(الحكاية الحادية عشرة)

أخبرنى السيد الولى عبد الله ابن السيد عمر ابن فقيه ابن الشيخ على بن أبى بكر باعلوى — نفع الله بهم — قال : حصل علىّ غشا فى عينىّ ، فلم أستطع النظر بهما نهاراً ، ولم أقدر على استخراج الكتاب . ومن عادتى قراءة دلائل الخيرات للجزولى ، فى الصلاة على النبى ﷺ كل يوم ، فشكوت إلى سيدى وسندى ، ومَن عليه بعد الله ورسول الله معتمدى ، شيخ البلاد والعباد : عبد الله بن علوى الحداد — نفع الله به . فقال لى : لابد أن يرجع إليك نظرك كما كان ، فأخذت مدة على ذلك ، ثم رجع إلىّ نظرى كما كنت وزيادة عليه ، كما وعدنى .

قلت : وكان ورد هذا السيد كل يوم قراءة الدلائل مرة أو مرتين ، فى الحضر والسفر ، والصحة والسقم ، حتى وهو على الدابة . أخبرنى قال : نحو أربعين سنة وأنا أرتبها كل يوم ماتركتها . وكان سيدى يثنى عليه . وكان على جانب من سلامة الصدر، والنزاهة والطهارة ، والصدق فى الإقبال على الله ؛ وهو صاحب الواقعة التى أوردناها فى الحكاية الحادية والستين .

(الحكاية الثانية عشرة)

حدثني بعض الثقات قال : حصل علىّ وجع فى عينى شديد ، بلغت فى التعب منه إلى حد لا يوصف حتى وددت أن عينى خرجت ويسكن الألم . وكان أشد الألم يوم وفاة سيدى عبد الله بن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ فبلغنى خبر وفاته .

قلت : كيف يكون الحال ، أخرج إلى المسجد للصلاة عليه أو أجلس لشدة ما لقيت من الألم والتعب ، ثم إنى عزمت على الخروج للصلاة عليه ، ولو كان من الأمر ما يكون ، فخرجت وصليت على جنازته ، وبى من الألم ما يجل عن الوصف . فلما انصرف الناس من دفنه ، رجعت إلى بيتى ، وقد زال عنى الألم وسكن الوجع . وكأن لم يكن أبداً ، فعرفت أن ذلك ببركته ـ رضى الله عنه .

وأخبرنى بعضهم قال : أصابنى رمد ووجع شديد فى عينى أخذ بى نحو نصف شهر ، فخرجت لحضرة سيدى عبد الله ، وأنا إلى الغاية فى التعب ، فأكببت على قدمه وقبلته وقلت : يا سيدى الغوث الغوث الغارة الغارة لعبيدكم ، فمسح على عينى ورأسى ، وقرأ علىّ شيئاً من القرآن الكريم ، فما رجعت إلى بيتى إلا وكأنى لم أجد ألماً ببركته .

قال : وأصابنى مرة صداع شديد وأنا أقرأ عليه ، فأمرّ يده الكريمة على رأسى فمسح الألم فى الحال كأن لم يكن ببركته ـ رضى الله عنه .

(الحكاية الثالثة عشرة)

حدثنى السيد الولى زين بن علوى الحبشى قال : أصابنى صداع شديد جداً ، فأعلمت بذلك سيدى فنفث فى خيط ، وقرأ شيئاً من القرآن وأعطانيه فعصبته على رأسى ، فحال ما ربطه زال عنى الألم ببركته ـ رضى الله عنه .

وكان هذا السيد زين من خواص أصحاب مولانا عبد الله ، الملازمين له ظاهراً وباطناً .

وكان كامل العقل ، شديد التواضع ؛ له قدم في السلوك راسخ ، وعلم في اليقين باذخ ، عابداً سالكا ناسكا ، من الذاكرين الله كثيراً ، لا يكاد يفتر عن الذكر ساعة ، سيما لا إله إلا الله ، يعقد منها سبعين ألفاً في كل قليل ؛ لأنه كثير الصمت ، دائم الفكرة والآن ، وهو على ذلك الحال من الإقبال - نفع الله به .

وأخبرني بعضهم قال : حصل لى صداع شديد لا أطيقه حتى غشى علىّ . فلما انصرف سيدى من صلاة الجمعة إلى بيته الذى بالبلد . شكوت إليه من ذلك فأمرّ يده على رأسي فعوفيت من ساعتي ببركته .

قال : وكذلك لدغتني حية مرة ؛ فاستغثت به في الحال ، فأخذت بالمشقة والتعب ساعة ثم غشى علىّ ، فما أفقت إلا وقد زال عنى الألم ببركته .

قال : ولدغتني عقرب ليلة من الليالى ، فلقيت منها شدة فاستغثت به ، فأمرّ يده على المحل الذى لدغتني فيه فسكن الوجع من الوقت ببركته ؛ ومن عادتى أنها إذا لدغتني يطول ألمها بى مدة طويلة .

قال : وأصابتني شقيقة وألم شديد فخرجت إليه ، وشكوت إليه واستغثت به ، فأمرّ يده الشريفة على رأسي فزال عني الألم ببركته . وقال : اقل قهوة من السكر الخالص المليح في الماء الصافي ، والحذر الكتابة بعد العصر . وكان ذلك الرجل ورّاقا .

(الحكاية الرابعة عشرة)

أخبرني بعضهم قال : أصابني ألم في يدي شديد ولقيت منه التعب الكثير مدة ، وانحدرت إلى تريم وجئت إلى سيدي الغوث عبد الله ـ رضي الله عنه ـ فشكوت إليه من ذلك ، وألححت عليه . فقال لي : ضم إحدى كفيك إلى الأخرى ، ففعلت فقرأ على الألم ونفث بريقه ، فما رجعت إلى بلدي إلا وكأني لم يكن بي ألم ببركته .

وكذا أخبرني . قال : اعتراني وجع في يدي سيما في بعض الأوقات ، يشتد علي حتى كأن فيها ناراً تلتهب . فسرت إلى سيدي وشكوت إليه ، فقرأ ونفث عليهما فبرئتا في الوقت ببركته .

وحكى عبد الله شراحيل عن رجل : أنه أصابه وجع شديد في يده ، فنام ورأى في المنام سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد ـ نفع الله به ـ كأنه مسح على يده فاستيقظ وقد زال ما به من الألم ، وكأن لم يكن .

وقيل: جيء به إلى سيدي وقد اعتاق عن المسير ، وهو إذ ذاك في زيارة نبي الله هود ـ عليه السلام ـ فمسح بيده الكريمة عليها ، فزال عنها ذلك الألم والعائق ببركته ـ رضي الله عنه .

(الحكاية الخامسة عشرة)

روى عن بعض المنتسبين إلى سيدنا وإمامنا وشيخنا عبد الله بن علوي الحداد ـ رضي الله عنه ـ قال : كنت في سفر ، وليس معي أحد من الناس ، وليس معي إلا حمار أركبه ، فركبته وأنا على الجادة .

وكنت في ذلك الوقت ومد العينين ؛ لا أبصر من شدة الرمد ، وظني أن

الحمار لا يجنح عن الطريق السابلة ، فاتفق أنه مال عنها ، واستقبل وادياً واسعاً ، ولم أشعر أنا بذلك ، لكونى لا أبصر . وكان ذلك بعد العصر ، ودخل على الليل ، وصرت من آخر الليل ، وأنا على تلك الحالة من إضلال الطريق . وفى ظنى أنى عليها ، ففتحت عينى ، فإذا بى فى الوادى ، ولا ثم طريق أسلكها ، ولا هناك مأوى ألجأ إليه ، ولا من أحد يؤنسنى . فعند ذلك استغثت ، وناديت بسيدى عبد الله ـ نفع الله به ـ وقلت : إن تكن لى عقيدة حسنة ورابطة قوية ، فأدركنى الآن ، قد اشتد بى الأمر ، وضاق الحال ، وأخرجت على سيدى كلمة غير لائقة . فما كان بأسرع من أن رأيت رجلا أقبل نحوى وقال لى : أين تريد ؟ قلت : بلدة كذا . فقال : وأنا أريد هذه البلدة أيضاً . فتقدم فسرت خلفه حتى وصلنا إلى البلدة التى أريدها ، بعد طلوع الفجر . ووعدنى هذا الرجل أن أجلس أنا وهو مجلسا إلى أن وصلنا تلك البلدة . فلما وصلنا إليها ، لم أقف له على خبر ، ولا على أثر . فلما وصلت إلى تريم لزيارة سيدى . قال ابتداء منه : ما الذى جرى عليك فى سفرك ؟ فقلت : أنت تعلم ذلك . فقال : إنك زللت علينا ، يعنى الكلمة التى أخرجتها غير لائقة ، لما جرت . ودهشت فقلت : ياسيدى إنى تعبت وتضيقت ، حتى قلت : فاعذرنى ـ نفع الله به ـ .

❀❀❀❀

(الحكاية السادسة عشرة)

حكى عن بعض الثقات ، من المنتمين إلى سيدى . قال : عزمت على المسير إلى الحج فحججت ، وسرت لزيارة رسول الله ﷺ مع المحمل ، فلما كنا أثناء الطريق ، حصل لى نعاس فنمت فى الطريق ، وهو ليل ، فلما استيقظت صباحا ، إذا المحمل قد ساروا ، وأنا متخلف عنه ، ولم أجد أحداً أبداً ، فاهتممت لذلك ، وناديت بأعلى صوتى : ياعبد الله بن علوى الحداد أدركنى ، وكررت النداء مرارا ،

فما أتممت ندائى إلا وقد جاء إلىّ شخص عظيم الصورة والخلق ، فأخذ بيدى ، فما مضت لحظة إلا وأنا فى وسط القافلة والجمل ، وعرفت أن سيدى أدركنى بإغاثة .

وعن عبد الله شراحيل قال : كنت مرة بتريم ، وأردت المسير إلى بلدى ، جاءنى شخص بصرة ، فيها دراهم كثيرة ، وقال : أريدها معك إلى فلان ، من أهل بلدى . فقلت له : إنى فقير ، والطريق مخوفة ، ولا آمن عليها اللصوص ، وأبيت أن أحملها . فقال لى سيدى : احملها ، ولا تخف من اللصوص . قلت : وأىّ طريق أسلك ؟ قال : المعجاز . وإذا علوته فاقرأ سورة لإيلاف قريش فأخذت الدراهم ، واستودعت من سيدى وسرت ، فلما صعدت المعجاز قرأت كما أمرنى ، ومررت على اللصوص أنظر إليهم ، ولم ينظروا إلىّ ، ولم يحسوا بى ، فمضيت فى أمن سيدى ويمنه .

(الحكاية السابعة عشرة)

أخبرنى السيد الصالح أحمد بن أبى بكر ابن السيد العارف بالله تعالى عبد الرحمن بن محمد الجفرى ، صاحب تريس ، بتاء مثناة من فوق ، وراء وياء مثناة من تحت ، وبالسين المهملة قال : أصابنى ورم فى ركبتى ، فجئت إلى سيدى ، وشكوت إليه ذلك . فقال لى : تزوج . فقلت له : إن بعض الناس قال لى : إن بك مرض كذا . فقال لى تزوج . قال : فأخذت مدة سنة ولم أتزوج ، وبقى الورم بحاله ، فشكوت إليه ثانيا فقال لى : ألم أقل لك : تزوج ؟ فعلمت من تكريره علىّ فى الأمر بالتزوج ، أنه اطلع على شفائى فيه ، ثم قال لى : ما معك من الأولاد ؟ قلت : خمسة وثلاث بنات . فقال : كم ولد جدك السيد عبد الرحمن يعنى المقدم ذكره ، الشهير بصاحب العرشة ، بعين مهملة وراء وشين معجمة .

فقلت : سبعة ذكور وأربع إناث فقال : قربت الآن من جدك ، ففهمت أنه يقع لى مثله ، وأنه اطلع على ذلك ، ثم إنى تزوجت ، وألحقت ولدين ذكرين وبنتيا ، فصرت ذا سبعة ذكور وأربع إناث لجدى ، وزال عنى ما كنت أجده من الألم ، من حين التزوج كما أشار علىّ به .

قال : وسرت يوما من عنده أنا وصاحب لى . والطريق ، إذ ذاك مخوف ، فأمر صاحبى بقراءة لإيلاف قريش سبع مرات ، فلم نر شراً فى طريقنا ، وشكوت وجع البطن ، فأمر لى بملازمة يا لطيف إحدى وعشرين مرة ، بعد أكل الطعام فلازمته ، فزال عنى الألم .

(الحكاية الثامنة عشرة)

أخبرنى بعض المحبين لسيدى عبد الله ـ نفع الله به ـ قال : زرته مرة ، وأردت الرجوع إلى بلدى ، مع رفقة من أهل بلدى ، يريدون طريقاً آمنة ، فاستأذنته فى المسير معهم فى هذه الطريق ، فقال : لا تسر معهم ، سر فى طريق المجاز . فقلت : إنها مخوفة . فقال : لا بأس عليك ، سر مع خادمنا فلان : فإنه يريد بلد كذا ، واركب على بعيرنا ، فامتثلت أمره . وكان معى شىء من الدراهم وحلى النساء . فلما صعدنا المجاز ، جلسنا نأكل أنا والخادم فى أثنائه ، فجاءنا شخص أسود . فقلنا : هذا اللص ، وعزمنا عليه أن يأكل معنا فأبى . وقال : إنى صائم ، فتخوفنا من امتناعه من الأكل كثيراً ، ثم قال لنا : من أنتم ؟ فقلنا : خدم سيدنا عبد الله بن علوى الحداد . فقال لنا : لا خوف عليكم إذ أنتم منسوبون إليه .

قال : فسرنا والرجل خفيرنا ، حتى أوصلنا إلى الأمان وقال لنا : من أنتم فى كنفه لا يضيمكم ، يشير إلى شيخنا . وأصحابكم الذين أخذوا الطريق الأخرى

تأخذهم اللصوص ورجع عنا ، ولم نصب بمكروه ، وإذ نحن كذلك إذ بصائح قد أقبل قائلا : إن أصحابكم أخـذوهم اللصوص ونهبوهم ، وسلمنا نحن ببركة سيدى وإشارته لنا؛ بعد اطلاعه على حصولنا على الأمان ، وأولئك على النهب — رضى الله عنه — .

(الحكاية التاسعة عشرة)

أخبرنى عباد بن أبى بكر شراحيل قال : أخبرنى فلان ابن عطية قال : ركبنا البحر فى بعض السنين ، ومعنا شخص كان يتكلم فى جناب سيدنا عبد الله — نفع الله به — بما لا ينبغى ، فأصبح فى بعض الأيام وهو مهموم جداً ، فسألناه عن ذلك . فقال : إنى أسأت الأدب مع سيدى عبد الله . فجاءنى البارحة وتهددنى ، وإنى تائب إلى الله مما جرى منى ، وقد سمعت أن هذا الشخص حصل منه هفوة ، فى جانب سيدنا ، ثم سافر . فقال سيدنا : لا يرجع من سفره هذا ، فمات فى سفره ذلك .

وروى أن بعضهم أراد السفر إلى صنعاء اليمن ، فسمع بذلك سيدنا ، وعنده درويش قصده السفر ، فأرسل — نفع الله به — لذلك المسافر : إنا نريد هذا الفقير معك . فقال : مالى قصد بالسفر ، ولو قد عزمت لاستشرتكم ، وأبهم عليه الأمر ، ثم إنه سافر . فلما بلغ سيدى سفره . قال : لا يعود من سفره هذا أبدا ، فمات هناك .

(الحكاية العشرون)

أخبرنى بعضهم قال : إن والدى خطب امرأة ، وأعطى أهلها ما يعتاده الناس فى شأن الزواج ، ثم سار إلى تريم ، مشاورا سيدى عبد الله فى ذلك . فلما

استأذن عليه خرج إليه الخادم . وقال له : يقول سيدى إن كان معك مشورة فلا تستشره ، إلا إن كنت ممتثلا لما يقول لك . قال : فعرفت أنه اطلع على ما فى نفسى من المشاورة ، وعلى ما قد جرى منى من الخطبة وغيرها . فلما دخلت عليه ، وأخبرته الخبر قال لى : لانشير عليك بهذه المرأة فاتركها ، فامتثلت ما به أشار علىّ ـ رضى الله عنه ـ .

وأخبرنى بعض السادة المختصين بسيدى قال : أعطانى بعض الناس سكر نبات له ـ نفع الله به ـ من أهل اليمن . فلما كنت فى أثناء الطريق ، حصل لى ألم فى حلقى ، فأخذت منه شيئاً يسيراً ، على قصد التداوى والبركة ، وأكلته . ولم يعرف بشىء من العلامات أنى أخذت منه شيئاً . ولما أعطيته سيدى قال لى : إنك أخذت منه قليلا ، واحذر أن تعود إلى مثل ذلك مع غيرنا ، وأما نحن وأنت فشىء واحد .

❀❀❀

(الحكاية الحادية والعشرون)

أخبرنى الشيخ المنور على بن أحمد هرمز قال : حصل لى رمد شديد جداً ، ولقيت منه غاية التعب ، وأنا إذ ذاك بتريم ، فشكوت ذلك إلى سيدى عبد الله ـ نفع الله به ـ فأمسك رأسى ، وهزه ثلاث مرات ، ووضع يديه الكريمتين وإبهاميه بريقه على عينى ، فعوفيت فى الحال . ونمت تلك الليلة ، ولى سبع ليال لم أطعم فيها النوم ، ولى نيف وأربعون سنة ، لم أشتك فيها الرمد قط ، من حين وضع يده على عينى اهـ .

وأخبرنى بعض الفقراء الصادقين ، وكان ذا خط حسن قال : أصابنى مرض شديد فى عينى ، وتأذيت من ذلك أذى بالغاً بحيث لم أستطع النظر بها . فقال لى

سيدى : نريد أن تكتب لنا كتاباً . فقلت له : إن بعينى كذا وكذا ، ولا أستطيع أن أنظر بها ، وقد عالجتها بأنواع العلاج، فلم يجد شيئاً أبداً مع طول المدة فوضع يده الكريمة على عينى وحركها حتى دمعت ، فطلعت من مكانه الحاوى إلى البلد ، فلما كنت أثناء الطريق زال عنى الألم ، ولم يبق له أثر ، وصارت مثل عيني الصحيحة ببركته ، وأخذت الكتاب وحصلته له ـ نفع الله به .

(الحكاية الثانية والعشرون)

أخبرنى بعض المنتسبين إلى سيدنا الملاذ عبد الله بن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ عن بعض المتعلقين به أنه قال : وفد علىّ جماعة من أعيان السادة آل الشيخ أبى بكر بن سالم باعلوى إلى مكانه ، وأنا بجوار سيدى الحبيب الشيخ عبد الله ـ رضى الله عنه ـ وأردت لهم ضيافة فجئت إلى سيدى ، وأخبرته أنه ليس معى ما أضيفهم به ولا بد لى من ذلك .

قال : وما تريد لهم ؟

قلت : عشاء . فقال له : ما يقع إلا الخير ـ إن شاء الله ـ يتيسر لك ما تريد .

قال : فمضيت إلى بعض السادة فأعطانى شيئاً من البر وآخر كذلك ، فمضيت به إلى بيتى ، وأمرتهم بطحنه ، ثم خرجت أريد لهم لحماً فلقيت بدويا معه غنم سمان .

قال : فعمدت إلى كبش منها وساومت البدوى فيه بثمن كثير وليس معى شيء فقال لى البدوى : الميعاد بينى وبينك السوق من أجل الثمن وقت العصر .

وكان ذلك أول النهار ، ففرحت وقلت : من ساعة إلى ساعة فرج فأخذت

الكبش وذبحته لهم فوق العشاء ، فبعد ذلك حصل معى الهم من شأن ثمنه وكيف الحيلة . فجئت إلى سيدى وقلت له .

فقال : ما يقع إلا الخير ، فجئت أنظر البدوى فى السوق كيف يكون أمره فلم أجده على الوعد ولم أخبر به ، مع أنى لا أعرفه من قبل ، فعرفت أنها من كرامات سيدى وتعريفه . فجئت إليه وأخبرته وقلت : ليس ذلك بدوياً جلاباً ، وليتنى أخذت منه أكثر من ذلك .

فقال لى : اترك الطمع قد حصل لك ما تريد ، فاحمد الله تعالى .

(الحكاية الثالثة والعشرون)

أخبرنى بعض المباركين من أهل تريم قال : استشرت سيدى الحبيب عبد الله ، فى زيارة الشيخ عبد الرحمن باجلحبان ، صاحب الضريح الكائن قريباً من جبل كحلان ؛ فأشار علىّ وقال : إن خرجت بنية صادقة ، حصل لك غداء ببركته وأنا لم أتغد بعد ، فخرجت وزرته .

فلما انصرفت من عند قبره ، وسرت بعض الطريق راجعاً إلى البلد ، إذ أنا برجل فى أثناء الطريق فنادانى : هلم إلى هنا ، فتقدمت إليه ، فإذا هو يأكل شيئاً من تمر فعزم علىّ أن آكل معه فأكلت معه ، وأنا لا أعرفه .

فلما رجعت وأخبرت سيدى به قال : هذا دليل على صدق نيتك فى الزيارة ، حيث جاءك الشيخ بغداء .

قلت : وقد زرت الشيخ المذكور أنا وبعض الأصحاب وبتنا عنده ، فلما كان اليوم الثانى خرجنا لحضور درس سيدنا عبد الله . فقال لى : خرجتم لزيارة باجلحبان البارحة ؟ فقلت : نعم . قال : ألم يأتكم بعشاء نسمع أن من زاره جائعاً يشبعه .

قال ذلك على سبيل المباسطة . وسمعت أن السيد العالم العارف عبد الله بن أحمد بلفقيه زار هذا الشيخ مرة بالليل ، ولم يكن معه عشاء ، فجاءه رجل فى صورة بدوى وأطعمه لحماً مضبياً ، يعنى مصلياً .

وسمعت أيضاً أن السيد الفقيه الفاضل سهل بن محمد باحسن خرج لزيارته يوماً ، فعطش عند قبره عطشاً كاد يتلفه . وفى رواية : إنها حصلت عليه شرقة وكانت تعتريه ، ولم يقدر على القيام ولا الكلام من شدة مابه ، فجاء رجل وصب فى فيه لبناً حتى روى ، وفاض منه شىء على لحيته وكانت سوداء ، فما أصابه منها كان شيباً فكل من لقيه ممن يعرفه تعجب منه ، لكونه لم يكن فيه شيب .

ويقال : إن الخضر لا ينقطع من عند هذا الشيخ ومسجده .

وكان السيد الولى العارف محمد بن عبد الرحمن مديحج كثير الزيارة له وربما خرج عند استواء الشمس وغيره من السادة آل أبى علوى ــ رضى الله عنهم ــ من السلف والخلف .

قال سيدنا الإمام عبد الرحمن بن الشيخ على بن أبى بكر باعلوى ــ نفع الله بهم ــ :

زر الوجيه المتقى بحر الصفا باجلحبان
كم من نليب قد سقى حول الضريح وفى مكان

(الحكاية الرابعة والعشرون)

أخبرنى بعض الثقات عن زوجته ، وكان سيدى قد تزوج بها قبل هذا الرجل قالت : أخبرنى أخى أنه دخل يوماً على سيدنا عبد الله بن علوى ، وهو بمسجد الهجيرة بتريم ، وزاوية المسجد المذكور ، وهو يقرأ فى مصحف مفتوح

العينين ، كأن لم يكن به عمى . فلما رأى أخى غضب عليه ، حيث دخل من غير استئذان وظننت أنه قال : لا يخبر أحداً بما رأيت وإلا أصبت ، فكأنه تكلم فأصيب برمد شديد أخذ به أمداً مديداً ؛ لإخباره بما رأى .

وأخبرنى الوالد عن السيد شيخ بن حسن الجفرى ، عن السيد العلامة عبد الرحمن بن محمد العيدروس ، عن الشيخ الفاضل حسن بن محمد بافضل المكى قال : دخلت على سيدى يوماً ، وهو فى خلوة بمكة المشرفة ، وبيده كتاب ينظر فيه ، ولم يكن به عمى أبداً . قال السيد عقيل : وسمعت جماعة من أهل الحرمين يقولون : إن سيدى لما حج كان يستعير كتباً ، ويرون أنه يقرأ فيها لنفسه .

وأخبرنى بعض الصالحين عن السيد الولى شيخ بن حسن الجفرى العلوى قال : كنت عند سيدى يوما بزاوية مسجد الهجيرة بتريم أصنع له قهوة ، فدخل منزلا ، كان فى ذلك الزاوية ، ليس عليه باب . وقال: احذر أن يدخل علىّ أحد ذلك المنزل ، قم على الباب . قال : فكأنى غفلت قليلا شغل القهوة ، فدخل بعض السادة على سيدى ، ولم أشعر به إلا وقد خرج فزعا مبهوتا . فقلت : ما بدا لك ، وما أفزعك ؟ قال : أمر عظيم ، رأيت سيدى عيونا كله من قرنه إلى قدمه ، فالتفت إلىّ وهمّ بى ، فخرجت فزعا مرعوبا ، ثم إن سيدى عاتبنى على تمكينى ذلك السيد من الدخول عليه ، فاعتذرت إليه — نفع الله به .

❀❀❀❀

(الحكاية الخامسة والعشرون)

حدثنى بعض الثقات من فقراء سيدى الصالحين . قال : حملنى أبى إليه ، وأنا صغير السن جدا ، ثم توفى أبى وسنى نحو العشرين سنة ، وترك إخوة لى

صغارا وأنا ووالدتى ولم يخلف لنا إلا شيئاً حقيرا ، وأنفقته عليهم ثم ضاق بى الحال ، فسرت إلى سيدى ، وشكوت إليه ضنك العيش ، وقلة ذات اليد . فقال لى : قف عندنا أياما ، ونحن ننظر فى شأنك . فقلت له : إنى تركت أهلى وهم ضياع ، وليس لهم نفقة فى هذه الأيام أبدا . فقال : قف أولا وأمـور أهلك متيسرة ، فامتثلت وتوقفت حسب إشارته لى . فلما كان فى بعض الأيام أعطانى شيئاً من الدراهم نحو نصف أوقية . وقال : سر إلى بلدك ، واتجر فى هذه ، وسيبارك الله لك فيها ، فسرت فلما وصلت إلى أهلى ، وبى من الشغب من أجلهم ما يجل عن الوصف . فقلت لهم : كيف صرتم بعـدى ؟ قالوا : بأتم حال وأنعمه . لما كان يوم من الأيام ، جاء إلينا رجل بطعام كثير ، ولم نعرفه أبدا ، فذكرت عند ذلك قوله : أمورهم متيسرة ، وأنه اطلع على ذلك ، بـل وإنه بتصريفه وبركته ــ رضى الله عنه ــ ثم إنى اتجرت فى الدراهم التى أعطانى ، وهو شىء يسير ، فبارك الله لى فيه ، حتى كثر مالى ، وأثريت وصرت ذا مال من بيت ونخـل ، وغير ذلك . وكم رأيت من بركاته وعناياته ، ولم يأمرنى بشىء ويشير به إلا ورأيت أثر الزيادة فيه ، وعاقبته حسنة جميلة، جربت ذلك مراراً .

(الحكاية السادسة والعشرون)

عن بعض آل باشراحيل ــ رحمه الله ــ قال : كنت مرة فى طريق اليمن ، فى قافلة ، قافلا من الحج . وكنت إذا ارتحلت القافلة ، تقدمت منها قليلا ، كما هى عادة المشاة فضللت عن الطريق ، فذهبت وجئت فى طرق كثيرة ، ولم أجد فيها خبرا ولا أثراً ، وكان الطريق مخوفا ، فحزنت واهتممت لذلك هما شديداً ، ثم ناديت بأعلى صوتى : يا سيدى يا عبد الله الحداد ، فإذا بالنداء : يا باشراحيل

أصواتا متعددة أسمعها ، ولا أرى شخصاً ، فأخذت نحو النداء حتى انتهيت إلى سطح الجبل ، فإذا القافلة أمامي ، فوصلت إليها ، وفيها بعض السادة ، ووقع عندي أنه هو الذي ناداني أصواتاً ، فأخبرته الخبر فتعجب غاية العجب .

وقال : ما سمعنا نداءك وعلمنا بك ولا ناديناك أبداً ، وإنما ذلك الذي دعوته فأجابك ـ نفع الله به .

قال : وكم جربته مراراً لا أحصيها ، للدرك والغوث ، في أوقات الشدائد ، في حضري وسفري . وقد كنت مرة في سفر أنا وصاحب لي ، فذكرت سيدي ، وخطر على قلبي ، فإذا أنا برائحة تفوح من روائح سيدي أعرفها وأميزها من جميع الروائح ، فبقيت مدة أشمها ، وزال عني ما كنت أجده من الخوف في الطريق ببركته .

وقال لي صاحبي الذي معي : أتشتم شيئاً من الروائح إني أشم رائحة سيدي الحبيب عبد الله .

❦❦❦❦

(الحكاية السابعة والعشرون)

عن بعض الثقات عن عبد الرحمن بن عبد العظيم شراحيل أحد فقراء سيدي ـ رضي الله عنه ـ قال : سافرت سنة أريد الحج ، فاتفق أني نمت أول النهار ، فاستيقظت وقد جازت القافلة ومضت ، ولم يبق منها علم ولا خبر ، فتحيرت في أمري ، ولم أدر كيف أفعل ، فاستغثت بسيدي عبد الله ، وهتفت باسمه . وقلت : ليس لها إلا أنت . فبينا أنا كذلك إذا بحس صوت قبلي ، فاتبعته فلم أر أحداً كذلك ، ثم إني وقفت عند بيوت حرامية هناك ، معروفين بالتلصص ، فرآني واحد منهم فناداني : أن قف مكانك فوقفت فجاء إليّ فقال لي : إنما نحن اللصوص من جاء إلينا أكلناه . من أنت ؟ قلت : خادم السيد عبد الله

الحداد وفقيره ، فسار معى وخفرنى حتى أوصلنى إلى الأمان ، وبينى وبين أصحابى قريب من المرحلة .

وأخبرنى بعض الثقات قال : خرجت مرة من اليمن والطريق مخوف جداً ، بسبب حروب كانت بين قبائل اليمن وأنا إذ ذاك وحيد ، وليس معى إلا حمار عليه حوائجى ، وكل من لقيته خرفنى وعابنى على الطريق .

فبينما أنا أسير فى سفح جبل إذا أنا بجماعة لصوص ، قد أقبلوا علىّ وأرادوا نهبى فهربت منهم ، وتركت الحمار وأنا أستغيث بسيدى عبد الله الحداد ، فإذا باللصوص ينادوننى : ارجع وخذ حمارك فلا بأس عليك . فرجعت وسقت الحمار ومضيت آمناً مستأمناً .

(الحكاية الثامنة والعشرون)

أخبرنى بعض الثقات قال : تزوجت امرأة فلم يكن لى منها أنس قط ولا شىء مما أريد أبداً . وحصل علىّ منها ومن قرابتها أذى شديد ، ومع ذلك إنى أحبها حبا كثيراً فحصل علىّ أمر عظيم وتعب هائل نحو خمسة أشهر ، ولم يصفُ لى منها يوم واحد . وكتب إخوتها يشكوننى إلى سيدى الحبيب عبد الله بن علوى الحداد ، وكانوا متعلقين به .

فكتب سيدى إلىّ وإليهم : إنكم تصلون إلينا الجميع ، أنتم والمرأة ، فانحدرنا إلى تريم وقصدنا مكانه وأقمنا عنده ثلاثة أيام ولم يكلم أحداً منا بكلمة فى هذا الشأن .

فلما مضى اليوم الثالث . قال لى فى المسجد : إنا أصلحنا أمركم أنت والمرأة ثم بعد ذلك طلبنى إلى بيتى ، فشكوت إليه ما قاسيته منها ومن أهلها . قال لى :

لا تخف لا بد أن تصير أنت وزوجتك مثل اللبن والماء ، إشارة إلى الائتلاف والاختلاط والمودة ، نخطر لى فى الحال استبعاد ذلك لشدة ما لقيت منها ، فحال ما خطر لى ذلك . قال : الحذر أن يداخلك شك فى كلامنا هذا ؛ بصوت قوى . فسافرنا إلى بلدنا . فمن ذلك الحين حصل الود بينى وبين المرأة والعطف . ومالت إلىّ الميل الشديد بعد النفرة العظيمة ونحن فى الطريق . ولم يزل ذلك إلى الآن ، وولدت لى هـــذه المرأة اثنى عشر ما بين ذكر وأنثى ، ولم يكن بيننا بعد ذلك مشاحة ولا التواء أبداً ببركته وتصريفه .

وحدثت هذه المرأة فى هذه القصة .

قالت : طلبنى سيدى ، وقال لى فى زوجى ، وأوصانى بجبره ومطاوعته . فقلت له : إنى لا أحبه ، فادع الله لى أن أحبه كما أحبنى وألا يبغضنى كما أبغضته . فقال : لا ألا يحبك . وعاك تملتين له الفراش أولا ً .

(الحكاية التاسعة والعشرون)

حدثنى سيدى الأكمل العارف بالله ـ عز وجل ـ عمر بن الحامد بن باعلوى قال : أخبرنى صالح بن أحمد بانافع اليشبمى ـ بالمثناه التحتية والشين المعجمة والباء الموحدة ـ قال : هبت ريح عظيمة هائلة بأرضنا ليـــلة النصف من شعبان . فمن شدتها احتملت صبية خماسية إلى أرض مسبعة ، فطرحتها على شجرة فتشبثت الصبية فى الشجرة .

فلما كان الليل إذا بالسباع قد أقبلت من كل ناحية قاصدتها ، وهى تنظر إليها . قالت : فعند ذلك جاء سبع عظيم الخلقة وطرد السباع جميعهـا عنى ونحاها ثم صار ذلك السبع فى صـــورة رجل ، وأنا أنظر فناديته : من أنت ؟ قال : أنا

عبد الله الحداد فآنسها وسكن فزعها ، حتى أصبحت وأهلها يطلبونها من أرض إلى أرض حتى وصلوا ، فأخبرتهم بجميع ما جرى لها من شأن السباع والرجل ، وما كانوا سمعوا بذكره أبداً ؛ لأنهم أهل بادية . فاحتملوا الصبية وسألوا عن الحداد من هو فأخبروا ، فعظم لديهم واعتقدوه من ذلك الوقت ، حتى إنهم جعلوا له قسما فى مواشيهم ، ونحو ذلك والله أعلم .

(الحكاية الثلاثون)

أخبرنى أيضاً عن بانافع المذكور قال : حصل فى بعض السنين بأرضنا زرع جيد ، فخرج علينا جراد عظيم توهمنا أنه يتلفه من كثرته ، ولا يبقى منه شيء . فتشاور أهل الزرع على أن يجعلوا لسيدى أربعة أمداد من كل جربة نذراً إن سلم الله هذا الزرع من ذلك الجراد . فلما أصبح الناس ، ولم يبق لذلك الجراد أثر ولا خبر ، قطع الله عنا دابره ، ببركة سيدى ، وجعلوا له بعد ذلك أرضاً ملكاً .

وأخبرنى بعض الناس قال : حصل ببلدنا هينن زنابير كثيرة بحيث كادت تتلف الخريف فجعلوا لسيدى ـ رضى الله عنه ـ نذراً إن سلم الله الخريف منه ، فدفعها الله ـ عز وجل عنهم ـ ببركته . والنذر المذكور جعلوه لحاضرى راتب سيدى عبد الله بمسجد العقيدة ـ بالعين المهملة وقاف ومثناة من تحت ـ تصغير عقدة معروف فى تلك البلد .

وأخبرنى بعضهم قال : رأى سيدنا عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ فى المنام وهو يقول : بشروا بسيل فى وادى الأيمن والأيسر من دوعن . ولعل ذلك كان كما قال .

وقال بعضهم: كان عندنا زرع جيد فى بلدنا، عندل ـ بالعين والدال المهملتين والنون ـ فعطش ذلك الزرع حتى كدنا نيأس منه . فلما كان بعض الليالى رأيت سيدنا عبدالله ؛ كأنه بنى مسجداً عندنا. فما أصبحنا إلا وقد شرب زرعنا ببركته .

(الحكاية الحادية والثلاثون)

عن عبد الله بن محمد شراحيل ، عن بعض الفقراء قال : حضرت عند سيدنا الشيخ الإمام عبد الله بن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ فشكا إليه رجل ضيق العيش والجوع . فقال له : اصبر ولا بد أن تأكل الخبز بالسمن حتى يجرى السمن على يديك ـ يعنى من كثرته ـ قال الراوى : أشهد علىّ : لقد رأيت الرجل يأكل والسمن يجرى على يديه ، كما وعده سيدى .

وعنه قال : حصل علىّ أذى من شىء من الدواب مرات كثيرة ، ولا قدرت على دفعه بحيلة . وطال علىّ ذلك فألهمنى الله أن قلت : عزمت عليك بصاحب الوقت عبد الله بن علوى الحداد ، أن لا تعود إلىّ أبداً ، فانصرف فى الحال كأنه يسمعنى ولم يعد إلىّ بعد ذلك أبداً ببركته .

قال : وكذا كانت فى بيتنا حية تظهر وتغيب ، ونحن نتخوفها . فظهرت يوماً فقلت لها : عزمت عليك بصاحب الوقت عبد الله الحداد ، إلا انصرفت ولا تعودى بعدها أبداً ، فانصرفت ولم تعد .

وأخبرنى السيد محمد بن علوى مساوى السقاف باعلوى قال : كثر البق فى بيتنا ، وحصل الأذى علينا منه ، فشكا والدى إلى سيدى منه . فقال : من الآن ينقطع ، ولا يؤذيكم أبداً . فكان ـ كما قال ـ دفعه الله عنا ، وصرفه ببركته وتصريفه .

(الحكاية الثانية والثلاثون)

أخبرني بعض المحبين المتلقين بسيدنا الأكبر عبد الله بن علوي الحداد ـ نفع الله به . قال : لحقني دين ، نحو امن ستمائة قرش ، وليس بيدي إلا اليسير ، واهتممت لذلك هما عظيما ، فشكوت إليه من ذلك . فقال : لا تهتم ، يقضى دينك هذه السنة . فعجبت واستبعدت ذلك ، وفرحت ، فهيأ الله أسباب القضاء ، من حيث لا أحتسب ، وقضى عنى الدين ببركته .

وأخبرني آخر من المتلقين أيضاً قال : لحقتني ديون كثيرة جداً جداً ، فشكرت إلى سيدي ـ نفع الله به ـ وألححت عليه في طلب الدعاء والاعتناء . وقلت : ما معى وفاء للدين : فقال لى : يقضى دينك قريبا ـ إن شاء الله .

وكان علىّ لبعض التجار أربعة عشر ومائة قرش ، ولغيره أيضاً . وليس معى إلا القليل ، فكلم سيدي ذلك التاجر في المسامحة فقال : إن أردتني أبرئه مما عليه أبرأته ، أو ما شئت . فقال : تبرئه من النصف والبقية على مهمل ، فأبرأني من النصف ، وقضيته النصف الآخر ، بسهولة من غير مشقة ببركته ، حتى لم يبق علىّ شيء وكان عند ذلك يوصيني بالمحافظة على الصلاة ، ومجالسة الصالحين من أصحابه .

(الحكاية الثالثة والثلاثون)

رأيت بخط السيد الجليل علوي ابن سيدنا الأستاذ عبد الله ـ نفع الله به ـ ومنه نقلت ، وسمعته من لفظه أيضاً . قال : أخبرني بعض السادة آل أبي علوي قال : حصلت علىّ إضاقة شديدة في المعاش ، في بعض الأيام ، واعتراني هم وغم وكرب . وبلغت من ذلك إلى الغاية ، فتوجهت لبعض الموسرين لأستقرض منه

شيئاً . فمنعني من الوصول إليه مانع ، فإذا أنا بخادم سيدي عبد الله يسأل عني ، فجئت إليه ، فأعطاني شيئاً من الدراهم . وقال : يقول سيدي : خذ هذه استعن بها على بعض معاشك ، فأدركني بثياب .

وعنه أيضاً قال : اعترتني حاجة شديدة في بعض الأيام ، حتى بلغت الحيرة ، ولم أدر كيف أعمل . فجلست متفكرا ، منتظرا ما يأتي به الله عز وجل ، أنا ورجل آخر ، حاجته حاجتي . فاستغثت بسيدي عبد الله ، وناديته باسمه: أدركني وأغثني ، فإذا أنا بخادمه ، قد أقبل . فلما أتى فقمت نحوه ، فإذا معه طعام كثير ، استبعدت أن يكون ذلك كله لي من سيدي فقال لي : هذا كله لك – رضي الله عنه ، ونفعنا به – في عافية . آمين .

(الحكاية الرابعة والثلاثون)

أخبرني بعض أخدام سيدي – رضي الله عنه – قال : كنت أعلف شاة لعيد الأضحى ، فاتفق في بعض الليالي ، أني تغيبت عن بيتي ، فسرقت تلك الشاة ، فتعبت لذلك تعباً شديداً ، من أجل الصغار ، إذ ليس لهم مني غيرها ، فخرجت لسيدي قبل صلاة الفجر . فعند خروجه للصلاة تقدمت إليه ، وأخبرته الخبر . فقال : لا تهتم ولا تحزن ، الشاة تعلف لك منذ سنة ، فسكن عند ذلك انزعاج خاطري من شأن العيد . فلما دنا العيد ، جئت عند بعض السادة فقال لي : أريدك تصنع لي كذا – وكان الرجل حراقا في البز – فقلت : أجل . فقال لي : ولا من لك أجرة إلا شاة تأخذها مني بقيمة ، تكون تلك من أجرتك . ولهذه الشاة عندي سنة أطعمها ، فقبلت وأخذتها ، وذبحتها في العيد لعيالي ، ثم بعد مدة قال لي صاحب الشاة : هي لك مني بغير ثمن وقد تركت الحاجة التي أريدك تصنعها إليّ ،

فعرفت أنهـا من كرامات سيدى واطلاعاته ، لانتسابى إليـه والتجائى ، واستغاثتى به .

وحدثنى بعضهم قال : نسيت شيئا ، له قدر ، فى مكان مضيعة . ومع كثرة تردد النـاس ، فى ذلك المكان ، بحيث يستبعد جداً أن يقف ساعة ، وصرت كالآيس منه ، فجعلت لسيدى شيئاً من قيمته . ورجعت . فلقيته بحاله وأعمى الله الأبصار أن تراه ببركته ـ رضى الله عنه ـ .

(الحكاية الخامسة والثلاثون)

حدثنى بعضهم قال : ضاع حمار لوالدى ، ولم يكن له غيره مركوب ، فأخذنا ستة أو سبعة أيام ، فطلبه ونسأل عنه ؛ فلم نقع له على أثر ولا خبر ، فخطر لى عند ذلك ، أن أزور سيدى الغوث عبد الله بن علوى الحداد واستغثت به من أجل ذلك ، فسرت بنية صادقة ، فوصلت مكانا غير بعيد . لقينى رجل ، فسألته : هل سمعت بحمار يجلب ، ولم أكن أعرف ذلك الرجل . فقال : نعم إن بدويا سرق أو هو يجلبه ، ولعله حمارك أنا آتيك به إلى بيتك . فعرفت عند ذلك أنه ببركة نيتى فى زيارته ، وأن ذلك بتصريفه . فأمضيت نيتى ، وسافرت إلى تريم وزرته . وصادفت يوم عاشوراء ، فأصبحت صائما ولم أعلم بصومى أحدا . فلما أصبحت خرج إلىّ الخادم . وقال : يقول لك سيدى : لا تصم اليوم ، واعزم إلى بلدك . فلما وصلت إلى البلد ، إذا أنا بالرجل مقبل بحمارى ، يقوده إلى بيتى . وسبقنى إلى الدار بخطوات ، فعرفت اطلاع سيدى على صومى ، وعلى مصادفتى للرجل مع مجيئه ؛ لأنه من غير أهـل بلدنا ، ولم أعرفه من أى بلد أبداً ، ولم أسأل عنه . وعرفت أنها من كرامات سيدى ، وخوارق عاداته .

(الحكاية السادسة والثلاثون)

عن عبد الله شراحيل . قال : سُرق على رجل شيء من المتـــاع ، وهو فى مخدمة الرجل الصالح عمر باسالم فقير سيدى ، فأعيِيَ فى طلبه ، فلم يقع له على خبر . فلما عجز عن الطلب والبحث ، خرج إلى سيدنا الملاذ عبد الله الحداد ـ رضى الله عنه ـ وشكا إليه وقال : لا أعرفه متاعى إلا عندك ، وألحّ عليه فى ذلك إلحاحا شديداً . فلما رأى سيدى منه ذلك ، وأنه لا يندفع قال : ادخل البلد ، واقصد السوق ، وأول من تلقاه مع دخولك ؛ هو الذى سرق متاعك ، فاقبض عليه . قال : فدخل الرجل ، فأول من لقى رجل ظاهر الحشمة ، لا يكاد يتهم ، فتردد فى نفسه ، ثم إنه جزم عليه فأمسكه . وأنكر الرجل ، وعلت أصواتهما ، واجتمع الناس عليهما ، وترافعا إلى الأمير . فعجب الأمير من ذلك ، لكون الرجل غير متهم ، ولا يظن به السرقة . فقال المسروق عليه : هل معك عليه من بينة ؟ فقال : نعم ، بينتى عبد الله بن علوى الحداد . فلما سمع الرجل ذلك خجل وهرب . فاتبع وهرب فسقط ، وعرف أنه السارق ، فأقر ورد المتاع إلى صاحبه ، وطلب منه العفو والستر عنه ، عند ذلك .

٭٭٭٭

(الحكاية السابعة والثلاثون)

عن بعضهم أنه جاء إلى تريم يبيع ويشترى فى البز ، فاتفق أن البز الذى معه سرق من البيت الذى قصده قال : فخرجت إلى مكان سيدى عبد الله ، وشكوت إليه الحال . فقال : امض إلى سوق تريم ، وسوف تعرف الذى سرق بزك ، عند القبان ، وهو الذى توزن به الأشياء الثقيلة . قال : فدخلت السوق ، وقصدت القبان كما أمرنى . فلما وصلت إليه إذا أنا برجل ينظر إلىّ ، ويرعد من الفزع ،

فعرفت أنه الذى سرق علىّ البز ، فأمسكته ، فأقر بالسرقة فى الحال ، وأعطانيها من غير منازعة منه لى ، ببركة سيدى ـ رضى الله عنه ـ .

وعن عبد الله شراحيل قال : سُرق على ابنة لى شىء من الحلى . فاهتممت لذلك هما شديداً ، واستغثت بسيدى عبد الله ، فأتيت إلى بيتى فوجدت الحلى فى حرقة بيتى ، الذى تدخل منه اليد ، لفتح الباب ، ولم يقصر منه شىء ، ببركته ـ رضى الله عنه .

(الحكاية الثامنة والثلاثون)

حدثنى والدى ـ رحمه الله ـ قال : جاورنا سيدنا ومولانا وشيخنا عبد الله ، بمكانه الحاوى سنة ١١٢٣ ثلاث وعشرين ومائة وألف ، لأذى حصل علينا فى البلد . واتفق أن بعض قرابتنا أودع والدى شيئاً من الحلى ، له قيمة ، فى قفص . فغُبى علينا ذلك القفص ، فطلبناه ولم نجده . وفتشنا عليه أبلغ التفتيش ، فى جميع مظانه ، فلم نقع له على أثر . فاغتم والدى لذلك غما شديداً ، وكان يقرأ حزب الأسبوع ، مع سيدى بمسجده .

قال : فنظرت إليه يوما ، بعد أن صليت الصبح معه . وقلت فى نفسى : كيف يضام ، ويحصل علينا هذا الحال ، ونحن فى حمى هذا وجواره . وهو ـ نفع الله به ـ فى محراب المسجد . قال : فلما انقضى الحزب ، دخلت إلى البلد ، وجئت عند بعض القرابة ، فأخبرته ، فخرج ثم رجع ، فإذا بالقفص بيده ، وعليه الغبار . وقال: إن يكن هذا فإنى لقيته ملقًى فى منزل فى بيتى ، ولم أدر من أين جاء ، فإذا هو بعينه . فعرفت عند ذلك أنه ببركة سيدى .

وكذا وقع لنا ونحن فى جواره ، أن سرق بيتنا ، فأحس والدى بالسارق ،

فقام يطلبه فى جميع الدار حتى بيت الخلاء ، فلم يجده ؛ فرجع ونام ، وإذا السارق قد كمن فى البيت . ولما أراد والدى دخوله ، صرفه عنه صارف قهرى . ثم أخبرنا بعض الثقات عن ذلك السارق ، أنه قال : عقدت فى نفسى قتل من دخل علىّ كائنا من كان ، فسلم الله ، ببركة سيدى ـ نفع الله به . ولقد كنا نعد هذه من أكبر كراماته ، وخوارق عاداته .

(الحكاية التاسعة والثلاثون)

أخبرنى بعضهم قال : مرض والدى مرضا أشرف منه على التلف ، فأرسلت والدته كتابا إلى سيدى النياث : عبد الله بن علوى الحداد ، تستنجد به ، وتستغيثه فى إزالة ذلك المرض ؛ فأجاب : وصل كتابكم تذكرون فيه مرض الولد فلان ، الولد يعافى من مرضه هذا ، وعاد فى ظهره أولاد من غير زوجته التى تحته الآن . قال ابنه : وكانت الزوجة التى تحت والدى لم تحمل له إلى أربع عشرة سنة . فعوفى والدى من مرضه ، وفارق الزوجة ، وتزوج بأخرى ، فأولدها خمسة أولاد وسقطين .

وأخبرنى السيد الفاضل على بن السيد الولى الجنيد بن على باهارون جمل الليل باعلوى قال : ولد لى مولود سميناه عمر ، فتوفى بعد ذلك بأيام ؛ فجعلنا اسمه الجنيد ، باسم الوالد تبركا . ولقرب عهد الولادة ، فأعلمت سيدى عبد الله بذلك . فقال : دعوه باسمه الأول ، وعاد الجنيد يأتيك وغيره من الأولاد ـ إن شاء الله ـ وقرأ الفاتحة بنية حصول الأولاد . فجاء الأول ، فسميناه جنيدا ، وجاء الثانى وسميناه هارون وظننت أن بعد هذين الولدين ولدين آخرين ، تصديقا لقوله : يأتيك أولاد .

أخبرنى بعض الصالحين من السادة . قال : مات لى ولدان وأمهما فشكوت إلى سيدى . فقال : الأولاد مقبلون ، والزوجة يبدلك الله خيراً منها . قال : فتزوجت بعد ذلك ، بأربع نسوة . وجاءنى من الولد أربعة عشر ، ما بين ذكر وأنثى .

ومن بعض السادة أن سيدى سأله كم لك من الولد ؟ فقال : ابن وبنت . فقال ـ نفع الله به ـ : وعاد يأتيك فلان وفلان وفلانة وفلانة : ذكران وثلاث إناث . وسماهم بأسمائهم . فأتى ذلك السيد جميع ما وعده سيدى ـ رضى الله عنه ـ .

وأخبرنى بعض السادة قال : قلت لسيدى : إن مع زوجتى حملا ، بماذا يسمى المولود ؟ فقال : إن كان بنتا فسمها باسم كذا ، فجاءت بنت ، فسميناها بما قال ، ثم حصل حمل آخر . فقلت له : بمـــاذا تسميه ؟ فقال : حسين . فجاءنى ذكر ، فسميناه حسينا ، وعرفته كشفه ـ رضى الله عنه ونفع به ـ فى الأمرين جميعاً .

❁❁❁❁

(الحكاية الأربعون)

أخبرنى بعض السادة الثقات من آل أبى علوى . قال : إن بعض الناس لما حملت به أمه فى البطن ؛ أخبرهم سيدى الشيخ عبد الله ، بأن الحمل ذكر سموه كذا ، فولدت. فسموه باسم الذى سماه لهم . وكذا بعض السادة ، حملت زوجته ، بعد وفاة سيدى ، فرآه فى المنام يقـــول : إن امرأتك حملت بولد ذكر ، إذا وضعته فسمه كذا ، فكان كما قال .

وأخبرنى بعض المنتسبين إلى سيدى عبد الله قال : ولد لى ابن ، ثم لم تحمل زوجتى . فقـــال لى سيدى : عاد الأولاد يأتونك فبعد عشرين سنة ، توفيت زوجتى ، وتزوجت بأخرى ، فجاءنى الأولاد ـ كما وعدنى ـ سيدى الحداد ـ نفعنا الله به ـ فى المعاش والمعاد .

وحدّث السيد عقيل عن بعض السادة : أنه رأى سيدى عبد الله فى المنام ، وكأنه أعطاه ثلاثة أسوكة . وقال له : يأتيك ثلاثة أولاد ؛ الأول منهم قده مضغة فى البطن فكان كما قال .

وأخبرنى ابنه السيد العارف علوى . قال : قال بعض السادة لوالدى : لم يأتنى إلا بنات ، خاطرك معى بالبنين . فقال له سيدنا الوالد : عاد الأولاد يأتونك حتى تقنع منهم ، أو قريبا من هذا . فأتاه بعد ذلك ، ثلاثة أولاد تباعا ، بعد سبع بنات تباعا .

(الحكاية الحادية والأربعون)

أخبرنى بعض المنورين من السادة آل أبى علوى . قال : تزوجت بامرأة من السادة ، ولم تحمل لى إلى خمس سنين ، فجاءت والدتها إلى سيدى ، وكانت ابنة خاله . فقالت له : أريد ابنتى تحمل بابن : فقال لها : تحمل ـ إن شاء الله ـ وتلد ابنا ، وأعطاها خيطين ، وقرأ ونفث فيهما . وقال : اعصبى واحداً على يد الزوج ، والآخر على بطن ابنتك . فحملت المرأة ، من تلك الليلة ، وولدت له ابنا ، وهو إذا يعيش ، وسنه الآن فوق الثلاثين سنة .

وأخبرنى أيضاً . قال : سافرت سنة من السنين ، ومعى بنت . فمرضت ، فخرجت أمها إلى مكان سيدى الحاوى ، وشكت إليه من مرضها . فقال لها : لا تجزعى ؛ فإنك ستلدين بعد بابنة أخرى ، تكون أبرك عليك منها . فعرفت عند ذلك أنها ستموت . ثم إنها توفيت ؛ وجئت من سفرى ، وحملت الزوجة ، وجاءت بابنة أخرى ـ كما وعدها ـ رضى الله عنه .

وأخبرنى السيد الأخ سقاف بن شيخ بن هاشم باعلوى قال : تزوجت فهنأنى

سيدى عبد الله ـ نفع الله به ـ ثم بعد ذلك صافحته فقال : مَن أنت ؟ فقلت : سقاف بن شيخ . فقال: أبو شيخ أيضاً . فبعد ست سنين حملت؛ فولدت لى ابناً سميته شيخاً ـ كما أشار ـ نفع الله به .

(الحكاية الثانية والأربعون)

أخبرنى بعضهم قال : كان والدى مجاورا بالحرم ، فأرسل لى فى بعض السنين بأربعة قروش فضة ، فقدر الله أنها ضاعت على الذى جاء بها فى حوائج كانت له فأخبرت سيدى وشكوت إليه الحال .

فقال : أيما أحب إليك : نعطيك الأربعة منا ، أو نضمن لك ، إذا وصلت إلى الحرمين ؟ وكانت لى نية الحج بأربعين قرشاً . فقلت : الأربعون خير لى وإن كانت مؤجلة . قال : فسافرت ، فحصلت الأربعين من والدى كلها ، من غير أن ينقص منها شىء أبداً . فعرفت أنه اطلع على ذلك ، وأنه تصريف منه لى ـ رضى الله عنه .

وأخبرنى بعض الصالحين قال : زرت تريم ، فى بعض السنين ، وقصدت سيدى؛ وكان معى حمار، فأخذناه أياماً. فلما أردنا للسير أنا وجماعة من أهل بلدى طلبت الحمار فلم أجده . فطلبته ، وسألته عنه ، فلم أعط منه خبرا فخشيت فوت الرفقة ، وشكوت إلى سيدى ، وفزعت من التخلف بسببه . فقال لى : سر مع أصحابك ، وخادمنا يأتيك بحمارك ، فسرنا خطوات . فإذا خادم سيدى قد أقبل به ، ولم أر من أين ، ولم أسأل عنه . ووقع عندى أنه اطلع عليه ، فى المكان الذى هو فيه ، وأن جميع ما فى الأرض بين يديه ، ولا يحجبه عن شهود الأشياء حاجب .

(الحكاية الثالثة والأربعون)

حدثني بعض الثقات من أصحابه قال : حدثني بعضهم قال : كنت وأنا صغير السن أحضر درس سيدي بمسجد المجيرة ، فكنت أتحرك ، وأقوم وأجلس ، وأخرج وأعود ؛ كعادة الصغار .

فقال لي يوماً : ما هذا التردد والمجيء والذهاب ؟ أتحسب أنا لا ننظرك !

قال : وكنت عنده مرة ، فوضع له فنجان ملآن قهوة بين يديه ، فوقعت فيه ذبابة . فناداني سيدي وقال لي : أخرج الذبابة منها ، من غير أن يخبره أحد ، وهو لا يبصر .

●●●●

(الحكاية الرابعة والأربعون)

أخبرني بعض الثقات قال : جئت إلى سيدى زائراً مع أبي ، وأنا صبي صغير . فقال لي سيدى : تصلي ؟ فقلت : نعم . فقال : من علمك الصلاة أمك ؟ وهو كذلك هي التي علمتني ، فأومأ إلى أبي بيده : أن لا تتكلم من غير أن يتكلم هو . فحال ما أشار إليّ التفت إليه قائلا : دعه يعلمنا بمن علمه .

وكذا أخبرني بعضهم قائلا : أردت أن أكلم سيدى فأومأ إليّ بعض أولاده : أن لا تتكلم فقال : دعه يكلمنا بما في نفسه .

وروى أنه دخل عليه رجل ، فلما واجهه ، قال له : متى ظهر فيك هذا الشيب .

وروى أنه قال لشخص ليس عنده ثوب : مالك لبست ثوب فلان . وكذا قال لآخر - عندما أقبل عليه - : مالك لا تلبس ثوب كذا وكذا . وقال لآخر مثل ذلك ، وهو لا يبصر بعينه الظاهرة ، ولم يعلمه بذلك ، في جميع هذه الوقائع إلا العليم الخبير .

●●●●

(الحكاية الخامسة والأربعون)

أخبرنى سيدى الوالد ـ رحمه الله ـ قال : جئت سنة من السنين ، من صنعاء اليمن ، فمضيت إلى بعض المدائن فأصحبنى رجل ذو طوية قوية ، وعقيدة حسنة فى سيدنا عبد الله ؛ أعطانى رسالة دراهم له ـ نفع الله به ـ نحو عشرين قرشاً . فوصلت إلى تريم يوم عرفة ، فجئت إلى سيدى وهو صائم . فاستأذنت عليه ، وأخبرت أنه لا يطلع عليه أحد إذا هو صائم إلا مسافر ونحوه .

فطلعت عليه ، وجلست معه طويلا ، ثم قلت له : يا سيدى إن فلاناً أعطانى لكم رسالة ، فرفع البساط الذى هو عليه . وقال : ضعها هنا . ولم يسألنى عما هى ، وكم هى ، ولم يقدم له علم بها ، لأن الإعلام بها وتعيينها لم يكن إلا فى كتاب ، والكتاب صحبتى ؛ فوقع لى اطلاعه عليها . ثم استودعت منه وخرجت . ثم لقيت بعض من كان يخدمه . فقال لى : إنك أتيت بما أتيت ، وليس فى بيت سيدى شىء ، مما يحتاجه لعيد عرفة ، من لحم وطعام وسمن ، وغير ذلك .

وكان ذلك مطابقاً لجميع ما يحتاجه للعيد ، سواء بسواء ، من غير زيادة ولا نقصان .

وسمعت أن سبب اعتقاد هذا الرجل الذى أرسل الدراهم ؛ أنه جاء إليه ، فأعطاه ثوباً ، فكان يخرج للحروب ، ويلبس قميص سيدى ، فوق الدرع للتحصن به ، فلا يمرقه رصاص البنادق ، ويكون فى القميص كالنخامة . روى ذلك جماعة .

وحدثنى بعض السادة قال : أعطانى سيدى شيئاً من كسائه . وقال : إن لباسنا لمن ألبسناه عدة للنوائب ، فاتفق أنه وقع حرب ببلدنا ، فخرجت ليلا ،

وأنا لابس لباس سيدى الذى أعطانى . فحال خروجى رميت ببضعة عشر رمحاً دفعة واحدة ، من بعض أهل الحرب ، ظنوا أنى ممن يطلبون من الأعداء .

فرت الرماح بين جوانبى ، ولم يصبنى منها شىء ، واعتقدت أن ذلك ببركة سيدى ، وأن الوقاية كانت بسبب الكساء الذى كان علىّ منه ـ نفع الله به .

(الحكاية السادسة والأربعون)

أخبرنى بعض المنورين عن أخيه ، عن بعض الأخدام لسيدى المقدام ، وكانوا كلهم ثقات . قال : ذلك الخادم خلى بيت سيدى من الطعام ، فلم يبق فيه إلا ما يكفى ليلة واحدة ، فأخبرته بذلك ، فأمرنى بالذهاب لرجل فى البلد أستقرض منه شيئا من الدراهم ، فذهبت إليه ، فاعتذر . فأخبرته فقال : ارجع واستقرض من فلان ، فرحت فاعتذر أيضا . فرجعت إليه . وقلت له : لا أعود أذهب إلى أحد أبدا . فقال لى : إذاً امض إلى مكان كذا ـ يشير إلى موضع فى منزل فى بيته ـ واحفر فيه تجد دراهم كثيرة ، فخذ منها قدر الحاجة فقط . فقال : فمضيت إلى المحل الذى أشار إليه ، وحفرت فوجدت دراهم كثيرة ، فأخذت منها ما أمرنى ، ورددت الطين عليه ، فأنفقت ما أخذته فى بيته أياما ، حتى نفد . فذهبت إلى الموضع لآخذ منه ، فلم أجد غير الطين . فجئت إليه فأخبرته بما فعلت . فتبسم وقال : أتظن أنهم تاركوها لك ، أو معنى ذلك . فعرفت أنها من خزائن القدرة ، وأنها من كراماته ، وخوارق عاداته وتصرفاته ، ثم قال : قف واسكن حتى يأتى الله بالفتح من عنده . فسكت وليس فى البيت شىء . فلما كان آخر النهار ، وأنا مهموم مغموم ، وليس عنده من ذلك هم ، بل كان

جالسا للتدريس ، وهو في غاية السرور والابتهاج ، مع اتساع الدائرة ، وكثرة النفقة على الأهل والفقراء . فبينما أنا كذلك إذ أقبل رجل بحمل طعام على جمل ، وقصد بيته وقال : هذا نذر له ، من بعض البلدان . فعند ذلك سكن خاطري .

(الحكاية السابعة والأربعون)

حدثني بعض الثقات المنورين قال : كنت بتريم ، في بعض السنين ، فوقع الشرب ببيت جبير . وكان لسيدي بها مال ، ولم يكن عنده إذ ذاك بذر ، ولا ما يستعان على قوت العوامل والعمال ، ولا أجرتهم . فألح على سيدي من كان له على ذلك المال نظر . فقال له — نفع الله به — : الأمور ميسرة — إن شاء الله .

وكتب إلى بعض المنتسبين إليه ببعض بلدان حضرموت ، أن يكترى العوامل من تلك البلد ، وأن تساق إلى بيت جبير يوم كذا . وكان الناظر يلح على سيدي ، فظننت أنه أمره ، أن يستقرض له ، فلم يحصل شيء من القرض ، حتى كان قبل مجيء العوامل بيوم ، أكثر عليه ذلك الرجل من الإلحاح . قال له : اصبر ، والله يأتي بالفتوح . فلما كان آخر النهار إذا بأحمال أقبلت لسيدي من بندر الشحر ، من تمر وأرز وغير ذلك . فقال — نفع الله به — : أخرجوا التمر بعينه للعمال ، وبيعوا من الأرز ، وخذوا ما تحتاجون .

(الحكاية الثامنة والأربعون)

أخبرني بعض الثقات قال : أرسل إليّ — نفع الله به — يريد شيئا من طعام البر ، وأشتريه ، وهو كالمعدوم ، في ذلك الوقت ، فأردت أن أقول للرسول :

لا يكاد يدرك فى البلد ، ولكنى قلت فى نفسى : لعل غريبا يدخل به ، من مكان بعيد . التأنى أحسن . فتوقفت . وكانت عادتى لا أرد قضاء حاجة إلا إذا أعييت فى طلبها . فدرت فى البلد ، أتحسس ، فلم أجد منه شيئا . فلما أيست رجعت إلى دارى . فحال وصولى إليها ، إذا رجل يدعونى ، ويقول لى : هذه الحاجة مرسلة لسيدى عبد الله ، من بلد كذا ، نذر أخذها ، وأطلقها عليه ؛ فإذا طعام بر ، فيها ستة أضعاف ما طلبه . وكذا مرة أخرى ، طلب برا ، وهو كالمعدوم ، كالمرة الأولى . فتوقفت ، وبقيت منتظرا ما يأتى به الله .

فبينما كذلك إذ جاءنى رسول رجل ، كان لى عليه دين بطعام بر . قال : يقول فلان : بع هذا واستقض مالك عليه منه ، فأرسلت لسيدى به كله ، وعرفت أنه من تصريفه . وكذا أرسل مرة خادمه ، يريد حاجة مبادرة فى الحال ، من غير إمهال . قال: فخرجت فى طلبها ، فإذا أنا برجل حامل تلك الحاجة التى يطلبها سيدى بعينها . وقال لى : إن هذه مرسلة من مكان كذا لسيدى — نفع الله به — . قال : وكذا طلب حاجة أخرى وقال لى : اشترها ، ولو كانت بأضعاف قيمتها ، لحرصه عليها قال : فإذا برجل معه اثنا عشر ما طلب سيدى من تلك الحاجة له ، من بعض الناس هدية . قال : وكم غير هذا من كرامات — نفع الله به .

وحدثنى أيضاً قال : أرسل إلىّ ابن لى شيئاً ، من مربى الزنجبيل ، فأرسل إلىّ سيدى ، نريد كذا من مربى الزنجبيل . وكنت قد نويت أن أعطيه سيدى ، فأبت علىّ نفسى . وذكر الذى معى هو بعينه وقال : نريده للتداوى ، فحرت عند ذلك من اطلاعه ، حيث لم يعلم به إلا الله ، وقد نويته ، ولم تسمح نفسى بذلك ، فجئت بالذى معه منه إليه — نفع الله به .

وأخبرنى السيد عقيل . قال : حصلت عند سيدى بعض النوائب ، يحتاج فيها إلى طعام كثير . وكنت فى تلك الأيام عندى طعام كثير . فقلت له : إن كنتم تحتاجون لشىء من الطعام سلفا ، يكون لى عندكم، فإن عندى طعاما. فقال: نحتاج لذلك ولكننا نرجو أن يأتينا ما نحتاج إليه ، فإن قد جاء وإلا أخذنا منك ما نحتاجه ، فقدر الله أن جاءه الطعام ، وهو فى غاية الاحتياج له ، ولم يحتج إلىّ ، ولا إلى غيرى .

(الحكاية التاسعة والأربعون)

أخبرنى بعض أخدامه . قال : أعطانى سيدى شيئاً ، أخذ له به طعاما لضيفانه ، من وادى دوعن ، فجئت فأخذت له ، ثم أقبل علىّ أهل الوادى بشىء كثير من الطعام ، لما عرفوا أنى خادمه ، نذراً له ، حتى تجمعت أحمال تزيد على العشرة ، فكاريت عليها إلى بلدة شبام ، بحمله من الدراهم نحو عشرين قرشا ، ولا معى شىء فجئت إلى بعض التجار ؛ كان جاء من صنعاء اليمن ، من المنسوبين إلى سيدى ، فأخبرته بشأن الطعام والكراء ، فإذا معه لسيدى ـ نفع الله به ـ نحو أربعين قرشا ، مرسلة من اليمن ، فأعطانى منها قدر الكراء ، فعرفت عند ذلك أنها من كراماته .

وأخبرنى بعض الثقات عن والدته ، وكانت قد تزوجها سيدى ـ نفع الله به ـ قالت : كان عندى فى بعض الليالى . فانطفأ السراج ، ولم يكن عندنا دهن فقام وأشار إلى السراج ؛ فأسرج وأنا أنظر . وكذا ليلة لم يكن عندنا دهن للسراج . فقام إليه ، ووضع فيه ماء بدل الدهن ، فأسرج به . وكان إذا جاء إلى بيتنا ، والباب مغلق ، يفتحه من غير مفتاح . وكانت هذه المرأة من الثقات ، وكانت تحفظ من كراماته وخوارقه ما لا يحصى، وتحكى عنه ما يستغرب ـ رضى الله عنه ـ .

(الحكاية الخمسون)

ذكر عبد الرحمن بن عبد العظيم شراحيلي ، في مؤلف له لطيف ، جمع فيه شيئاً مما رآه وسمعه ، في سيدى ومنه .

وعنه : أمرني سيدى أحمد بن زين الحبشي أن أختار منه ، ما يصلح أخذه ، وأذن لي سيدى في التصرف فيه بعبارتي ، من حذف واختصار ، وغير ذلك .

وكان عبد الرحمن هذا رجلا صالحاً ، مجذوباً ، منور القلب . وكان يخدم مولانا من أول الأمر . وحج معه ، كما نعرف ذلك ، من وقائع عديدة في هذا المؤلف . وصحب جماعة من أقران سيدى عبد الله ، كالسيد العارف أحمد الهندوان ، والسيد الأنور على بن عمر ، والسيد العلامة عبد الله بن أحمد ابن الفقيه وغيرهم .

وسمعت أنه أفرد كلا منهم بترجمة غير أنه يأخذ من كلامه ، ويترك لعدم تمييزه والتصرف بفهمه . وسبب ذلك سلامة صدره . وكذلك الفقير الصالح عبد الله بن محمد شراحيل ، وجميع ما ذكرنا. وقد أخذت من مؤلفها وتصرفت في النقل منهما بفهمي حسب ما أشار إلىّ سيدى أحمد وقد أشرت إلى ذكرهما في الخطبة ـ رحمهما الله وجزاهما خيراً .

قال عبد الرحمن : سمعت مولانا الشيخ عبد الله الحداد ـ رضى الله عنه ـ يقول : أتاني ذات يوم ضحوة سابع شهر رمضان قرطاس من نور ، وأنا بين النوم واليقظة ، فوجدت مكتوباً فيه : من الملك القدوس العزيز الحكيم إلى العبد الضعيف : عبد الله بن علوى . حصل الإذن فارتفعت على رفرف . فبينا أنا كذلك متعجب حتى وقفت بين يدى ربي سبحانه فقال لي : يا عبدى . وخاطبني

بخطاب ، فأنطقنى الله بالصــواب . فقلت له : أنت العزيز الحكيم ، وأنا العبد الحقير ، فأنشأ علىّ تاجا من نور ، فبقيت متعجباً فى الإنشاء ، حين رأيته فوق رأسى .

(الحكاية الحادية والخمسون)

قال : وسمعته يقول لبعض السادة : رأيت فى المنام كأن الشيخ عبد القادر الجيلانى ـ رضى الله عنه ـ أتانى بكتاب من عند ربى ـ عز وجل ـ وكان شديد الفتح ، فاستأذننى الشيخ عبد القادر فى أن يقرأه علىّ ففرحت بذلك ، فقرأ علىّ فيه أحوالى .

وقال لى : أمرنى ربى بذلك يا سيد عبــد الله ، شمر غاية التشمير ، فإنك سوف تنال مقامى عن قريب . ثم قال سيدى : أرجو أن يصــدق الله كلام الشيخ عبد القادر ، وهو غاية المطلوب . وكان ذلك أوان بدايته . ولقد نال من الكمال أعلى منال . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وقد قال مرة : إن الله تعالى ـ وله الحمد ـ قد أعطانى ما أعطاه الشيخ عبد القادر الجيلانى ، ورأيت بخط بعض الصالحين ونقلت منه : رأى بعض الناس رجلا من الموتى ، قد مات قبل سيدى بثمانى سنين يقول ذلك الرجل : إن مقام سيدى عبد الله الحداد ، كمقام سيدى عبد القادر الجيلانى ؛ لأنه كف بصره وهو صغير . فلذلك أعطى المقام الكبير . انتهى .

وحدثنى بعض الصــالحين قال : حدثنى بعض السادة ، قال : حدثنى بعض الناس قال : خرجت لزيارة سيدى عبد الله ولأسأله عن كلام بلغنى عنه ، وهو أنه يقول : إنى أعطيت حال الشيخ عبد القادر الجيلانى أو مقامه . فلما وصلت إليه

لم أتجاسر أن أسأله عن ذلك ، وأقمت عنده نحو ثمانية أشهر وأنا أهم أن أسأله بكرة وعشيا ، فلم أقدر من هيبته وجلالته ، ثم إنى تجاسرت يوماً وسألته فقال : وما حاجتك إلى هذا ؟ هلا سألت شيئاً غير هـذا ؟ اطلب منا أن تسخر لك الأسود ، أو قال السباع لتركبها ، تركبها فى البرية أو نحو ذلك ولا تسأل عن هذا . فسكت ولم يخبرنى عما سألت — رضى الله عنه .

❀❀❀❀

(الحكاية الثانية والخمسون)

قال : وسمعته — رضى الله عنه — يقول لبعض السادة العارفين : رأيت فى المنام كأنى جالس بين يدى الشيخ عبد الرحمن السقاف وابنه الشيخ عمر المحضار فتذاكرنا فى شأن الولاية ، فخطر لى تمنى حال الشيخ عمر المحضار . فقال الشيخ عبد الرحمن : يا سيد عبد الله حال عمر لا يحتمله الزمان ، لما غلب عليه من وصف الجلالة ، وقد وهبك الله من العلوم والرحمة ما هو خير لك ، ثم أذن لى السقاف أن أتكلم ، فتكلمت بالعلوم اللدنية . فبكى رجل كان حاضراً من أصحابى . فقلت : يا هذا إنى لم أتكلم من أجلك ، ولا من أجل هؤلاء الحاضرين ، وإنما أنا مأمور ، ليبلغ أناساً بالمشرق والمغرب ، ويسمعه الروحانيون ومؤمنو الجن ، ثم قال — رضى الله عنه — : الأمر هكذا . فتحققوا ما قلت — يعنى فى اليقظة .

❀❀❀❀

(الحكاية الثالثة والخمسون)

أخبر عنه — رضى الله عنه — جماعة من الثقات الصالحين ؛ أنه قال : رأيت كأنى مررت على جمع من أكابر ساداتنا آل أبى علوى ، ومنهم الشيخ عمر المحضار المقدم ذكره فى الحكاية التى قبل هذه . فقال لى الشيخ عمر : يا سيد

عبد الله ، دعمت الناس وودائمهم ، وإلى أين تريد ؟ لعله إشارة إلى علو مقام سيدى ، وكثرة ترقيه فى مقامات القرب ، والشيخ عمر مقامه الغيره . فتكلم هو دون من حضر والله أعلم . وأستغفر الله من الجراءة .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : رأيت مرة كأنى جالس ، أو قال مضطجع بين الشيخ عمر المحضار والشيخ على ابن أبى بكر ابن أخيه . وقال ـ نفع الله به ـ هممت فى بدايتى على قراءة منهاج الطالبين للنووى ، على بعض الأشياخ صباحاً ، فنمت تلك الليلة ، فرأيت كأنى والإمام النووى فى درج زاوية مسجد الهجيرة بتريم ، أنا فى أعلى الدرج ، وهو فى أسفله ، وكأنه يقول لى : لا تقرأ فى المنهاج ، أو قال : فى الفقه .

فانظر العجب من تأخر هذا الإمام الكبير ، المجمع على جلالته ، وعلو شأنه ، الذى يقول فيه سيدنا عبد الله : ما جاءنا فى الشافعية بعد النووى مثله . ويقول : ما صنف فى الفقه مثل المنهاج . ولعل الإشارة فى نهيه عن قراءته ، أنه موضوع فى فروع مذهب الإمام الشافعى ؛ ومعلوم أن من قرأه وحققه لا يزايله التقليد فى المذهب ، وسيدى قد ارتفع عن التقليد فى العلوم ، فأخذها من معدنها الذى منه نبعت ، وإليه رجعت ـ رضى الله عنه ، ونفع به ، وبسائر الصالحين ، وبارك لنا فيهم . آمين يا رب العالمين .

(الحكاية الرابعة والخمسون)

ورأيت بخط الفقيه الأجل عبدون بن قطنة . قال : ونقلته من خط ، أظنه السيد الفاضل عبد الرحمن بن عبد الله الحبشى ، أحد أصحاب سيدى قال : وقرأته على سيدى الحبيب عبد الله ، فلم ينكره .

ونقل عن خط السيد مقبول الصافى باعلوى أيضاً ، ما صورته . قال سيدنا القطب الربانى : عبد الله بن علوى الحداد : رأيت كأنى بمسجد ، يشبه مسجد قيدون ، المعروف بدوعن ، كأنى فى جانبه الشمالى . وكان فيه خلق ، وفيهم من الأصحاب جماعة ، من جملتهم السيد حسن بن علوى الجفرى . وكأن رجلا أتى إلىّ وقال لى : أنت صاحب الوقت ، أنت الغوث ، أو قال : أنت القطب . فقلت : لست أنا هو . فقال : بلى أنت ، حتى أكثر علىّ ، وأنا أقول : لست أنا هو . ثم خرج هذا الشخص إلى أسفل المسجد المذكور . وقال بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله،وأشهد أن عبد الله الحداد القطب . ثم أتى إلىّ ، وشق صدرى ، ولا أحس لذلك ألما ، وأخرج قلبى وغسله ، وأخرج منه أشياء لم أرها ، وكأنه يريد أن يجعل فيه شيئاً ، بعد أن يفرغه . فذكرت قصة شق قلب المصطفى ـ ﷺ ـ وإيداع العلم والحكمة فيه ، ثم قال : والرؤيا جزء من النبوة ، وهى تسر ولا تغر ، كما قال الإمام مالك .

قلت : والسيد مقبول هذا سيد فاضل أخذ عن سيدنا ، وانتفع به كثيراً ، وحصل جملة من الكتب النافعة ، ووقفها على نظار سيدنا ، وهى الآن فى خزانته . وكان قد أقام بالحرمين مدة ، وأصله من دوعن وتوفى بالمدينة ـ رحمه الله .

(الحكاية الخامسة والخمسون)

حدثنى سيدى وسندى العارف بالله تعالى : أحمد بن زين الحبشى ـ نفع الله به ـ قال : رأيت كأن سيدى الحبيب عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ يقول لى فى المنام : إن الله أعطانى جميع ما يوصل به الخلق إليه ، غير أنه ما تم منهم إقبال ، فأخبرته فقال : الأمر كذلك ، ما تم منهم إقبال . وأخبرنى أيضاً .

قال : رأيت سيدى فى المنام كأنه يقول : أتريد أن أعلمك الذكر الذى وصلت به إلى الله . فقلت له : وأنّى لى بذلك ، فعلمنى إياه . فاستيقظت ، وأنا أحفظه ، فقصصتها عليه . فقال : عليك — إن شاء الله — تعلمه . فبعد مدة طلبت منه الإلباس والتلقين ففعل . فلما فرغ من ذلك أخـذ يدعو بالذى سمعته يدعو به فى الرؤيا ، ويجهر به وأحسب أن فيه شيئاً من الصلاة على النبى — ﷺ .

وأخبرنى أيضاً قال : رأيت مرة كأن سيدى عبد الله فى مطراق بيتنا الذى يخرج منه إلى مسجدنا بالغرفة وكأنه قائم إلى جنب فرسه ، ولم يقدر على أن يركبها فكأنى احتملته عليها حتى ركبها ، وكأنه فى غاية من الثقل ، خلاف الظن فلما استيقظت جاء إلىّ بعض فقراء سيدى . وقال لى : إنى أريد زيارة سيدى ، فأعلمته بالرؤيا . وقلت : قصها عليه . فلما وصل إليه الفقير ، وقصها عليه . قال له : قل للسيد أحمد : إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا .

(الحكاية السادسة والخمسون)

رأيت بخط السيد الجليـل عبد الرحمن بن على ومنه نقلت . قال : رأيت ذات ليلة فى المنـام ، كأنى جئت إلى مصلى سيدى الحبيب عبد الله . فلما وصلت إليه ، وجدت بعض السادة جالسا على الباب . فقـال لى : إن النبى — ﷺ — داخل المسجد . فلمـا دخلت وجـدت سيدى عبد الله — رضى الله عنـه وأرضاه — .

ومن خطه أيضاً قال : رأيت السيد الفاضل المجذوب ، الحسن بن عوضة باعقيل باعلوى ، كأنى أمشى أنا وهو فى بعض شوارع تريم ، فسألته عن القطب من هو ، وكررت عليه مرارا . فالتفت إلىّ ، وقال : إن السيد عبد الله الحداد

مثل ثلاثة أقطاب ، أو قال عن ثلاثة أقطاب . ومن خطه أيضاً ، قال : رأيت سيدى عبدالله ، كأنه يقول لى كان لى أخ ، وكنت أنا وإياه كشيء واحد . فلما دنت وفاته ، أشار إلى الحضار عنده ، وقال لهم : احتفظوا بهذا السيد ـ يعنيني ـ فإني سمعت عن بعض الأكابر المتقدمين ـ وذكر شخصا ـ يقول : إن لهذا السيد عبد الله الحداد دربا فى الجنة .

(الحكاية السابعة والخمسون)

حدثنى سيدى والدى ـ رحمه الله تعالى ، وأسكنه فسيح جنته ـ آمين قال : لما سرت للحج وزيارة رسول الله ﷺ كان عندى شوق واحتراق لزيارة المدينة فلما وصلت إليها سكن ما بى . فكذبت نفسى ، فيما سبق منى من الشوق العظيم فشكوت ذلك إلى بعض فضلاء آل أبى علوى . فقال لى : إن الشوق يكون قبل اللقاء ، وأما الآن فقد حصل المطلوب .

قال : فنمت تلك الليلة تحت المسجد النبوى آخر الليل ، فرأيت فى المنام كأنى دخلت مسجد آل أبىعلوى بتريم . وكان فيه رجل نائم، ورجل قائم يصلى بحوله ، وآخر يقرأ فى مصحف كذلك . فسألت الذى يقرأ عن النائم مَن هو ؟ فقال : إنه النبى ﷺ فقربت منه ، ونظرت فى وجهه فإذا به سيدى الحبيب عبد الله ووقع لى أن الرجلين : أبو بكر الصديق ، والآخر عمر بن الخطاب .

قال : ورأيت أيضاً كأن سيدى الإمام الشيخ عبد الله جاء إلى بيتنا ، وكأنه أدخل أنفه فى فمى ويقول لى : الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، وأنا من الذين اصطفاهم الله . اللهم اجعلنا من عبادك المصطفين .

(الحكاية الثامنة والخمسون)

أخبرنى بعض الصالحين قال: كنت كثير الرؤيا لسيدى عبدالله، وقد رأيت رسول الله ﷺ على صورة سيدى عبد الله ـ نفع الله به .

وقال لى بعضهم أيضاً : رأيته ـ ﷺ ـ على صورة سيدى عبد الله ـ أربع مرات ـ وقد كررت أنا سورة الكوثر فى بعض الليالى، على نية أن أرى النبى ـ ﷺ ـ حتى غلبنى النوم، فرأيت سيدى الحبيب عبد الله ـ نفع الله به .

ورأيت بعد وفاة سيدى بأيام كأن قبره بمسجد آل أبى علوى بتريم، فى جانبه البحرى، وفى صفه الأول من عمارة خالع قسم . وكأن القبر مرشوش .

ورأيت أيضاً كأنه مقبور محل خزانة كتبه، فى دهليز منه، بمكانه حاوى الخيرات، إشارة إلى أن المسجد مظهر العبادة، وموضع الكتب مظهر العلم، وسيدى ـ نفع الله به ـ الجامع بين العلم والعبادة، والسالك سبيل السيادة والزيادة رضى الله عنه .

❀❀❀❀

(الحكاية التاسعة والخمسون)

سمعت سيدى الإمام العارف أحمد بن زين الحبشى ـ رضى الله عنه ـ يقول : رأى بعض المنورين من أهل تريم النبى ـ ﷺ ـ إنك ما سألتنى إلا عن أفضل أهل زمانك، وأما السيد عبد الله فإنه ليس من أهل زمانك، وما هو إلا خبية وعطية لأهل هذا الزمان . وهـذا موافق لقول السيد الإمام العارف عمر ابن عبد الرحمن العطاس : إن السيد عبد الله ثوب طوى، ونشر لأهل هـذا الزمان رحمة لهم .

وقد رأيت فى المنام الشيخ العارف الإمام أحمد بن محمد الحبشى، صاحب

الشعب رؤيا طويلة وكأنه وإياه فى تربة آل علوى بتريم ، حول قبر الشيخ أحمد باحجدب ، وكأنى أقول له : إن قبر الحبيب عبد الله هنا ، وأشير إلى محل قبره فكأنه حرك رأسه تعظيما وتفخيما قائلا : ذلك عبد الله الحداد . صدق من قال فيه : إنه ثوب طوى ، ونشر رحمة لأهل زمانه . ومقالة أخرى حفظتها حال المنام ولم أحفظها بعد .

(الحكاية الستون)

أخبرنى السيد الجليل عقيل بن عيدروس باعقيل قال : أخبرنى الشيخ الفاضل عبد الله بن عبد الرحمن باشيخ بمكة المشرفة ، وكان مجاوراً بها مدة سنتين . ورأيته بخط السيد الجليل أحمد بن عيدروس ؛ صاحب الوهط عنه أيضاً .

قال : حججت سنة من السنين حجة الإسلام ، ولم تتأت زيارة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقلة ذات اليد ، إلى نحو عشر سنين ، وأنا بمكة فرأيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المنام يقول: يا عبد الله لم لا تزورنا ؟ أما علمت أن من زار السيد عبد الله الحداد ، نقضى له سبعين حاجة . فما ظنك بزيارتنا فاعتذرنا إليه . وشكوت عدم القدرة ، لقلة ذات اليد ، فوعدنى بتيسير المسير . فلقينى رجل أعطانى ثلاثين أحمر ، فتجهزت لزيارة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزرته .

(الحكاية الحادية والستون)

أخبرنى السيد الولى الجليل الأنور : عبد الله بن السيد عمر فقيه ابن الشيخ على قال : حصل لى مرض ، أشرفت منه على الهلاك وأنا بمكة فرأيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا بين اليقظة والنوم ، وإلى اليقظة أقرب . وإذا بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وأبي بكر وعلى رضي الله عنهما ، جلسوا عند رأسي . وكنت كثير الاستغاثة به والصلاة عليه ـ ﷺ ـ فشكوت إليه مما بي ، وكأنه يقول : عليك بولدنا عبد الله الحداد ، عليك به . فإنه ليس له مثل إلزمه . ولم يزل يحرضني على ذلك ويقول لي : نحن نكتب له من جهتك أو قال : كتبنا له من أجلك .

وكان الذى كتب الكتاب الإمام على ـ كرم الله وجهه . قال : فرفيت من مرضى ذلك ، وسافرت حتى وصلت إلى تريم ولازمت سيدى ، ثم تزوجت ابنته الصالحة مريم ، ورزقت منها أولاداً . وقد كنت كثير الاستغاثة بالنبى ﷺ فى أن يوفقنى الله تعالى لزوجة صالحة ، وذرية صالحة . فرفت أن الله ـ وله الحمد ـ قبلنى حتى تزوجت بها وولد لى منها .

وحدثت عن السيدة المذكورة ، ابنة سيدى قالت : لما وصل السيد عبد الله المذكور بندر الشحر . قال لى والدى : إن خطبك السيد عبدالله ـ هذه السنة ـ قبلناه ـ رضى الله عنه .

قال : ورأيت سيدى أيضاً بعد موته . فقلت له : ادع لأولادى . فقال : وأنت ادع لأولادنا ـ رضى الله عنه .

(الحكاية الثانية والستون)

حكى عبد الله بن محمد شراحيل فى مؤلفه الذى جمع فيه أشياء مما حفظ من سيدى . قال : رأى الشيخ الأنور : عبد الله بن الشيخ عمر شراحيل صاحب الغريب . وذلك سنة سبعين بعد الألف ، كأن حصن مدينة سيون بحضرموت ، وجميع ديارها ونخلها وأشجارها ساجدة لسيدنا الحبيب الشيخ عبد الله بن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ قال : فقصها على بعض الفضــلاء ، فأولها على أن سيدى عبد الله فى ذلك الوقت ، صاحب الوقت .

قلت : وهذه المدينة منزل ملوك جهة حضرموت ، ومسقط رءوسهم ، أهل الغلبة والقهر . وكأن الله سخرها وذللها له فتواضعت وألقت إليه قيادها بسجودها واستسلمت ، فيكون غيرها بالأولى أن يكون كذلك . ولعمرى لقد والله أذعنت له سائر البلاد ، وانقادت له جملة العباد ، وصار بيده لجميعها القياد ، وعنت له ملوك الأرض ورؤساؤها ، وأعيانها وعلماؤها وصلحاؤها ، تقلده العلماء السماسرة ويحكمونه ، وتهابه الجبابرة ويخافونه ، ويتأدب له أولو الرياسة ويراقبونه ، حق فيه قول القائل :

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم من الملك إلا اسمه وعقابه

وأيضاً كان فى هذه السنة خروج طائفة الزيدية وإمامهم ، وتخوف الناس منهم خوفاً شديداً ، ولم يقصد الإمام هذه المدينة ، بل وقف بها عن قدرة إلهية . ومنع من الوصول إلى تريم وغيرها . فلعل ذلك المنع بواسطة سيدى وتصريفه بوجوده . وعنه : كان الإذعان بالسجود . وكفى الله المؤمنين القتال . وكان الله قويا عزيزا .

(الحكاية الثالثة والستون)

أخبرنى بعض الصالحين ، من آل أبى علوى . قال : أخبرنى بعض المنورين من أصحاب سيدى الحبيب عبد الله قال : رأيته فى المنام كأنه واقف على شىء ، مستعل عليه ، وكأنه متجرد من الثياب ، وبيديه شىء ينادى به على الناس . فلما استيقظت أخبرت سيدى ، وأنا مستحى من ذكرها ، فاستبشر وسر بها كثيراً . وقال : الذى تحتنا هو الدنيا ، وقد دعسناها بأقدامنا . والمناداة على

الناس هى الدعوة إلى الله . وأما التعرى عن الثياب ، فهو كما قال صاحب الوترية فى مدح خير البرية :

عرىٌّ برىٌّ عن ملابسة الدُّنيا له الزهد زاد والتورع مشرع

وفى رواية ، أو واقعة أخرى : كأنه مستلق على وراه ، طارح يديه من جوانبه متجرد . فلما أخبر ، قال : الاستلقاء : هو الانطراح للقضاء والقدر ، والتسليم للحكيم العليم . والله أعلم .

وأخبرنى أيضاً قال : رأيت وأنا صغير جداً ، كأن أذن سيدى عبد الله اليمنى كبيرة جداً ، لا شىء يشبهها أبداً . فسألت عن ذلك . فقيل : إنه تسمع بهـــا كلام الله عز وجل . فجئت إليه وأخبرته بالرؤيا . فقال : أصدَّق ـ على سبيل المطايبة .

(الحكاية الرابعة والستون)

أخبرنى جماعة ثقات صالحون عن فقير سيدى وشيخى الحبيب : عبـــد الله ابن علوى الحداد ـ نفع الله به وبسائر الصالحين ـ وهو الشيخ المنور عمر بن أحمد ، ابن حمود ، وكان فقيراً صادقاً ، لازم سيدى مدة ، وآخى بينه وبين الشيخ عمر باسالم ، المتقدم النقل عنه فى حكاية بسط السجادة بمسجـــد نمرة ، وغير ذلك ، وكانا من خواص أصحاب سيدى ، وكان يحصل عليهما الوجد ، لا يكاد أن يحتملا سماع المخاوف .

وقال سيدى : إنهما وفيا بحق الأخوة إلى أن ماتا قبل شيخهما باسالم بتريم وابن حمود بشبام . وكان قائماً بمسجد سيدنا بالنقر ؛ لأن بيته حوله . وكان إذا زار سيدنا الحبيب لا يستطيع أن ينظر إليه أياماً ، فإذا نظره أول مرة ، صاح وسقط منشيا عليه .

وأخبرني بعض الصادقين أنه رآه واقفاً بعرفات في سنة لم يحج فيها . رجعنا إلى ما نحن بصدده من حكاية كرامة سيدي — نفع الله به .

قال ابن حمود رأيت كأني مت وغسلت وكفنت ودفنت فلما سوى عليّ التراب وأرادوا الانصراف عني ، أتاني ملكان عظيما الخلق ، فأقعداني للسؤال ، فإذا بسيدي وشيخي عبد الله — رضي الله عنه — حاضر عندي وقال لهما : تنحيا عنه . فانصرفا عني ، ولم يكن لي منهما سؤال أبداً . فاستيقظت وانحدرت إلى سيدي وقصصت عليه الرؤيا . فقال : نحن كذلك لجميع أصحابنا .

قال السيد عقيل : فبعد مدة قلت لسيدي ، بلغني أنكم قلتم : إنكم كذلك لجميع أصحابكم . فقال: العمدة ، أو قال : العهدة على الناقل عنا ، إن قلنا ذلك ، ولم نسمح بذلك . ثانياً : تعرف أنه لا يتكلم إلا بالإشارة ، ولا ينطق إلا عن إذن من الحق ، وأنه يتلقى من الحق كل ما يتكلم به لا باختياره . ويرى أنه خارج من البين . والله أعلم .

(الحكاية الخامسة والستون)

أخبرني بعض الثقات عن بعض المتعلقين بسيدي ، من أهل بلدة قريس — بالسين المهملة — قال : رأيت في المنام كأن القيامة قامت . وكان الشيخ عبد الرحمن السقاف ، أقبل في جمع عظيم ، فأردت الدخول فيهم فردوني . وكذا أقبل جملة من الأكابر ، في جموع وأحزاب كثيرة. وكلما أردت الدخول مع أحد ردوني . فاستيقظت فزعا ، وانحدرت إلى تريم ، من غير أن أستأذن والدتي . فقصدت مكان سيدي ، وأردت أن أطلع عليه، من غير استئذان لما أهمني من أمر الرؤيا ، وجزعي من الرد .

فخرج إلىّ خادم . وقال : يقول سيدى تعجل حتى في يقظتك دون نومك .
وجئت إلينا ، ولم تستأذن والدتك في المجيء إلى تريم . ارجع إلى بلدك ، حيث
لم تستأذنها . وأما الرؤيا التى رأيت ، فلا تفزعك . أما نحن أحياء لم نمت بعد ،
فإشارة إلى أن الرجل مني حزبه ، لكونه من محبيه . قال الراوى : من غير أنى
يعلمه أحد بالرؤيا ، إنما ذلك كشف منه — رضى الله عنه .

(الحكاية السادسة والستون)

أخبرنى الأخ الصالح سيدى عبد الرحمن بن محمد مارقبة باعلوى . قال :
رأيت كأنى زرت تربة تريم . فلما وصلت إلى قبر الشيخ عبد الرحمن السقاف
إذا شرر عظيم ، يتصاعد من قبره إلى الهواء ، ثم اجتمع ذلك ، وصار ناراً
متأججة . وإذا بسيدى الشيخ عبد الله الحداد يتبع تلك النار ، ويعدو وراءها ،
حتى خرج من التربة . ولم أدر أين ذهب .

وحكى لى بعض السادة قال : رأيت في المنام كأن ناراً تلتهب ، وجمرا يتوقد
فى كانون ، وسيدى عبد الله كأنه على ذلك الكانون ملتحف عليه ، كالمصطلى
من البرد . قال : ففزعت من ذلك . فلما استيقظت جئت إلى سيدنا الحبيب
أحمد بن زين الحبشى ، وقصصت عليه الرؤيا . قال : تلك نار موسى يصطلى عليها
سيدنا الحبيب . فلما انحدرت إلى تريم ، قصصت عليه الرؤيا قال : أعلمت بها
أحدا ؟ قلت : نعم سيدى أحمد بن زين . قال : وما قال لك ؟ قلت : قال : إنها
نار موسى ، وأنتم مصطلون عليها . فقال : صدق السيد أحمد ، صدق السيد أحمد ،
صدق السيد أحمد .

(الحكاية السابعة والستون)

حدثني السيد عبد الرحمن المذكور قال : رأيت في بعض الليالي ، وقت السحر ، كأني جئت إلى ضريح سيدي الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس . فلما ولجت قبته ، إذا في شباكه المعروف قبران ، عليهما صندوقان عظيمان ، مرتفعان في الهواء على وزان القبة الآن . وكأن قائلا يقول : إن هذين القبرين للسيدين الإمامين : الشيخ عبد الله العيدروس ، والشيخ عبد الله بن علوى الحداد — نفع الله بهما .

وكان ضريح سيدي إلى القبلة . فخرجت من القبة . فقيل لي : إن كنت تريد السادة ، فامض إلى قبر الفقيه المقدم ، فجئت إليه . فوجدت سيدنا الفقيه المقدم ، والشيخ عبد الله باعلوى ، والشيخ عبد الله العيدروس — نفع الله بهم . وكأنهم الجميع على صورة سيدنا الشيخ عبد الله بن علوى الحداد — رضي الله عنه — التي أعرفها ، يتلون القرآن ، مدارسة بينهم ، في سورة النحل .

(الحكاية الثامنة والستون)

أخبرني سيدي الوالد — رحمه الله — قال : رأيت في المنام كأن قائلا يقول : هذا الخليفة عمر بن الخطاب ، وإذا برجل على صورة سيدنا الحبيب ، عبد الله الحداد . فلما استيقظت قصصت الرؤيا على سيدي . فقال : لا يكون إلا عمر ابن الخطاب — رضي الله عنه — .

وأخبرني السيد عبد الرحمن ، المتقدم ذكره ، رأيت كأن قائلا يقول : هذا الشيخ عبد الله باعلوى ، في هذا البيت . فدخلته فإذا فيه سيدي الشيخ عبد الله ابن علوى الحداد — رضى الله عنهما .

وأخبرنى بعض الفقراء الصالحين . قال : أتيت زانوا تريم ، فقصدت عند بعض الفضلاء ، قبل سيدى عبد الله . فلما نمت بالليل ، رأيت كأن قائلا يقول : هذا الشيخ عبد القادر الجيلانى ، قد أقبل . فنظرت فإذا به سيـدى عبد الله ، وإذا بيده شىء يريد البطش بالذى قصدته قبله .

(الحـكاية التاسعة والستون)

أخبرنى بعض الصالحين . قال : رأيت رب العزة ـ سبحانه ـ فى المنام متجليا فى صورة سيدى عبد الله ، وأن سيدى عبد الله وهو يحاسب الخلائق . فعرفت أنه ـ نفع الله به ـ خليفة الله فى أرضه .

وأخبرنى بعض الصالحين أيضاً . قال : رأيت رب العزة فى المنام ، كأنه متجلٍّ فى صورة سيدنا عبد الله بن علوى الحداد .

وقال أيضاً : كررت ليلة سورة الـكوثر ـ ثمانين مرة ـ على نية ، أن أرى رسول الله ﷺ فلما نمت رأيت سيدى عبد الله ـ نفع الله به ـ فتحققت أنه هو ، وأنه وارثه ، وهو لاشك وارثه حقيقة ، لا مرية فيهـا ، يعرفها كل من أنصف . وكذا رؤية هؤلاء الأكابر ، على صورته الشريفة لـكونه مظهرهم الأكبر وإكسيرهم الأحمر ، ووارثهم الأشهر ، وكما قال شاهدا لنفسه بنفسه :

أولئك وُرّاث النبى ورهطه ... وأولاده بالرغـم للمتعامى

مواريثهم فينا وفينا علومهم ... وأسرارهم فليسأل المـتعامى

إذا جاء بالصدق الذى هو سلم ... إلى كل خـير نال كل مرام

لا غرو أن يجمع كلاً واحد ... فالصر فرد والتـكثر مظهر

(الحكاية السبعون)

قال عبد الرحمن بن عبد العظيم شراحيل : ومما جرى لى مع سيدى عبد الله ابن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ أنى كنت سنة من السنين ، أبتاع وأشترى فى البز . فلبّس علىّ إنسان ، بأن باعنى بزا ، وغبنّى ، فقـدمت إلى تريم ، وشكوت إلى سيدى ذلك فقال لى : لا تخف ، وحذرنى الزمان وأهله . وقال لى : بع البز بالبخس ، واشتر بثمنه سمكا ، من الذى يدخل السوق غـدا . فامتثلت أمره ، وأخذت السمك ، ثم قال لى امسكه إلى ثلاثة أيام ، فأمسكته ثلاثة أيام ، ثم إنه غلا السمك فى هذه الأيام جدا . فبعته فربحت فيه زيادة على ثمنه ، وعلى ما خسرته فى البز ، ببركته ـ نفع الله به ـ .

ومما جرى لى معـه أيضاً : أنى اشتريت جملين سمكا للتجارة ، وأردت أن أسير بهما إلى بلدى ، فأمرنى ـ رضى الله عنه ـ بالتوقف . فلمـا أصبحت ، وصليت معه الظهر نادانى ، وكان فى وقت شاتٍ ، ولم يكن للسحاب فى السماء أثر . وقال لى : اعزم بالسمك ، فإنى سألت الله أن يغيث المسلمين ، فاستجاب ـ سبحانه ـ يحصل الغيث ـ إن شاء الله ـ وأنت ببلدك شبام ، منـذ سبعة أيام . فعزمت إلى البلد ، فما كان سابع يوم إلا وقـد أتى الله بالرحمة والغيث للمسلمين ببركته .

(الحكاية الحادية والسبعون)

وقال أيضاً : كان رجل مجذوبا ، يسمى باقاضى ، من أهل دوعن ، جاء إلى تريم ، فألحّ عليه ناس من أهلها ، بأن يضمن على الله أن يحصل لهم السقيا . والتزموا له ، بأن يعطوه لحما ، وشرطوا عليه أن يسقوا يوم الثامن . وكان يوم الجمعة ، وشددوا عليه فى ذلك .

فلما كان يوم الجمعة ، واليوم الثامن ، من وعده لهم ، لم يكن شيء من الغيث ، فخرج ضحوة إلى عند سيدي الحبيب ـ نفع الله به ـ وأخبره . ولزمه في حصول ذلك ، وأن لا عذر من ذلك ، فأمره سيدي بالجلوس عنده ، في الزاوية . وقال : لا تخف ، قد قضيت الحاجة . ولكن لا تعود إلى مثل ذلك . فأنشأ الله السحاب ، ونزل الغيث ، قبل صلاة الجمعة ، وسيدي يتبلج ، ويضيء وجهه نورا . فأمرنا أن نخرج نتلقى السيل ، فخرجنا واثقين بقوله فرحين ، فإذا هو سيل عظيم ، أسقى الأرض .

(الحكاية الثانية والسبعون)

قال أيضاً : روى أن رجلا تاجرا ـ وكان يعمل الفاحشة ـ تاب على يد سيدي . اتفق له أنه كان عنده ذهب وفضة وديعة ، في منزل . فدخل يوما بامرأة إلى ذلك المنزل ، فأتاه رجل إلى بيته ، فخرج له ، وأغلق الباب على المرأة فوقعت على الذهب والفضة ، فأخذته . فلما رجع الرجل أخرجها في الحال ، ولم يعلم بأخذها لذلك . فلما كان بعد ثلاثة أيام ، دخل المنزل ، فلم يجد الذهب والفضة ، ولم يدر كيف صار ، فأرسل أخاه إلى سيدي الملاذ : عبد الله ـ رضي الله عنه ـ وشكا إليه الأمر . فاشترط عليه ثلاثة أشياء : التوبة إلى الله ـ عز وجل ـ من الفاحشة ، والتزام الصلاة ، وأن يجعل للفقراء عشرة قروش فضة نذرا . فأجابه الرجل ، وظهرت السرقة في الحال ، وتاب الرجل إلى الله ـ عز وجل ـ .

(الحكاية الثالثة والسبعون)

قال : ومن كراماته أنى كنت ذات ليلة أكبس رجله . فتبسم ، وقال لى :
إن أتيت أهلك الليلة ، حملت لك بولد . فأتيت أهلى ، فحملت فى تلك الليلة ،
وجاءت بولد ، ببركة إشارته . قال : ومن كراماته أنى أخذت سمكا للتجارة
فيه ، فرخص حتى زاد على ما أخذته الثلث فى الرخص فشكوت إليه . فقال :
لابأس عليك كله إلى بلدك . ففعلت ، وأرسلته إلى عند بعض أصحابى
بشبام . فحمل أناس كثير سمكا ، يريدون ما أردت من الربح ، وأخذهم من
الرخص وأخذى من الغلاء ، وبقيت متخوفا ، وسيدى يؤمننى . فاتفق أن الذى
للغير انقطع فى الطريق . والذى لى سبق إلى شبام ، فبيع من الغلاء . ثم جاء بعد
الذى للغير فبيع فى الرخص ، فجاء الخبر إلى تريم ، أن السمك فى شبام بيع
بالرخص فظننت أنه الذى لى . فاهتممت لذلك . وقلت لسيدى : إن الذى لى
بيع بالرخص . فقال لى : ليس الذى لك . وكان كما قال . قال : فعرفت مكاشفته
واطلاعه واعتناءه لى ـ نفع الله به .

(الحكاية الرابعة والسبعون)

قال : ومن كراماته ـ رضى الله عنه ـ أنا لما كنا معه بطريق الشحر ،
قاصدين الحج ، ووصلنا وادى النعز ، فحطت القافلة فى الوادى لأجل العشا ،
وكان وقت المغرب ، قال لهم سيدى ـ رضى الله عنه ـ : حملوا ، فأجابوه إلى ذلك ،
ولم يكن إذ ذاك للغيث أثر . فبينا نحن فى الوادى فإذا البرق يلتهب ، والرعد
يصوت من كل مكان . فلما أمطرت السماء ، قال لهم سيدى : إنى أرى مكانا
هناك ، وأشار إليه : ارتفعوا ولم يره من كان معه ، لشدة الظلمة ، فانحازوا
إليه ، وأوقدوا النيران ، فإذا به من أحسن شىء ، فحططنا به قدر ما وسعنا

وجمالنا . فجاء الوادى بسيل عظيم ـ حمدنا الله على النجاة ـ ووصلنا الجسور التى فوق عقبة العرشة ، ونحن ننظر السحاب ، ولا ثم رعد ، ولا مطر .

فلما كان وقت الظهر ، خرجنا من العقبة ـ وقد أجهدنا التعب ـ أردنا أن ننزل تحت العقبة ، فأبى سيدى وقال لنا : امشوا ، فمشينا فى الوادى ، حتى جاوزنا بعضه ، وأمرنا أن نرتفع منه ، فارتفعنا ، وحططنا فى واد آخر . فما جلسنا إلا وقد أقبل وادى العرشة بسيل عظيم ، بحيث قلع الأشجار . فشكرنا الله ، وتعجبنا من اطلاعه على مجىء السيل ، حيث أمرنا بالارتفاع من مجراه .

(الحكاية الخامسة والسبعون)

قال : ومن كراماته ـ رضى الله عنه ـ إنى جلست ليلا عنده من ليالى رمضان . فقال لى : إن أراد الله لنا الحج هذه السنة ، تكون معنا ، وإلا فتحج أنت السنة القابلة ـ بإذن الله ـ ففرحت بذلك . فقدر الله أنه لم يحج تلك السنة . فلما كان شهر ربيع ابتدأنى . وقال : كن على إشارتنا ـ يعنى فى الحج ـ فقلت : ياسيدى إنى لاطاقة لى هذه السنة ، لقلة ذات اليد ، ولدين علىّ . فقال لى : قد كتب الله لك الحجّ والزيارة هذه السنة . ويكون ذلك سهلا عليك ـ إن شاء الله ـ فهممت بالحج ، وتيسرت الأسباب ، وقضى الدين ، وحصل الحج والزيارة ببركته .

ومن كراماته ـ رضى الله ـ أنها ولدت له مولودة يوم الجمعة . ففرح بها ، وكنت فى خدمته ، فخرجت إلى مكانه ليلا ، فسلمت عليه ، فأجلسنى أكبس رجليه . فجلست . فبينا أنا كذلك ، فإذا أنا بقرش فضة ، قد رمى ساقى ، وما دريت من أى مكان وجهه جاء . ففزعت ، فقال لى : ما بالك هكذا ، حيث رآنى أحترك فأخبرته . فقال : هذا من الله لنا ، ما كان عندنا ما نستعين به غداً ـ يعنى فى شأن الولادة ـ فأمرنى أن أشترى به ما يحتاج إليه .

(الحكاية السادسة والسبعون)

قال : ومن كراماته ـ رضى الله عنه ، ونفع به ـ أن بعض الناس كان معه حمار، لايكاد يسبق من سرعة كرّه وفرّه . فسافر عليه لزيارة نبي الله هود ـ عليه السلام ـ ونحن وسيدى الإمام الغوث : عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ قاصدين الزيارة أيضاً .

فلما كنا بوادى الخون ، كأنها أصابت ذلك الحمار عين . فرمى بنفســـه إلى الأرض ولم يتحرك . فجاء الرجل إلى عند سيدى وشكا إليه وهو حزين جداً . فقال له سيدى : لا تخف ، وأمر أن نجعل له عزيمة فجعلت فنفث فيها ، ثم أعطاها بعض الحاضرين وقال له : رح بها ، ودر بها على الحمار ـ سبع مرات ـ واذكرنا واعصبها برجله. فجاء الرجل ففعل ما أمره ، فلما أمسك رجله ليعصب عليها العزيمة، قام الحمار وركبه صاحبه ، ومشى بعد إياسه منه .

(الحكاية السابعة والسبعون)

قال : ومن كراماته ـ رضى الله عنه ـ : أننا لما قربنا من دخول مكة تقدمت إلى مقهاية هناك تسمى أم قرين . وكنت جائعاً وليس معى دراهم ، فجلست بعيداً من المقهاية بحيث لا يرانى أحد ، والجماعة عندها يأكلون خبزاً ويشربون قهوة فإذا بسيدى الشيخ عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قد أقبل راكباً على جمل ، وهو يذكر الله ، فلم أتكلم . فناداني مكاشفاً لى ، فأتيته . فناولنى رغيفين وقال لى: هذا لك ، حيث قنعت وتميزت عن الناس ، ولم تتشوق لما عندهم .

وكان من عاداته لا يحمل معه خبزاً وهو لا يبصر بعينه ، إنما هو كشف واطلاع على أنى لم آكل ، ولم أشرب مع الجماعة ـ يعنى القهوة ـ ولا أخبره بذلك أحد إلا الواحد الأحد .

ومن كراماته : أنّا لما كنا طالعين جبل عرفات، بتنا بمسجد الخيف في منى ، فحصل عليّ جنابة في المسجد وسط الليل ، ولم يكن هناك ماء . فحرت في الأمر وجئت إلى سيدي وأخبرته فقال لي : اخرج إلى تحت الباب تلق الماء فخرجت فإذا أنا برجل ينادي على السبيل ، فأعطاني وعاء فيه ماء ، فاغتسلت به ورددت له الوعاء فناولني رغيفين . ووجود ماء السبيل ، في هذا المكان مستبعد جداً ، وإنما ذلك تصريف .

(الحكاية الثامنة والسبعون)

ومن كراماته ـ رضي الله عنه ـ : أنا لما قربنا من دخول مكة ، آخر الليل ، قال له بعض أصحابه : ائذنوا لي أن أتقدم ـ يعني إلى مكة ـ وأعدّ لكم منزلا، تنزلون به، فإن الناس يكثرون بمكة. قال له : ياهذا تأدب مع أهل الله. فوالذي نفسي بيده ، ما أود أن أمشي إلا تحت الأرض التي تمشون عليها، غير أني أسمع مناديا ينادي عليّ بالظهور . فبينما نحن نمشي في الطريق ، فإذا أنا بأناس كثيرين ، يسألون عن سيدي . فأول من سبق منـدوب ، أي رسول الشيخ حسين بن محمد بافضل المكي . فأجابه ، فدخلنا مكة ، وحططنا الحمول ، في فرضة الدولة . وكان في صحبة سيدي بعض التجار ، من أهل الشحر .

فلما علم الشريف سعد بن زيد بن محسن أن صاحب الفرضة أدخل الحمول التي صحبة سيدي الفرضة ، غضب عليه ، وعاقبه بأن قيده . فجاء الرجل إلى سيدي ، ويداه إلى ورائه ، فأعـذره وأمر بإطلاقه ، فأطلق . فقال : ياسيدي أنا اليوم لا أعشر أحداً كرامة لك . فخرج جميع من في صحبة سيدي ، ولم يعشروا ببركته .

(الحكاية التاسعة والسبعون)

قال : ومن كراماته : أنه خطر لى بعد صلاة العشاء ذات ليلة ـ ونحن بمكة ـ شهوة التمر ، وأنا عندى سيدى . ولم أتكلم . فالتفت إلىّ وقال : ما أضعف همتك ! كنت اشتهيت شيئاً أحسن من هذا . والآن يأتينا التمر . فما استتم كلامه إلا والشيخ الحسين بن محمد بافضل المكي ، يطرق الباب . ولم يكن ذلك من عادته ـ أعنى المجىء ليلا ـ ففتحنا له ، فإذا بيده حاملا وعاء من التمر الفرض .

وقال الشيخ حسين لسيدى : إنى أردت أن أرقد ، فإذا بخاطرى يزعجنى ، فى شأن هذا التمر . فتفضلوا بقبوله . فقال لى سيدى : اقض شهوتك ، وإياك وهذا الخاطر . إنا ما دخلنا مكة ، وقصدنا شيئاً من مثل هذا . ارفع همتك إلى مولاك ، وأكثر من الذكر لله تعالى .

(الحكاية الثمانون)

وقال : ومن كراماته : ما أخبرنى به مريده الصادق عمر بن عبد الله باسالم . قال لى : إنى حين بسطت سجادة سيدى الشيخ عبد الله ـ رضى الله عنه ـ بمسجد نمرة ، يوم الحج ، جاء رجل عليه هيبة ، فى صورة تركى ، وجلس على سجادة سيدى . فازدحم الناس فى المسجد ، وبقيت متحيرا من شأن الرجل ، ولم أجسر عليه ، فإذا بسيدى قد أقبل . فالتفتُّ فلم أر الرجل مكانه . فهكذا الأولياء ، يحفظهم الله ، ويحفظ لهم ، وتصور هذا الشخص بهذه الصورة المهيبة ، فى ذلك المكان الذى لايعرف فيه أحد، ولا يحترم، إكراماً له من الله له ـ رضى الله عنه ـ ليحفظ مكانه وسجادته . وهكذا يفعل الحق بأوليائه وخاصته ـ نفع الله بهم .

قال : وحال خروجه ـ رضى الله عنه ـ من مسجد نمرة ، دخل الخيمة ،

وكنت حاضرا ، فدخل عليه درويش ، من أهل السياحة ، يسمى عبد الخالق . فسلم على سيدى ، وجلس متأدبا ، فأقبل عليه سيدى . وقال له : أنت من رجال السر الذى سألت الله أن يرينيهم . أرانى ثلاثة أنت منهم . فقال الدرويش : فتواعدا أن يجتمعا بمكة .

فبينا نحن فى الجبل ندعو الله ، ونبتهل إليه . فدخل وقت المغرب . فقام رجل على رأس سيدى لم أعرفه ، فأذن لنا بالمغرب ، وأقام الصلاة ، وقدم سيدى يصلى . فلما انقضت الصلاة ، قام رجل آخر ، ونادى بأعلى صوته : يا أهل المواقف هذا القطب قد حج فيكم ، فاشكروا الله تعالى ، وسيدى يتبسم . فحمدنا الله على ذلك . وقد ذكرت هذا برمته ، فيما يتعلق بحجه ، وأعدته هنا لمناسبته للحكايات .

(الحكاية الحادية والثمانون)

قال : ومن كراماته ــ رضى الله عنه ــ : أنى أردت أن أسافر مع سيدى ، لزيارة رسول الله ﷺ وقد كنت زرته قبل هذه ، فأبى على من الزيارة معه . ووعدنى بزيارات معدودات ، وأمرنى بالخروج إلى حضرموت ، فامتثلت أمره ، وحزنت على مفارقته . فلما وصلت إلى حضرموت وجدت والدى قد مات ، قبل وصولى بثمانية أيام ، ووالدتى وجميع إخوتى مرضى ، ولا أحد يتعاهدهم ، ولا أحد يقدر أن يسقى صاحبه الماء . فلما رأيتهم على هذا الحال ، حمدت الله على إشارته ، وامتثالى لأمره .

(الحكاية الثانية والثمانون)

قال : ومن كراماته ـ رضى الله عنه ـ : أنى صليت معه التراويح ، سنة من السنين . وذلك ليلة الثلاثين ، من شهر رمضان المعظم ، ولم يكن أحد رأى الشهر بتريم . فلما انقضت الصلاة صافحته ، فتبسم فى وجهى . وقال : إنى سمعت التكبير ـ يعنى للعيد ـ فى البلدان ، لما صليت التراويح . وكان من عادته آخر وقته أن يصليها من أول الليل . فافهم . فقلت له: وهل أحد رأى الشهر ؟ قال : نعم . الآن يأتيك خبره . إنى سمعت التكبير، ولكنا تقيدنا بالشريعة . فما استتم كلامه إلا وقد ضربت البنادق بتريم ، من أجل الهلال فحرت من ذلك . فقال : إن شئت أن ترى الأشياء ففارق الشهوة لله ، وأقبل عليه بقلبك ، واعبده فى السر والعلانية .

وقد نقل عبد الله شراحيل أنا كنا ليلة عند سيدى ، بمكانه الحاوى . فقال لنا : إنى أسمع صرير الماء ، من وادى ثبى أتسمعون شيئاً ؟ قلنا : لا . فما لبثنا أن جاء للبشر بالسيل . وسمعنا ذلك كالمستحيل عادة ، لبعد المسافة بين السامع والمسموع . وكذلك سماع التكبير فى البلدان التى هى مظنة رؤية الشهر بها ، وإنما ذلك من قبيل الأمور الخارقة . ولذلك قال : لكنا تقيدنا بالشريعة ، حيث صلى التراويح بعد علمه بخروج الشهر ، عملا بالظاهر .

(الحكاية الثالثة والثمانون)

وقال : ومن كرامته ـ رضى الله عنه ـ أنى لما قدمت من مكة ، فى أول حجة لى إلى بلدى شبام ، وجدت سيدى بها ، وكان عازما إلى تريم ، حال قدومى . فقال : اجلس ببلدك يومين ، ثم انحدر إلى تريم ، فأبى على والدى

فحصل عليّ ألم في رأسي ، وأحس في أذني مثل العمر من نار . فبقيت في تعب ، لا أستطيع النوم . فلما كان بعض الليالي نمت . فرأيت سيدي ، كأنه يعاتبني على تخلفي أكثر من يومين ، فشكوت إليه الألم ، فأدخل سبابته في أذني . فما استيقظت إلا وقد خرج منهما ماء ، وزال عني الألم . فانحدرت لزيارته . فعاتبني كما في النوم . فاعتذرت إليه . فقبل مني — رضي الله عنه .

(الحكاية الرابعة والثمانون)

قال : رأيت في بعض الليالي ، كأن النبي ﷺ بنى حصنا في وسط مدينة تريم . وكان له درج مرتفع ، لا يقدر على رقيه أحد . فالتجأت إلى رسول الله ﷺ فكأنه أخذ بعضدي ، وصعدني إلى ذلك الحصن — ثلاث مرات — ثم أدخلني على سيدي عبد الله بن علوي الحداد — رضي الله عنه — وكأنه في أعلى الحصن ، ووصاه النبي ﷺ بي فقبل ذلك . فلما أصبحت أتيته ، فوجدته في الدرس . فقال ابتداء منه — قبل أن تكلم — : مالك لا ترسى في مرسى إبراهيم فلما انقضى المجلس قمت لأخرج ، فأمرني بالوقوف — فجلست معه ، وأمليت عليه الرؤيا ، وفهمت من كلمته تلك ، أنه يشير إلى من يقول في بعض قصائده :

قد كفاني علم ربي من سؤالي واختياري

رضي الله عنه ، وأرضاه . وقول إبراهيم — لما رمي به في النار ، وتعرض جبريل له في الهواء : (حسبي من سؤالي علمه بحالي) .

(الحكاية الخامسة والثمانون)

قال : رأيت أيضاً ، كأن القيامة قد قامت ، وحشر الخلق ، وكأن مع كل قطب أهل زمانه وبقيت مع جماعة ، منتظرين سيدى عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ وكأنه قد أقبل على حصان أخضر ، ومعه خلق كثيرون ، وعلى رأسه تاج يتلألأ نوراً ، وعلى رأسه دائرة تدور مثل الغمام ، وعليه من اللباس ما لا يوصف .

وكان جميع بدنه مكتوباً جلالات بخط من نور ، يعرفه كل من رآه فسلمت عليه ، ومشيت معه . فلما استيقظت ، قصصت عليه الرؤيا ، فتبسم : وقال لى : هكذا يحشر العارفون ـ رضى الله عنهم أجمعين .

(الحكاية السادسة والثمانون)

قال : كنت معلقاً بالسيد العارف بالله تعالى : على بن عمر بن الحسين ابن الشيخ على ، فعزمت سنة من السنين ، مع سيدى عبدالله الحداد لزيارة نبى الله هود ـ عليه السلام ـ فجلست معه ليلة ، عند القبر الشريف ، فتذاكرنا أحوال السيد على بن عمر ، وأثنى عليه سيدى .

وقال عبد العظيم : السيد على ما عاد تطول مدته ، يموت فيما دون الستة الأشهر . فقلت له : كيف ذلك يا سيدى ؟ فقال : إنه دخل بحر المحبة بنحره ونحن أعددنا له سفينة ، فاسترحنا . فما مضت على السيد على ستة أشهر إلا وقد توفى ـ رحمه الله ونفع به ، وبسائر الصالحين آمين .

(الحكاية السابعة والثمانون)

قال: خرجنا مع سيدى ـ رضى الله عنه ـ سنة من السنين لزيارة آل أبى علوى بتريم ليلة عرفة ، ومعه بعض العلماء . فقال له : يا فقيه . أتحكم بالحج ، برجل حاضر مع أصحابه ـ يعنى فى غير مكة ـ وهو واقف بالجبل . فعجبنا من ذلك ، وعرفنا أنه يشير إلى نفسه بقرينة الحال . فأجاب نفسه ، بأن قال: يكتب له ثواب الحج عند الله ، ولا يسقط عنه الفرض من جهة الشريعة .

وقد سأله مرة بعض الصالحين عن صفة القطب . فقال : هو عبد محبوب ، عليه تدور الدوائر، يعرف ولا يعرف أكثر ما يقع فى عوام الناس. وإن كان عالما فعلامته أن يكون له الهيبة فى القلوب ، تهابه الجبابرة وأبناء الدنيا ويحبه كل مؤمن؛ وأن لا يختار شيئاً سوى الله . فإن أردت يا هذا تعرفه فنزه قلبك من هذه الأدناس التى أنت متعلق بها . والقطب لا يتحرك له خاطر فيما يجرى فى الكون ولو أنه نظر إلى الأرض ، فى كمال نباتها وزهرتها يوماً ، ونظر إليها ثانياً ، فلم ير شيئاً من ذلك ، لم يتحرك له خاطر ؛ لأنه يعلم علماً يقيناً أن الذى أوجدها وأعدمها هو الله تعالى وحده . فعرفت الإشارة ، وفهمت أنه متحقق بالقطبانية ؛ لأن هذه أوصافه .

❦❦❦❦

(الحكاية الثامنة والثمانون)

قال : رأيت فى بعض الليالى ، كأن جماعة عند سيدى يقرأون القرآن فدخل رجل طويل جداً فوضع بين يدى سيدى ثياباً من حرير ، فأخذ منها ثلاثة ثياب فلبسها وكانت حمراء ، وإذا تحتها ثياب خضر فأردفها على شقه الأيمن ، فتجلت فيه الأنوار فبكى الحاضرون . فلما استيقظت قصصت عليه الرؤيا . فقال لى :

يا فلان أظهرنا الله لك ، على قدر حسن ظنك بنا ، ما بقى اليوم ـ فى هـذا الزمان ـ من يتحقق السر ، ولا من يميزه . قد تجلت علينا حقيقة خشينا منها ؛ لأن ظهورها على الولى فتنة على من لا يعقل لكن الله سترها ؛ لأنك رأيتنا ، وضعنا الثياب على شقنا الأيمن والثلاثة الثياب التى لبسناها هى : المعرفة، والهيبة ، والمحبة . ثم دعا لى ـ رضى الله عنه ، ونفع به .

ورأيت أيضاً كأنه جمع جمعاً من السادة وعنده الصماع ، فحصل عليه تجلٍّ ، حتى صار بلون الزعفران، فدخل رجل وقصده . وكتب جميع جسده بأصبعه جلالة فلما قصصت عليه الرؤيا تنفس الصعداء . وقال : أذابتنى المحبة ، وفنيت فى الحب غطَّى علىَّ وخامرنى جميع أصولى فاندكت ، وصرت كلى معانى . فها أنا هكذا ولو رأيتنى بين هؤلاء الخلق .

(الحكاية التاسعة والثمانون)

أخبرنى السيد الوجيه : عبد الرحمن بارقبة قال : فكرت ليلة من الليالى ، بعد وفاة سيدى الإمام العارف بالله : عبد الله بن علوى ـ رضى الله عنه ـ بليالى. وقلت فى نفسى : كيف يكون حال سيدى ـ نفع الله به ـ بعد موته ، فى قدومه على أكابر ساداتنا آل أبى علوى ، من أهل البرزخ ، كسيدنا المقدم ، وسيدنا السقاف ، وسيدنا المحضار ، وسيدنا العيدروس ، من الأعيان ونظرائهم . فبينا أنا أفكر ، إذ صرت بين النوم واليقظة فتراءيت كأن أكابر السادة آل أبى علوى المذكورين وغيرهم ، مجتمعون فى ناد . وكأن سيدنا الحبيب عبد الله جالس بينهم ، كالمتصدر فى المجلس .

وكذا رأى بعض السادة ، بعد وفاة سيـدى بأيام ، كأن جموعاً من آل

أبى علوى أهل البرزخ فى صعيد واحد ؛ منهم هؤلاء المذكورون ، وكان سيدى عبد الله فيهم يتكلم ، ويملى عليهم كلاماً لا أعرفه ، وهم منصتون لما يقوله — رضى الله عنهم .

(الحكاية التسعون)

حكى عن بعضهم أنه قال : رأيت فى المنام كأن سلسلة نزلت من السماء ، وكأنها تنزلت علوم النبى ﷺ لسيدنا الأكبر عبد الله الحداد — رضى الله عنه — فاستيقظت وقصصتها عليه . فقال لى : إن صدقت رؤياك أعطيناك شيئاً ولم يعينه . فأخذت أياماً ، ثم قال لى : أحسب أن رؤياك قد صدقت ، أو قال : تصدق ، فأعطانى كسوة قميصاً وعمامة ورداء وكوفية وسبحة .

ورأى هذا الشخص بعينه كأن نوبة تضرب فى السماء وحولها غلمان كثيرون فسأل لمن هذه النوبة ؟ فقيل : إنها للسيد عبد الله الحداد من يومنا هذا إلى يوم القيامة — رضى الله عنه .

ورأيت فى بعض مصنفات الشيخ الصوفى : عبد الله بن سعيد العمودى الدوعنى الرباطى . قال : رأى بعض المحبين كأنه بتريم وكأن نوراً ممدوداً منها إلى العرش ، وكأن قائلا يقول : إن هذا نور رسول الله ﷺ للسيد عبد الله ابن علوى الحداد .

وقال العمودى المذكور : رأيت ليلة الجنة ، كأن سيدى يطول ويرتفع فى الهواء ، حتى بلغ العرش وكأنى أتبعه وألهج بالاستغفار . فلما قصصت عليه الرؤيا قال : هذا لك مدد منا ، ثم لقننى وألبسنى . ثم قال : الله الله فى العبادة فى الظاهر والعبودية فى الباطن ، تنال العبودية من مولاك .

(الحكاية الحادية والتسعون)

قال السيد عقيل : زرت سنة من السنين نبى الله هود ـ عليه السلام ـ مع سيدى عبد الله ـ نفع الله به ـ وأنا صغير السن فاتفق لى أنى كنت أقرأ سورة يس عند قبر نبى الله هود ، فأخذتنى سنة فرأيت كأنى فى دار عظيمة وكأنها مفروشة بالفرش المنقوشة بالذهب ، وكان فى صدر المجلس فرش عجيب الوصف ، غاية فى الحسن ، فوق الأول .

فلما وصلت إلى سيدى وهو بالشعب . قال لمن عنده : هل أحد منكم رأى رؤيا ـ كرر ذلك مراراً ـ ولم يتكلم أحد . واستحييت أنا لصغر سنى . فلما انصرف الناس من عنده ، قصصت عليه الرؤيا . فسكت ولم يعبرها . فأخبرت بها السيد الجليل الفاضل الحبشى ، أحد خواص السادة آل أبى علوى ، والد السيد عبد الرحمن ، تلميذ مولانا ـ رضى الله عنه ـ قال : هذا الفرش الذى رأيت لزائرى قبر النبى هود ـ عليه السلام ـ وهذا الفرش الخاص لا يكون إلا لسيدنا الإمام الصدر الهمام : عبد الله الحداد ـ رضى الله عنه ، ونفع به ؛ لأنه سيد الجميع .

(الحكاية الثانية والتسعون)

حدثنى أيضاً قال : رأيت وأنا بتريم ، كأنى بمكة المشرفة ، فى بيت عظيم ، مفروش بالفرش الحسنة المرصعة بالذهب ، وحوله برك مبنية بالرخام الصافى إذ أقبل رجل عظيم الهيبة ، مشرق النور . ففزعت منه ، وقلت له ـ قاصد الأمان منه ـ أتعرفون سيدنا الحبيب عبدالله الحداد؟ فقال : نعرفه . قلت : هو شيخى . وكان خلف الرجل جملة من المجاورين : الأحياء والأموات :

فلما استيقظت أخبرت سيدى بما رأيت فقال لى : قال لك الرجل : نعرفه ؟ قلت : نعم . قال : قال لك الرجل : نعرفه ؟ قلت : نعم . قال : قال لك : نعرفه ؟ قلت : نعم فاستبشر ؛ وعجبت من تكريره .

(الحكاية الثالثة والتسعون)

أخبرنى بعض الصالحين عن السيد العارف نور الدين على بن عبد الله العيدروس أنه قال : إن الأموات من أهل زمن سيدنا عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ يسألون عنه في البرزخ .

قال : ورأى بعض الأموات . فقال : إن الملكين جاءا للسؤال فقالا لى : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ وما حالك مع السيد عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه وأرضاه ، ونفعنا به ، وسائر عباده الصالحين آمين ؟ وكأنه يشير إلى معنى قوله : إن من مات ، وعرض على الله وثم من أجلى ، وخصوصاً العلماء .

وقوله : سوف تسألون عنى وأسأل عنكم : هل بلغت أم لا ؟ فقيل له : فنشهد أنك بلغت ونصحت فجزاك الله خيراً . وكان السيد على كوشف بذلك ؛ لأنه كان من أرباب الكشف الخارق . وكان يقول : الحمد لله ، حيث يسأل عنا أهل زماننا ، ولا نسأل عنهم ـ يعنى فى القيامة .

(الحكاية الرابعة والتسعون)

سمعت بعض السادة آل أبى علوى يقول ـ بعد موت سيدى الشيخ عبد الله الحداد ، بسبع سنين وثلاثة أشهر : رأيته ـ رضى الله عنه ـ وكان بيده إناء من الصينى ، وكأنه يحركه بيده ، ويخوضه . ويقول لمن حضر : مخضت لكم الحقيقة

هكذا ؛ وبشير إليهم ولم أعرف منهم إلا ابنه السيد الجليل : علوى ، والسيد العارف عمر بن الحامد بن علوى باعلوى . ثم أدار ما فى ذلك إلى إناء آخر من الصينى أيضاً . وقال : هذا حاصلها ، أو قال : زبدها ، أو نحو هــذا المعنى . ثم وضع الإناء فى الأرض فتنــاول منه السيد عمر والسيد علوى ، دون من حضر . فقلت : يا سيدي أعطونى لأنى أمسكت عن الأخذ أدباً معكم ، فأعطانى بيده بقية ما فى الإناء الأول مقدار لقمة فأكلتها .

(الحكاية الخامسة والتسعون)

أخبرني والدي عن السيد المنور العيدروس بن أحمد الجفري ، من أصحاب سيدى قال : كنت إذا أصابني أمر مهم ، وأنا في غربة ، أرى سيدي ومولاي يقبل نحوي على فرس ، في صورة سيدي أحمد بن زين الحبشي .

وكان السيد عيدروس هذا ، كبير الاعتقاد في سيدى عبد الله ، وسيدي أحمد . وكان منور القلب صالح السريرة ، ذا أفعال جميلة ؛ منهـا للنقبة الجليلة . وهي قضاء دين مولانا عبد الله من ماله نقداً ، وهو في حياته نحو خمسمائة قرش ، تقرباً إلى الله ـ عز وجل ـ كما ذكر ذلك في باب ورع سيدي عبد الله .

ومن أفعال السيد عيدروس الجميلة ، وخيراته الجزيلة ، المبلغة له كل فضيلة : أن بعض السادة سافر إلى صنعاء اليمن ، فظفر بسفر ، من كتاب مجمع الأحباب ، للسيد العارف محمد بن الحسن ، وهو كتاب عظيم القدر ، كبير الخطر . ولم يكن يوجد بحضرموت ، ولم يعرفه سيدى عبد الله ، قبل ذلك . فرآه سيدي أحمد بن زين الحبشى ، مع ذلك السيد . فقال له : أما إنك لو أهديت هذا لسيدى عبد الله الحداد ، لكان ذلك عنده أجلّ هدية . فحصلت لذلك السيد نية ، فى إهدائه

سيدى ، فأهـــداه له . فاغتبط به غاية الاغتباط ، وفرح به فرحا شديداً ، وبقى يسأل عن بقية ذلك الكتاب ، وأين مَن يأتينا به . وألحّ فى ذلك وأكثر ، لعظم موقعه عنده . فحصلت للسيد عيدروس المذكور نيـة ، فى أن يسافر إلى صنعاء ، وأن يفحص عن ذلك أشد الفحص . فبلّغه الله نيتـه ، وظفّره بأمنيته ، بأن أوجده سفرين ، بقية ذلك الكتاب ، بل بقية النسخة بعينها — أعنى التى ذلك السفر منها ، فأهداه لسيدى ، ففرح غاية الفرح .

وكان سيدى أحمد ، يعد ذلك من كرامات سيدى عبد الله ، وخـــوارق عاداته — أعنى الظفر ببقية تلك النسخة بعينها — مع عزة وجود ذلك الكتاب .

وكان من عزته ، عند سيدى عبد الله ، لا يكاد يعيره أحداً ، دون سائر كتبه . وكان يقرؤه عليه ، خصوصاً فى شهر رمضان ، بعد صلاة العصر كل ليلة ، فى أيام صيام ستت شوال . كذلك يقرؤه ابنه السيد الجليل علوى . وكان لا يقرأ عليـه فى رمضان غالبا إلا سيدى عـلوى المذكور ، وسيدنا العارف عمر ابن الحامد . وربما قرأ معهما غيرهما . وكان يقرأ عليه أيضاً مـــع كتاب المجمع كتاب روض الرياحين لليافعى . وإنما أطلنا الكلام هنا ؛ لأن فيه فوائد . والقصد — إن شاء الله — اغتنام الفوائد رجاء العوائد ، من فضل الله تعالى .

وأخبرنى السيد الأنور : عبد الله ابن السيد عمر فقيـه . قال : رأيت كأنى قُيّدت ، والتفت بعض أعضائى إلى بعض ، فاستغثت بجملة من الصالحين ، فلم أفك حتى استغثت بسيدى ، فحلّ عنى ذلك القيد ، فى الحال . ووقت كأن لم يكن شىء ببركته — رضى الله عنه ، ونفع به .

❊❊❊❊

(الحكاية السادسة والتسعون)

أخبرني جماعة ثقات ، عن بعض المتعلقين بسيدي الحبيب عبد الله ـ نفع الله به ـ أنه مرض مرضاً شديداً ، أشرف منه على الهلاك ، بحيث صار كأنه محتضر من شدة التعب ، نظنه كل وقت يموت . فأصبح وكأنه قد نشط من عقال ، صحيحاً لا بأس به ، كأنه لم يشتك . فعجبنا غاية العجب .

وسألناه عن شأنه . فقال : رأيت في النوم كأن سيدي الغوث عبد الله ـ رضي الله عنه ـ جالس عند رأسي ، ومعه الشيخ عبد الرحمن باجلحبان ، المقبور تحت تريم ـ نفع الله به ـ وهو يقول لي : لا تخش من الموت ، إنا أخذنا لك إمهال سنة في العمر ، ولا تموت إلا في شهر عاشوراء ، من السنة الآتية . وكان ذلك المرض في عاشوراء . فكان يقول لنا : بقي لي من العمر كذا وكذا ، باستمهال سيدي لي ، حتى حان حين دخول عاشوراء ، وهو صحيح معافى . فدخل الشهر ، وليس به ألم ظاهر ، ثم إنه تغير عقله ، واختلط دماغه ، ومات من وقته ـ رحمه الله ـ .

وحدثني ابن عم هذا الرجل المذكور ، صاحب هذه الواقعة . قال : أصابتني علة شديدة أخذت شهرا لا أنام قط ، وشهرا آخر ، وأنا محتبس البول ، مع شدة الألم ، وعدم النوم والأكل . وجئت إلى سيدي أحمد بن زين الحبشي ـ نفع الله به ـ وأعطاني دواء ، والعلة بحالها . ثم خرجت إليه ، وأنا محمول من شدة التعب وقلت له : إما عافية تحصل لي الآن ، وإما موت هنا ، وتعطيني الأمان من منكر ونكير ، في القبر . فضحك وقال : العافية ـ إن شاء الله ـ . وأعطاني نصف بطيخة ، كانت معه . وقال لي : الرجل الذي يأتيك ، عافيتك على يده وكل من هذه البطيخة فأكلت منها من الآن قليلا قليلا ، وحملوني إلى حمى بلدي .

فلما وصلت أسندت إلى حائط ، فأخذتني سِنة ، وأنا جالس، فإذا أنا بروائح سيدي عبد الله تتصاعد ، وإذا به قد دخل إليّ ، فاستغثت به ، فأخذ بناصيتي ، ودعا لي . وقال : العافية حصلت ، ففتحت عيني ، وصحت بأهلي : احملوني إلى بيت الخلاء ، حصلت العافية . فحملوني ولا أقدر على الجلوس فجلست من حينئذ ، وخرجت مني حصاة ، سمعت وقعها على الأرض ، ثم سال مني دم أسود كثير . فرجعت أمشي ، وأكلت لحما ، كان معهم . وخرج من باطني وباء عظيم لا أقدر على وصفه ، وتمت العافية . وخرجت من الغد من بيتي ، وفرج الله عني ببركته ، وبركة سيدي أحمد ؛ إذ هما شيء واحد - نفع الله بهما .

●●●●

(الحكاية السابعة والتسعون)

حدثني بعض فقراء سيدي الصادقين : قال : رأيت في المنام ، كأن الشيطان يطردني طردا عنيفا ، وأنا أستغيث بسيدي عبد الله - رضي الله عنه - فنزلت لي سلسلة من السماء ، فتعلقت بها ، وارتفعت في الهواء ، ونجوت منه ، وكأنه يقول لي : فتني .

وأخبرني بعضهم قال : كنت في مركب في البحر ، فنمت وقت الهاجرة ، فرأيت سيدي ، كأنه يقول لي : قم واخرج من هذا المركب فقمت مذعورا . فلما كان وقت العصر ، انكسر عود في السفينة وانخرقت . فرأيت سفينة قريبا منا . فخرجت إليها، وبعض أهل المركب فنجونا. وهلك من لم يخرج من المركب.

وأخبرني أيضا قال : رأيت سنة خمس وأربعين ومائة وألف ، بعد موت سيدي ، بنحو ثلاث عشرة سنة ، كأنه قائم لابسا سراويل فقط . وذلك عند خزانة كتبه الشريفة ، وكأن عيونا تجري من تحتها ، وتنفذ ، وتقصد كل عين إلى بلد ، أو جهة . وكأنه هو الذي يتولى تفريقها وتوجيهها إلى تلك الجهات ،

وكأن تجرده ذلك عبارة عن شدة تشميره، فى تقسيم ما هنالك. فعرفت الإشارة، وأن كتبه وعلومه الشريفة، قد طارت إلى جميع أقطار الأرض، وتفرقت فى سائر الخلق، وأنه يتصرف بها فى الناس حيا وميتا ولو لم يكن إلا كتبه، ومؤلفاته العزيزة وشيوعها فى الناس، وشمول النفع بها، عند الخاص والعام لكفى.

(الحكاية الثامنة والتسعون)

أخبرنى بعض خراص الفقراء. قال: سافرت سنة من السنين إلى الحج، مع السيد الفاضل الحسين بن سيدى الكامل: عبد الله. فلما وصلنا جازان ـ بجيم وزاى ونون ـ البلد المعروف باليمن، وقفت السفينة، ولم تستطع السير، مدة أيام. وبقى من يوم الوقوف بعرفة، نحو ثمانية أيام، مع بعد المسافة بيننا وبين مكة المشرفة فاهتممنا لذلك، وقربنا من اليأس من الحج، تلك السنة. فلما كان نحو غروب الشمس، إذا نحن بطائر أخضر، قد أقبل إلينا. ووقع على قبتع سيدنا الحبيب عبد الله، وكان صحبة ولده السيد الحسين. فعجبنا منه، فقام إليه رجل وأمسكه، ورماه فى البحر. فعاد إلى السفينة. ووقع على القبع كالأولى. فقام إليه الرجل، وأخذه ورمى به فى البحر. فرجع ثالثاً كذلك. فتركناه وقلنا: هذا بشير بخير ـ إن شاء الله ـ.

قال الراوى: فنمت تلك الليلة، وأنا مهموم، من خشية فوت الحج؛ فرأيت كأنى وسيدى عبد الله فى الحرم الشريف، فكأنى حججت معه، فأصبحت مسروراً. وقلت لأهل السفينة: أبشروا فقد جاء الفرج، وجان حينه. رأيت البارحة كذا وكذا، فاستبشروا. فما كان آخر ذلك اليوم إلا وهبت ريح، وساقت السفينة سوقا عنيفا، وبلغنا مكة فى أسرع وقت، وحججنا الجميع تلك السنة ببركته.

(الحكاية التاسعة والتسعون)

حدثني بعض الثقات : قال : ركبنا البحر ، فحصلت علينا شدة عظيمة فيه ، حتى أشرفنا على الغرق . وحصل علينا من الغم والكرب، ما لا يوصف . فنمت . ورأيت سيدى عبد الله ، كأنه يقول لى : تيسروا . فاستيقظت واستبشرت ، وبشرت أهل المركب . وفرج الله عنا ، فى الحال ، ببركته ـ رضى الله عنه .

وعن بعض السادة قال : حصلت علينا شدة عظيمة ، فى البحر ، كدنا أن نهلك . وذلك أنه حصل فى المركب خرق ، ولم يقدر أحد على سد خرقه ، فأيسنا من النجاة، فغلبتني عيني. فرأيت كأن سيدنا الشيخ عبدالله الحداد ـ رضى الله عنه ـ طالع السفينة، يريد إصلاحها : فاستيقظت وقد انسد الخرق ببركته ـ نفع الله به .

(الحكاية المكملة مائة)

عن باشراحيل عبد الله ـ رحمه الله ـ قال : حصل بيني وبين جماعة ، مشاجرة ومشاحة ، ومخاصمة فى مال ، وأعان علىّ فى ذلك القاضى والساعى وسائر الوسائط . فلما اشتد علىّ الأمر ، دخلت بيتا فى دارى . وناديت بأعلى صوتى : يا عبد الله يا حداد ، أدرك خادمك المظلوم . فلما نمت رأيت كأن جماعة قد أقبلوا علىّ بالسيوف والرماح والبنادق ، فالتفتّ فإذا عندى درع حديد مطروح ، فأخذته ولبسته . فاستيقظت وكفيت شر أولئك ، وفرّج الله عنى ، ورد كيدهم فى نحورهم ، وتركوا ما أرادوه منى ببركته . وأولت الدرع ، وقاية سيدى ، ودفعه عنى .

وقال : أخبرنى بعضهم قال : حصل لى وجع فى يدى . فنمت . فرأيت سيدى عبد الله ، وشكوت إليه ذلك ، فمسح عليها بيده . فاستيقظت ، وقد زال ما بى .

(الحكاية الحادية بعد المائة)

قال سيدنا الإمام الحبيب عبد الله : هممت بالخروج من المدينة الشريفة ، بعد الزيارة . قال : فرأيت أنى لقيت امـرأة ، أرادت أن تصافحنى . فقلت : ما اسمك ؟ قالت : اسمى رحمة ، والمدينة اسمها رحمة . فقالت لى : إن جدك ﷺ يقول : لا تخرج من المدينة بعد . فأصبحنا وقد مرض الشيخ الحسين بافضل ، وكان فى صحبتنا .

قلت : وقصته فى مرضه عجيبة . وهى ما ذكر السيد العلامة : محمد شليه ، فى كتابه : « المشرع الروى فى مناقب بنى عـلوى » ـ رضى الله عنهم ـ : أن الشيخ حسين أشرف على الهلاك . وكشف سيدى ـ نفـع الله به ـ أن حياته قد انقضت .

فجمع سيدنا الحبيب ، من كان معه . وقال لهم : نريد من كل منكم شيئا من عمره ، ووهبه للسيد عمر آمين صاحبنا ثمانية عشر يوماً ، لأن مدة السفر من مكة إلى المدينـة اثنا عشر يوماً ، وستة أيام للإقامة ، ولأنها عدد اسمه تعالى : حى .

وجمعوا جميع ذلك الموهوب نحو ثمانى سنين ، وأثبتوه فى ورقة وأخـذه سيدى ، ومضى به إلى القبر الشريف . وتوسل بالنبى ﷺ ثم خرج مستبشراً قائلا : قد قضى الله الحاجة ، وقبل شفاعة النبى ﷺ فقام الشيخ حسين من مرضه معافى كأنه لم يشك ألماً ، فسافروا . فلمـا انقضت المدة ، وسيدى بتريم قال لهم : انظروا الشيخ حسين يموت فى هذه المدة فحسبوا فجاء موته كما أشار ـ رضى الله عنه .

(الحكاية الثانية بعد المائة)

أخبرني السيد الجمال محمد بن شيخ الجفري ـ رحمه الله ـ قال : سمعت الملاذ الأستاذ عبد الله الحداد ـ رضي الله عنه ـ يقول : رأيت في المنام رجلين ، من فضلاء السادة ، والداً وولده ، بعد موتهما . فأما الوالد فتقدم ، وقبّل يدي ، وأما الولد فتأخر ، وكان له علينا تردد ثم انقطع. فلعله استحيي لما رأى رفع القدر والمنزلة لنا في البرزخ .

وقال سيدي ـ نفع الله به ـ لبعض من كان يخدمه : رأيت كأن أناساً يبنون بيتاً . فقلت : لمن هذا البيت ؟ فقيل : إنه لخادمك فلان ـ يعني ذلك الرجل ـ ثم قال له : وفي هذه الرؤيا خير لك . ثم مرض الرجل من حينه ، وذلك يوم الأحد . وتوفي ليلة الجمعة ـ رحمه الله .

(الحكاية الثالثة بعد المائة)

أخبرني جماعة أن سيدي ـ رضي الله عنه ـ قال : رأيت ليلة توفي السيد علي بن عبد الله العيدروس ، ببندر سورت ، كأنه توفي رجل عظيم القدر ، عالي المنزلة . فتوفي في تلك الليلة ، بعض السادة بتريم . فتعجبت في نفسي . وقلت : ما كان ظني أنه بهذه المنزلة التي رأيت ، ولكنه في الإمكان وقوع ذلك فجاء الخبر بعد ، بوفاة السيد العيدروس ، تلك الليلة . فعرفت عند ذلك أنه الذي رأيت .

قال سيدي أحمد : كنت إلى جانب سيدي عبد الله ليلة أو يوما . فالتفت إليّ قائلا : الذي يظهر أن السيد علي مات بسورت . وأشار أن لا أتكلم بذلك ، حتى جاء الخبر بذلك ظاهراً ـ نفع الله به .

وقال ـ رضى الله عنه ـ بعد موت السيد على المذكور : رأيت فى المنام كأنى والسيد على ، فى منزل ، أنا فى طرف منه ، والسيد على فى الطرف الآخر . فتوفى سيدى بعده بسنة وقليـــل . وكان المنزل الذى رأى ، هو المدة التى بين وفاتهما .

وقال ـ نفع الله به ـ : رأيت كأنى مضطجع على سرير ، وإذا بسيدنا على ابن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ والمهدى الموعود به ، فى آخر الزمان ، جالسان عندى . فجلست إليهما ، فوجدت عليا ، ولم أجد المهدى .

****

(الحكاية الرابعة بعد المائة)

سمعت سيدى الأكمل أحمد بن زين الحبشى يحدث . قال : انحدرت سنة من السنين ، لزيارة نبى الله هود ـ عليه السلام ـ فمضيت إلى سيدنا ، قاصدا معه السير ، كما هى عادتى . فقال : إنى لا أزور هذه السنة ، إنى رأيت كأن شخصا ألقى ماء فى وجهى ، . فوقع لى أنها تكون أمطار ، وغيوث هناك . فقلت له : إذاً أترك هذه السنة . قال : لا تتركها . سيروا على بركة الله ، ولا يصيبكم شر ـ إن شاء الله ـ من شأن المطر . اغتنموا الفرصة ، وقـــلة العلائق وأنا لو كنت خفيف العلائق ، لسرت للزيارة . ولو كان المطر فوق رأسى .

قال : فسرنا ، وحصلت أمطار هائلة ، وغيوث عظيمة ، ولم يصبنا منها شىء أبدا . ومررنا فى مسيرنا على نحو من أربعة عشر مسيلا والسيل فيها .

وأخبرنى السيد عقيل قال : سمعت سيدى عبد الله يقول : رأيت فى المنام ، كأنى فى الحرم الشريف ، عند الكعبة المعظمة . وكأن فى الحجر الأسود خموشة ، وكأنى أدخلت الكعبة . فرأيت فيهـــا ، عند مقام الحنفى ، زيادة بنيان . قال :

فقلت له : بماذا أولتم الرؤيا ؟ فقال : أظن أنها تكون فتنة بين الأشراف ؛ لأن الحوشة تدل على ذلك . ولو رأينا أنه رفع ، لكان يدل على أمر عظيم . قال : فسافرت تلك السنة للحج ، فلقيت فتنة وقعت بين الأشراف .

(الحكاية الخامسة بعد المائة)

أخبرني السيد الأفضل : محمد بن شيخ قال : سمعت سيدي يقول : رأيت في المنام كأن عندي ملك الهند رنقزيب ، كأنه سألني عن مسائل وقع الخلاف فيها ، بين الأشعرية والماتريدية ، كقول القائل : أنا مؤمن ـ إن شاء الله ـ فقلت له : إن هذه المسائل مقررة في الإحياء ، في كتاب قواعد العقائد ، ونسمع أنك كثير القراءة في الإحياء .

وكان الإحياء عندي في طاقة . فتناولته ، وأوقفته على مطلوبه . ثم قال سيدي : أثبتوا تاريخ هذه الرؤيا . فلعل هذا الملك ، السنة هذه ، يصلنا بشيء من المال . فما لبثنا إلا يسيرا ، وإذا به قد أرسل لسيدي خمسمائة ربية فضة ، على يد بعض وزرائه ، وأرسل بها الوزير إلى بندر الشحر ، بنظر بعض الناس ، من غير كتاب لسيدي ، من الملك . فقبلها ، ولم يكتب الملك فطولب بذلك فأبى . وقال : من عادتنا أن لا نبتدئ أحداً بالمكاتبة أبداً . فانظر إلى رفع همته ، وزهده في الدنيا ، وعدم اهتمامه بملوكها . وهذا الملك من أعظم الملوك .

وسمعت أن سبب مواصلته تلك : أنه وقف على بعض مصنفاته .

(الحكاية السادسة بعد المائة)

أخبرني بعض فضلاء السادة . قال : رأيت بعد موت سيدي عبد الله ، كأني مضيت ، أنا والسيد العارف بالله الجنيد على باهارون ، لزيارة سيدي عبد الله ، وكان

عليه قبة عظيمة ، فولجنا القبة ، فإذا داخلها مسجد آل أبى علوى المعروف بتريم .

وأخبرنى السيد عقيل ، عن بعض الفضلاء . قال : رأيت عند موت سيدى عبد الله ، كأنه أقبل محمل عظيم ، مغشى بالذهب ، كالمحامل المعروفة ، فى الحج مع خلائق لا تحصى ، ولكنه مع سكوت ووقار . فسألت : لمن هذا المحمل ؟ فقيل : للسيد عبد الله الحداد ـ رضى الله عنه ، ونفع به .

(الحكاية السابعة بعد المائة)

أخبرنى السيد محمد بن شيخ الجفرى قال : حكى عن بعضهم : أنه مات ، ودفن ، وفى أكفانه شىء من ثياب سيدى الشيخ الحبيب : عبد الله بن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ فرأى بعض الناس فى المنام، أن ذلك الشخص لما دفن جاءه الأموات ، ومزقوا كفنه ، وأخذوه قطعة قطعة ، تبركا به ، وأن بعض الناس طلب من سيدى شيئاً من ثيابه ، يريده كفنا . فقال : منا خرقة على الوجه فقط .

قال : وسمعت أن بعض أهل دوعن مات ، وعليه خيط ، عزيمة من سيدى ، رئى بعد موته ، وكأنه يقول : ما نفعنى شىء مثل الخيط الذى علىّ من سيدى . وقد سمعت ما قدمنا عن سيدى أنه يقول : إن لبس الثياب عدة للنوائب : والله أعلم .

(الحكاية الثامنة بعد المائة)

أخبرنى بعضهم قال : رأيت فى حياة سيدى الإمام العارف عبد الله الحداد ـ رضى الله عنه ـ كأنه فى مكان ، هو والشيخ عبد الرحمن السقاف باعلوى ، والشيخ أبو بكر بن سالم باعلوى ـ نفع الله بهم أجمعين ـ وأنا متنزح عنهم

قليلا . فبينما هم كذلك ، فإذا هم يهدرون كهدير الجمال ، ويتطاولون فى الهواء ، وأنا أنظر إليهم ، حتى غابوا فى السماء ، وأرجلهم ثابتة فى الأرض ، فأخذوا مدة ، ثم نزلوا قليلا قليلا ، حتى صاروا كما كانوا . فأخذ الشيخان طريقا ، وسلك سيدى الشيخ طريقا آخر . وأمرنى الشيخ عبد الرحمن السقاف أن أسلك مع سيدى عبد الله الحداد ، لكونى أنا وإياه فى الحيلة ـ رضى الله عنهم ، ونفع بهم أجمعين ـ آمين .

وأخبرنى أيضاً قال : رأيت فى شهر رمضان ، سنة خمس وأربعين ومائة وألف ، بعد موت سيدى عبد الله ، بثلاث عشرة سنة ، كأنه قائم فى فلاة من الأرض يصلى ، وحوله خلائق كثيرة . وكلما صلى ركعتين ، تكلم بكلام يفتخر فيه ، وينشد شعرا ، ويهدر كهدير الجمل . ويقول : أنا ابن آل هاشم ، أنا ابن رسول الله ، أنا أول مشفع ، بعد رسول الله ﷺ ، أنا تمام النيف الذين يشفعون بعد رسول الله ﷺ وإذا بقائل يقول : هم والنيف الذى أراده سيدى ، بقوله : أنا تمامه ، بقدرة ستة منهم . وكلام طويل غير هذا ، لم أفهم منه إلا هذا ، وكأنه فى غاية من الهيبة والجلال ، لم يستطع أحد الدنو منه ـ نفع الله به .

(الحكاية التاسعة بعد المائة)

أخبرنى بعضهم . قال : جئت إلى تريم ، لزيارة سيدى عبد الله بن علوى الحداد وأنا صغير السن ، نحو البلوغ . فاستأذنت عليه ، وطلعت فإذا هو جالس على الكرسى فجلست تحته وقلت له : إنى أريد التزوج ، فأدلى يده من على الكرسى وأمرها على رأسى . وقال : أتتزوج وأنت صغير . ثم قال : صواب ذلك كما قال القائل : تزوجوا صغاراً ، وحجوا كباراً .

قال : فعرفت عند ذلك أنى سأحج بعد التزوج . ثم قال لى سيدى : تزوج بابنة فلان . فقلت : إنى خطبت ابنة آل فلان ، ولم يبق إلا التزوج فقط فسكت ، كغير المستحسن . ثم قال: يأتى الله بما أحب . فقلت: إنى أريد أولاداً فقال : ـ إن شاء الله ـ يأتيك الأولاد ، ولم يقل : من الذى أريدها ، ولا من التى أمرنى بتزوجها .

قال : فتزوجت بالذى أردت ، وأخذت معها نحو ثلاث سنين ، ولم تحمل أبداً ففارقتها ، وتزوجت بعدها بالذى أمرنى بها سيدى ، فحملت بعد دخولى بها ، بنحو نصف شهر : وجاءنى منها ثلاثة أولاد ، وخمس بنات . ثم ظهر لى عند ذلك ، وجه الإشارة ، وأن الخيرة الصالحة فيها ؛ لما وقع من الألفة والأولاد ، ولم أعرف غيرها ، ببركة إشارته ـ نفع الله به .

ثم بعد خمس وعشرين سنة، تهيأت إلى المسير إلى الحج : فسرت فى جمع كبير من أهل حضرموت :

فلما ركبنا البحر ، ووصلنا غبة كستنبيل المعروفة ، هاج علينا البحر هيجاناً عظيما : وحصل علينا من الشدة أمر لا يعلمه إلا الله . فنمت من شدة الغم ، فرأيت سيدى الحبيب عبد الله كأنه فى منزل . فدعانى فجئت وصافحته فاستيقظت فى الحال وقد سكن البحر ، وهدأت السفينة . وعرفنا أن نجاتنا ببركته لكون أكثر من حضر متعلقين به ـ رضى الله عنه ، ونفع الله به .

(الحكاية العاشرة بعد المائة)

حدثنى السيد الفاضل العالم العامل ، السالك الناسك : جمال الدين محمد ابن أبى بكر بن أحمد العيدروس صاحب ظفار . قال : أخبرنى بعضهم . قال :

أودعني بعض المؤسرين دراهم ، ولم يعلم بها أحد . وسافر إلى بلده ، فأرسل إلى سيدي — رضي الله عنه — وقال : نريد منك من الدراهم كذا قرضة . فقلت له : إنه ليس معي دراهم ، فأرسل إلى ثانياً : هات كذا من الصرة التي هي وديعة عندك ، وسنرجعه لك قريباً .

فكاشفني بذلك ، ففتحت الصرة ، وأعطيته ما طلب منها . فبعد أيام قريبة رد عليّ الدراهم ، فرددتها في الصرة . وما جاء صاحبها إلا وقد رددتها .

توفي السيد محمد الراوي الحكاية هذه بظفار . وكان من عباد الله الصالحين العابدين القانتين الخاشعين الورعين الزاهدين . أخذ عن سيدي ، وكان يثني عليه ويشير إليه . وكان لا يفارقه إحياء علوم الدين حضراً وسفراً . انتهى .

وحكى لي عن بعضهم: أنه قال له سيدي — رضي الله عنه — ألا تتزوج؟ فقال: ليس معي ما أنفقه في شأن الزواج . فقال لي : ما فعلت الدراهم التي في سقف البيت الفلاني ؟ وكان الأمر كذلك ، ولم يكن لأحد بذلك اطلاع وعلم ، وإنما ذلك مكاشفة منه — رضي الله عنه .

(الحكاية الحادية عشرة بعد المائة)

أخبرني مؤذن جامع تريم ، المعلم إبراهيم ، ابن المؤذن عمر بافضل . قال : كانت وظيفة الأذان والتسميع يوم الجمعة لأهلي ، وكنت بأرض الهند . فصارت الوظيفة إلى بعض الناس . فخرجت من أرض الهند وفي خاطري الوظيفة ، كعادة أهلي .

فأخبرني بعض من سمع سيدي يقول — وأنا ببندر المخا — : إن فلاناً خرج إلى حضرموت ، يريد وظيفة أهله . فوصلت إلى تريم ، وجئت إلى سيدي وفي خاطري مشاورته ، من أجل ذلك فمنعني من ذلك الهيبة ، فبدأني وقال لي :

الوظيفة ترجع إليك ، كما كانت لأهلك ، ولكن تأنّ ولا تعجل فى الأمر .
فامتثلت فطالبت فيها ، فتغلب عليها من كان فيها ، وطال النزاع ، ثم صارت إلىّ
وكذا مرة أردت التزوج فخرجت للاستشارة ، فبدأنى وقال لى : هل تتزوج ؟
فأعلمته بما فى نفسى — رضى الله عنه .

(الحكاية الثانية عشرة بعد المائة)

أخبرنى السيد الولى ، الصالح الناسك : محمد بن شيخ بن أحمد السقاف ، العابد الخاشع ، أحد خواص أصحاب سيدنا وشيخنا : أحمد بن زين الحبشى . توفى بمريمة أظنه سنة أربعين ومائة وألف . كان على قدم من التواضع والخمول ، واللطف والمسكنة ، والنسك والعبادة — رحمه الله .

قال : مات أخ لى بأرض الهند فورثنا مالا جزيلا ، فوقع فى يد الناس بعض الناس هناك ، وأخرج لنا منه قليلا ، فأمسك أكثره مدة ثمانى سنين ، فوكلنا لقبضه بعض الناس ، وجئنا مخبرين مستشيرين لسيدنا الحبيب : عبدالله ، ومعلمينه بما جرى ، من حال المال ، والممسك له ، والوكيل .

فقال لنا : قفوا ولا توكلوا أحداً واصبروا نحو ثمانية أيام . فأخذنا ثمانية أيام فجاء الخبر أن الرجل الذى عنده المال أرسل به إلى بندر الشحر ، بعد أن كان المال عنده ثمانى سنين . فعرفنا أنه كوشف بذلك .

(الحكاية الثالثة عشرة بعد المائة)

حكى لى بعض السادة . قال : تزوجت بامرأة ؛ فولدت لى أولاداً ، ثم ماتوا ثم لم تحمل بعد أبداً . فأخذت سنين عديدة ، فكلما شكوت إلى سيدى فى شأن

الأولاد يقول له : يأتيك الأولاد ـ إن شاء الله ـ وطال عليّ ذلك . فقلت له : يا سيدى طال عليّ الوعد منكم ، ولا حصل لى شىء . أريد إنجاز الوعد ، ولا عذر لكم أبداً أبداً .

فعند ذلك قال لى: أشرنا لك فلم تفهم الإشارة ، ولوّحنا لك فلم تفهم التلويح تزوج بغير امرأتك هذه ، لا نريد بعطلنا لك إلا التزويج بغيرها . فسكنت نفسى وخطبت امرأة وتزوجت بها . فثانى يوم من زواجى ، لقيت سيدى ، فهنأنى بالزواج . وقال لى : إن الزوجة قد حملت لك البارحة . فكان كذلك الأمر ، ورزقت منها أولاداً كثيرة ، نحو سبعة أو أكثر .

(الحكاية الرابعة عشرة بعد المائة)

أخبرنى بعض السادة الفضلاء . قال : رأيت بخط السيد الفاضل الحسن ابن علوى الجفرى ، يقول السيد حسن المذكور : إن سيدنا وبركتنا الحبيب عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ مرض فى بيتنا ، يعنى حال تزوجه بابنة السيد حسن المذكور ـ قال : فقال لى سيدى عبد الله : إن أهل البرزخ جاءوا إلىّ يعودونى فى مرضى، ذكر منهم جماعة من أكابر السادة آل أبى علوى وغيرهم ، فسألتهم عن السيد علوى ـ يعنى والد السيد حسن . وكان قد توفى أين هو ونحن فى بيته ؟

فقيل : إنه سيأتى . فجاء بعدهم . فسألته عن ولده حسن ، فأثنى عليه جميلا وقال السيد حسن : فاستأذنت سيدى فى كتابة ذلك فلم يأذن لى إلا فيما يتعلق بى من ثناء والدى علىّ ، وكونه عنى راضياً فكتبته فى ورقة ، ثم إن السيد حسن أمر به ، فدفن معه فى قصبة .

وكان السيد حسن المذكور فاضلا عابداً سالماً ، عالماً عاملا ، زاهداً ، مؤثراً الخمول والضعف ، صاحب ذوق .

وكان سيدنا يثنى عليه ، وتزوج بابنته . توفى بتريم وهو صائم ست شوال ، ضحوة نهار ، من غير مرض ظاهر بل نام فوجدوه ميتاً ـ رحمه الله ـ وقد تردد ذكره فى هذا المؤلف مراراً .

رأى بعض الصالحين العيدروس عبد الله بن أبى بكر ـ نفع الله به ـ يقول له : إذا نابتك نائبة ، فتوسل إلى الله بالسيد حسن الجفرى .

وقال الحبيب عبد الله : كنت مرة جالساً ، فرأيت السيد حسين بن عمر فقيه بعد موته . فقلت له : أقرئ السلام منا سيدنا الفقيه المقدم .

وكان السيد حسين المذكور ، فاضلا عابداً ، سالكاً ناسكاً . عالماً عاملا زاهداً ، مؤثراً الخمول والضعف ، صاحب ذوق .

وكان سيدنا عبد الله يقول فيه : إنه أبو هريرة زمانه ؛ لجمعه فنون من العلوم ، حتى يقال : إن عنده شيئاً من علم الاسم ، وإنه كان يتصرف به . توفى بتريم هو والشيخ الصالح الفقيه العامل : محمد باجبير فى ليلة واحدة سنة ٢١ . سمعت أن سيدى أحمد بن عمر الهندوان ، لما خرج من الهند إلى تريم ، وهما فى مرض الموت زارهما . وقال : هذان مراجاتى يصطفقان معاً . فماتا فى ليلة ، كما ذكرنا .

(الحكاية الثامنة عشرة بعد المائة)

سمعت السيد عقيل يقول : سمعت جعفر الكثيرى صهر سيدى الشيخ الحبيب عبد الله ـ رضى الله عنه ـ يقول : لما جاء سيدى من الحج إلى تريم ،

طلعت معه إلى البلد ، فى بعض الليالى ، وصلى فى مسجد الشيخ أبى بكر السكران ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف .

وكان بيت الشيخ شهاب الدين أحمد ابن الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ على بجانب المسجد المذكور . وكان فيه السيد الصالح ، الولى المجذوب : محمد ابن عبد الرحمن بن شهاب الدين ، فأحس بنا فى المسجد ، فخرج إلينا . وطلب سيدى إلى بيته ، فجئت معه إلى البيت . فلما جلسنا عنده قام هو ، وغاب عنا قليلا ، ثم رجع ومعه لحم كثير مغلى ، كأنه شوى فى الحال ؛ وخبز حار . فقدمه لنا ، فأكلنا منه ، ولم يقل سيدى : من أين هذا ؟ ولا هو أخبرنا من أين هو ؟ فقال لنا سيدى : كلوا وتضلعوا من هذا اللحم ، فإنه ليس من طعام الدنيا .

وكان هذا السيد محمد كثير التعظيم والاحترام لسيدنا الإمام عبد الله . وتوفى قبله بعدة سنين بتريم ، وقبر فيها .

وكان سيدنا الحبيب يثنى على السيد محمد المذكور هذا ويقول : إنه من أهل السر ، وغير ذلك .

وكان صاحب كرامات ومكاشفات ، وكان لأهله فيه اعتقاد وافر ، وهو أهل ذلك ومحله . توفى بها ـ رحمه الله ونفعنا به ، وبسائر عباده الصالحين .

❧❧❧❧

(الحكاية السادسة عشرة بعد المائة)

سمعته أيضا يقول لى : إن السيد الصالح محمد بن علوى ، من ذرية عبد الله ابن السقاف أحد تلاميذ عبد الله الحداد . كان كثيراً ما يتعود السفر إلى بلده شبام ، له فيها أصحاب ، فأراد أن يسير كعادته . فقال له سيدى عند الاستيداع :

أقرئ السلام منا الأحياء والأموات من أهلها ، وكأنه اطلع على أنه سيموت بها .

فسار السيد محمد ، وتوفى بعد ذلك بأيام . فعرفنا بعد ذلك أن سيدى كوشف بأنه سيموت هناك .

وكان سيدى يقول فى السيد محمد هذا، والسيد الولى محمد بن عبدالله باعبود : إن لم يكونا من أهل الكشف وإلا فهما فى حيزهم .

وسمعت أنه وقع بينه وبين الذى يحفر القبور بتريم كلام . فقال له السيد : أتحسب أنك تدليني فى القبر ، أنى لا أموت بتريم . وكان يقرأ على سيدنا فى رياض الصالحين للنووى ، كلما ختمه أعاده . هذا دأبه ـ رحمه الله .

وأما السيد محمد باعبود المذكور ، فكان من عباد الله الصالحين . وكان سليم الصدر ، نزيه القلب . وكان عند موته ، أهله يبكون عليه ، وهو يضحك . ويقول لهم : لو تعلمون ما عاينت ، أو ما صرت إليه لما بكيتم .

وكان مولانا عبد الله يقول : إن أردتم الأولياء ، أو قال الأبدال ، فانظروا السيد محمد باعبود ، والسيد الجنيد بن على باهارون ، والسيد المشهور ابن شهاب الدين ، والسيد عمر بن علوى عيديد ، والسيد أحمد عبد الله باهارون . وكان هؤلاء من الآخذين عن سيدنا عبد الله ، والمنطوين فيه ، والمعترفين له ، والمندرجين فيه ، المثنين عليه . وكانوا ساكنين نويدرة تريم .

قال سيدنا : وددنا أنهم تفرقوا فى جميع مدينة تريم لحفظها . وقد رأيناهم بل عرفناهم ، وتبركنا بهم . توفوا أجمعين بتريم ـ رحمهم الله ، ونفع بهم ، وسائر الصالحين .

(الحكاية السابعة عشرة بعد المائة)

سمعته أيضاً يقول : قال لى سيدى ـ رضى الله عنه ـ يوما : من ماتت أمه قبرهمه . فماتت والدتى ، بعد كلامه بأيام . وكان لى أخ بأرض الهند ، فجاء الذى يطلب منى حصة أخى فى الميراث ، فتوقفت حيث لم يأت علم بموته . فأمرنى سيدى أن أعطيه ، وتصرفت أنا فى بقية المال .

فقال سيدى : لو علمنا أن فى تصرفك هذا أدنى شبهة لمنعناك من التصرف .

فعرفت عند ذلك أن سيدى كوشف بموت أخى ، بأرض الهند . وكان قد أبهم خبره ، ولم يعرف أين هو أحى هو أو ميت ؟ وقال : إن بعض السادة فقد بأرض الهند ، ولم يعلم له بخبر .

فاستشارت زوجته سيدى عبد الله ، فى أن تتزوج . فقال لى : امض إلى القاضى ، وقل له أن يعقد بها على الزوج الثانى ، من غير أن تعلموه أن لها زوجاً فقد بأرض الهند . فوقع لنا أن سيدى ـ رضى الله عنه ـ كوشف بموت الرجل هناك ، لتصرفه وجزمه . وقد قالوا : إنه يجوز للولى أن يحكم بما ظهر من العلم باطنا وكشفا ، ولا يكون بذلك مخالفا لظاهر العلم . فاعلم وافهم ، وسلّم تسلم ، ولا تنكر تندم .

(الحكاية الثامنة عشرة بعد المائة)

سمعته يقول : جاءت امرأة إلى تريم ، وكان عندها شىء من التزائم ، أو نحو ذلك من التلبيس . فلبست على أكثر الناس فى البلدان ، فى الحرمين واليمن ، وغير ذلك ، وجميع الناس يظنون أنها رجل ؛ لأنه كان عليها زى الرجال ، ولم يعرفها أحد أبداً . وجاءت إلى جملة من السادة ، وهم يحسبون أنها رجل فجاءت إلى سيدى ، فكشف له أمرها . فعاتبها وأمرها بالخروج من تريم ، فخرجت

هاربة . فقال بعض الناس لسيدى : إن المرأة قصدت اختبار الناس ، من عنده شىء من الكشف أظهره . فقال سيدى : من كان عنده شىء من ذلك ، فقد عرفها ، ومن الذى أخرجها من البلد غيرنا — رضى الله عنه ، ونفع به .

وسمعته يقول : جاء والدى إلى بلدة شبام زائراً . فقال سيدى : إن والدك جاء مستودعا من تريم ، فرجع ومات بعد ذلك ، بنحو شهرين — رحمه الله — .

(الحكاية التاسعة عشرة بعد المائة)

أخبرنى قال : ارتقيت نخلة ، أجتنى منها شيئاً ، وكانت طويلة ، فسقطت منها . فقلت عند ذلك : يا عبد الله بن علوى يا حداد القلوب . فوصلت إلى الأرض ، كأن أحدا حملنى ، ووضعنى بلطف فى الأرض ، ولم يصبنى شىء ، لا من شوك النخل ، ولا من الأرض ، ببركة استغاثتى به — رضى الله عنه ، ونفع به — .

وسمعت أن بعض المتعلقين بسيدى كان له ابن ، فسقط فى بئر ، فاستغاث بسيدى ، وهتف به . فأحس كأن أحداً تلقاه من الهواء واحتمله ، ووضعه بمكان مرتفع من البئر ، ببركته .

(الحكاية العشرون بعد المائة)

حكى لى بعضهم قال : جئت زائراً إلى تريم ، فطلبنى بعض السادة للعشاء عنده ، تلك الليلة . فوعدته ثم جئت إلى سيدى . فقال لى : إن عشاءك الليلة عندنا . فلم أتجاسر من هيبته أن أراجعه ، ورجعت إلى ذلك السيد ، فأعلمته وطلبت منه العذر من العشاء ، لأخرج عند سيدى . فأبى السيد ، فرجعت إلى

سيدى ، وصالحته . وهممت أن أقول له بوعدى لذلك السيد . فابتدأنى قبل أن أتكلم . وقال : ماذا قال لك فلان ، وكاشفنى بما جرى لى ، وعذرنى من العشاء عنده .

(الحكاية الحادية والعشرون بعد المائة)

أخبرنى الشيخ الجليل عمر بن عبد القادر العمودى ، أحد خواص سيدنا عبد الله ، أنه قال : رأيت فى المنام كأنى جئت مع شيخنا عبد الله ـ نفع الله به ـ إلى قبر الشيخ سعيد بن عيسى العمودى . وكان الشيخ سعيد ، خرج من قبره . وقال لسيدى : إنك أعطيت مقام ، أو حال أويس القرنى . وبقى يكلمه بكلام ، لا أعرف غير هذه الكلمة فقط .

وأخبرنى بعض السادة قال : رأيت بعد موت سيدى عبد الله بأيام ، كأنى خرجت زائرا تربة تريم ، فرأيت جماعة حاملين نعشا ، عند قبر سيدنا الفقيه المقدم ، ومضوا إلى قبر سيدنا الحبيب ، ووضعوا النعش عنده ، وكأنهم أرادوا نبشه ، وحمله فى ذلك النعش . فلما حفروا وقاربوا الوصول ، إذ بأرياح المسك ، تتصاعد من قبره ، بحيث عطرت ذلك المكان ، وأنا مبهوت . ولم أدر أين صار أولئك النفر .

وقال السيد عقيل : كنت أزور قبر سيدى يوما ، فرأيت يقظة ، خيطا من نور ، متصلا بقبره ، وصاعدا نحو السماء ـ رضى الله عنه .

(الحكاية الثانية والعشرون بعد المائة)

أخبرنى من كان يحجم سيدى عبد الله . قال : توفى والدى ، فطلبنى سيدى أن أحجمه كوالدى ، بعد موته بأيام ، فبت تلك الليلة ، وأنا فزع مرتاب ؛ لأنى

ما قد حجمت سيدى قط . فلما نمت رأيت والدى ، كأنه يقول لى : أردت أن تحجم سيدى غدا ؟ قلت : نعم . قال : إذا خرجت إليه فقل له : يقول والدى : أريدك أن تنفث فى يدى ، لأجل البركة ، ولأقوى على صنعة الحجامة ، وغير ذلك. فخرجت ولم أتجاسر أن أعلمه بالرؤيا التى رأيت . فلما أردت الاستيداع منه. قال لى : هلا أعلمتنا بالرؤيا التى رأيت البارحة ؟ فقصصتها عليه ـ نفع الله به .

(الحكاية الثالثة والعشرون بعد المائة)

أخبرنى السيد عقيل قال : أخبرنى بعض السادة . قال : رأيت كأن السيد الصالح المجذوب محمد بن عبد الرحمن مقيبل باعلوى ، مات . وكان سيدنا الشيخ عمر المحضار ، وسيدنا عبد الله العيدروس ، تنازعا فى أن يقبر عند كل واحد منهما . وكان سيدنا عبد الله الحداد ، جاء وحكم بينهما ، بأن السيد محمد يقبر بينهما .

قال : فلما استيقظت سألت عن قبر هذا السيد ، فلقيته بين قبر الشيخ عمر والعيدروس على السواء ، ولم يكن لى علم بقبره ، قبل الرؤيا . وقصصتها على سيدى عبد الله ـ نفع الله به ـ فقال : هذه الرؤيا لنا ليست لك . وكان السيد المذكور من أهل الفضل والنور ، وكان آخذاً عن السيد العارف عبد الرحمن ابن شيخ عيديد ، هو وسيدى عبد الله معا . أخبرنى بذلك السيد الصالح سالم ابن عبد الرحمن عيديد المذكور .

وروى أن هذا السيد قال لسيدى عبد الله يوما : متى بلغت هذا المقام ، أو هذه الرتبة فقال سيدى : إنما هى مواهب ـ رضى الله عنه ـ ويقال : إن هذا السيد رأى الشيخ عبد الله العيدروس ، وكأنه يقول له : إذا حزبك أمر ، أو قال

أصابتك حاجة ، فعليك بالسيد حسن الجفرى الذى قدمنا عنه النقل ، فى الحكاية الرابعة عشرة بعد المائة ، وكان من فضلاء السادة . وقد ذكرناه ، فى غير موضع ، من هذا المؤلف .

❊❊❊❊

(الحكاية الرابعة والعشرون بعد المائة)

حدثنى السيد محمد بن عبد الرحمن بن فقيه ابن الشيخ على بن أبى بكر . قال : قال لى سيدى عبد الله : إن والدك كان كرامة لنا . وذلك أن جدك السيد محمد كان السبب فى اجتماعنا بالسيد العارف : عبد الرحمن بن شيخ عيديد ، فكنا ذات يوم عنده . فقلنا له : نريد أن نقرأ الفاتحة ، على نية حصول ولد للسيد محمد ، فقرأناها نحن والسيد . فحملت جدتك بوالدك حينئذ .

وأخبرنى بعض الثقات قال : شكوت إلى سيدى أنه لم يأتنى إلا بنات ، ولم يأتنى ذكر . فقال لى : سوف يأتيك الولد — إن شاء الله — ثم جاء الولد ، بعد مدة طويلة ، من وعد سيدى له — رضى الله عنه .

❊❊❊❊

(الحكاية الخامسة والعشرون بعد المائة)

أخبرنى السيد الأفضل شيخان بن عبد الرحمن ابن السيد عمر العطاس . قال : جئت زائراً تريم . فجئت إلى سيدى ، فسألنى : هل جاءك أحد من الولد ؟ فقلت : لا يا سيدى ، خاطرك بذلك . فقال : كرامة منا بكرامة منك : منا الولد ، ومنك إذا وصلت إلى حذاء قبر جدك السيد عمر ، أن تقرأ الفاتحة ، وعلى نيتنا . ففعلت ذلك ، لما وصلت إلى قبر جدى . قرأت الفاتحة ، وحملت أهلى ، وجاءت بولد ذكر .

وأخبرنى بعض الثقات قال : جاءنى أولاد كثير وماتوا ، وبقيت بلا ولد . فجئت إلى سيدى وقلت له : إن زوجتى منذ سبع سنين ، لم تحمل بعد . فقال لى : امض إلى السيد أحمد بن عمر الهندوان ، وقل له : يقول السيد عبد الله : اقرأ الفاتحة ، بنية حصول ولد لى ، ويكون مباركا . فجئته فوجدته بمسجد سرجيس المعروف . فقلت له ما قال لى سيدى . فقرأ الفاتحة ، وانصرفت إلى بلدى . فحملت المرأة ، حال وصولى ، وولدت لى ابنا . وصار هذا الابن مباركا ، بارا بأبيه . وكان أبوه هذا من الصالحين المنفردين ، صاحب عبادة ونسك وطهارة ، وقوة تعلق بسيدى من صغره . وله به عناية . وكان سيدى يباسطه ، لأنه كان سليم الخاطر جدا . توفى سنة تسع وثلاثين وألف — رحمه الله .

الحكاية السادسة والعشرون بعد المائة

حدثنى بعضهم ، قال : تزوجت سنة من السنين ، ببندر الشحر ، بإشارة سيدى : فلبثت خمس سنين ، ولم تحمل الزوجة . فشكوت إليه عدم الحمل . فقال — إن شاء الله — يأتيك الأولاد . فحملت بعد ذلك ، وولدت لى ذكورا وإناثا . وكانت لى زوجة أخرى ، كلما ولدت لى ولدا مات فقلت له ذلك ، فقال : الذى يأتيك من الولد ، بعد اليوم ، سمه كذا . فولد لى ابن ، فسميته كما أمرنى فعاش . قلت : والولد الآن تحته أولاد .

وذكر باشراحيل : أن بعض الناس طلب من سيدى أن يرزقه الله ولداً ذكراً ، فرزقه الله تعالى ، كما أحب ، ببركة سيدى — رضى الله عنه .

(الحكاية السابعة والعشرون بعد المائة)

أخبرنى سيدى الإمام العارف أحمد بن زين الحبشى ـ نفع الله به ـ قال : سافرت سنة من السنين ، لزيارة شيخى عبد الله ـ رضى الله عنه ـ أنا وولدى على فلما أردنا المسير استودعنا منه ، فأمسك عليا ، وأمر إليه : أن قل لوالدتك : المولود الذى بعده سموه جعفر فجاء وأخبر أهله بذلك ، ثم توفى بعد ذلك ، فحصل عليهم من الحزن عليه ما لا يوصف ، وما كان لهم سلوة عن ذلك إلا رجاء حصول المولود الذى به بشر سيدى ، وأرسل إلى سيدى عزاء ، ومعه قصيدته :

يا حمد الله ييسر كل ما قد تعسر   ربنا الله سبحانه له البحر والبر

وقد أشرنا إلى ذلك فى الفوائد ، وفى خاتمة الباب الخامس ، ثم إنه ولد ـ أعنى جعفر الصادق ـ كما وعد به سيدى ـ رضى الله عنه ، ونفع الله به .

قلت : وجعفر الصادق المشار إليه ، المبشر به هو أصغر أولاد سيدى أحمد سنا ، تربى فى حجر والده وتحت كريم نظره ، وله به العناية التامة . أتم الله له ذلك وبلغه سؤله ومأموله ، وقد ظهرت به البشارة ، وتمت فيه الإشارة عند الخاص والعام . فالحمد لله رب العالمين .

وأخبرنى بعض الثقات قال : تزوجت فلم تحمل زوجتى أربع سنين ، فالتجأت فى ذلك إلى سيدى ـ نفع الله به ـ قال لى : يأتيك الأولاد ـ إن شاء الله ـ وأعطانى فنجاناً من القهوة . وقال : اشرب هذا فشربته . فحملت زوجتى ، وولدت لى ثلاثة أولاد وبنتاً .

(الحكاية الثامنة والعشرون بعد المائة)

أخبرنى الشيخ عمر بن عبد القادر العمودى أحد خواص الأصحاب ، وهو المقدم ذكره فى الحكاية الحادية والعشرين بعد المائة . وهو من أخص تلامذة مولانا عبد الله المتحكمين له ، الملقين قيادهم إليه ، عظيم الاعتقاد فيه ، من حين صغره وهو ملازم عتبته ، مستوطن مدينة تريم . وإذا جاء إلى شيخه ، يمكث عنده المدة المديدة ، والأيام العديدة .

وكان صاحب مجاهدات وعبادات من القيام والصيام، وغير ذلك من وظائف الدين ، ليس له شغل إلا ذلك ولا تدبير إلا فيما هنالك . قد عكف نفسه على الطاعة وصارت له صناعة وبضاعة . أتم الله له ذلك ، وأعانه عليه . وأكثر فى الناس من أمثاله . اللهم آمين .

قال: زرت سنة من السنين ، سيدى وشيخى : عبد الله الحداد ، أنا ووالدتى فقالت له : خاطرك مع ابنى هذا ، عسى أن يحصل له أولاد ، إنه ليس معه أولاد . فقال لها أتريدين ذلك ؟ قالت : نعم . قال : يأتيه — إن شاء الله — ابنان وبنت .

قال الراوى : نخطر لى أن أسمى الأول عبد الرحمن . وكاشفنى فى الحال ، وقال : سم الأول من الولدين : عبد الرحمن ، والثانى : عبد القادر ، والبنت : خديجة . فحصل لى الولدان والبنت ، فسميتهم كما أمرنى سيدى — رضى الله عنه ونفع به ، وبسائر الصالحين . .

وأخبرنى بعض الثقات عن بعض المتعلقين بسيدى الحبيب : عبد الله . قال : ولدت لى بنت ، فكتبت إلى سيدى من أجل أن أريد التسمية لها من عنده ،

فأجابني : سمها باسم كذا ، وسم الأخرى باسم كذا ، حتى عدّ لى خمساً . فولدت بعدها الثانية والثالثة والرابعة والخامسة ، كما قال ـ رضى الله عنه .

وأخبرنى بعض فقراء سيدى . قال : سألنى سيدى : هل لحق لك أحد من الولد ؟ قلت : لا يا سيدى . قال : يكون ذلك ليلة الجمعة ، فواقعت أهلى تلك الليلة فحملت من ليلتها ، فولدت بنتاً . فلما وضعت ، جئت لأعلم سيدى ، قبل أن يطلع على ذلك أحد . قال لى ابتداء ولدت لك بنت ؟ فقلت نعم . فهنأنى .

●●●●

(الحكاية التاسعة والعشرون بعد المائة)

حدثنى السيد عقيل . قال : هممت بالمسير إلى الحج . فقلت لسيدى الشيخ عبد الله : إنى مسافر ، وأحسب أن مع أهلى حملا . وكانت لى إذ ذاك امرأتان : إحداها ابنة بنت أخى سيدى الشيخ عبد الله عمر بن علوى الحداد . فلما قلت لسيدى ذلك قال لى : الحمل الحمل ، مع ابنتنا . فقلت : أظنه مع الأخرى . فسكت ولم يجبنى فتعجبت من سكوته ، ثم قال : يأتيك ولد سمه عيدروس .

قال : فسافرت إلى الحج . فلما رجعت دخلت على أهلى الذى أنا متوهم أن الحمل عندهم . فقلت : ما حدث لى من الولد ؟ قالوا : لا شىء ، ولم يبن الحمل إلا عند الأخرى ـ أعنى ابنة أخى سيدى ـ كما فهم من سكوته ـ بعد أن قال : ابنتنا قال : فولدت ابناً سموه عيدروسا .

وكانت هذه المرأة . مات أبوها ، وهى صغيرة . وكان أبوها ابن عم لى . فقال لى سيدى : اكفلها . فقلت : إنها يتيمة ، ولا حاجة لى فيها . فقال : بلى اكفلها ، فسوف تكون زوجتك .

فعجبت من قوله ، لاستبعادى له ، ثم نسيت ما قال لى . فلما كبرت

تزوجت بها ، وصارت أم أولادى . وقد قال لى : تزوج بها ، نريد لك الذرية من تحتها .

(الحكاية الثلاثون بعد المائة)

أخبرنى بعض الثقات . قال : كف بصرى ، فجئت إلى سيدى وشكوت إليه ذلك . فقال لى : وما تريد منا ؟ قلت ترد علىّ بصرى . قال له : يأتيك ثلاثة أولاد و إلا ولدان بدل عينيك . فجاءه ثلاثة من الولد . حدثنى بهذه الواقعة وأولاده إلى جانبه .

وأخبرنى بعض السادة قال: أخبرنى والدى مراراً : أنه لما حملت بى والدتى جاء والدى إلى عند سيدى عبد الله . فأخبره فناوله سواكا ، وقال لى : هاك هذا السواك وسم المولود محمد ـ قال : فولدتنى ، واسم هذا الذى أخبرنى محمد ـ كما أشار سيدى .

(الحكاية الحادية والثلاثون بعد المائة)

أخبرنى بعض الثقات ، قال : كنت مرة ، أمشى خلف سيدى ، وهو على فرسه . فلما كنا أثناء الطريق ، التفت إلىّ . وقال لى : اقرأ السلام على السيد فلان.وقل له : يأتيك ولد سمه حسينا ، هو السيد حسين بن عبد الله العيدروس ، صاحب ثبى ، من أعمال تريم . قال : فمضيت إلى السيد ، وأعلمته بما قال لى . فبهت من ذلك . قال : فلما كان بعد مضى أربعة أشهر ، ظهر أن هذا السيد تزوج مخفيا أمره . وذلك عند قول سيدى : أو قبله أو بعده بقليل ، ولم يعلم بذلك أحد . فولدت ولدا ـ كما ذكر سيدى وأراد ـ اسمه حسين .

وقال بعض أهله : لا نريد تسميته إلا علويا . فتنازعوا فى ذلك ، فاقترعوا فى ذلك ، فخرجت القرعة على اسم حسين ، ثم أقرعوا ثانياً ، فخرج كذلك . فعند ذلك لم يختلفوا فى ذلك ، وسموه به . وهو ذا يعيش ـ رضى الله عنه ـ سيدى وأرضاه ، ونفعنا به . آمين . وسمعت أن هذا الرجل كان قد رأى سيدى ، فى بيته ، قبل هذه البشارة . وظننت أن ذلك حال علوق الولد ، أو قريبا من ذلك . والله أعلم .

(الحكاية الثانية والثلاثون بعد المائة)

وأخبرنى سيدى ووالدى ـ رحمه الله ـ قال : أخبرنى السيد الجليل شيخ ابن السيد الأكمل الحسن بن علوى الجفرى علوى ، قال : لما تزوج سيدنا الإمام الهمام ، الشيخ عبد الله بن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ بأختى ، ونحن ببيتنا الذى حول مسجد الشيخ عبد الله بن أبى بكر العيدروس ، من جهة الشمال . فكنت كثيرا ما أخرج معه ، أقوده فى الطريق ، لزيارة تربة تريم ، من البيت المذكور ، ويكون عبورنا فى السوق الذى يباع فيه اللحم والحطب . ففى بعض الأيام ، يقبل الناس عليه من بعيد ، ويكبون عليه إكبابا عظيما ، ويتركون ما هم فيه ، بحيث لا يمكنه العبور إلا بمشقة ، من كثرة ازدحام الناس عليه .

قال : وفى بعض الأيام نمر فى هذا السوق ، ولا يقوم أحد من مكانه ، فكأنهم لم يشعروا به ، فأعرف عند ذلك ، أنه باختياره وتصريفه ـ رحمه الله ، ورضى عنه ، وأرضاه ، ونفع به . وكان الشيخ هذا سيدا فاضلا ، عابداً سالكا ، ناسكا زاهدا ، ورعا تقيا ، شريفا عفيفا نقيا ، صحب سيدنا ومولانا عبد الله ، من حين صباه إلى أن توفاه الله إلى رحمته . وكانت وفاته قبل وفاة سيدنا ، بزمن طويل ، وهو صادر من الحج ـ رحمه الله ، ونفع به .

(الحكاية الثالثة والثلاثون بعد المائة)

أخبرنى بعض المباركين ، وكان وزّاقا ، كتب لسيدى ولغيره ، من الكتب النافعة ، مالا يحصى : ومن مؤلفات سيدى العدد الكثير . قال : وأما ديوان سيدى المنظوم ، فنحو من أربعين نسخة .

قال : كنت مرة أسير فى سوق تريم ، فلقينى بعض الشعراء العوام ، من أهل تريم . قال لى : تعال أريدك أن تستملى منى قصيدة مديحة ، فى سيدنا الشيخ عبد الله . قال : تنحيت أنا وإياه ناحية وأملاها علىّ فكتبتها فقال لى : اعرضها على سيدى . قال : فأخذتها ، وجئت بها إلى سيدى ، وعرضتها عليه وقلت له : هذه مديحة لكم . من فلان الشاعر . فقال : اقرأها علىّ فقرأتها عليه . فلما سمعها قال لى : قف هنا . ودخل البيت ، ثم خرج لى بنصف قرش فضة . وقال لى : أعطه إياه ـ يعنى الشاعر ـ فرجعت وسألت عنه ، فلقيته وأعطيته النصف القرش ، الذى أعطانى سيدى . ففرح بذلك فرحا شديداً ، وسره ذلك سروراً كثيراً ، حيث ارتضى ذلك منه سيدى ـ نفع الله به ـ ليس بما أعطاه فقط . ثم إنه سافر إلى بلده ، وأخذ بها مدة مديدة ، ثم وجدته بتريم يوما ، وهو يبكى . فقلت له : ما الذى بدا لك ؟ قال : منذ أعطيتنى النصف القرش من سيدى ، لم أنطق ببيت من الشعر ، ولم أقدر على شىء من ذلك أبداً ، ولم أدر ما السبب . وما ذاك إلا أن سيدى سلبنى ذلك . وكيف السبيل والحيلة ، وأنا معيشتى وأولادى من الشعر ، من حيث إنه يمتدح أناسا ، ويعطونه على ذلك شيئاً ! وكذلك يحسن إليه العوام ، إذا سمعوا منه شعره ، لميلهم إلى ذلك بطباعهم . فقلت له : الحيلة أن تخرج إلى سيدى ، وتكب على قدميه ، وتعتذر إليه . قال : فخرج وأكب على قدمه ، واعتذر إليه . فقال له ـ نفع الله به ـ : إنكم

تتكلمون فى أشعاركم بأشياء من الفحش والخنا . فإن تبت من ذلك ، رددنا إليك شعرك . فقال : تبت إليك من ذلك . وما أنا إلا رجل معيشتى من الشعر . قال : فقمت من عنده ، ونطق لسانى كما كنت من ساعتى . قلت : وكان من عادة سيدى ـ نفع الله به ـ إذا مدح بقصيدة ونحوها ، لا ينكر ذلك . ويقول : إنما ذلك مدح لرسول الله ﷺ ويترك المادح ونيته ، خصوصا الصادقين ، وربما أجاز وأعطى على المديح ، كرم نفس ومروءة ، كما كان سلفه الكرام ، من أهل البيت المعظم ، كالحسنين . وزين العابدين وغيرهم .

(الحكاية الرابعة والثلاثون بعد المائة)

أخبرنى بعض السادة من آل أبى علوى ، عن بعضهم قال: خرجت من أرض الهند ، ومعى أمانة لسيدنا ومولانا وشيخنا : عبد الله بن علوى الحداد من بعض أهل الهند . فلما قربت من الوصول إلى بندر الشحر ، تردد فى خاطرى : كيف يكون الحال من شأن الدولة ، وتفتيشهم الأموال ؟ وخشيت أن يعثروا كيس سيدى الذى معى ، واهتممت لذلك هما شديداً . فلما أخرجوا حوائجى ، فتشوها جميعاً ، لم يروا كيس سيدى ، ولم يقعوا عليه أبداً ، بل وأنا لم أره حال تفتيشهم . وظننت أنه سرق ، فصحت بهم ، وأخبرتهم به . فعادوا وفتشوا ، فلم يجدوه ثانياً أيضاً ، حتى أيسنا منه . ووقع لنا أنه ضاع . فلما انصرفوا أردت أن أضم بعض الحوائج إذاً بأول شىء طلع علىّ الكيس . فعجبت وحرت فى الأمر ، حيث غاب عنا ، ثم ظهر وعرفت أنه تصريف من مولاه ، أن منعه عن أعينهم ، وأن تقع أيديهم عليه فيمتهن ، وتنزيها لخاطرى ، من توهم وقوع ذلك ـ رضى الله عنه .

(الحكاية الخامسة والثلاثون بعد المائة)

أخبرنى بعض فقراء سيدى ـ نفع الله به ـ قال : هممت بالمسير إلى الحج . فكتب لى سيدى كتابا إلى بندر الشحر ، إلى بعض النواخيد من السادة ، ممن يعرفه أن يطلعنى مركبه ، ويقوم لى بما أحتاجه . فسافرت إلى الشحر ، فوجدت سفينة قد تحصلت للمسير ، قبل قدومى بيومين ، إلى بندر جدة . فحصل بين أهل تلك السفينة مشاجرة ونزاع ، فى أمر . فأوجب ذلك تخليف السفر . فلما ناولت السيد صاحب السفينة الكتاب الذى معى له من سيدى . قال : أنا أعرف إنما حبس سفينتى سيدى ، ليركب خادمه فيها فأطلعنى فيها . فانقطع النزاع الذى بينهم فى الحال ، وسافروا على بركة الله ، وقاموا بى أتم قيام ، ولم يأخذ منى من المال قليلا ولا كثيرا . وكم رأيت من كراماته ، وخوارق عاداته ما لا أحصيه ـ نفع الله به .

(الحكاية السادسة والثلاثون بعد المائة)

أخبرنى بعض السادة المباركين . قال : نظم سيدنا ومولانا الشيخ عبد الله عينيته المشهورة التى أولها : يا سائلى عن عبرتى ومدامعى إلخ . حفظت صدرها وأمررت على عينى بقيتها ، من غير حفظ عن ظهر قلب . فجئت إلى حضرته ، فأمرنى بالإنشاد ، فأنشدت بالذى أحفظه منها . فلما انتهيت إلى الذى أحفظه منها قال لى سيدى أتمم بقيتها . فقلت : يا سيدى إنى لا أحفظ زيادة على ما أنشدته من أولها . فقال : بلى أنشده . فامتثلت ذلك ، وأنشدت بقيتها ، واستمررت فى الإنشاد بها إلى آخرها ، ولم أقف فى كلمة ، حتى أتيت إلى آخرها ، وأنا متعجب غاية العجب ، حيث لم يتقدم لى فيها حفظ عن ظهر قلب . وكان عددها مائة ونيفا

وأربعين بيتا . فعرفت أن ذلك من تصريفه، ثم إني بعد ذلك لم أقدر على إمرار شيء منها حفظاً إلا بعد التعب في التنبيب والحفظ .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يعجبه إنشاد هذا الرجل جدا . ويقول له : إنك بإنشادك تحرك القلوب المؤمنة. وهو الذي قال له : احفظ من كلامنا ، فإنك إذا مت أتاك أهل البرزخ، واستنشدوك كلامنا . وقد ذكرنا ذلك في حكاية سابقة.

(الحكاية السابعة والثلاثون بعد المائة)

حدثني بعض المنتسبين إلى سيدنا الإمام الشيخ عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال : انحدرت إلى تريم ، فاستشرت سيدي في تزوج امرأة ، من أهل بلدي ، من قرابتي وقلت له : إني متخوف أن يردوني ، ولا يقبلوني . وإذا قبلوني فربما يتعددون علي ، ويثقلون فيما يريدونه مني ، ولا طاقـة لي بذلك . فقال لي : رح واخطب عندهم ، وهم يقبلونك ، ولا يثقلون عليك .

قال : فسرت إلى بلدي ، وأنا مستبعد جداً قبولهم . فلما جئت لولي المرأة والمتولي أمرها قبلني في أول خطابة ، ولم يستثن . ثم إنه سهل علي الأمر جداً ، ولم يطلب مني إلا شيئاً يسيرا ، كما قال سيدي. قال : فتزوجتها . فحملت . فجئت إلى سيدي ، وأخبرته بالحمل . وقلت : خاطركم مع الحمل . ووددت أن يقول لي : إنه ولد ذكر . فقال لي : تلد لك المرأة بنتا عمياء فخجلت عند ذلك . فوضعت المرأة بنتا ، وأخذت أياما وعميت . ثم إن المرأة لحقت لي سبعة أولاد . فضاق علي بعد ذلك أمر المعاش ، فشكوت إلى سيدي من ذلك . فقلت له : إنا في البيت سبعة أولادي وأنا وأمهم . فقال لي سيدي : هل قد أصابهم الجدري ؟ قلت : لا ياسيدي قال : يكفيهم الجـدري . قال : فسرت إلى بلدي ، فوجدت الجدري قد استباح في بلدي. فمات من أولادي خمسة ، ولم يمت من أهل بلدي

ومن بيت واحد منهم . ولم يبق إلا اثنـــان . والجدرى : هو القطيب ، بلغة أهل حضرموت .

(الحكاية الثامنة والثلاثون بعد المائة)

أخبرنى والدى قال : هممت على المسير إلى الحج ، سنة من السنين ، فأبت علىّ والدتى من المسير ، لكون أخ لى مات تلك السنة حاجا . فعالجتها العلاج الشديد فى ذلك وأبت . والسبب أنها تخوفت على ما جرى على أخى ، كما هى عادة النساء . فخرجت إلى عند سيدى وشيخى عبد الله ـ رضى الله عنـــه ـ وأخبرته الخبر فقال لى : لعلها تخوفت عليك ما جرى على أخيك . فقلت : نعم . وكيف الحيلة ؟ فسكت قليلا ، ثم قال : ارجع إليها ، واقرأ عليها منا السلام . وقل لها : يقول فلان : اذنى لى فى المسير ، والسلامة تحصل . ونحن متمنون معك . فرجعت إليها ، وقلت لها : ما أمرنى سيدى ، فأجابت ولم تخالف ، ولم تراجع أبداً بعد أن عالجتها العلاج الشديد الطويل ، قبل خروجى إلى سيدى ، فلم تسمح أبداً . فعرفت أن ذلك تصريف منه .

وكانت والدته هذه من الصالحات . رأت قبل موتها أنها ماتت ، ولما وضعت فى اللحد ، وجاءها الملكان جاء شخص ودفعهما عنها ، وحال بينهما وبينها ، ثم ماتت بعد أن أخبرته وأخبرنى هو ـ رحمهما الله ـ آمين آمين .

(الحكاية التاسعة والثلاثون بعد المائة)

أخبرنى أيضاً قال : كنت إلى جانب سيدى وشيخى الإمام عبـــد الله ابن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ الأيسر ، فى صـــلاة الجمعة ، كما هى عادتى من زمان ، وذلك بالتزام أمر منه ؛ لأن جـــدى لأمى السيد الفاضل زين بن محمد

باحسن الحديلي أحد أصحاب سيدنا المتوفى ببندر المخا سنة ١٠٧٣ . كان يصلي لجانبه الأيسر .

فلما مات كان يصلي إلى جانبه السيد الفاضل محمد بن عمر باحسن . فلما مات قال لي سيدي : صل هنا مكان جدك . وهـــذه له من المفاخر ، هنيئاً له ذلك . قال : فرأيت على عمامة سيـــدي ـ نفع الله به ـ ذبابا ميتا ، فهممت بتنحيته وإزالته عن العمامة ، فمنعني من ذلك الأدب معه . وقد قال الإمام حجة الإسلام الغزالي بطهارة ميتته ، وكل ما ليس له نفس سائلة . وذلك مصرح به في إحياء علوم الدين ، في كتاب الحلال والحرام منه . وكذا في كتاب الطهارة قال : فامتنعت وقلت : الأدب أحسن ، فانقضت الجمعة .

فلما كانت الجمعـــة الأخرى ، إذا ذلك الذباب بحاله على العمامة . فهممت بإزالته كالأولى ، فمنعتني الهيبة والأدب معه ، فتركته حتى كانت الجمعة الثالثة كذلك رأيته . فعزمت على تنحيته ، وقلت: ليس قصدي إلا إزالة القذر . ولعل ذلك ليس منافيا للأدب . فمددت يدي لأزيله ، فطار حيا ، وأنا أنظر ، ولم تصل يدي إلى العمامة فتحيرت في الأمر ، وعرفت أن ذلك من الكرامات العظيمة له ـ نفع الله به ـ حيث قد تحققت كون الذباب ميتا ، في ثلاث جمع من غير شك مني في ذلك .

❁❁❁❁

(الحكاية الأربعون بعد المائة)

أخبرني بعض فقرائه الصادقين قال : كنت عنـــد سيدي وشيخي الأستاذ عبد الله ـ رضي الله عنه ـ إذ جاءه رجل وشكا إليه ضعف شهوته للنساء أو عدمها واستغاث به في حصول ذلك . فقال له سيدي : أتريد أن نجعل فيك ما ليس عندك . فقال له : أنت أبصر .

قال الراوى : فقلت له : ياسيدى إن عندى من الميل إلى النساء شيئا كثيرا أريد أن تخففوا عنى ، وقطوا هذا الرجل . فقال : وأنت راض بذلك ؟ فقلت : نعم . فقال للرجل : اعزم إلى بلدك ، ويقع لك مطلوبك . قال : فعزم الرجل ، وحصل له مطلوبه . وأما أنا فسلبت شهوة النساء عنى بالكلية ، ولم يبق لى إليهن ميل . فشكوت إلى سيدى من ذلك . فرد الله علىّ ذلك ببركته بلد — نفع الله به .

٥٥٥٥

(الحكاية الحادية والأربعون بعد المائة)

أخبرنى هذا الفقير بعينه . قال : كنت أتجر من بلدى إلى تريم ، فى مال كثير . ومن عادتى أن أقصد عند سيدى الحاوى ، قبل أن أدخل البلد . فلما كان فى بعض أسفارى ، جئت ليلا ، وقصدت البلد . وقلت : الساعة لا أجد سيدى ، ولم أقصده . فلما كان الصباح ، خرجت من البلد إلى مكان سيدى — نفع الله به — وقدس سره . ولما وصلت إليه وصافحته قال لى : متى وصلت من بلدك ؟

قلت : البارحة .

قال : وأين قصدت ؟

قلت : البلد .

قال : ولم لا قصدتنا قبل البلاد — كما هى عادتك ؟

قلت : جئت ليلا ، فما أمكننى . وأيضاً قلت : إنى لا أجدك تلك الساعة .

قال : وإن كان بالليل ، وإن لم تجدنا تلك الساعة وغضب علىّ . وقال : أيما أحب إليك الفقر أو المرض ؟

قلت : لا أقدر على شىء منهما .

قال : لا بد . اختر أحدهما .

فقلت : إذا كان ولا بد يكون الفقر . وأما المرض فلا طاقة لي به ، ولا أقوى عليه ، وأما الفقر فهيّن عليّ إذا كنت أنا فقيرك .

قال : فطلعت إلى البلد ، وكان لي أصحاب . ومن عادتي إذا جئت ببضاعة يتلقونني ويشترون ما كان معي ، من ساعتي ؛ هـذا ديدنهم ، فلم يأتني في ذلك اليوم منهم أحد ، وبقي ما كان معي إلى نحو عشرة أيام ، خلاف عادتي ، ولم يبايعني أحد . فخرجت إلى سيدي وشكوت إليه ما كان . وقلت : قصدي أن يباع ما كان معي ، ثم إنها تلاشت أموالي مع كثرتها ، وتضاعفت في أوقات متقاربة . وما مضت لي سنة إلا وأنا أحتاج إلى الشيء اليسير ، فلا أقدر عليه ، حتى صار هذا الفقير إلى حد السؤال ، وهو على حالة مرضية .

وكانت له قوة وصبر على العبادة ، سيما قيام الليل . وكان سريع الدمعة جداً ، ملازماً لدروس سيدي ، لا يكاد يترك منهـا شيئاً ، حتى مات بعد سيدي ـ رحمه الله ـ بتريم .

قلت : ربما يستثقل بعض الناس صدور مثل هذه الواقعة من سيدي ـ نفع الله به ـ ولم يتسع قلبه لقبولها وتسليمها ، لقصور فهمه ، من حيث إنه لا يرى وجهاً لتعويل سيدي على قصده قبل الناس ومشاورته في الأمور والاستيداع منه عند السفر ، وغير ذلك ، مما شابه ذلك .

وقد سألت سيدي العارف أحمد بن زين الحبشي عن معنى ذلك فقال : إنه ـ نفع الله به ـ كان قد كشف الله له عن حاله ومقامه من صغره ، وأن لا أرفع قدراً معه . فلزمه عند ذلك القيام ، بحفظ الرتبة التي أقيم فيهـا ، بأمر الله تعالى ، والغيرة لها ، والغضب على من انتهك حرمتها ، واللوم على التقصير عن القيام بحقها

قياماً بحق الله ، وغيرة على دين الله ، وليس إليه من الأمر شيء ، بل هو خارج من البين ـ رضى الله عنه ، ونفعنا به ، ونستغفر الله ، ونتوب إليه .

(الحكاية الثانية والأربعون بعد المائة)

حدثنى السيد عقيل قال : لما خرجت من أرض الهند إلى اليمن ، وأردت المسير إلى الحج من اليمن ، قبل أن أخرج إلى حضرموت ، فاتفق أن والدتى بتريم جاءت إلى سيدى وقالت : إن ابنى قد أبطأ بأرض الهند ، والآن هو يريد الحج ، ولا صبر لى عنه ، أريدك أن تصرفه إلى الخروج إلى حضرموت .

فقال لها : يخرج ـ إن شاء الله تعالى ـ فرجعت وسكنت نفسها وأنا حصل معى انزعاج للخروج ، الله به عليم .

وانصرفت همتى عن الحج تلك السنة ، ولم أدر ما السبب فى الانزعاج ، حتى خرجت ووصلت إلى تريم ، علمت أن سببه إلحاح والدتى على سيدى أن يصرف قلبى للخروج . فلما جلست مع سيدى ـ نفع الله به ـ أول مجلس قال لى : ليهنك الحج الأكبر .

فقلت : أنتم حجى ومعتمرى . فقال لى : احتفظ بالشريعة يا عقيل لا تغلبك الحقيقة ـ رضى الله عنه .

ورأيت بخط السيد الجليل أحمد بن العيدروس صاحب الوهط . قال : حدثنى بعض الثقات أن سيدى عبد الله قال يوماً وأنا غائب ، ومرادى السفر إلى أرض الهند ، وليس لى همة إلى غيرها قال : إن السيد أحمد صاحب الوهط يريد السفر إلى أرض الهند ، وما نريده يسافر إلا إلى الحبشة ، عسى الله أن يصرف همته إليها .

قال : وأنا انصرفت همتي عن الهند إلى الحبشة ، ولم أطلع على كلامه . وسافرت إليها كما أشار ـ نفع الله به .

وكان السيد أحمد هذا سيداً جليلا ، شريفاً عفيفاً ، نبيلا فضيلا ، صاحب ورع وتقوى ، وزهادة وعبادة ، ومثابرة على طلب العلم النافع ، وتحصيل الكتب بيده وبالأجرة ، كبير الاعتقاد ، عظيم الاحترام ، كثير الثناء عليه ، انقطع إليه وعكف نفسه بين يديه ، وكان سيدنا عبد الله يحبه ، ويثني عليه ، ويكرمه في المجالس. قرأ على مولانا كتباً كثيرة ؛ منها إحياء علوم الدين، بلغ فيه إلى كتاب التوبة الأول من ربع المنجيات ، فأكمله السيد الفاضل جعفر بن حسين مشيخ باعلوى ، وكان ختنه على ابنته .

وكان أيضا ممن صحب سيدنا ، وأخذ عنه ، وتلمذ له . وكان سيداً ماجداً صالحاً عابداً ، وكان عظيم الاعتقاد في شيخنا عبد الله . قرأ عليه كتباً كثيرة منها ما ذكرنا ، أعني إكماله الإحياء ، من أول ربع المنجيات وغير ذلك ـ رحمه الله ـ توفي بزيلع ، وكان قد سافر إليها . امتدح سيدنا بقصيدة ، وهو هناك وتوفي السيد أحمد بتريم سنة خمس عشرة ومائة وألف .

(الحكاية الثالثة والأربعون بعد المائة)

أخبرني والدي قال : لما عزمت على المسير إلى الحج ، سنة خمس بعد مائة وألف ، بإشارة سيدي الحبيب عبد الله بن علوي الحداد قال لي : نريد أن نودعك أجرة حجة ، بنظارنا لبعض الناس إليّ ، عند السيد الفاضل إبراهيم بن أحمد الرخيلي الحراث باعلوي . وكان مجاوراً بالحرمين ، وأحسبه بالمدينة الشريفة . وقال لي سيدي : لا نريد أن يحجها إلا السيد إبراهيم ، فإن وافق هذه السنة وإلا

السنة القابلة ، ولا يحجها غيره أبداً قال : فسافرنا فدخلنا مكة ، يوم السابع من الحجة .

ووصل السيد إبراهيم من المدينة ، حال وصولى ، فأخبرته خبرى . فقال : إنى خرجت من المدينة ، وليس علىّ عهدة فى حج لأحد ، ولا تسببت فى ذلك ، وما أخرجنى إلا حال سيدى عبد الله وتصريفه ، فأعطيته أجرة الحج ، وحج تلك السنة ، ولم تكن عادة السيد هذا إلا أن يحج كل سنة للغير ، يطلبون منه ذلك لفضله ، إلا هذه السنة ، تصريفا من سيدى ـ نفع الله به ـ .

وكان هذا السيد شريفا جليلا ، من أهل الفضل ، والعلم والعمل ، والجد والاجتهاد ، جاور بالحرمين سنين عديدة ، وتزوج بهما أى الحرمين . وتوفى هناك . وكان أخوه الجليل السيد الوجيه : عبد الرحمن ، من رجال الله المجدين فى العبادة ، غاية فى الإقبال على الله وعلى طاعته ، المثابرين على الذكر والتلاوة ، والصلاة والصيام والقيام ، لم يفتر عن ذلك . وكان قد ناهز أو جاوز الثمانين ، وهو على ذلك ـ رحمه الله تعالى ، ونفعنا به ـ وأكثر أمثاله فى حيِّنا والمربع .

توفى عبد الرحمن المذكور ، فى ذى القعدة سنة ١١٤٤ فى تريم . وكان هو وأخوه ممن صحب سيدنا ، وأخذ عنه ، وحسبت أنهما قرآ عليه . وكانا يعظمانه ويحترمانه إلى الغاية ـ رحمهما الله وإيانا . آمين .

(الحكاية الرابعة والأربعون بعد المائة)

أخبرنى السيد عقيل قال : خرجت من الحرمين الشريفين سنة من السنين ، ومعى لسيدى كيس فيه حوائج له ، من الحرمين نذر . ولما وصلت إلى بندر الشحر ، ومن عادة أهل البنادر أن لا يشروا ما كان باسم سيدى قط ،

ولا يفتشوه أبداً ، فاتفق أن والى الشحر فتح كيس سيدى الذى هو مخبتى بعد أن أعلمناه أنه له فلما رأى عليه اسم سيدى مكترباً تركه ولم يأخذ منه شيئاً أبداً فحصل على الوالى بعد ذلك تب وشدة وطرد من البندر بسبب وال آخر .
واعتقدت أنا أن ذلك بسبب تقدمه وجراءته ، وعدم احترامه بتفتيشه .

قال : وأصحبنى سيدى مرة شيئاً من العنبر الأصلى ، لبعض ذويه وقرابته ، يريدنى أن أبيعه ببندر المخا ، قال : فلما وصلت به إلى المخا أرادوا أن يعشروه فقلت : إنه لسيدى عبد الله ، فتركوه احتراماً . قال : وأخرجت خيمة لسيدنا الفقيه المقدم من أرض الهند ، فأرادوا أن يعشروها . فقيل لهم : إنها للسيد عبد الله الحداد فتركوها — نفع الله به — .

❀❀❀❀

(الحكاية الخامسة والأربعون بعد المائة)

أخبرنى أيضاً قال : هممت بالسفر إلى الحج ، سنة من السنين ، فجئت مستشيراً لسيدى . وكان من عادته — إذا استشرته فى المسير إلى الحج — يستحسن ذلك منى ويستصوبه ، ويزين ذلك .

فلما كانت تلك السنة ، وهى التى توفى فيها قال لى : إن أردت المسير أو الحضور ، ولم أدر حينئذ ما الحضور ، فعزمت على المسير . فلما جئت للاستيداع منه قيل لى : إنه عند السيد الجليل زين العابدين بن مصطفى العيدروس . فمضيت إلى بيت السيد فاستأذنت عليه ، فأذن لى . وأعلمته أنى جئت للاستيداع . وقلت : الله لا يجعل ذلك آخر العهد بكم . فقال لى : إلى متى العمر ! ؟ ما بعد الثمانى والثمانين سنة عمر ! وليس الأمر إلىّ ولا إليك ، وإنما هو إلى الله — عز وجل — .

فاستودعت منه تلك السنة ، وسافرت . فتوفى فى شهر ذى القعدة من تلك السنة ، وهى سنة ١١٣٢ اثنتين وثلاثين ومائة وألف ، وأنا إذ ذاك بمكة المشرفة . وحصل عندى من الألم والتعب بمفارقته ، ما الله به عليم . وقلت فى نفسى : كيف يكون الحال إذا وصلت إلى تريم ، ورأيت قبره ، وأنّى لى أن أقوى على ذلك ، وما ظننت أنى أحتمل رؤية قبره .

فلما رجعت ووصلت عند قبره ، حال وصولى أخذتنى سنة وغلبة نوم ، فكلما قرأت فى سورة يس المعظمة ، غلبنى النوم ، ولم أدر أين وصلت فى قراءتى فيها ، حتى كررت ذلك مرارا ، مع شدة شوقى إلى الأثر بعد المؤثر ، وليس ذلك وقت نوم ، فعرفت أن تلك رحمة من الله تداركنى بها ، وعناية من سيدي لكونى لا أقوى على شهود قبره ، أول وهلة . وهذا شبيه بما وقع للصحابة — رضوان الله عليهم — فى واقعة أحد ، من الشدة والتعب ، والهم والحزن ، فأغشاهم الله بالنعاس أمنة منه .

وقال : زرت مرة قبره ، فرأيت نورا ممتدا من السماء ، متصلا بقبره فبقى وذهبت ولم يذهب — رضى الله عنه — وقد ذكرت شيئاً من هذا ، فى حاشية الباب الأول .

(الحكاية السادسة والأربعون بعد المائة)

أخبرنى بعض الثقات . قال : استشار بعض ولاة الأمر سيدى ، فى أمر ، فاتفق أن ذلك الوالى خالف المشورة ، فلم سيدى بمخالفته . فقال : يخيب هذا الرجل ، ولا يظفر بمراده ، لمخالفته مشورتنا . فسار إلى مراده وخاب ، ولم يظفر بمطلبه ، كما قال سيدنا .

وأخبرني أيضاً قال : عزمت على الحج ، وليس معي ما يوصلني إلى الحج ، وكان أبي صاحب مال ، فطلبت منـــه ما أحتاجه ، فأبى عليّ ، فشكوته إلى سيدي ، وكان من المتعلقين به . فقال لي سيـدي : أخر حجك أولا ، وسوف تحج ، ووالدك عنك راض ، وتصير ذا مال كثير . قال : فاتجرت ، فكثر مالي ، وأثريت جداً ، ورضي عني والدي ، وصرت ربمـــا عاونته بمالي ، لقلة ما عنده ، وكثرة ما عندي . وحججت كما وعدني سيدي ـ رضي الله عنه ـ وكان هذا الرجل يحفظ لسيدي من الكرامات ما لا يحصى . وكان من أهل الخير والصلاح والبر والإحسان ، ومواساة ومواصلة كثيرة ، لسيدنا وغيره من الصالحين خصوصا ، ولسائر الفقراء والمساكين والقرابة عموما . صاحب تقوى وورع ، ونية صادقة ، في جميع أحواله . وكان سيدنا يحبه ، ويثني عليه . وكذلك سيدنا أحمد في جميع ذلك . أتم الله له ذلك ، وأعانه عليه ، وبلغــه سؤله في الدارين في عافية وإيانا . آمين .

(الحكاية السابعة والأربعون بعد المائة)

أخبرني السيد الجليل علوي ابن سيدنا ومولانا الشيخ عبد الله قال : جيء مرة بصرة دراهم ، من مكان بعيد ، ولا عليها رسم يبين ما هي ؟ ولا لمن هي ؟ ولا من أين هي ؟ فقال سيدي : ضعوها في مكان كذا . قال : فوضعناها ، فبقيت كذلك مدة . ثم قال لي : اقسمها نصفين ، وأعط فـــلانا نصفا ، وفلانا نصفا ؛ وعجبت منه ، حيث طرحها مـــدة ثم قسمها اثنين ، ثم بعد ذلك جاء كتاب بتعريف سبيلها ، وأنها آيلة إلى من صرفها إليه .

وأخبرني جماعة من السادة ، وكانوا إخوانا . قالوا : جئنا زائرين لسيدنا ،

وذلك فى السنة التى توفى فيها ، وأحسب ذلك فى شهر رجب . وتوفى فى شهر ذى القعدة ، من السنة المذكورة . فلما أردنا الاستيداع منه ، جعل يوصينا بالاجتماع ، وعدم الفرقة ، ولم نعرف ذلك منه فيما سبق . وقلنا : هذه وصية مودع . فلما توفى عرفنا ذلك .

(الحكاية الثامنة والأربعون بعد المائة)

أخبرنى السيد عقيل قال : جئت مرة ، من وادى دوعن ، وأصحبني بعض ولاة دوعن ، من آل العمودى لسيدى طعاما : ذرة ، وعسلا كثيراً . فلما جئت به إليه . قال لى : احفظه عندك ، حتى ننظر فيه ، وعرفت أنه تحاشي أخذه . فقلت له : يا سيدى إن كان الطعام ، فتمكن فيه الشبهة ، وأما العسل فالظن أنه لا بأس به ، ولا شبهة فيه . فقال لى : امتثل ما قلنا لك ، فأجبته على ذلك . ثم بعد ذلك فرقه سيدى على بعض الفقراء جميعه ، ولم يأخذ لنفسه شيئاً . فلما كان بعد مدة ، لقيت بعض العمال ، من أهل دوعن . وقال : إن العسل الذى جئت به لسيدى ثمنه حرام ، ولا شك فيه ، ولا ريب . فعرفت عند ذلك كشف سيدى — نفع الله به — .

وأخبرنى أيضاً عن السيد الجليل عبد الرحمن بن عبد الله الحبشى ، أحد خواص أصحاب سيدى قال : هممت بالمسير إلى دوعن . فقال لى سيدى : إذا وصلت إلى قيدون ، فانظر عمر بن عبد القادر العمودى بها فأمرر يدك على رأسه ، فإنه سيكون له ظهور . وكذلك فلان ببضة ، امسح عليه ، فصار عمر المذكور له ظهور كبير فى الدين . وصاحب بضة ، صار واليا سنين عديدة على المسلمين . وكل ذلك ببركة سيدى واطلاعه — نفع الله به — .

وأخبرنى بعض المتعلقين بسيدى قال : تزوجت بامرأة وكان قد تزوجها قبلى سيدى مخفيا أمره ، ولم يطلع على ذلك أحد ، وأنا إذ ذاك بمكة المشرفة ، فخطبها أناس ، ظنا منهم أنها خلية . فقال لهم سيدى : قولوا للخاطبين : قد زوجها بمكة ، وهو خارج منها . فلما وصلت من مكة فإذا هو قد فارقها ، وهى خلية من الرجال ، فخطبتها من غير شعور منى بقول سيدى ـ نفع الله به ـ قد زوجها بمكة ، وأنه خارج منها . فلما علمت عرفت أنه كوشف بأنى سأصير زوجها ، ولى مع هذه المرأة قريب من ثلاثين سنة .

وأخبرنى بعض الثقات قال : أخبرنى صهرى فــلان أخو زوجتى قال : أعطانى بعض ولاة حضرمــوت ثوبا حسنا . فأخبرت سيدى ، وأنا به فرح ، وأريته إياه . فقال لى : هذا الثوب حرام ، وسوف يحترق . قال : فبينما الثوب هذا معلق على عود فى الهواء ، إذ مر مارٌّ بنار ، فلحقت الثوب ، فاحترق فى الحال .

وكذا أخبرنى عنه قال : أعطانى هــذا الوالى ثوبا آخر حسنا جيداً ، فأخبرت سيدى بذلك . فقال : هذا نار ، ضعه فى التنور ، فتيممت به نحو التنور وأحرقته ، فعوضنى سيدى ثوبا جديداً حسنا ـ نفع الله به .

واعلم أنه ـ نفــع الله به ـ غير خاف عليه وجه صرف هذا الثوب إلى من يستحقه ـ لو أراد من المحتاجين له ؛ لأنه لا يُتصور حرام ، من ثوب وغيره ، إلا وفى الوجود من يستحقه . وبيان هذا تفريقه ـ نفع الله به ـ ذلك الطعام والعسل المذكور ـ أول هذه الحكاية ، على الفقراء والمساكين ، مع اطلاعه على كونه حراما أو شبهة ، وأنهم يستحقونه ؛ فلذلك صرفه إليهم ، ولكن كان قصد سيدى مداواة هذا الرجل فى هذه الواقعة ، بتقبيح أمــوال الظلمة عنده ، بالأمر بالإحراق ، وفطم نفسه عن التشوف إليها بعد ذلك ، وتلف المال أولى من تلف الدين والله أعلم . وأستغفر الله .

(الحكاية التاسعة والأربعون بعد المائة)

أخبرنى بعض السادة آل أبى علوى قال : جئت زائراً سيدى عبد الله من بلدى ، فشكونا إليه عدم الغيث فقال : أنتم لا تسقون ، وفيكم نمام . إذا خرج النمام من بين أظهركم سقيتم ، فى شهركم هـذا . فقلنا : أعلمنا به يا سيدى ، حتى نخرجه من بلدنا . قال : فكيف أنهاكم عن النميمة ، وأكون نماما !؟ وساق قصة موسى مع بنى إسرائيل ، فى استسقائه لهم . قال : وكان أهل بلدى كالمجمعين على أنه يشير إلى شخص معروف ، ظاهر بين الناس ، بتثوير الفتن ، والتحريش بين الناس فى الخصومات ، وغـــير ذلك ـ غفر الله له ذلك ـ فاتفق أن ذلك الشخص خرج فى ذلك الشهر ، الذى عينه سيدى ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ عن البلد إلى بلد آخر ، وأغاث الله العباد .

❊❊❊❊

(الحكاية الخمسون بعد المائة)

أخبرنى بعض الثقات قال : مات أبى ، وأنا صغير السن . فانحدرت مع عمى ، وأنا فى كفالته بعد أبى ، لزيارة نبى الله هــــود ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ فسقطت من الراحلة ، فتخوف علىَّ عمى . فلما رجعت إلى تريم ، وجئنا إلى سيدى ، شكا إليه عمى من سقوطى . وقال : خشيت عليه أن يموت ، ويقول الناس : إنه فرح بموته ليرثه ، ولا أعود أسافر به بعد هذه . فقال له سيدى : عادك تعود أنت وإياه ، وأنت معه ، ليس هـو معك . قال : فسرنا إلى بلدنا قال : فلمـــا كبرت ، وضعف عمى عن تهيئة أسباب الزيارة ، فسرت أنا وإياه وأنا المباشر لأموره كلها ، وصار هو تابعا لى فى سفرى ذلك ، كما كنت أتبعه فى سفره الأول ، إتماماً لقول سيدى له : عادك تأتى معه .

وأخبرني بعض الثقات قال : أراد أهل قرية الغريب معلما للصغار ، يعلم القرآن ، فأبى صاحب الجامع ، الناظر على صدقته ، أن يستأجر لهم معلماً ؛ فشكوت إلى سيدنا ـ نفع الله به ـ فقال : دعوه ، وسوف يأتيكم معلم ، من أهل تريم الذي ترضونه ، يعني من غير طلب منكم ، فأخذنا مدة ، فجاء رجل من أهل تريم ، حافظا للقرآن ، وكان من معلمي القرآن بتريم ، وصلى في مسجد الشيخ حارث المشهور ، وهو الجامع المذكور ، فرآه نائب المسجد المذكور . فقال له : من أنت ؟ وأين تريد ؟

فقال : أريد دوعن .

فقال له : نريدك أن تجلس هنا ، وتعلم الصبيان القرآن .

فقال : نعم ، وجلس بها سنين عديدة ، وهو يعلم إلى أن مات بها ـ رحمه الله تعالى .

(الحكاية الحادية والخمسون بعد المائة)

أخبرني السيد عقيل عن بعض فقراء سيدي . قال : زرت مرة تريم ، فخرجت أنا وسيدي لزيارة التربة ليلا ؛ فلما كنا عند قبر سيدنا الفقيه المقدم . وذلك بعد وفاة زوجته الصالحة : خديجة بنت السيد عبد الله بن عمر بن الحسين ابن الشيخ علي بأيام . وكان معي شيء من شجر الريحان . فقال لي سيدي ـ نفع الله به ـ : اطرح بعضه ، على قبر سيدنا الفقيه المقدم ، وبعضه على قبر زوجتنا الشريفة : خديجة . فقلت له : أنا لا أعرف قبرها . فقال لي : امض إلى نحو قبر الشيخ عمر المحضار ، وأنت تعرفه .

قال : فطرحت بعضه على قبر سيدنا الفقيه المقدم ، وتقدمت إلى نحو سيدنا المحضار فإذا أنا بالنداء من قبرها : قبري هنا ، قبري هنا . فذهبت أتبع الصوت ؛

حتى وقفت على القبر الذى أسمع منه النداء ، وجعلت عليه بقية الشجر ، ورجعت إلى سيدى مبهوتا مرعوبا . فقال لى : ما الذى بدا لك فأخبرته . فقال : إنها من النساء الولود الودود . وعرفت أنه كوشف ، بأنها ستناديني من قبرها ؛ حيث قال : امض وأنت تعرفه .

قلت : وكانت من النساء الصالحات ، وتذكر عنها أشياء من الخصال الجميلات .

وكان لسيدى بها أنس تام ؛ لكونها موافقة له فى أكثر أحواله ، عظيمة الأدب معه . وكان مولدها بأرض اليمن ، خرج بها عمها الصالح السيد على ابن عمر بن الحسين ابن الشيخ على ، أولدها سيدى ابنتيه الشريفتين الصالحتين : فاطمة وبهية .

❀❀❀❀

(الحكاية الثانية والخمسون بعد المائة)

أخبرنى سيدى علوى ابن سيدنا الشيخ عبد الله مشافهة ، ونقلت ذلك من خطه أيضا . قال : أخبرنى رجل من أهل تريم . قال : خرجت يوما خارج تريم أريد شراء طعام لغنم ، كانت لى ، فرأيت سيدى — رضى الله عنه — مقبلا على فرسه ، فتقدمت إليه ، وصافحته فعرفنى . وعرف أبى وجدى ، وبقى يحدثنى إلى أن وصل إلى مكانه الحاوى . فلما وصل استودعت منه ورجعت ، فلقيت رجلا حاملا قصبا يريد بيعه ، فاشتريت منه ما أردت ، ولففته فى ثوبى . فلما نظرت إذا الرجل قد غاب عنى ولم أره أبداً . فتعجبت لقرب عهدى به ، وغيبته عنى فى الحال ثم لقيت سيدى بعد ذلك بأيام فقال لى : إنك ضيعت الرجل ، يعنى الخضر — رضى الله عنه ، ونفع به .

❀❀❀❀

(الحكاية الثالثة والخمسون بعد المائة)

أخبرنى بعض الثقات ، من السادة آل أبى علوى . قال : ألجأتنى الحاجة إلى غرض لى ، واجتهدت فى طلبه ، حتى أعييت فى ذلك فلم أجده بحال . فلما لم أستطع ذلك ، صليت العصر ، فى بعض الأيام بمسجد آل أبى علوى ، ثم خرجت منه ، قاصداً سيدنا الشيخ الملاذ الغوث الغياث عبدالله ـ نفع الله به ـ بنية قضاء حاجتى ، وطلبتى . فلما كنت أثناء الطريق ، إذا أنا بأناس مقبلين ، ومعهم حاجتى المطلوبة ، يريدون جلبها فى سوق تريم .

قال : فحرت فى الأمر ، وعرفت أن ذلك من بركات سيدى ، وأنفاسه الصادقة . ثم إنى فطرت ؛ إنى إن رجعت لشرائها إلى السوق انقطعت عن زيارة سيدى ، وإن خرجت إلى مكانه ، ربما تفوتنى . قال : فجزمت للأمر على الوصول إليه .

قلت : إن قدر الله لى ذلك ، لا يفوتنى بحال . فوصلت إليه ، وحضرت درسه ، حتى انقضى . ثم رجعت إلى البلد وقصدت السوق ، فوجدت ما أطلبه بعينه ، وما اشتراه أحد مع شدة حاجة الناس أيضاً إليه مثلى ، سيما فى تلك الأيام فاشتريته . وذلك ببركته ـ رضى الله عنه .

(الحكاية الرابعة والخمسون بعد المائة)

حكى السيد العلامة محمد شليه باعلوى فى كتابه المشرع ، فى ترجمة سيدنا عبد الله ـ رضى الله عنه ـ فى حرف العين ، إذ الكتاب المشرع مرتب على حروف المعجم .

قال : حكى جماعة أن الشريف بركات بن محمد الحسنى ، قبل أن يتولى إمارة

الحجاز أتى لسيدنا عبد الله ، وهو عند قبر النبى ﷺ جالس فى الروضة الشريفة فسأل منه الدعاء بتيسير المطلوب ولم يعينه ، فدعا له بذلك . فلما ذهب سأل من هو ؟ قيل : هو من أشراف مكة . فقال : إنه طلب أن يكون والياً ، وقد استجاب الله الدعاء فى ذلك .

قال : ثم فى آخر سنة اثنتين وثمانين وألف ، جهز السلطان عسكرا ، وولاه إمارة الحجاز . وكان طلبه الدعاء أول عاشوراء سنة ثمانين وألف ، وتوليته فى أيام التشريق ، من سنة اثنتين وثمانين وألف . وصلت عساكر من مصر والشام ، ومعهم باشا الشام ، وأرادوا القبض على شريف مكة : سعد بن زيد ، فلم يقدروا عليه ، لأنه هرب ليلا ، هو ومن معه إلى الطائف ، فولوا الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبى نمى ، وخلعوا عليه بمنى ، ثالث عشر ذى الحجة . وكان غرة وجه العالم ، وطرة السادة الأشراف ، أعيان بنى آدم ، لباب المجد الأطهر ، وعباب الفيض الأفخر ، فرع الشجرة الزكية ، طراز العصابة الهاشمية المنتصب ، لبس لواء العدالة ، والمتوشح بملابس النقاء والجلالة ، الذى بسطوع بدره عن كماله . وكفاه شرفا أنه نسل للمصطفى ﷺ .

●●●●

(الحكاية الخامسة والخمسون بعد المائة)

قال عبد الرحمن بن عبد العظيم : ومن كراماته ـ رضى الله عنه ـ أنه دخل بندر الشحر ، حال مسيره إلى الحج قال له رجل ، ممن كان معه حين دخوله : ائذنوا لى أن أتقدم وأهيء لكم بيتا تنزلونه . فقال له : يا هذا تأدب معنا ، نحن خرجنا مع الله تعالى ، لا نقصد غيره ، ولا ندبر لأنفسنا . أول من نلقاه هو صاحبنا . فبينما نحن كذلك ، وقت العشاء ، إذ أقبل السيد حسين بحسين ،

وطلب سيدى ، ومن معه إلى بيته ، من غير معرفة سبقت ؛ فمضينا معه إلى بيته ، فإذا هو قد تأهب ، وأعدّ لنا عشاء وماءً ، وأسرج لنا ، وأفرغ المنازل ، واستعد الخدم ، وأحضر القهوة حال جلوسنا . وأخبرنا أن مركبه مسافر قبل اليوم ، ما أخر إلا كرامة لكم ، فجلسنا ثلاثة أيام . ثم سافرنا فى مركبه ، بغير نزل ، حتى وصلنا إلى الحديدة . ثم تحولنا إلى مركب السيد باحسن . وكان فى المركب رجل مسمع ؛ فاستأذنوا سيدى ، فى أن يسمع لهم الرجل ؛ فأذن لهم ، فطرقنى خاطر مذموم ، من غير اختيار منى ، فأمر سيدى الرجل بالسكوت ، فسكت ؛ فتعجب الحاضرون من ذلك .

فقال ـ رضى الله عنه ـ : السماع هذا حرام ، على أكثر الناس ، إلا على العارفين بالله ، ومن انطوى فيهم . وإن رجلا من أصحابنا ـ يعنى الحاضرين ـ خطر له خاطر مذموم ، وأشار إلىّ ؛ فأقامنى أربعة نفر وأهانونى ، فتبت إلى الله تعالى ؛ ولم يخطر لى بعد ذلك خاطر فيه ؛ لأنه من أرباب القلوب المكاشفين ؛ أهل المعارف والأحوال .

(الحكاية السادسة والخمسون بعد المائة)

ذكر أيضا أنه لحقنى دين ، فشكرت إلى سيدى ، فتبسم وقال : غدا يقضى دينك ، ولا كان عندى شىء . فلما أصبحت إذا أنا برجل ينادى علىّ ، ومعه عشرة ثياب ، فأخذتها ، وأمهلنى فى الثمن ، وبعتها ، وربحت فيها ما كان علىّ من الدين ، وزيادة على ذلك ، ببركته ـ رضى الله عنه .

وأخبرنى بعض المحبين الصادقين . قال : حصل علىّ نهب فى مالى ؛ حتى أفلست ، فجئت إلى سيدى مستغيثا ، وطالبا منه الدعاء . فلما أردت الاستيداع منه

قال لى : لابد أن يكون لك عوض أحسن مما فات عليك ، فزال ما بى من الهم ، وانخلع عن قلبى الاشتغال مما جرى . وقال لى : الزم صباح كل يوم : يا رزاق - ثلاثمائة وثمانى مرات . وكذا : اللهم أغننى بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك - أربع مرات - فعاد الرجل المذكور بأحسن حال وأطيب عيش وزيادة ، ونماء فى دينه . وكان من الصالحين الأتقياء الورعين . وله أفعال كثيرة خيرية ، سيما الصدقة . وله اعتقاد كامل فى سيدى ، وفى جميع الصالحين . توفى بشبام ، سنة أربعين - رحمه الله ، وأسكنه فسيح جنته .

(الحكاية السابعة والخمسون بعد المائة)

عن عبد الله شراحيل عن عمر باحميد . قال : جاء رجل إلى سيدنا الغوث : عبد الله ، وشكا إليه وجعاً فى بطنه . وخروج دم منه كثير ، وأنا عنده . فقال لى سيدى : طبّه يا باحميد ، فأخذت بطنه فنفضته فعوفى فى الحال . ثم انتقل ذلك الألم إلىّ فشكوته إلى سيدى، فأعطانى شيئاً أكلته . ومسح بيده الشريفة على بطنى فعوفيت لوقتى .

وحدثنى سيدى أحمد قال : قال لى سيدى : إن فلانا رأيته يشتكى وجع الضرس ، وأنه طلب منك الدعاء بالشفاء فقلت له : كيف يطلب منى الشفاء وأنتم فى الوجود ، أو أنتم عنده فى البيت ؟

فقال: هكذا فامتثلوا ؛ فامتثلت وتوجهت فى ذلك بإشارته ، فانتقل ذلك الألم إلىّ بعينه، وزال عن ذلك الشخص الألم الذى يشتكيه . أخبرنى سيدى بذلك ،حين خرجت إليه ، والوجع معى ، ثم زال ببركته - نفع الله بالجميع .

وقيل إنه ـ رضى الله عنه ـ لما حج جىء إليه من الليث المعروف؛ بجمل هائج. لا يقربه أحد من شدة هيجانه ليركبه . فلما أخبر أنه كذلك وضع يده على رقبته فطأطأ رأسه ، وتذلل له ـ نفع الله به .

وأخبرنى بعض فقراء سيدى . قال : خرجت يوما أزور الشيخ المعروف عند أهل تريم بمولى الراكة . ولم أستشر سيدى فى الخروج ، فحصلت مِنّى حمى شديدة . وقلت : لعل ذلك لعدم مشاورتى له ، وجئت إليه ، وشكوت إليه الحمى فأمرّ يده الكريمة على جسدى ، فحال ما أمرّها ذهبت عنى ولم يبق لها أثر ببركته ـ رضى الله عنه .

(الحكاية الثامنة والخمسون بعد المائة)

أخبرنى بعضهم قال : انحدرت أنا وأخ لى ، لزيارة نبى الله هود ـ عليه السلام ـ فمررنا على سيدنا ومولانا الحبيب : عبد الله بن علوى الحداد ـ نفعنا الله به ـ وحصل لأخى ألم شديد فى رجله ، بحيث صار لا يقدر يخطو مما به . فلما وصلنا إلى سيدنا عبد الله شكوت إليه ذلك . فقال لأخى : اغسل رجليك ـ يعنى فى الوضوء ـ قال : فتوضأ وغسلها ، فما كان بأسرع من أن نتج من الرجل عرق وخرق قليلا قليلا إلى أن سقط ونحن ننظر، ثم قام وسار عليها وكأن لم يكن بها ألم قط . وزرنا النبى هود ، ولم يشتك رجله حتى رجعنا إلى بلدنا .

وكذا قال بعضهم : جئت إلى تريم ومعى شىء من البن ، أتجر فيه من بلدى شبام ، فجئت إلى عند سيدى زائراً تريم . ثم إنى بعت البن بتريم ولم أقبض الثمن فحصل لى ألم عظيم فى رجلى وأنا عند سيدى بالحاوى ولم أقبض الثمن بعد . فلما طالت علىّ المدة فشكوت إليه فدعا لى ، وقمت وكأنى نشطت من عقال . وقال له:

اطلع البلد واقبض ما كان لك . وسر إلى بلدك فى الحال ؛ فطلعت إلى البلد ، وقبضت ما كان لى وسرت فى الحال كما أمرنى لخال وصولى إلى بلدى ، رجع لى الألم الذى شكوته بتريم بعينه ، وأخذت نحو كذا كذا شهراً لا أخرج من البيت ، من وجع الرِّجل .

(الحكاية التاسعة والخمسون بعد المائة)

أخبرنى بعض الفقراء الصادقين قال : كان بيدى يوماً إناء من الصينى فسقط من يدى على حجر وأنا قائم ، فاستغثت بسيدى ، فلم يصبه كسر .

وكذا مرة خرجت أنا وأهلى من بلدى ، نريد بلداً آخر ومعنا دابة . فلما كنا خارج البلد لم نستطع السير أبداً ، ولم أدر كيف أصنع . فاستغثت بسيدى ـ نفع الله به ـ وخطوت خطوات، إذا أناس معهم إبل فأركبونا حتى وصلنا إلى البلد الذى نريد ببركته ـ رضى الله عنه وكان لهذا الفقير من المنامات الصالحة لسيدنا عبد الله ما يطول ذكره ، ويتعذر حصره ـ نفعنا الله به ، وسائر عباده الصالحين .

(الحكاية الستون بعد المائة)

أخبرنى بعض السادة آل أبى علوى ، عن السيد العارف بالله : الجنيد بن على ابن هارون جمل الليل .

قال : خرجنا نزور تريم ، أنا وسيدنا الإمام الأكبر عبد الله بن علوى الحداد ، ومعنا سيد ثالث . فلما زرنا الفقيه المقدم ومضينا إلى عند ضريح سيدنا السقاف انصرفت أنا أزور جدى جمل الليل باحسن، وسيدى عبد الله هو والسيد

الآخر بقيا هناك . فبينا أنا كذلك إذ أقبل إلىّ السيد الذى هو معنا فزعا مبهوتا فقلت له : ما الذى بدا لك ؟ وما الذى أفزعك ؟

قال : إنه انشق قبر وانفتح ، فوثب فيه سيدى عبد الله وأنا أنظر ، وغاب عنى فيه ولم أدر أين صار . قال : فخرجنا هاربين من التربة .

(الحكاية الحادية والستون بعد المائة)

أخبرنى السيد الجليل الوجيه : عبد الرحمن بن محمد بارقبة . قال : أخبرنى سعد بن محمد محسون ، وكان أبوه من المنتسبين إلى سيدنا الشيخ عبد الله . وكان أبوه من حداته ، فى حضرة الذكر ليلة الجمعة بمكانه الحاوى الشريف .

قال : لما مرض أبى مرض وفاته تعب إلى الغاية ، وكنت ملازماً عنده بالليل . فلما كانت الليلة التى مات أبى من صبيحتها ، وأنا عنده إذا أنا أحس رجة عظيمة وزحمة أناس مقبلين تحت بيتنا ، فما لبثنا إلا وقد دخلوا علينا البيت والباب مغلق . فلما دخلوا المنزل أشرقت أنوار هائلة . فلما أضاء البيت ، نظرت فإذا عليهم ثياب جدد ، وإذا فيهم سيدنا الشيخ عبد الله — نفع الله به — ولم أعرف غيره من أولئك الجمع الذى كان ، فوقف سيدى على رأسه ، ونظر إليه وقال: الله ، ثم انصرف فخرج هو ومن معه فخرست أنا من الفزع . فلما أصبحت خرجت إلى سيدى . فلما دخلت إليه قال لى : أبدا لك شىء ؟

فقلت : نعم .

قال : إن والدك بخير — إن شاء الله — فطلعت من عنده فوجدته فى النزع ، ومات من يومه ذلك — رحمه الله .

(الحكاية الثانية والستون بعد المائة)

أخبرني السيد الجليل عقيل بن عيدروس باعقيل السقاف . قال : كنت مرة بأرض الهند ، في جمع من الناس ؛ منهم السيد العارف بالله تعالى : عمر بن علوي صاحب عيديد ، مجتمعين على حضرة ذكر ، فخطر ببالي : هل يتصور أن يظهر الشيخ لمريده ، وهو عنه بعيد ، فحال ما خطر لي ذلك ، رأيت سيدي الشيخ عبد الله ، ونظرته عيانا ، لا أشك في ذلك ، ولا أمترى ؛ وهو إذ ذاك بتريم ، فصحت به : ياسيدي . فغاب عني . فسألت السيد عمر : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا . قال : فلما خرجت من أرض الهند ، ووصلت إلى تريم ، وقع لي أن أذكر لسيدي ، وهو في جمع من الناس . فلما هممت بذلك سبقني . وقال : قد يظن المريد أن شيخه يبدو له ويظهر ، وهو بمكان بعيد ويظنه هو ، وليس ذلك إلا ملكا متمثلا على صورة الشيخ ، فيحسب أنه هو ، فأغناني ذلك عن حكاية ما جرى لي .

قلت : وكان السيد عمر عيديد المذكور ، من رجال الله المقربين ، ومن عباده الصالحين ، عالما عاملا ، زاهداً خاشعاً ، ورعا تقيا نقيا . وكان من الآخذين عن سيدنا عبد الله والمعظمين له ، والمثنين عليه . وكان يتردد عليه ، ويجتمع به مع السيد العارف : الجنيد بن علي باهارون ، والسيد العالم العامل ، العارف شهاب الدين أحمد بن عبد الله باعلوي ، خصوصا عند مجيئه إلى مسجده : مسجد الأوابين ، بنريدرة تريم ، وكانت بيوتهم بها . وكان سيدي يثني عليهم ، ويشهرهم بالولاية . وكان يقول : وددنا أنهم تفرقوا في البلاد ، لحفظ البلاد ـ نفع الله به ـ وبسائر الصالحين . وقد ذكرت هذا في غير ما هنا .

(الحكاية الثالثة والستون بعد المائة)

أخبرني السيد عقيل أيضاً قال : كنت مرة من آخر الليل ، جالسا في المطاف ، حول الكعبة ، مستغرقا في الذكر إذا سيدى وشيخي عبد الله قد دخل عن المطاف ، وسلم عليّ ، ونكّر صوته على لئلا أعرفه . فلما رأيت ذلك منه ، بقيت بمكاني ، غير أني قلت له : ياسيدى خاطركم معي الله الله في الدعاء . فتقدم وطاف ، فكلما طاف أسبوعا وحاذاني ، سألته الدعاء ، ولم يجبني .

قال : وكنت مرة بالمدينة المشرفة ، في المسجد النبوى ، عند باب الرحمة ، بعد صلاة العشاء ، وأهل الحرم يقرأون راتب سيدى عبد الله ، فبقيت عند ذلك أتذكر صورته وأتخيلها ، فإذا به قدامى ، أراه بعينه ملتحفا بشقه ، فبقيت أنظر إليه ، إلى أن ختموا راتبه ، أمروني أن أدعو معهم . فلما رفعت يدى للدعاء ، غاب عني ـ رضى الله عنه ، ونفع به ـ وكلتها الواقعتين في غير السنة التي حج فيها ـ نفع الله به .

وأخبرني السيد الجليل الولى : عبد الله بن عمر فقيه ابن الشيخ على بن أبى بكر علوى قال : أخبرني بعض المنورين ، وأقسم أني رأيت سيدى عبد الله ـ رنفع الله به ـ في المسعى عيانا لا أشك ، في أنه هو ولو كانت لى امرأة لحلفت بطلاقها ، أني شاهدته في غير السنة التي حج فيها ـ رضى الله عنه ـ .

❊❊❊❊

(الحكاية الرابعة والستون بعد المائة)

أخبرني السيد عقيل أيضاً قال : صافت درويشا ، بمكان سيدنا الحاوى ، وخرج زائراً له . فقلت له : لماذا خرجت إلى هنا ؟ قال : لزيارة سيدى بموعد منه .

فقلت له : وكيف ذلك؟ فقال : اجتمعت به سنة كذا ، فى جبل عرفات ، وقال لى : اخرج من عندنا ، إلى بلدنا ، فخرجت للوعد الذى تقدم ، وذلك آخر عمر سيدى . وما حج ـ نفع الله به ـ إلا أول عمره ، ولم يكن اجتماعه إلا من قبيل الأمور المذكورة .

وأخبرنى بعض الثقات من والده ، وكان من أهل النور ، وله حالة تشهد بذلك ، أنه رآه رجل ، وشم عنده رائحة سيدى عبد الله وعرفه ، فسألته عن ذلك . فقال : إنى اجتمعت به ، فى وقتى هذا فى ، مجلسى هذا ، وهو ببلده تريم ، والرجل ببلدة بعيدة عنها .

وكذا أخبرنى جماعة قالوا : لقينا جماعة من أهل بيت المقدس ، عند الكعبة ، فبقينا نتذاكر أحوال سيدنا الإمام عبد الله ـ رضى الله عنه ـ فقال أولئك النفر : إنا نراه ببيت المقدس ، فى اليقظة والعيان . وقد شوهد ذلك مراراً عديدة ـ نفع الله به ـ .

قلت : وليس ذلك بالعجيب ؛ لأن ذلك يتصور فى عالم المثال ، وهو حق ، والتمثل صحيح محقق عند الطائفة الصوفية ، والمحققين من أهل السلم ـ رضى الله عنهم ـ وهو ممكن ، وجائز وقوعه شرعا وعقلا ، وإن كان ذلك يخرج عن طور العقل ، فى بعض الوقائع . ويكفى فى إزاحة الإشكال فى ذلك ، ما يقع فى النوم ، من الأمور التى يستحيل وقوعها ، من حيث إنه يرى أنه بمكة ، والهند ، أو نحو ذلك ، وهو بتريم ، أو غيرها ، ومن حيث أنه قد يرى اجتماع الضدين ، فى وقت واحد ، وكون الاثنين فى مكان واحد ، وغير ذلك ، مما يطول ذكره ، مع علمه بأن الله هو الخالق لوجود ذلك . وشهوده فى النوم واليقظة ـ وإن كان

لكل من الوجودين اعتبار ـ فقد تحقق أنه وجود ، وأن الله موجده ، ومن عالم المثال ، تمثل للملائكة والجن ؛ إذ هم أرواح مجردة عن الأشباح ، وذلك مقطوع به ، لجريانه فى وقائع لا تحصى ، وهو من أوسع العوالم . والله واسع عليم .
وشاهده من الكتاب والسنة قوله تعالى ـ فى جبريل ـ : « فتمثل لها بشرا سويا » وما جاء أنه كان يأتى النبى ﷺ أى جبريل فى صورة دحية ـ بالحاء المهملة ـ بن خليفة الكلبى ، من أصحاب رسول الله ﷺ وقول سيدنا الحبيب : عبد الله ـ فيما تقدم ـ فى الحكاية التى قبل هذه ـ : ليس إلا ملكا على صورة الشيخ تمثل . وقد حكى من تجزؤ الأولياء وتصورهم فى مكانين ، فى وقت وحين واحد ، ما لا يحصى ولا يعد ، ولا يستقصى .

ذكر الشيخ عبد الله اليافعى ، فى روضه وغيره ـ من ذلك ـ الشىء الكثير . وكذا غيره ، من أرباب التراجم والطبقات ـ رضى الله عنهم ، وجعلنا من أهل القبول ، والتسليم بكل ما جاءنا عن أهل الله ، مؤمنين ومصدقين به ، غير منكرين ، ولا معترضين عليهم ، لوضوحه وصحته عندهم ، رادين . ومفوضين ما أشكل من ذلك إلى علمهم ، عاملين بمقتضى قول سيدنا الذى هم هو ، وهو هم ، حيث يقول :

وسلم لأهل الله فى كل مشكل ... لديك لديهم واضح بالأدلة

❦❦❦❦

(الحكاية الخامسة والستون بعد المائة)

أخبرنى سيدى الأكمل العلامة : عمر بن الحامد بن علوى بن عمر بن أحمد المنفر باعلوى قال : أخبرنى صالح بن أحمد بانافع أن رجلا ابتنى مسجداً بأرضنا ، بقرية تسمى الصعيد ، ونسبه إلى سيدنا ومولانا عبد الله ، وكان بعض السادة

متعلقا بسيدى، بيته حول المسجد ؛ فاتفق أن ذلك السيد مرض . فلما كانت الليلة التى مات السيد صبيحتها رأى بعض الناس كأن سيدنا فى ذلك المسجد ، فسأله من هو ، فأخبره . وقال : إنا جئنا لغرض فى هذا البيت ، وأشار إلى بيت السيد ، أو قال : لحاجة نريد قضاءها . قال : فتوفى السيد بعد استيقاظى . وفى ذلك أعظم بشارة لكل من تعلق به ، أو نسب إليه .

(الحكاية السادسة والستون بعد المائة)

قال عبد العظيم : حصل بحضرموت قحط عظيم وشدة ، وشكوت إلى سيدى ، فأطرق ساعة . ثم رفع رأسه قائلا : قد فرّج الله عن المسلمين بإذنه ، والصبر فى ذلك ثلاثة أيام ، فأغاث الله المسلمين ببركته .

قال : ولحقنى دين سنة من السنين ، وكان شيئاً كثيراً فشكوت إليه ، فأنشدنى هذا البيت للفقيه بامخرمة :

عسى لك رزق قدره قسام الأرزاق بأرض مبعدة نطلب الله يوم نتضاق

وأعطانى سبحة . وقال : تفريجك فى هذه ، فعزمت إلى الهند بنجافور — بالجيم والفاء — فحصل عليها حصار من المغول ، وكان أميرها مسعود خان ، فقدر الله أنى اجتمعت به ، فأخذ منى سبحة سيدى ، على نية النصر ، وأعطانى خمسمائة هن ، والهن زيادة على الأحمر ؛ ففرج الله عنه ، وأهدى إلى سيدى هدية ، وأعطانى ما أوفى دينى وزيادة . فخرجت إلى حضرموت ، فى السنة التى سافرت فيها .

قال : ومن كراماته أن رجلا كان ضامنا للسوق ، حصل لى منه ابتلاء ، فالتجأت إلى سيدى ، واستغثت به ، فأصيب الرجل فى الحال ، بخفقان فى قلبه ، حتى جاء إلىّ معتذرا .

(الحكاية السابعة والستون بعد المائة)

أخبرني بعض الثقات، عن بعض المتعلقين بسيدي قال: شاورته من مسير إلى أرض كذا، فلم يأذن لي؛ فاتفق أني سافرت إليها وخالفت مشورته. فلما علم سيدي قال: إنا رأينـــا الجلوس ببلده خيراً له من الجلوس ببلد كذا. فلما وصلت إلى تلك الأرض، حصل بين قبائلها حرب، وامتدت الحرب، وتوالى الحصار في تلك الأرض، نحو نصف السنة. وعرفت أن سيدي كوشف، بأن جلوسي في بلدي خير لي من الجلوس في الربة، مع الخوف.

وحدثت عن هذا الرجل أيضاً قال: كنت مع سيدي ببلد الهجرين، لما زار دوعن، فلما أصبح بالبلد المذكور. قال لرجل من آل ابن نعمان: إن في بلدتكم هذه جناً صالحين، إنهم جاءوني البارحة وقالوا: نريد أن نخدمك. فقلت لهم: لا حاجة لي بخدمتكم، قد خدمني الأحرار والإنس، أو الروحانيون — الله أعلم — أي ذلك قال.

(الحكاية الثامنة والستون بعد المائة)

أخبرني جماعة أن الفقير الصالح الشيخ عبد الله بن فلاح الخولاني، أحد فقراء سيدي الصادقين الصالحين قال: كنت أول الأمر، قبل أن أنتسب إلى سيدي — نفع الله به — نقيبا في حصن من حصون دوعن، كعادة أهلي. فاتفق أني خرجت إلى حضرموت، لمخالفة واليهـا، ثم إني وصلت إلى تريم، لزيارة سيدي. فلما صافحته، وسلاحي معي، قال لي: من أنت؟ قلت: فلاح. قال لي: اطرح السلاح، فوقع كلامه في قلبي. فلما كان بعد مدة طرحت السلاح، وتفقرت على يديه. وسافرت وحججت، وجاورت بالحرمين والطائف مدة، ثم خرجت، وانقطعت في مكان سيدي — نفع الله به.

قلت : وكان من أمر هذا الرجل ما كان ، من لزوم العبادة ، والتجرد والزهادة ، وعمارة الليالى والأيام ، بالقيام والصيام ، والعكوف فى حضرة سيدنا ، المدة المديدة ، والسنين العديدة . وكان يأتى له بطهوره ، لبعض صلواته ، إلى أن توفى سيدى ، وهو على ذلك ، ثم إنه توفى بعد سيدى ، وهو على حاله المرضية سنة . ولعله أول فقير لحق به ، ودفن قريبا منه ـ رحمه الله ـ .

(الحكاية التاسعة والستون بعد المائة)

نقل باشراحيل ، فى مؤلفه عن الشيخ عبد الله بن صالح باكثير . قال : من عادة سيدى الشيخ الأستاذ الأكبر : عبد الله ـ رضى الله عنه ـ يخرج إلى مآثر أسلافه كعاداتهم ، فخرج يوماً إلى وادى عيديد للنزهة والتبرك ، بمكان الشيخ الإمام : محمد بن على مولى عيديد ، المسمى السكودة ، ومسجده الذى بها .

قال : فمررنا ببيت بعض السادة . ومن عادة السيد المزور به ، إذا مر سيدى يتلقاه من أثناء الطريق ويرده إلى بيته ، ويلح عليه فى ذلك إلحاحا شديداً ، ويكرمه ويكثر الكلام معه وهو لا يعجبه ذلك ويكره أن يتلقاه . فقال لى سيدى : انظر هل ترى السيد صاحب البيت ينظرنا ؟ فقلت : نعم يا سيدى . فقال لى : اقرأ سورة يس على نية أن لا يرانا ولا يحس بنا .

قال : فقرأتها كما أمرنى ، ومضينا تحت بيته ، وهو مشرف ولم يحس بنا ، بتصريف سيدى ـ نفع الله به ـ حجب الله بصره عنا ، مع قربه ، وكونه مشرفاً علينا .

قلت : وقد وقع أن سيدى كان مرة سائراً قاصداً زيارة نبى الله هود عليه السلام

هبت ريح عظيمة . فقال لفقيره الصالح : سالم بن أبى بكر باذيب : مر الريح أن تهدأ وتسكن . قال : ولعله فعل ؛ فسكنت .

فقال له بعض الحاضرين : يا سيـــدى ما نقول إذا أمر الشيخ تلميذه بأمر خارق للعادة أن ينفعل له ذلك ؟ فقال : نعم .

قلت : وكان هذان الرجلان : — أعنى باكثير وباذيب — من خواص فقراء سيدى .

أما باكثير فكان رجلا صالحاً عابداً ، سالكاً ناسكاً زاهداً ، ورعاً تقيا ، سلك أولا على يد الشيخ عبد القادر بن محمد شراحيل . فلما قربت وفاته ، أشار له بأن يلقى نفسه على مولانا فطرح نفسه عليه ؛ وألقى قياده فى يده . وكان بعد ما استشاره وأجابه يقول : وذكرت أن بعض من يوثق به أشار إليك : أن تلقى نفسك على طبيب من أطباء القلوب ، وما أعز وجوده فى هـــذا الزمان المبارك ! إلى آخر ما كتب به إليه ، وكان مقيما بمدينة شبام ، وانتفع بصحبته جماعة . وكان يحوش الناس — أعنى أهل تلك البلدة — إلى سيدى ، بل هو من أسباب جمعهم على سيدى وتعلقهم به ، كما أخبرنى بذلك سيدى أحمد .

وأخبرنى أيضاً أن المشار إليه فى المكاتبة هو الشيخ عبد القادر ، فاعلم . نعم يقال : إنه كتب إليه ، وهو بتلك البلدة بقول الفقيه عمر بامخرمة :

أنت شابك وأنا شن القهايد واصطاد   أهل عصرى وذى قبله ولى من زمن عاد

مشيراً إلى معنى ما تقدم ، من أنه يجمع أهل بلده على سيـدى ، ويحوشهم إليه . ولعل فى معنى ذلك ما كتب إليه : سلموا على المحبين بالقلوب والقوالب ، ثم بالقلوب فقط ، ثم بالقوالب فقط . ولكل نصيب مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون . والله أعلم . توفى ببلدة شبام — رحمه الله .

وأما باذيب فكان صالحا مجذوبا ، سليم الصدر ، منور القلب ، كثير العبادة ، شديد التعلق والمحبة لسيدى . يحكى أنه أعطاه كوفية إلباسا ، فأكلها وقال : أحب أن تخالط لحمى ودمى . وكان بلده شبام ، ومات به كالذى قبله ، ودفنا بجرب هيصم — رحمهما الله تعالى .

(الحكاية السبعون بعد المائة)

أخبرنى السيد عقيل . قال : زرت نبى الله هودا ، سنة من السنين مع سيدى الأستاذ الأكبر : عبد الله ، ومعه جمع كثير ؛ منهم سيدى الأكمل أحمد بن زين الحبشى ، وجملة من الأعيان . فلما كنا أثناء الطريق نزلنا تحت جرف عظيم ، من أثر السيل . فبينا نحن كذلك مطمئنون فى الجلوس تحته ، إذ أمر سيدى بضرب الخيمة ، فى مكان آخر ففعلوا . فقام سيدى ، وقام من معه ودوابهم ، فجلسوا فى الخيمة فحال جلوسهم فيها ، سقط ذلك الجرف ، وانهد إلى المكان الذى نزلوا به ، ولو بقوا تحته لأهلكهم عن آخرهم ولم يبق منهم أحد ، ولم يهلك تحته إلا حمار كان لبعض سيارته ، بل قيل : إن ذلك الحمار قبل انهدار الجرف أكل من طعم فرس سيدنا — نفع الله به — فكانوا يرون أن ذلك من كرامات سيدنا .

فلما أخبر سيدى بسقوط الجرف ، حمد الله على السلامة ، ثم لما استقر بهم المجلس ، أخذوا فى المذاكرة ، والأخذ عن المشائخ . فقال سيدى عبد الله : إن بيننا فى الأخذ وبين الشيخ أبى بكر بن سالم واحداً ، وهو السيد الجليل عبد الرحمن بن شيخ صاحب عيديد . اجتمع بالشيخ أبى بكر وهو ابن سبع سنين فقال له سيدى أحمد : هل يكفى فى الأخذ الاجتماع فقط من غير قراءة ولا مذاكرة ؟

فقال سيدى : نعم يكون ذلك كافياً إذا كان الاجتماع بأحــد الأكابر . ويكفى الاجتماع معه فقط .

سمعت سيدى أحمد يقول : إن صاحب الحمار الذى انهد عليه الجرف ، جاء إلى سيــدى يبكى وقال : حمارى ومتاعه الذى أملكه كله من دراهم فوق هذا الحمار .

فقال له : أيما أحب إليك : دراهمك ترجع إليك أم نقرأ لك الفاتحة بنية أن يرزقك الله رزقاً واسعاً ؟

فقال سيدى أحمد قلت : إن الفاتحة خير له . فقرأها سيــدى والحاضرون أجمعون ؛ فأخبرنى الرجل بعد مدة يسـيرة أنه أثرى ، وكثر ماله ؛ وصار يملك نحو ألف قرش فضـــة ، وجملة من النخيل وغير ذلك ، ببركة سيدى ـ نفع الله به .

(الحكاية الحادية والسبعون بعد المائة)

سمعت سيدى الإمام القدوة ، شيخنا عبد الله ـ رضى الله عنه ـ يقول : إنا لما دخلنا مدينة شبام ، جاء إلينا الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله عباد ، فى جملة من جاء وذاكر فى أشياء ، وكان يغلب عليه التعصب على علم الظاهر .

قال : فكأنه حصل منه شبه الغيرة والإنـكار علينا ، أو نحو ذلك . فما لبثنا أن جاء إلينا الرجل معتذراً . وقال : إن الشيخ عبد الله بن محمد عباد ، المعروف بالقديم ، جاءنى وعاتبنى ووبخنى لسوء أدبى معك .

قال : فصدقناه فى قوله : إن الشيخ عبد الله جاءنى ـ يعنى فى اليقظة ـ كما عادتنا نصدق كل من جاء إلينا .

وسمعت سيدى القدوة أحمد يقول : إنه حصل على باعباد المذكور بسبب إنكاره شيء من العقوبة وأحسبه قال : عمى بصره ، وسيدى إذ ذاك بمسجده الكائن بالنقر ، بسحيل شبام ، أقام به حضرة الذكر الجهرى ، فخرج باعباد بالقائد . فلما قرب من المسجد ، وقد اطلع سيدى عليه ، وعلى ما جرى له . قال سيدى لصبى كان قريباً منه : اخرج إلى مكان كذا وأدخل الرجل علىّ يعنى به باعباد ، فلقيه الصبى ، وأدخله عليه فاعتذر إليه فقبله. والصبى الذى أمره بالخروج فقيره المنور المجذوب سالم بن أبى بكر باذيب الشبامى ، وهو المذكور فى الحكاية التاسعة والستين بعد المائة .

قلت : وقد اشتملت هذه الحكاية على كرامات كثيرة : منها اطلاع سيدى على إنكار الرجل عليه ، ومنها توبيخ الشيخ عبد الله له ، ومنها عمى بصره ، ومنها علمه بخروجه إليه قبل وصوله معتذراً ، ومنها فتح عماه بعد توبته وغير ذلك وهكذا كل حكاية تجمع من الكرامات فافهم والله أعلم .

وباعباد ـ المذكور بعد ذلك ـ حسن اعتقاده فى سيدى ، وزاد تلمذه به ، وبقى يكاتب سيدى ، ويسأله ويجيبه ؛ كما هو مثبت فى رسائل سيدى، وهو السائل لسيدى بمسائل كتاب إتحاف السائل . قال ـ رضى الله عنه ـ فى خطبة الكتاب المذكور :

أما بعد ، فقد طلب منى الشيخ الزكى ذو الفهم الذكى عبد الرحمن بن عبد الله عباد جواباً على عدة مسائل أثبتها فى ورقة ، ودخل بها علىّ . وذلك بمدينة شبام حال صدورى من زيارة الشيخ الكبير العارف بالله تعالى : سعيد بن عيسى العمودى ومن فى تلك النواحى والبلدان من عباد الله الصالحين الأحيـاء والأموات ؛ فوعدته بالجواب لما رأيت عليه من لوائح الرغبة فى معرفة الحق ، وشممت منه

روائح الصدق. وقد حان حين إنجاز الوعد ، وإكرام وفد أسئلته اللائقة بالأجوبة الرائقة ، وذلك سنة اثنتين وسبعين بعد الألف .

(الحكاية الثانية والسبعون بعد المائة)

رأيت بخط فقير سيدى الغوث : عبد الله الحداد ، وهو الشيخ أحمد ابن عبد الكريم الأحسائى الشجار ؛ وقد أعطانيه سيدي وشيخى أحمد مثبتاً فى ورقة وقال لى : الحقه وأثبته أنت . معناه أن سيدنا عبد الله ، لما كتب للسيد العارف : محمد بن علوى نزيل مكة المشرفة وطلب منه الإلباس . وكان السيد محمد المذكور من عادته أن لا يلبس أحداً إلا بإذن من رسول الله ﷺ فتوقف السيد محمد عن الجواب ، انتظاراً للإذن .

فلما كان فى بعض الأيام ، قام بمن معه ودخل الحجرة الشريفة ، وطرقه حال . فلما سرى عنه ، خرج منه قائلا : هلموا بدواة وقرطاس ، نريد الجواب على كتاب السيد عبد الله الحداد ، وأمر بعض الحاضرين أن يكتب الجواب ، فكأن السيد محمد أطنب فى الثناء على سيدى عبد الله الحداد ، فحصل مع ذلك الكاتب شبه الغيرة والإنكار ، لما رآه من الإكرام والثناء ؛ من ذلك السيد الإمام الهمام لسيدى. قال: فعوجل ذلك الرجل بالعقوبة ، حال الكتابة . فعرف من أين أتى ، فتاب إلى الله فى سره . فزال ما به من الألم . ثم إن السيد كتب إلى سيدى ، وألبسه قبع آل أبى علوى ، وكانت خرقته كساء من الكعبة . وقال له : خشينا أن يندرس طريق القوم . حتى يقال : إنه وصل الكتاب والإلباس إلى سيدى ، يوم انتقال السيد محمد بن علوى . ذكر أكثر ذلك السيد محمد شليه باعلوى ، فى كتابه : « المشرع الروى فى مناقب السادة بنى علوى » — رضى الله عنهم أجمعين .

(الحكاية الثالثة والسبعون بعد المائة)

ذكر عبد الرحمن بن عبد العظيم شراحيل ، فى مؤلفه الذى سماه : « الباعث للهداية والإرشاد ، فى كرامات سيدنا الحبيب عبد الله الحداد » : إن بعض المترسمة بالفقه ، جاء إلى عند سيدنا الحبيب الشيخ عبد الله ، وحضر درسه ، يوم الخميس ، فأضافه سيدى ليلة الجمعة ، ورأى سيدى وما هو عليه من إظهار التجمل ، وكثرة الأتباع ، ثم إنه مضى إلى عند السيد العارف محمد بن عبد الرحمن ابن عقيل مديحج ، فرأى ما هو عليه من الخمول ، ورثاثة الهيئة ، فأثنى على السيد محمد عندى ، وحط فى جانب سيدنا عبد الله ، ولم يعلم بقول الرجل أحد غيرى ، فجئت إلى عند سيدى ، فسأل عن الرجل ، وأثر الغضب ظاهر عليه ، ثم قال : لقد آذانا أهل هذا الزمان ، إنهم يطالبوننا بحال أويس القرنى ، وإبراهيم بن أدهم ، أى من التقشف والخمول ورثاثة الهيئة ، فى المسكن والملبس ، وغير ذلك . ثم قال : ما عليهم إلا أن يظهروا لنا ورع تاجر من أهل زمن أويس القرنى وإبراهيم بن أدهم وعندى خمسون حالا من أحوالهم ، اطلاعا منه على قول الرجل ، من غير أن يعلمه بذلك أحد ـ رضى الله عنه ـ .

وقال أيضاً : خطر لى يوما ، بأن قلت فى نفسى ولم أتكلم : مر وقتى مع هذا السيد بلا حاصل ، ولم أجد شيئاً من أحوال الأولياء والصالحين . فلمت نفسى على هذا الخاطر ، حتى بكيت بخفية ، من غير اطلاع أحد . فلما قبلت يد سيدى تبسم فى وجهى وقال لى : أنت ضعيف لا تقدر على الحال . لكن فيك بركة .

(الحكاية الرابعة والسبعون بعد المائة)

ذكر أيضاً أنى أردت الحج سنة من السنين ، فجمعت دراهم ، لأستعين بها على الحج، فقدمت تريم يوم الثلاثاء ، فقصدت مسجد الهجيرة ، فلم أجد سيدى ؛ لأنه خرج إلى بعض الأماكن ، فوضعت ثوبى ، والدراهم مصرورة فيه ، فى زاوية المسجد . وخرجت فى حاجة ، فجاء بعدى رجل إلى الزاوية ، ووقع على الدراهم ، فأخذ منها بعضها . فلما رجعت ، وجدته خارجا منها ، فبهت منى . وقال لى : هذه دراهمك ؟ فقلت : نعم ، وأخذتها منه ، وقصدت ستره لله تعالى ، فجاء سيدى — نفع الله به — وقت المغرب ، فصليت معه ، ثم سلمت عليه ، وقبلت يده . فقال : كذا وكذا ، وعيّن القدر الذى أخذه الرجل ، من غير زيادة ولا نقصان فقلت : نعم ، وإنى قد عفوت عن صاحبها ، وقصدت ستره لله تعالى ، فاستحسن ذلك منى . ثم قال : ندعو لك بالحج والزيارة . وإن حصل عليك شىء فى زيارتك المدينة فلا تتعب ، فإنما هى زيادة لك ، ثم تيسرت أمورى ، وسرت إلى الحج فحججت . ثم إنى اتبعت أناسا لوقفة إلى المدينة . فلما وصلنا خبت البزوا المعروف ، رقدنا جميعاً ، ثم قاموا وتركونى ومضوا ، فاستيقظت وليس عندى ماء . ولا زاد ، فحرت فى الأمر . ثم ذكرت قول سيدى لى : إن حصل عليك شىء فى زيارتك فلا تتعب ، فإنما هى زيادة لك ، فاطمأننت . فمشيت وحدى وأنا فى غاية العطش والضيق ، فقصدت شجرة لأموت تحتها ، فإذا تحت أصلها ماء قليل ، بحيث يكفينى ، فشربته ونمت فرأيت سيدى كأنه يؤمننى ، ويرينى الطريق ، فقمت مسروراً ، وقد زال عنى كل ما وجدته من الألم ، وبلغت المدينة ببركته — نفع الله به .

(الحكاية الخامسة والسبعون بعد المائة)

أخبرني بعضهم قال : جئت جوف الليـــل ، مسجد سيد المسمى بمسجد الأوابين ، بنويدرة تريم ، فركعت فيه ما شاء الله ، ثم رجعت إلى البيت ونمت ، فرأيت كأن سيدى الشيخ عبد الله العيدروس ، وسيدى الشيخ عبد الله الحداد داخلان المسجد ، وكان كل منهما يريد تقديم صاحبه فى الدخـول ، ولم أدر من الذى تقدم منهما . وأخبرنى أيضا أن امرأة كانت حـــول المسجد المذكور ، فكانت كثيرا ما ترى أناسا يدخلونه بالليل ، وليس الوقت وقت صلاة ، ولا من العادة اختلاف الناس فى ذلك الوقت .

وأخبرنى بعضهم قال : نمت فيه أى المسجد ، وأنا صغير السن ؛ فلما كان وسط الليل ، وإذا أنا برجل مهيب ، يسألنى عن بعض أحوالى . فقلت له : ومن أنت ؟ فقال : ما حاجتك ؟ وإن كان أحد يفزعك ، ولم يخبرنى . وكان مسجدا مأثورا مشهورا يأوى إليه الصالحون ، ويألفه العابدون ، ولذا أضافه فى التسمية إليهم . وكان له به عناية خاصة . وكان يتردد إليه أيام النشاط وتماسك القوى، خصوصا ليلة ختمه ، وهى ليلة الثالث والعشرين من رمضان ، وقـد سمعت أنه كوشف بليلة القدر تلك الليلة ، فلعل ذلك السبب فى جعـل ختم مسجده بها ، ولعل غير ذلك ، والله أعلم . وأستغفر الله من الجراءة ، ثم صار آخـر عمره يأتيه آخر ثلاثاء ، فى كل شهر ، حتى مات ـ نفع الله به .

وكان يقول : لا يأتم بالناس فى مسجدنا هذا إلا مرموق ، وهو كذلك . وكانت عمارته سنة أربع ومائة وألف ، بجمع تاريخه بالجمل ، نطلب به رضاه .. وهو مما نظمه ـ نفع الله به ـ فى أثناء قصيدة أولها :

العبد قد بناه للرب من عطـاه   والعبد ليس يملك شيئا مع مولاه

إلى آخره ، وهى مثبتة فى ديوانه ، فانظرها ، وتأمل حساب ذلك .

قال بعض الصالحين من آل أبي علوى ، هو السيد الولى محمد بن عمر باحسن:

مسجــد فيــض أحب ولذى الألبــاب قــرب
شــاه فــرد وندب شيخنــا الحــداد حسب

❁❁❁❁

(الحكاية السادسة والسبعون بعد المائة)

روى لى بعض الثقات من آل أبى نافع . قال : كان جـدى متعلقا بسيدى ، وابتنى مسجداً بعيد يشبم ، وسماه له . ولا يعرف إلا بمسجد الحداد ، وكنت إماما ومؤذنا فيه ، فى شهر رمضان ، فدخلت ليلة ، وسط الليل ، قبل أن يأتى أحد إلى المسجد ، لم أسرج ، فما لبثت فيه يسيراً إلا وقد أسرجت فيه فتيلتان ، من غير مسرج أبداً ، فبهتّ من ذلك ، وخرجت هاربا ، حتى جاء الناس ، فدخلت معهم ، وبقى السراج مدة صلاتنا ، إلى أن خرجنا منه ، فاعتقدنا أن تلك الواقعة من بركاته واعتقاده ، حيث إن هذا المسجد مسمى له .

❁❁❁❁

(الحكاية السابعة والسبعون بعد المائة)

حكى بعض السادة قال : أعطانى سيدى ـ رضى الله عنه ـ حبوة ، فأخذتها وسافرت إلى صنعاء اليمن ؛ فلما وصلت بعض الطريق، فقدت الحبوة ، ولم أدر أين ذهبت ، وصرت متحيرا . فبحثنا عنها أشد البحث ، فلم نجدها أبداً ، وسرت ولبثت هناك زيادة على سنة ، ورجعت فوجدتها عند أهلى ، أرسل بها إليهم سيدى . وقال لهم : احتفظوا بها لفلان إلى أن يرجع ، فعجبت كل العجب .

وأخبرنى بعضهم قال : أردت المسير إلى دوعن ، فأعطانى سيدى ـ رضى الله عنه ـ كتبا رسائل إلى أناس هناك ، فأخذتها ، ففقدتهـا حول بلدة بور ، المعروفة من قرى حضرموت ـ بباء موحدة وراء ـ ففتشت عنها فـلم أجدها ،

فعرفت أنها سقطت ؛ فسرت آيسا منها . فلما وصلت إلى قرب المجيرة : البلدة المعزوفة ، نظرته فى الطريق ، فإذا هى ملقاة على الطريق ، فحملتها وعرفت أنها خارقة لسيدى ـ نفع الله به ـ .

وعنه أيضاً قال : كنت عند سيدى ، فجاءنى كتاب من أهلى من بلدى ، وذكروا لى أن ابناً لى أصابه الجدرى ، وعمى منه ، فاهتممت لذلك هما شديداً ، فشكوت وبكيت لسيدى : وقلت له : إما عافيـة تكون له من العمى ، وإما موت ؛ لابد من ذلك . وألححت عليه . فقال : إلا العافية . ودعا له فصرت ، فعند وصولى إلى بلدى زال عنه العمى ، كأن لم يكن أبداً وحدثت بهذه الحكاية ، والولد المذكور حاضر ، ليس به عمى ولا عشا ، ببركة سيدى ، ووعده الصادق ـ نفع الله به ـ .

(الحكاية الثامنة والسبعون بعد المائة)

حكى باشراحيل ، فى مؤلفه ، عن الفقير الصالح عبد الله بن صالح باكثير ، قال : جئت إلى تريم ، فوجدت أخى قد أقيم فيها عاملا للدولة ، ولم أرتض له تلك الحالة ، فشكوت إلى سيدى من ذلك . فقال : عزلناه . فعند ذلك جاء الخبر من عند السلطان ، أنه عزله . ثم إنى رأيت أخى ضاقت عليـه معيشته ، وتعب لذلك ، فشكوت له إلى سيدى عبد الله ـ نفع الله به ـ فقال : رددناه ، فعند ذلك جاء خبر رده إلى العمل ، من والى الأمر .

وقال لى يوما : يا عبد الله ما تقول لو أقمنا رجلا من آل فلان ـ يعنى فى الولاية ، وأخذنا عليه مواثيق وعهوداً ، هل يفى بها ؟ قلت : لا . قال : صدقت وبهذا يعرف أنه ـ نفع الله به ـ أهل العزل والتولية ، وأنه خليفة الله فى أرضه .

(الحكاية التاسعة والسبعون بعد المائة)

حكى أيضاً فى مؤلفه . قال : مرضت عند سيدى ، سنة من السنين فى مكانه مرضا ، أشرفت منه على الهلاك . فلما طال علىّ المرض ، هلعت وجزعت . فقلت لسيدى الشيخ عبد الله : ذكرت أهلى ووطنى ، احملونى إليهم . فقال لى : ابق هنا ، خير لك أن تموت عندنا ، ليحوطك الحصن ، يشير إلى نفسه . فقلت له : إن كان الحصن حصن كذا ، وذكرت حصنا حصينا ، منيعا مكينا حافظا ، هو يحيطنى ، وإن كنت بعيداً . ثم استغثت به فى إزالة مرضى ، فعوفيت منه ببركته ـ رضى الله عنه ، ونفعنا به ـ آمين .

(الحكاية الثمانون بعد المائة)

أخبرنى السيد الوالى محمد بن شيخ الجفرى أيضاً قال : كنت مرة جالسا مع سيدى ، فى بيته بتريم ، يوم الجمعة ، فسأل عن سيدى الأكمل أحمد بن زين الحبشى ، وكان إذ ذاك بتريم . وكان من عادته أن يقصد بيت سيدى عبد الله ، ويجلس فيه ، مدة إقامته بتريم . فقيل له : إنه خرج من البيت ، ولم ندر أين هو . فما لبثنا أن جاء ، فسأله سيدى : من أين جئت ؟

فقال : من عند سيدى أحمد بن عمر الهندوان .

قال : ماذا لقيته يصنع ؟

قال : ينظر فى كتاب « تأسيس القواعد » للشيخ زروق الشاذلى ، وهو مغتبط به جداً . فقال سيدى : هذا من العجيب ؛ إنا قد طالعنا فى هذا الكتاب من صغرنا ، وفتح لنا فيه ، وكذا غيره من كتب الشاذلية ، خصوصا لطائف المنن لابن عطاء ، ولو دمنا على مطالعة كتب الشاذلية ، خرجت منا شئون ؛ ولكن الله تداركنا بالإمام الغزالى وكتبه ، وبرجل من ساداتنا آل أبى علوى ،

من أهل البرزخ ، لينتفع بنا الخلق ، ثم قال : كان لنا خال من السادة آل الغصن ، وكان يدعى الكشف وكان فى نفسى منه شىء ، وكان يقــول لى فى صغرى : يا عبد الله عادك تحج سنة كذا ، وتدخل بندر جدة ، وتعطى بغلا ، وتركبه إلى مكة ثم تسافر من مكة إلى المدينة . فإذا كنت بين مكة فى مكة كذا ، صب الله عليك نورا من غير واسطة ، فتحقق لى كشفه ، حيث وقع لى جميــع ما أخبر به ، من الحج فى السنة التى عينها ، وركوب البغل من جدة إلى مكة المشرفة ، وغير ذلك .

وسبب ذلك أنى قلت له : إن بعض الناس امتدح جده بقصيدة ، فامتدحت أنا جدى الفقيه المقدم ، وعرضتها عليه . فقال لى : يا عبد الله إنا نرجو لك أكثر من ذلك ، وعادك أن تحج سنة كذا ، وساق إلىّ ما سبق ، من الكلام المتقدم . وقد ذكرت من هذا فيما يتعلق بحجه ـ رضى الله عنــه ، وعن سائر الصالحين ، ورحمهم ورحمنا بهم ونفعنا ، آمين . اللهم آمين .

(الحكاية الحادية والثمانون بعد المائة)

حدثنى سيدى ووالدى أن بعض الناس قال لسيدى الإمام عبد الله بن علوى الحداد يوما : يا سيدى كيف نكون بعدك إذا أنت مت ؟ فقال له : اسكت . أنت تموت قبلنا . فسكت الرجل ، ثم إن سيدى ـ رضى الله عنه ـ حصل عليه مرض ؛ أشرف منه على الهلاك ، نخيف عليه منه . فكان بعض السادة يقول : إن سيدى لا يموت من مرضه هذا . فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : إن فلان صحيح معافى ، وقد قال سيدى : إنه يموت قبله ، فكان الأمر كذلك . عوفى سيدى من مرضه ، والرجل مات بعد ذلك الكلام بمــدة ، وقبل موت سيدى بمدة طويلة .

(الحكاية الثانية والثمانون بعد المائة)

أخبرني بعض السادة قال : خرج السيد الجليل أحمد بن العيدروس، صاحب الوهط ، يعود سيدي لعارض حصل عليه في حدود سنة خمس عشرة ومائة وألف فقال سيدي للسيد أحمد : لعلك تخوفت علينا الموت ، وخوفنا عليك منه أكثر، فمرض السيد أحمد بعد ذلك ، واستمر عليه المرض حتى مات منه .

وكذا لما مرض ـ رضي الله عنه ـ أول مرة قيل له : أوصنا . قال : الحكم خفتم علينا الهلاك ، إني لا أموت من مرضي هذا . وعادني موعود ، أن أوصل إلى الله أربعين ، ممن اسمه عمر ، ولم يصل منهم إلا القليل . فعوفي ـ رضي الله عنه .

وكان شيخنا الإمام العارف أحمد بن زين الحبشي ـ نفع الله به ـ يقول : الذي يقع لي أن سبب قوله هذا أنه نظر إلى مقام العارفين الكمل ، ممن اسمه عمر فعظم لديه ذلك فأعطاه الله إكراماً أن يوصل هو إليه أربعين، مثل ذلك الكامل فهو إيصال خاص في خاص ، ليس الإيصال العام فإن ذلك شيء لا يحصى ، يعني بالهداية ـ نفعنا الله به وبارك لنا فيه . آمين .

فلما سمع جماعة من أصحابه هذه المقالة ، سموا أولادهم على هذه النية ؛ ومنهم والدي ، سمى الصغير من أولاده عمر على هذا القصد . أتم الله له ما قصد وإيانا في عافية . آمين يا رب العالمين .

(الحكاية الثالثة والثمانون بعد المائة)

حدثني السيد الجليل عقيل بن عيدروس باعقيل السقاف قال : أرسل شريف مكة جملة دنانير لسيدي الإمام عبد الله ـ رضي الله عنه ـ فاتفق أني أردت السفر

لبيت الله الحرام ، فأعطانى سيدى جواب الشريف بوصول ما أرسل به ، وطيباً وثوباً من لباسه . وكانت الرسالة المرسلة على يد بعض أعوانه ، فأمر سيدى بإطلاق الجواب على ذلك العامل . فلما آن سفرى قال : ربما تجدون الشريف قد غضب على ذلك العامل وعزله ، فيكون إطلاق الجواب على يد فلان ، فسافرت إلى مكة ووصلت ؛ فوجدت الشريف قد غضب عليه وعزله ، كما قال سيدى ـ رضى الله عنه .

وحدثنى بعض المباركين قال : سافرت إلى بندر الشحر وقلت لأخى : أخبر سيدى عبد الله بسفرى ، وأنى قاصد للحج هذه السنة . فلما وصل أخى إلى سيدى وأخبره بسفرى قال له : إن أخاك لا يصل إلا إلى الشحر فقط لا يتعداها ، أو يتعداها قليلا . قال : وأنا تجهزت للمسير من الشحر وركبنا البحر إلى المكلا . فلما وصلنا المكلا ، انصرفت همتى عن المسير إلى الحج ، وبدا لى الرجوع . فلما رجعت ووصلت إلى أهلى ، وجدتهم منتظرين قدومى . فقلت لهم : وكيف ذلك ؟ فقالوا : إن سيدنا أخبرنا أنك سترجع ؛ ولم يكن لى علم بقوله إلا حينئذ .

(الحكاية الرابعة والثمانون بعد المائة)

أخبرنى السيد عقيل قال : إن بعض فقراء سيدى من خواصه ، حصل بينه وبين بعض أهل الظاهر عداوة ، فقال لسيدى ـ رضى الله عنه ـ : ائذنوا لى أن أقرأ سورة الفيل على قصد إهلاك هـذا الشخص . فنهاه سيدى عن ذلك وقال له : إن الرجل المذكور لا تطول مدته . فمات الرجل المشار إليه بعد ذلك بنصف شهر .

وأخبرني السيد محمد بن علوى مساوى باعلوى . قال : كان من أهل بلدنا محمد رجل يخدم سيدى الشيخ عبد الله بتريم ، فاتفق أنَّا جئنا للزيارة ، في بعض السنين . فلما أردنا الرجوع قال لنا سيدى : إن فلانا — يعنى الرجل الذى يخدمه — يريد أن يموت ببلده استصحبوه معكم . قال : فسرنا وهو معنا . فلما وصلنا إلى بلدنا ، توفى ذلك الرجل من غير علة ظاهرة .

(الحكاية الخامسة والثمانون بعد المائة)

أخبرني بعض الثقات قال : انحدرت من بلدى شبام ، زائراً سيدى ، أنا وصاحب لى . فلما وصلنا إليه ، شكا صاحبي مرضاً كان بامرأته . فقال له سيدى : إذا رجعت فامض إلى السيد أحمد بن زين الحبشى ببلدة الغرفة ، وصف له مرضها وكان تحت المرأة أولاد صغار . فقال له سيدى : الله الله فى الصغار ، قم بهم . قال الرجل : فتعجبت من وصيته بالصغار وتحريضى على ذلك . فرجعنا ومضينا إلى سيدى أحمد ووصفت له مرضها فأعطانى دواء فعوفيت المرأة ، ثم إنها بعد ذلك مرضت مرضاً خفيفاً وتوفيت . فعند ذلك عرف الرجل وصيته بالصغار ، وأن ذلك اطلاع منه — نفع الله به .

وأخبرني بوقوع فتنة بين قبيلتين ، قبل أن يطلع عليها أحد وأخبر فيها بقتل شخص معروف . فكان كما أخبر — رضى الله عنه .

(الحكاية السابعة والثمانون بعد المائة)

أخبرني بعض الثقات من أصحاب سيدى : أن بعض السادة جاء زائراً لسيدى . فلما أراد الاستيداع منه ، يريد مكاناً خارج بلدة تريم . قال له سيدى : تريد هذا المكان ، وليس معك مركوب ، ولكن نيسر لك إن شاء الله —

مركوباً يوصلك إلى المكان الذى تريد . فلما خرج من الحاوى وخطا خطوات إذا برجل مقبل على الفرس . فلمـا رأى ذلك السيد نزل عن الفرس ، وألح على السيد أن يركب حتى أوصله إلى المكان الذى أراد .

وكذا ذكر باشراحيل أن بعضهم قال : انحدرت لزيارة سيدى فلما أردت الرجوع إلى بلدى . قلت له : يا سيدى إنى أريد الرجوع إلى بلدى ، وليس معه مركوب ، وما جئت إلا زائراً فقط . فقال : سافر وتجد المركوب — إن شاء الله — فلما خرجت من تريم إذا أنا برجل يقود حماراً . فقال لى : إنى أريدك أن توصل هذا الحمار إلى بلدك وأسلمه على فلان ، لرجل أعرفه ، فأخذته وركبته إلى بلدى ببركة سيدى — رضى الله عنه .

❁❁❁❁

(الحكاية الثامنة والثمانون بعد المائة)

أخبرنى بعضهم قال : جئت إلى عند سيـــدى وقلت له : إن بعض الناس يقول لى : تزوج ، نخاطرك معى . فقال : أنت ما قد حان وقت تزوجك، اتركه . قال : فلما وصلت إلى بلدى اجتهدت أن أتزوج بكل سبب فلم أستطع ولم يتهيأ لى ذلك بحال ، وأخذت سنتين أو أكثر ، ولم يتأت الزواج لى . فلما كان بعد سنين تزوجت . فقلت لسيدى : خاطرك معى ، أريد أولاداً . فقال لى : مراد الله تعالى خير لك من مرادك لنفسك .

وكان معى صاحب لى سأله ما سألته قال له : يأتيك الأولاد — إن شاء الله . فأتاه الأولاد وأنا لم تلد امرأتى قط ، فعرفت اطلاعه ، بقوله : خيرة الله خير لك .

وأخبرنى بعض الثقات الصادقين قال : أردت التزوج بامرأة . فـكتبت إلى سيـــدى — رضى الله عنه — مستشيراً وعينت له المرأة من هى فأجابني وقال لى :

تأنّ فى الأمر ولا تستعجل ، وتوصّف من المرأة المليحة . وهذا أمر إنما هو إلى النساء ــ يعنى النظر والاختيار فيه ــ قال : فكأنى استعجلت على التزوج بها ؛ فلم أر منها سروراً قط ، وما رأيت ما يعجبنى . فعرفت عند ذلك إشارة سيدى بالتأنى والتوصف ، وبقيت أتجرع مرارة الصبر عليها مدة حتى فارقتها ، ثم أعلمته بما جرى . فقال لى : ألم أنصحك أولا قبل الدخول فى الأمر بكلام قوى. فعلمت أنه كوشف بالحال ــ نفع الله به .

وأخبرنى بعض السادة الفضلاء قال : قال سيدى ــ نفع الله به ــ وقد استشرته فى التزوج ، وكنت متزوجا : أتريد أن تكون مثل حمار الرحا ، من كون إلى كون ؛ أما تريد النهوض إلى العالم الأسنى ، كما قال العيدروس أبو بكر ابن عبد الله ــ نفع الله به :

ولا تمش من كون لكون تكن كما حمار الرحا وارحل إلى العالم الأسنى

(الحكاية التاسعة والثمانون بعد المائة)

أخبرنى بعض الثقات قال : جئت إلى عند سيدى عبدالله ــ رضى الله عنه . فقال له رجل : هذا الرجل جاءه سبع بنات ولم يأته ابن ، وهو مشغول لأجل ذلك ، فخاطركم معه ؛ بحصول ولد ذكر . فقال : يأتيه الولد ــ إن شاء الله ــ وقال لى: إذا جاءك الولد فسمه كذا، ثم قرأ الفاتحة على نية حصول ذلك .فرجعت إلى بلدى ، ومررت على سيدى الحبيب أحمد بن زين الحبشى ــ نفع الله به ــ وأعلمته بما جرى لى مع الحبيب عبد الله ــ نفع الله به ــ فقال : ليس ذلك بعجيب وعاد الولد متبوعا بولد آخر ، فجاء الأول فسميته بما أمرنى ، حسب الإشارة ، ثم حملت المرأة وجاءت بولد آخر .

وسمعت أن السيد العارف محمد بن عبد الرحمن مديحج . قال لشيخ عمر باسالم ، فقير سيدنا الحبيب عبد الله ، فى بعض السنين : لا تزر نبى الله هودا هذه السنة ـ يعنى فى شعبان ـ فأخبرت سيدى عبد الله بما قال لى السيد محمد . فقال لى : ارجع إليه وقل له ، يقول فلان : إن كنت رأيت أن علينا فى زيارتنا هذه السنة شيئاً فأعلمنا به ؛ لنتركها جميعاً .

وكان السيد محمد من أرباب الكشف والمعرفة بالله ؛ فجاء إلى السيد محمد ، وبلغه ما أوصاه به سيدى . فصـــاح السيد محمد . وقال : مثلى لا يعترض على عبد الله الحداد استكباراً لقوله : إن يكن علينـا فى سيرنا شىء ، أعلمنا لنترك الزيارة . وأمرنى السيد محمد ، بعد ذلك أن أسير مع سيدى للزيارة ، فسرنا . فلما وصلنا ببحر حصل على شبه الجنون . فقال سيدى عبد الله ـ رضى الله عنه ـ لبعض السادة : نريدك أن تقرأ عليه وتحمل عنه علته ، ولا تأخذها إلا يسيراً ثم تزول عنك . قال : ففعل السيد وقام باسالم من ساعته ، ولحق السيد ما كان بعينه وأخذ بذلك يسيراً ، ثم زال عنه .

(الحكاية التسعون بعد المائة)

أخبرنى بعض السادة قال : قلت لسيدى الإمام العارف بالله الشيخ عبد الله ـ نفع الله به ـ : نرجو أن يطيل الله بقاءكم فقال : وإلى متى طول الحياة ؟ إشارة إلى أنه سئم الحياة .

ثم قال للرجل : إن والدك يموت قبلنا . وكان والده أصغر من سيدى ، فمات قبله بسنين كما قال ـ رضى الله عنه .

وقال : قلت له أيضاً : أطال الله بقاءكم يا سيـــدى . فقال : إن السيد على

ابن عبد الله العيدروس ـ يعنى صاحبه ـ منتظر لى ، وذلك بعد موت السيد على بأشهر . وكان بين وفاتهما سنة وقليل ، فكأنه كوشف بأنه سيموت بعده بهذه المدة اليسيرة . وكان يقول بعد موت السيد على : إنها لا تطول مدتنا بعده .

وسمعت أن السيد على كان يقول : إن مت قبل سيدى عبد الله ، لا تطل مدته بعدى ، وإن مات قبلى لا تطل مدتى بعده . قال : وجاءه أى سيدى رجل من أولاد الأمراء ، مستشيراً فى أمر بإلزام من أبيه . فلما جاء إليه . قال له : امض إلى فلان ـ يعنى من بعض أهل المظاهر ـ من أهل حضرموت ، فاستشره قال : إن أبى ألزمنى أن لا أستشير أحداً غيرك فقال : وإن ألزمك أن هذا عندهم ـ يعنى المناصب ـ له قدر كبير ، يعنى المشاورة فى الأمور ، طلبا للاستعلاء ، وعندنا شىء هين لا نعبأ به ، ولا يهمنا . ولو أردنا ما أرادوه من أمر الظهور ، لأخذنا جميع ما لهم من أمر الشهرة . وقال : قال لنا الشيخ عمر الزبيدى الصالح ، صاحب الحوطة : إنكم تسألون الناس عن أحوالهم ؛ لأجل الأنس ، ويطول منكم الكلام معهم ، ويشق عليكم ذلك ، ويكفيهم منكم المشاهدة فقط . فقلنا له : إنا لا نشتهى إلا السياحة فى القفار ، ولكننا قهرنا على هذا الحال وكلفناه .

(الحكاية الحادية والتسعون بعد المائة)

قال السيد الصالح المنور أبو بكر بن عبد الله البيتى الدوعنى : جئت زائرا تريم ، وقصدت عند سيدى ، ومعى حوائج لسيدى هدية ؛ ومنها شىء لنفسى ، ولا علم لأحد بذلك غيرى ، أعنى كون حوائجى وسط حوائجه . فأخذها الخادم جميعها ، وأعطاها سيدى ؛ فرد سيدى ما كان لى ، وأخذ ما أردته منها له .

قال : كنت إذا أردت وأملت أن أرى سيدى الحبيب عبد الله فى المنام ،

رأيته . فجرت منى هفوة ؛ فامتنعت عنى الرؤيا ، فكتبت له معتذرا ، فعادت الرؤيا كما كانت ، والحمد لله . ومكاشفاته لى على الخواطر لا تحصى .

وقد سمعته يقول : إن السلف والصحابة كانوا لا يكترثون بالكرامات ، ولا تذكر عنهم الكشوفات . وكان يثنى على قوة اليقين . وعند ذكر المناقب يثنى عليهم ، على قيام الليل .

ووقع فى نفسى يوما أن أصلى بعد أكل الطعام ركعتين فقال – رضى الله عنه – مكاشفا : كان الشيخ أبو مدين شعيب ، يصلى بعد الطعام ركعتين . قال : ووقع لى شهوة النساء ، وصليت خلفه ، فلما تم صلاته واجهنى وقال : أخروه للجنة ، يعنى تلك الشهوة .

❁❁❁❁

(الحكاية الثانية والتسعون بعد المائة)

قال السيد أبو بكر بن عبد الله البيتى الدوعنى أيضاً : رأيت فى المنام ، كأن سيدى الإمام الحبيب عبد الله الحداد باعلوى – نفع الله به – متربع فى الهواء ويقول : أين أهل القراءة ؟ فحضروا . فالتفت إلىّ وقال : ليس الشأن القراءة ، إنما الشأن الصبر لله . ثم أحرم بالصلاة فى الهواء ، وخلفه ثلاثة صفوف كالحلقة ، وفى أخرى : والناس حوله كالحلقة ، وفيهم سادة ؛ منهم السيد العارف أحمد بن عمر الهندوان – نفع الله بهم – .

قال : وزرت يوما تربة تريم ، واقتصرت على زيارة سيدنا الفقيه المقدم – رضى الله عنه – فقط . فلما رجعت إلى مسجد آل أبى علوى ، لقيت سيدى عبدالله فيه ، فسلمت عليه وصافحته . فقال أنت لا تزور إلا الفقيه المقدم ، مكاشفا لى . فقلت : نعم . فقال : هو الشىء كله .

وقال أيضاً : أخذت جارية وتسريتها ، ولم يعلم بها أحد غير الله . فلما جئت إلى سيدى قال لى ابتداء : كيف صارت الجارية حملت أم لا ؟ فقلت : لا . فبعد ذلك بيسير حملت ، وولدت سقطاً .

(الحكاية الثالثة والتسعون بعد المائة)

حدثنى بعض الثقات قال : عزمت من بلدى زائراً لسيدى وغيره من عباد الله الصالحين ـ رضى الله عنهم ـ وأنا مضمر فى نفسى التزوج بامرأة ، ولم يطلع على ما أضمرت إلا الله تعالى . ومرادى أن يكون ذلك بعد رجوعى من الزيارة . فلما وصلت إلى سيدى قال لى : مَن أنت ؟ فقلت : عمر بن فلان ، والناس يقولون لى : أبو عمر . فقال : يكون ذلك ، وليس لك ابن . فقال لى ـ على سبيل المباسطة ـ : أنت أبو علي . ومن قال لك : أبو عمر وأجبته ، ورم حلقك ولا تتزوج بفلانة ـ يعنى التى أضمرتها ـ بل صرح بها من غير أن أطلعه أنا ، ولا غيرى أطلعه على ذلك ؛ بل صريح الكشف . فلما وصلت إلى بلدى ، دعانى الناس كعادتهم بأبى عمر ، فأجبتهم فورم حلقى ووجهى ورأسى فى الحال ، من غير سبب ، ولقيت المرأة التى أردت التزوج بها ونهانى عنه ، قد تزوجت ، وأنا بتريم .

(الحكاية الرابعة والتسعون بعد المائة)

أخبرنى بعض الثقات قال : كنت مرة عند سيدى الأستاذ الشيخ عبد الله ـ رضى الله عنه ـ بمكانه الحاوى ، فجاء الخبر بوفاة السيد الفاضل الحسين ابن السيد العارف علوى بن عبد الله العيدروس ، صاحب ثبى ، ولم يتحقق لنا متى يريدون الصلاة عليه . ومن عادة أهل تريم غالبا ـ سيما السادة ـ أن لا يصلى على الميت إلا بعد صلاة العصر . فلما كان منتصف ما بين الظهر والعصر ، خرج سيدى ـ رضى

الله عنه ـ من بيته مبادرا ، وما يا خادمه : أن شد الفرس وأسرع ، وألح عليه في ذلك جدا فشدها الخادم ، فركب سيدى ، وأسرع فى سيرها جداً ، خلاف عادته ، وتبعه من كان هناك نحو خمسين فرسا ؛ من غير أن يأتى خبر بأنهم سيصلون عليه الآن . وليس من عادة أهـل تريم أن يصلى على جنائز السادة ، خصوصا ، إلا بعد صلاة العصر أو صباحا . فعرفنا أنه كوشف بذلك ـ نفع الله به ـ فوصلنا إلى الجبانة ، نحن وجنازة السيد حسين سواء ، ولم يقفوا فى المسجد ، بل صلوا عليه فى الحال ، ولو تخلفنا أدنى تخلف ، لم ندرك الصلاة عليه . وعرفنا أنه اطلع على ذلك .

(الحكاية الخامسة والتسعون بعد المائة)

أخبرنى بعض السادة قال : مات أبى فجـأة ؛ فاهتممت لذلك . وقلت لسيدى ـ نفـــع الله به ـ : إنى مشغول منه ، خاطركم معه . فسكت ساعة ؛ فاعتقدت أنه طالع الكشف ، من أجل والدى ، وما صار إليه . ثم أجابنى قائلا : إن والدك ثابت ، فسكن خاطرى .

وأخبرنى بعض فقراء الشيخ عبد الرحمن السقاف ، وكان أعمى . قال : جئت من بلدى ، ولازمت مسجد الشيخ عبد الرحمن ليلا ونهـــاراً ، وانقطعت فيه . وكان فيه رجل آخر أعمى ، ملازم فيه ؛ كملازمتى ، وكنـا نتردد على سيدى الحبيب عبد الله ، فخرجنا ليلا ، أنا وصاحبى . قال : فلما صافحناه قال لنـا : أنتم اثنان ، فى مسجد الشيخ عبد الرحمن ، وليس للشيخ إلا واحد منكم فقط ؛ هذه عادته . فأخذ صاحبى يومين أو ثلاثا . ومرض ، وطال به المرض ، وتوفى إلى رحمة الله ، كما أشار سيدى ـ رضى الله عنه ، ونفعنا به ـ وبسائر عباده الصالحين.

(الحكاية السادسة والتسعون بعد المائة)

أخبر بعض الثقات . قال : جاء رجل إلى سيدى ؛ أصابته جراحة عظيمة فى رجله ، فشكا إلى سيدى وقال له : ضاق علىّ حالى ، ولا صبر لى عليها ، وألح عليه فى ذلك . فقال ـ رضى الله عنه ـ : أنت روط ـ يعنى كثير الإلحاح فى طلب الشىء ـ اذهب واجعل على جراحتك الريطا ، وهى التى يسميها الأطباء : « البقلة الحمقاء » وفيها منافع كثيرة ، لا تكاد تحصى . فذهب الرجل ، وجعل ورق شجرة الريطا ؛ فبرئ فى الحال .

وأخبرنى بعضهم أن بعض أصحابه حصل له مرض شديد ، وهو بمكة المشرفة . ونام فرأى سيدنا عبد الله ، كأنه عليه ، فأصبح وكأن لم يكن به ألم ، ببركته ؛ لأنه كان من المتعلقين به ، والمحبين له .

(الحكاية السابعة والتسعون بعد المائة)

أخبرنى بعضهم . قال شكا بعضهم إلى سيدى جور الدولة عليه ؛ وأنهم أخذوا جميع ما كان له . فقال له سيدى : وعادهم أن يأخذوك ، فما لبث هذا الرجل إلا نحو نصف شهر ومات .

وسمعت أن بعض المنتسبين إلى سيدى ـ نفع الله به ـ طلب من سقاء فى الحرم المكى ، أن يسقيه فأبى . فقال له : إن شيخى عبد الله الحداد . فقال : أنا لا أعرف عبد الله الحداد ، على سبيل الاستهانة ؛ فمشى خطوات ، وبيده دورق فسقط الرجل والدورق ، فجرح الرجل ، وانكسر الدورق ؛ فاعترف أن ذلك بسبب قوله : أنا لا أعرف فلانا ـ رضى الله عنه ـ .

(الحكاية الثامنة والتسعون بعد المائة)

حكى لى بعض الثقات أن رجلا جاء إلى سيدى وشيخى عبد الله بن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ وشكا إليه جور الولاة فقال له : سر إلى بلدك ، وتوار من الشر ، ولو بقرملة ـ كما قيل ـ والقرمل : من أنواع الشجر . وتشتاق إلى أهلك ، ويشتاقون إليك . فسافر إلى بلده ، فحصل له مطلوبه . ثم إنه أوذى ، فرجعت أنا وإياه ، هــو شاك ، وأنا مستشير سيدى فى الحج : فلما وصلنا إلى مكانه ، خرج إلينا الخادم . وقال لنــا : يقول سيدى : مقاصدكم صالحة ، وحوائجكم مقضية ، من غير أن تسبق منا شكوى ، ولا استشارة ، فانشرح الصدر ، وزال عنا الهم ، ببركته ـ رضى الله عنه ـ .

وحدثت أن بعضهم ضاع له حمار ، فأعيى فى طلبه ، حتى بلغ منه الجهد ، فلم يدركه ؛ فاستغاث بسيدى عبد الله ، فحال ما استغاث نهق الحمار ؛ فعرف مكانه فأخذه .

❧❧❧❧

(الحكاية التاسعة والتسعون)

حدثنى بعضهم قال : سافرت أنا وأخ لى إلى مكة المشرفة ، فمرض أخى ، حتى بلغ الغاية فى التعب ، وغشى عليه ، من شدة ما به . ثم إنه أفاق من غشيته تلك ، وخف مرضه ، غير أنه لا يقدر على الكلام ، فطلبنا له بعض الأطباء ، ففصده فى أكحله ، فخرج منه دم أسود كثير جداً ، ثم حرك لسانه ، فخرج منها مثل ذلك . ثم إنه تكلم فقال الطبيب : إن هذا الدم غشاء باطنه ، أو قال : كبده ، ولو بقى فيه قتله . فأخبرنا أخى قال : إنى قبل إفاقتى بقليل رأيت كأن جماعة أقبلوا علىّ يريدون البطش بى ، فهمّ واحد منهم بالقدوم علىّ ؛ فإذا بسيدى الحبيب عبد الله بن علوى الحداد قد أمسك بكتفه ، ودفــعه عنى ، فاستيقظت

وأفقت ، وخف مرضي ببركته . فلما رجعنا إلى عند سيدى بتريم ، أخبره أخى بما جرى ؛ فلما وصل إلى قوله : فدفعته عنى قال له ـ رضى الله عنه ـ الأمر كذلك .

(الحكاية المرفية مائتين)

أخبرنى السيد حسين البيض قال : رأيت كأن مع سيدى الإمام الشيخ عبد الله إناء ماء ، وسيفاً طويلا ، فى عرض شبر . ويقول : هذا السيف بيدى لا أطلقه إلا على الشيخ ؛ فانتبهت ، فكتبت إليه إعلاماً بذلك ، فأجابنى : وأما الرؤيا التى رأيتم ، فالسيف الذى ذكرته لعله سيف الحق ، ولا شك أن صاحبه ما ينبغى أن يضعه خصوصاً فى هذا الزمان ، ولم يفسر الماء .

قال : ورأيت مرة أخرى ، كأن سيدى عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ قطعة نور ، أرى شفتيه كأسنانه من شدة النور الذى هو فى جميع جسده وكأنه مقبل على يؤنسنى . ويقول لى : حبيبك يثنى عليك ، ولم يعينه من هو ، ووقع لى أنه يشير إلى سيدى أحمد . فلما أخبرت سيدى أحمد بر[illegible] ياه قال : كذلك الأمر ؛ إنه أعجبنا .

ورأيت أنا فى جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين ومائة وألف ، [illegible] مكتوباً فى ورقة : أخبرنى فلان بن فلان أن فلانا قال لفلان : اقرأ السلام على الحبيب عبد الله الحداد ، وقل له : إنا مشتاقون إليكم ، ونحب الانتساب إليكم .

وكان الحامل للسلام يقول : إنى لقيت سيدى الحبيب [illegible] مكان كذا ، وبلغته السلام والكلام ، وإنه يقول : نحن بحمد الله لا ننتسب إلا إلى الله ، لا ننتسب إلى غيره أبداً .

(الحكاية الحادية بعد المائتين)

عن أبى شراحيل قال : أخبرنى بعضهم أنه آذاه رجل، فشكا ذلك لسيدى الشيخ الإمام عبد الله بن علوى الحداد فقال للرجل : لا تخف شره فما عاش إلا قليلا ومات؛ وكفى شره .

وعنه : قال ظلم بعض المنتسبين ، اللائذين بسيدى ـ رضى الله عنه ـ وتعاون على ظلمه جماعة وحكم عليه بحكم باطل ، وشهد عليه بشهادة زور . فقال ـ نفع الله به ـ : كل من أعان على ظلم فلان لا بد أن يصاب بمصيبة . فبعضهم قتل ، وبعضهم ورم وتصدع ، وبعضهم اختل عقله ؛ حتى ماتوا جميعاً فى مدة يسيرة .

(الحكاية الثانية بعد المائتين)

عنه أيضا قال: حدثنى بعضهم قال : شكوت إلى سيدى رجلا كان يؤذينى فقال لى : اصبر وإن طال عمرك رأيت اليوم تندب فى بيته ، فى حياته وبعد مماته .

وعنه قال : وقع بينى وبين عامل الدوعن مشاجرة ؛ فلما حان حين خرص الدولة للنخل تخوفت جور ذلك العامل ، فى خرص نخل كان لى خوفا شديداً ، لما وقع بينى وبينه من العداوة ، فاستغثت بسيدى عبد الله ، فى دفع شره ، فلطف بى ورأف ، بل نسى البعض بلا خرص ، ولم أدر أعمد منه ذلك أم عمى عنه ؛ كل ذلك ببركة سيدى عبد الله ـ نفع الله به .

(الحكاية الثالثة بعد المائتين)

أخبرنى إبراهيم ابن الشيخ الصالح المجذوب محمد المغربى قال : أخبرنى والدى محمد بالحرم الشريف قال : لما خرجت من الغرب ، وجئت إلى سيدى الملاذ ، غوث البلاد والعباد : عبد الله بن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ ومكثت

عنده مدة مديدة ، فشكوت إلى سيدى حكة فى ظهرى شديدة . قال لى : هذا ولد فى ظهرك ؛ أخرجه . فظننت أنه يمزح معى ، فعاودنى ، فشكوت ذلك ثانياً . فقال لى : تزوج . وخطب لى امرأة وتزوجتها ، فمكثت معها مدة غير بعيدة ؛ ثم قال ـ نفع الله به ـ سافر إلى دوعن ، فسافرت ثم رجعت . ثم قال لى : سافر إلى الحرمين ، فلم تطب نفسى ، لقرب عهدى بالتزوج . فقال : سافر وإلا مت بتريم قريبا . عند ذلك طبت نفسا ؛ ورغبت فى السفر . فقال لى : إن امرأتك حملت بولد ذكر وسيلد ويكبر ، ويحج سنة كذا ، هو وولدنا الحسين ، ويجتمع بك فى الحرمين ، ويخرج من سنته ، ثم يعود أخرى بعد سنين ، ونعطيه لك كفنا ، وتمرض هناك ، ويحضر هناك وتجهيزك ، ولا تموت إلا أوان الرطب . ولا بد أن تطعمه .

فقال إبراهيم : فولدتنى أمى ، وتربيت فى بيت سيدى . فلما كبرت قال لى : نريدك تحج مع ولدنا الحسين ، فامتثلت أمره ، وسافرت معه ، وحججت معه أول حجة ، واجتمعت بوالدى ، وخرجت إلى حضرموت ، ومكثت فيها سنين . ثم قال لى سيدى : ربما قربت وفاة والدك ، نريدك أن تسافر تحج وتحضر وفاته ، وأعطانى له ثوبا كفنا ، لعلها من كسائه .

قال : فسافرت . فلما وصلت إليه قال : أرسلك إلى سيدى تقبرنى ، إنه وعدنى بذلك ، ولكننى لا أموت إلا أوان الرطب والنخل إذ ذاك طلع ، فأخذت أشهرا ، حتى حان حين الرطب ، وليس بوالدى مرض . فلما اشتكى ، دخل عليه بعض أصحابه ، ومعه شىء من الرطب ، فأطعمه منه ، وتوفى بعد ذلك بقليل ، وكفن فى ثوب سيدى ـ نفع الله به .

وكان هذا الدرويش الصالح : محمد المغربى ، صاحب عبادة ونسك ، وزهد

فى الدنيا . وكان من الذاكرين الله كثيراً ؛ سراً وجهراً ؛ وكانت دموعه تنهل عند الذكر . وسمعت أنه كان فى بلده كثير الترفه . فلما صار إلى سيدنا شيخ العباد عبد الله الحداد ، قنع باليسير من القوت الخشن . وسمعت عنه أنه آخر عمره بالحرمين لم يكن له غذاء إلا ذكر الله . وكان لا يبيت على معلوم ، يخرج كل ما فتح به عليه ـ رحمه الله ـ .

(الحكاية الرابعة بعد المائتين)

عن عبد الله بن محمد شراحيل الأشرم . قال : قال لى السيد الفاضل الحسين ابن شيخ مساوى باعلوى : كان ـ ببلدنا عمد ـ رجل عامل ، من عمال الدولة ، يؤذينى ، ويجور علىّ ؛ فشكوت إلى سيدى عبد الله عنه من ذلك . فقال : ما تريد ؟ فقلت : أريد قلع الشجرة . فقال سيدى : نزيل الغصن الذى يؤذيك منها . فمات ذلك العامل ، بعد ذلك بأيام قلائل ؛ وفرج الله عنى ، وعن أهل بلدى منه ببركته ـ رضى الله عنه ، ونفعنا به ـ آمين .

وعنه أيضاً قال : كلمنى ساعى الدولة ، فى طلب شىء من المال ، ولم يكن معى شىء ، فاستشفعت بأناس كثير ، فلم يغنوا شيئاً ، فانحدرت إلى تريم ، وشكوت إلى سيدى ذلك . فقال لى : امكث عندى أياما ، فجلست أياما . ثم قال : سافر إلى بلدك . فقلت : عسى أن تكتبوا لى شفاعة ، فى حط ما طلب منى فقال لى : قد كتبنا لك إلى السماء ، ورفع طرفه إلى السماء ، فسرت إلى بلدى ، فلقيت ذلك الساعى مراراً كثيرة ، ولم يكلمنى فى شىء أصلا ، وكأنه لم يعرفنى ، فعرفت عند ذلك أن سيدى ـ رضى الله عنه ـ شفع لى إلى ملك الملوك ـ سبحانه وتعالى .

(الحكاية الخامسة بعد المائتين)

أخبرنى بعض الثقات ، من أهل تريم . قال : حصل علينا جور شديد ، من جهة الدولة ومطالبهم ، وأعطيناهم شيئاً من المال كثيراً . ثم بعد ذلك جاء إلينا من له إلمام ، وتطلع على أمورهم ، وقال : إنى رأيت مكتوبا عليكم فى جريدتهم شيئاً كثيراً . وكان ذلك الرجل ناصحا لنا ، فيما نرى . فخرجنا إلى حمى سيدى الحاوى ، مستجيرين من جورهم وظلمهم . وكان ذلك وسط الليل ، فقصدنا مسجده ، ولم يعلم بمجيئنا أحد فى ذلك الوقت . فلما كان آخر الليل ، خرج — نفع الله به — من بيته إلى المسجد . فصافحته ، فأمسك يدى وقال : أنت فلان ؟ فقلت : نعم . مع أنه لا يعرفنى قبل ذلك أصلا ؛ لقلة ترددى إليه ، وهو مكفوف البصر ، ثم قال ابتداء : شغلتكم الدولة ؟ فقلت : نعم . فقال : شغلهم الله — ثلاث مرات — ثم قال : كفاهم الله — ثلاث مرات . ثم توضأ ، وصلى ما شاء الله أن يصلى ، ثم قال لى : اجلس واطمئن ، حتى الصباح ، ونحن ننظر فى أمرك : فلما أصبحنا وصافحته قال ابتداء : أنت فلان ؟ فقلت : نعم . قال : اطلع إلى البلد ، ولا شىء عليك . قلت : كيف يكون ذلك ، وهم يطلبوننا . ولم تساعدنى نفسى على الطلوع ، فجلست حتى حان وقت الظهر ، فلما خرج للصلاة قال لى : فلان . قلت : نعم . قال : لم لا تطلع البلد ؟ قلت : خشيت أن يظفروا بى ؛ لأنهم بالمرصاد .

فلما كان بعد صلاة العصر صافحته . قال : أما طلعت ؟ قلت : لا . أضجرت من جلوسنا عندك ؟ قال : لا غير أنه لا بأس عليكم فى الطلوع إلى البلد . قال : فطلعنا ؛ فلما كنا أثناء الطريق إذا برسول قد أقبل إلينا ، عند بعض الأصحاب المتطلعين إلى الديوان يقول : اطلعوا إلى البلد ؛ فإنى نظرت جميع جريدتهم ، فلم أنظر عليكم شيئاً مكتوبا أصلا ، وإنى فتشت عند ذلك أبلغ تفتيش ، فلم أر شيئاً مكتوبا . فكان الأمر كذلك . وذلك ببركته وتصريفه .

(الحكاية السادسة بعد المائتين)

أخبرنى بعض الثقات قال : قدمت من صنعاء اليمن ، فى بعض السنين إلى بلدى ، فإذا الناس يقولون لى : إن الدولة يطالبونك بكذا من المال ، شيئاً كثيراً ؛ وأرجفوا علىّ ، فانحدرت إلى تريم ، قاصدا سيدى وشكرت إليه الحال . فقال لى : اجلس عندنا ، فمكثت تسعة عشر يوما ، ثم قال : سر إلى بلدك ، ولا بأس عليك ، ولا يطالبك أحد بشىء ، ولم يشفع إلا إلى الله عز وجل . قال : فسرت إلى بلدى . ولما وصلت إليه لم يكلمنى أحد فى شىء أصلا ، وكان لم يكن من الأمر الذى هربت منه شىء أبدا .

وعن عبد الله شراحيل قال : أخبرنى رجل قال : شكوت إلى سيدى أذى رجل جار لى ، فقال : اصبر قليلا ، وسيبدلك الله خيراً منه . فما كان إلا قليل ، وأبدلنى الله خيراً منه ، وكفيت شره ، ببركته ، نفع الله به .

(الحكاية السابعة بعد المائتين)

أخبرنى الوالد ـ رحمه الله ـ قال : جئت إلى سيدى غوث العباد : عبد الله ابن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ أول يوم من شعبان سنة أربع وعشرين ومائة وألف والسماء إذ ذاك مطبقة بالغيم ، ولم يكن رعد ولا برق ، ولا مطر مدة متمادية . فقال سيدنا الأستاذ ـ نفع الله به ـ : سبحان الله ! السماء لم تزل مطبقة بالغيم ! ولم يكن رعد ، ولا برق ، ولا مطر . إن أمر هذا الحال ، ماندرى مايكون عاقبته ، أو تخشى عاقبته ، أو نحو ذلك . فلما كان السادس والعشرون من رمضان ، تلك السنة ، وقع بحضرموت سيل عظيم هائل ، من وادى عدم ، ومن دوعن ووادى عمد ، وغير ذلك . فكان من ذلك أمر لا يوصف ، غرق فيه أناس كثير ودواب ، وأخرب دوراً ومساجد كثيرة ، وقطع وقلع نخيلا لا تحصى .

وأخبرنى بعض السادة قال : لقيت سيدنا الإمام عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قبل هذا السيل بأيام قريبة . فقال لى : من أين جئت ؟ فقلت : إنى أغرس نخلا فى مجرى وادى عدم المذكور فقال لى : من الآن لا عاد تغرس فيه شيئاً أبداً . فراجعته مراراً ، رجاء أن يرخص لى . فأبى وقال : ما قد غرس يكفى . فعند ذلك سكت لما رأيت من تصميمه ، وامتنعت من الغرس .

وبعد أيام جاء هذا السيل الهميم والهول العظيم ، وعرفت عند ذلك إشارته لى بعدم الزيادة على ما قد غرست ، وأنه كشف له عن الحال وما الأمر صائر إليه فى المآل رضى الله عنه .

وأخبرنى بعض الصادقين من فقرائه ـ نفع الله به ـ قال : كنت كثير التردد إلى بيت جبير فى رمضان تلك السنة ، لأن لى نظراً على أموال سيدى التى بها ، ويكون عبورى فى مجرى الوادى المذكور ، أى وادى عدم . فكان سيدى قبل هذا السيل بأيام يقول : لا تكثر الخروج إلى بيت جبير هذه الأيام . فربما يكون سيل عظيم فى طريقك ، فإن هذا الوادى معهود بذلك . فلما كان قبل هذا السيل بيوم قال لى ذلك ـ ثلاث مرات ـ وحذرنى من الخروج .

وكان هذا السيل فى نجم الحوت الذى هدمها من المساجد سيل وادى عدم فقط نحو اثنى عشر مسجدا ؛ وأما الدور فشىء كثير جداً ، وهلك فيه أنفس ، وكان من غير رعد ولا برق ، وكان مروره تحت تريم ، وقت طلوع الشمس .

وسمعت أن مولانا الحبيب عبد الله يقول : إنه لم يرسل لهلاك الآدميين ، وإنما أرسل لهلاك الأموال . وكان يقول : هذا السيل دمى ، والرب جابر .

وكتب ـ رضى الله عنه ـ إلى أحد خواص أصحابه بدوعن ، وهو السيد الجليل عمر بن عبد الرحمن البار : وما شرحتم من حال الأمطار والسيول الواقعة

بالوادى وغيره ، فذلك تقدير العزيز العليم ، وشأن عظيم من شئون العزيز الرحيم .
وكذلك وقع عندنا ابتداء المطر ، من نحو الظهر ، يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر رمضان ، وهو يخف ويكثر تارة بتارة ، من غير رعد ولا برق ولا رياح ، حتى كان نحو الشرق . وأقبل سيل كبير فى الغاية ، من وادى عدم فقلع النخيل وأخرب الغرف التى فى مجراه ، وعلى جوانبه ، حتى إنه دخل النخر بعينات وجرى على الترب وأخرب أكثر الدور ، بقرية قسم الحوطة ، وهدم الجامع بها ، وسلم الله النـــاس إلا الآحاد ؛ فالحمد لله على ذلك . وذلك من الآيات المخوفات .

وإذا صارت الآية التى هى من مظاهر الرحمة ، فى صـــورة البلاء والنقمة ، كان ذلك أشد خوفاً عند من يخافه ويخشاه ، ويدين بحقائق تقواه وهم الأقلون ؛ فإنه سبحانه إنما يخص بحقائق الإيمان به من الخوف والرجاء وغيرها ، أهل العلم واليقين الذين نعتهم فى كتابه بقوله : « والذين هم من خشية ربهم مشفقون » الآيات . الذين هم فى حيز القرب ، ومظنة الزلفى من حضرته المقدسة . جعلنا الله وإياكم منهم .

وكتب لبعضهم يصف هذا السيل : إنه من بيت مسلمة وحادر أخذ النخل الذى بالمسيلة وبجوانبها ، فلم يدع شيئاً يقال له شىء . وكذلك الأبنية التى على تلك النخيل ، ونحو عشرة مساجد . وانحدر إلى قرية عيفات ، وجرى فى النخر جرياً مفزعاً . وكذلك فى قسم .

وأخذ بها أكثر الدور ، ومسجد الجامع ، مع أنه مسجد قديم ، أظنه فى البحر . وذلك من الآيات ، وأخذ من تريم إلى بيت مسلمة إلى حدواً نحو ثلاثين نفساً من غير النيول وساه ونواحيها ، فجماعة مستكثرة — يعنى من بنى آدم . ولله الأمر من قبل ومن بعد [illegible]

وإذا كثرت الحوادث والبدع في الدين، لم يكن إلا هذا، وأمثاله سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا . نسأل الله لنا ولكم العافية والمسلمين، قبل حلول البلاء، ووقوع سوء القضاء، والوفاة إلى رحمة الله قبل هذه الفتن والمحن والبليات، المزلزلة للعقول والقلوب والأجسام، فإنما نحن له وبه ونستشفع برسول الله ﷺ في الحفظ في موجباتها ومقتضياتها ؛ فإنه لا تنزل عقوبة إلا بذنب، ولا ترفع إلا بتوبة . والسلام . انتهى .

(الحكاية الثامنة بعد المائتين)

أخبرني عباد بن أبي بكر شراحيل قال : أخبرني عبد الرحمن بن نعمة الله، وكان وزيراً لبعض الملوك . وكثيراً ما كنت أسمعه يستغيث بسيدي غوث العباد والبلاد : عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به عند كل ما ينوبه، وفي جميع تقلباته . فقلت له : إني أسمعك كثير الاستغاثة بسيدي عبد الله . فقال : نعم . إني قد زرته قديماً أنا ووالدي .

وأشار على والدي بالمسير إلى أرض الهند من أجل غرض، فوقع بخاطر والدي عدم المسير إلى الهند ولم تطب نفسه بذلك .

فقال له سيدي : لم لا تهوى المسير إلى الهند ؟ لا بد أن تسير إليها، وتدخل بندر سورت، وتمسك فيها سفنتين كاملتين، ثم تسافر إلى بندر جدة، وتجتمع ببعض أولادنا، ويحصل لك مطلوبك .

قال والدي : وكان مطلوبي أن أموت بمدينة رسول الله ﷺ قال : فسافرنا إلى بندر الشحر، فوافينا سفينة متجهزة إلى بندر جدة، فتهيأنا للسفر فيها، وعزمنا على ترك سفر الهند، لعدم طيبة النفس به، وتيسير هذه السفينة،

فركبنا فيها . فلما وصلنا بندر اللاحية المعروف باليمن ، حصل علينا تخوف من جهة الدولة ، فانصرفنا عن ذلك البندر . وهبت ريح الشمال فأرجعتنا من حيث أتينا ، حتى مررنا على بندر الشحر من غير اختيار منا بندر سورت ، من أرض الهند ، على نحو نصف شهر من اللحية ، فعرفنا إشارة مولانا الحبيب عبد الله ، فدخلنا البندر ، وأقمنا به سنتين .

ثم سافرنا منه إلى بندر جدة ثم إلى الحرمين ، واجتمعنا هناك بالحسين ابن سيدنا - كما قال لنا ، ثم إن والدى توفى بعد ذلك بمدينة الرسول ﷺ كما وعده سيدى بحصول مطلوبه - نفع الله به .

(الحكاية التاسعة بعد المائتين)

حدثنى سعيد بن أبى بكر بافضل التريى بتريم ، بجانب مسجد بنى علوى - نفع الله به - قال : هممت أنا ووالدى بالسفر إلى أرض الهند ، وعزمنا على ذلك وجزمنا . واستصحبنا معنا حوائج وهدايا من أهل تريم إلى أناس هناك ، ولم يبق إلا الاستيداع من سيدنا الإمام شيخ البلاد والعباد : عبد الله بن علوى الحداد ، فخرجنا للوداع منه ، وأعلمناه بسفرنا .

فقال لنا : سفركم هذا ليس إلى الهند ، إنما هو إلى الحرمين للحج ، وليس رجوعكم بعد الحج إلى تريم . فتعجبنا من قوله كثيراً ، لعلمنا بما فى أنفسنا ، من الهمة والعزيمة إلى الهند ، دون الحرمين الشريفين . فسرنا إلى بندر الشحر قاصدين الركوب منها إلى الهند ؛ فلما وصلنا إلى الشحر إذ السفينة متجهزة للمسير إلى الهند ، فقلنا لصاحب السفينة : نريد الركوب معك . فقال : لا بأس ولكن عليكما أضعاف أضعاف ما على سائر الناس .

فقلنا : كيف ذلك ! ؟ وعالجناه العلاج الشديد فى المسامحة ، فأبى إلا ذلك . فجئنا إلى بعض السادة ، متوسلين به إلى صاحب السفينة فى المسامحة . وكان ذلك السيد صاحب سفينة ، وكانت لأبى معه محبة ومودة . فقال لوالدى : ما تقول لو أنى طلبتك حاجة وأنت تقدر عليها أتجيبنى إليها ؟ قال : نعم . فشاهده السيد على ذلك ، ولم يعلم والدى ما الحاجة .

فقرأ السيد الفاتحة ومن حضر عنده ، على قصد الوفاء بالعهد . فلما قرأوا الفاتحة . قال : الحاجة أن تسافر بسفينتى هذه إلى جدة . وعند ذلك تفطنا لكلام سيدنا ، وعرفنا اطلاعه بقوله : ليس سفركم هذا إلى الهند ، إنما هو إلى الحرمين فسافرنا إلى جدة وحججنا تلك السنة ، ولم يتفق لنا المسير من مكة إلا إلى حضرموت كما قال ـ رضى الله عنه ، ونفع به .

(الحكاية العاشرة بعد المائتين)

أخبرنى جماعة ثقات من آل باشراحيل قالوا : لما عزم الشيخ الصالح عبدالقادر ابن الشيخ العارف محمد باشراحيل ، صاحب الغريب ، على السفر إلى الحج ؛ وهو إذ ذاك بمدينة شبام ، متزوج بها ؛ كتب لسيدنا الأستاذ غوث العباد ، مستشيراً له فى المسير إلى الحج ، وسن سيدى إذ ذاك فوق عشرين سنة فاوهم فأجابه ـ نفع الله به ـ بما حاصله :

وصل كتابكم ، تذكرون فيه السفر إلى الحج ، فاعلموا أن سفركم هذا ليس إلى الحج ، وإنما هو إلى البرزخ ؛ فالوصية منا إليكم : أن تسلموا على رسول الله ﷺ وعلى والدك محمد ؛ وأحسبه قال : والموعد نحن وإياكم البرزخ فوافاه الكتاب بشبام ، فوضعه فى قفص كان له . ثم تجهز للمسير للحج وخرج

من البلد وخرج معه أناس من أهلها يودعونه، ورجعوا من أثناء الطريق ؛ وبات تلك الليلة بقرية الغريب . فمات من آخر تلك الليلة ، وطلعوا به إلى مقبرة شبام ، وخرج لعراض جنازته من ودّعه بالأمس إلى المكان الذى وصل إليه ، ودفن إلى جنب والده الشيخ محمد بحرب هيصم . ثم إنهم فتشوا قفصه ، فلم يجدوا فيه إلا شيئاً يسيراً من الدراهم ، وكتاب سيدنا الأستاذ عبد الله الحدا ؛ الذى فيه بالإعلام بقرب موته وتجهيزه للدار الآخرة . وبقى الكتاب عندهم مدة سنين يتناوله خلفهم عن سلفهم .

قلت : الشيخ عبد القادر هذا قد ذكرته فى الباب الأول ، وهو الذى كان يقول فيه سيدنا : إنه من الرجال ، وهو الذى كان يقول ـ وسيدنا عبد الله فى سن الصبا ـ : إنه سيكون له شأن عظيم ، وهو الذى لحده والد سيدنا أحمد بن زين وضحك فى وجهه ، وهو فى اللحد .

وكان صاحب كرامات ومكاشفات ، وكان مولانا أحمد بن زين الحبشى ـ نفع الله به ـ يحدث عنه بشىء منها ، أعنى عن والده ؛ لأن الشيخ عبد القادر مات وسيدى أحمد فى البطن قال لوالده : سيأتيك ابن عظيم الشأن ، يرث مقام جده الشيخ أحمد الحبشى صاحب الشعب ـ نفع الله بالجميع .

(الحكاية الحادية عشرة بعد المائتين)

ـ حدثنى السيد الجليل العارف بالله : جمال الدين محمد بن السيد الفاضل شيخ ابن حسن الجفرى باعلوى . قال : حضرت درس سيدنا الأستاذ الأكبر شيخنا عبد الله علوى الحداد ـ نفع الله به ـ فلما انقضى الدرس ، طلب الفاتحة ـ رضى الله عنه ـ ودعا بالناس ؛ فلما كان أثناء الدعاء ، قبل أن يختمه ، وضع يديه وقال :

استمعوا منى لابد أن يحصل على أهل حضرموت من دولتهم أمر؛ يود أصحاب المال أن ليس لهم مال ، ولـكن يمتد وقته . فبعد مدة ، حصل على الناس جور ، من بعض ولاتهم . فقيل : هذا ما أوعدتم به . فقال : لا ، وسيكون لهذا الوالى سبع سنين ، فإن قدر للجهة وال وإلا ولينا عليها أحداً ، ولـكن ليس فى بنى فلان من خير ، فإن يكن منهم وال ، فهو فلان ، فعزل ذلك الوالى ، بعد انقضاء السبع السنين ، وتولى آخر ، فحصل منه الجور . فقيل : هـذا ما أوعدتم به . فقال : لا . فقيـــل له : إنا سمعنا أن قبيلة كذا خارجة إلى حضرموت . فقال : نعم ، يخرجون إليها ويأخذونها ولا يرد منهم أحـــد . ثم قال لبعض الحاضرين : إن السلطان فلان سوف يأتيك إلى مكانك . الله الله فى جبر خاطره وإيناسه .

فسافر الرجل إلى بلده فلقى القبيلة المذكورة خارجة فى الطريق ، وأرجف الناس أن ذلك السلطان قتل . فبعد مدة جاء السلطان إلى ذلك الرجل ، كما قال سيدى — نفع الله به — فلما استقرت تلك الطائفة على الجهة ، واستولت عليها بالقهر سأل عن الوالى الذى هزمته هـــذه الطائفة . فقيل : إنه هارب إلى بلد كذا . فقال : لا يكون عليهم وال إلا هو ، ثم إنه تولى عليهم بعد ذلك . ثم قال سيدنا : إن مدة ولايته خمس عشرة سنة ، أو قال ثمانى عشرة سنة ، وإن عدل فنرجو أن يزاد له . فقال له قائل : يا سيدى نرجو أن يكون هذا الوالى المشار إليه مثل عمر بن عبد العزيز فغضب . وقال : نحن لو أردنا أن نعدل فى بيتنا يوما واحداً ، مثل عمر بن عبد العزيز لأنكرتنا ثيابنا هذه ، وأمسك بكمه — رضى الله عنه — .

(الحكاية الثانية عشرة بعد المائتين)

أخبرنى السيد محمد المذكور . قال : جاء إلى زيارة سيدنا الأستاذ الإمام الأعظم عبد الله بن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ ابن أخ لمن قد ولى حضرموت ؛ فسأله سيدنا عن عمه المشار إليه . فقال : إنه عبر إلى بلد كذا فقال : وما الذى يمنعه من زيارة الفقيه المقدم ؟ ولكن لا يقع له من هذه البلدة التى سار إليها إلا تربتها ، فتوفى ذلك الرجل بتلك البلدة ، بعد هذا الكلام بأيام .

وحكى أنه شكى إليه من جور بعض الولاة فقال للشاكى : ما الذى تريدون منا ؟ قال: اقتله، أو كلمة نحو هذا؟ فتمعر وجه سيدنا، وكان راكبا فرسه أو بغلته. قال لى ابنه الحسين : كنت معه عند ما قال له الرجل ما قال ، فهز فرسه ، ولم يتكلم . وذلك أول النهار . فما كان آخر النهار أو أول الليل إلا وقد مات ذلك الرجل المشكو منه .

وحدثنى السيد الولى عبد الرحمن بن محمد بارقبة باعلوى قال : سافرت أنا وبعض السادة قاصدين الحج لبيت الله . فقال لى سيدى عبد الله : أنت تحج ، وصاحبك الذى معك لا يحج هذه السنة . فلما كنا بأرض اليمن ، فارقنى ذلك السيد ؛ ولم يحج تلك السنة .

وحدثنى السيد الجليل عقيل باعقيل قال : استشرت سيدى فى السير إلى الحج فى شهر رجب . فقال : سافر وتدرك رمضان بمكة ، فوصلنا إلى مكة مستهل رمضان .

(الحكاية الثالثة عشرة بعد المائتين)

أخبرنى السيد الفاضل على بن السيد الولى الصالح الجنيد ابن السيد على باهارون بن جمل الليل باحسن علوى . قال : أخبرنى والدى الجنيد المذكور قال : استعار سيدى الحبيب عبد الله بن علوى الحداد من والدى ، كتاب : « الشفا فى تعريف حقوق المصطفى » للقاضى عياض ، فبقى عنده مدة . ثم إن والدى أرسلنى إلى سيدى يوما ، لاسترداد الكتاب المذكور ، وأنا إذ ذاك صبى قال : فصليت العصر بمسجد آل أبى علوى . وخرجت أنا وجماعة من كبار السادة ، آل أبى علوى ، قاصدين سيدى ، وهو يدرس بمسجد الهجيرة بتريم ، يريدون حضور درسه ـ رضى الله عنه ـ بالمسجد المذكور . فدخلوا المسجد ، فرأيت ما هالنى ، من تقبيلهم يده ، وتواضعهم له ، مع كبر سنهم ، وصغر سنه ؛ فامتلأت هيبة منه ، ولم أقدم لمصافحته ، وقمت بباب المسجد . فسألت عن كتاب الشفا . فقيل : إن القراءة الآن فيه ، فازداد توقفى ، حيث القراءة فيه . فبينما أنا كذلك إذ قام سيدى الإمام عبد الله ، من مكان تدريسه ، وأقبل نحوى ، فتقدمت وصافحته . فقال لى ابتداء ـ وهو لا يعرفنى ، ولا يبصر بعينه ، بل كاشفنى : أنت ولد السيد على بن الجنيد ؟ فقلت نعم . فقال : أرسلك والدك لاسترجاع الكتاب منا ؟ فقلت : نعم . قال : فنادى : هلموا بكتاب الشفا وأعطانيه ـ رضى الله عنه ـ وكان الجنيد هذا من عباد الله الصالحين ، وأوليائه الخاشعين المتواضعين ، السالكين الناسكين . وكان عظيم الخوف ، مع عظم الرجاء ، وكان حسن الظن بالمولى وبالصالحين ، وبسائر المؤمنين . صحب سيدنا عبد الله من صغره . وكان كثير التعظيم والاحترام ، والأدب له ، والثناء عليه . وكان سيدنا عبد الله يثنى عليه ؛ سمعت ذلك منه ، يوم توفى وكانت وفاته بتريم ، قبل سيدى بسنين .

(الحكاية الرابعة عشرة بعد المائتين)

أخبرني السيد الفاضل الحسين ابن السيد الفاضل عمر فقيه علوي . قال : كنت مرة أمشي مع سيدي الإمام الشيخ الأستاذ عبد الله بن علوي الحداد ـ نفع الله به ـ ومررنا ببعض السادة ، وعنده أحد من سفلة الناس ؛ فوقع في نفسي استقباح مجالسة مثله لمثله ، وتغير خاطري من ذلك . فعند وقوع الخاطر قال سيدي : ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واسة فرلهم ؛ فعرفت أنه كاشفني بخاطري .

وحدثني أيضاً قال : رأيت بيتين من الشعر مكتوبين على قبر السيد الفاضل محمد بن عبد الله باحسين السقاف ، الكائن بين قبري الشيخ المحضار والعيدروس بمقبرة تريم ، وظننت أن البيتين للشاعر إليهما للسيد صاحب القبر ، وأنه أوصى بهما أن يكتبا على قبره ؛ فلما أصبحت هممت أن أسأل سيدي عنهما ، فابتدأ قائلا : عاد البيتان المكتوبان على قبر الشيخ أحمد باجحدب أم قد درسا ؟ فقلت : وما هما ؟ فقال :

أمسيت ضيف الله في دار البلا ـــ وعلى الكريم كرامة الضيفان

تعفو الملوك عن النزول بسوحهم ـــ كيف النزول بساحة الرحمان

فعرفت أنه كاشفني بهما ، وأنهما قديمان . وكان السيد باحسين هذا من أهل النور . وكان من أهل العبادة والانقباض . وكان من الآخذين عن السيد محمد ابن علوي شيخ شيخنا عبد الله ـ نفع الله بهم ـ .

(الحكاية الخامسة عشرة بعد المائتين)

أخبرنى بعض الثقات المنتمين إلى سيدنا السيد العارف الكامل عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ قال : جئت مرة من بلدى شبام ليلا ، فقصدت مسجد سيدنا الذى عند بيته فى الحاوى ، وهو ـ نفع الله به ـ حينئذ فى بيته ، ولم يشعر بى أحد فخرج سيدى من بيته ، يريد البلد . فنادانى باسمى من تحت بيته . فقال له الخادم : إن فلانا يعنينى لم يجىء من بلده . فقال : بلى إنه فى المسجد ، فأجبته وخرجت مسرعا نحوه ؛ عالما أنه كوشف بمجيئى ـ نفع الله به ـ .

وأخبرنى أيضاً قال : كان لى عقيدة فى بعض السادة آل أبى علوى ؛ وكان إذا احتاج هذا السيد إلى شىء من المال أخذه منى . فبينا أنا أسير مع سيدى عبد الله ، فخطر لى أن هذا السيد يأخذ منى ما يحتاجه . فهل ذلك نافع لى ، وعائد علىّ ثوابه أم لا ؟ فحال ما خطر لى ذلك ، نادانى سيدى عبد الله فأجبته ملبيا . فقال لى : الله الله فى السيد فلان ـ يعنى الذى يطلب منى حوائجه ـ وعيَّنه باسمه. قم بمطالبه وحوائجه فلا تضجر ؛ فسوف يعود عليك نفعه ، أو معنى ذلك ؛ فعرفت اطلاعه على ما خطر لى ، وقويت نيتى وهمتى مع ذلك السيد .

(الحكاية السادسة عشرة بعد المائتين)

حدثنى السيد الفاضل الفقيه الصالح : محمد بن عمر بن طه السقاف ، بعد أن حدث سيدى وشيخى أحمد بن زين ؛ وأمره أن يملى ذلك علىّ بحضره ـ نفع الله به ـ قال : عزمت لزيارة تريم ، فجئت إلى سيدى ، لأشاوره فى تولى وظيفة مسجد أهلى ؛ فلما وصلت إليه ، لم أتجاسر على مشاورته . فقال لى ـ رضى الله عنه ـ ابتداء منه : إن مسجد الهجيرة المعروف بتريم ، كانت وظيفته

بتطر والدنا وأهلنا قبله، وبعد وفاة والدنا، تعين علينا القيام به بعدهم؛ فعرفت مكاشفته، فعند ذلك ذكرت له ما فى نفسى، فأشار على بتولى الوظيفة .

وأخبرنى بعض الثقات قال : جئت إلى سيدى لأشاوره فى أمر؛ فوجدته عند قبر الشيخ عبد الله بن أبى بكر العيدروس ، بتربة تريم؛ فأردت أن أشاوره فيما أريده ، وهممت بذلك . وقبل أن أتكلم قال : إن رجلا استشارنى ، فى تزوج امرأة من آل فلان . فقلنا له : لا تصلح أبدا ، ثم تفرقا عن قرب . وأغلظ القول على من يستشيره فى أمر ، ثم يخالف المشورة . فالتفت إلىّ بعض تلامذته وقال لى: إن كنت تريد المشاورة فإن هذا الكلام إليك ، فأمسكت .

(الحكاية السابعة عشرة بعد المائتين)

أخبرنى السيد الصالح أحمد بن السيد المنور عبد الرحمن بن سميط باعلوى قال : كنت عند سيدى الشيخ الكامل الإمام العالم العامل عبد الله بن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ يوم الجمعة ، بعد صلاتها فى بيته ، شرقى مسجد آل أبى علوى ، فى جمع عظيم ، كما هى عادته ؛ وكانت القهوة البنية تدار عليهم . فكان سيدى ـ نفع الله به ـ يشرب منها ، فتمنيت فى نفسى أن يعطينى فضلته ، وليس ذلك من عادته فى هذا المجلس ، لكثرة من فيه من الخلائق . وكنت حذاءه ، وهو لا ينظر ، فعند ذلك نادانى من بينهم ، وأعطانى فضلته .

قال : ولما توفى والدى ـ وكان من عادته أنه يرقى بالقرآن ، والاستغاثة بالصالحين ـ خرجت إلى مكان سيدى عبد الله ، لأشاوره فى أن أسلك مسلك أبى فى الرقية ؛ فلما وصلت إلى الدهليز ، خرج إلىّ بعض أولاده ، بكوفية لمريض ، كان فى بيت سيدى ، من ذويه . وقال لى : يقول والدى : اقرأ وانفث فى هذه الكوفية ، ولم أعلمه بما فى نفسى . فعرفت الإشارة بالمكاشفة منه .

قلت : ولم يزل هذا السيد فى الرقية إلى الآن ، من حين حصلت له الإشارة من سيدى ؛ سيما رقية العين ، وله قوة على نزعها . وأكثر ما يأمر الناس بالصدقة . حالة مرضية ، وقدم نبوية ، من العبادة القوية ، وسلامة الصدر ، ولين الجانب ، وكثرة التواضع ، وحسن الظن بجميع المسلمين . وحصل للناس منه النفع البيّن ، ببركة سيدى عبد الله ؛ وهذه الخصال التى ذكرناها فيه .

الحكاية الثامنة عشرة بعد المائتين

أخبرنى بعض الصالحين قال : جئت زائرا لسيدى ؛ فلما هممت بالانصراف من عنده ، والاستيداع منه ، خطر لى أن أطلب منه شيئا من البخور تبركا ؛ فلما جئت إليه إذا بيده قرطاس من البخور . وقال لى : خذ هذا ولا تقل : إنا نكاشف .

وأخبرنى بعض السادة . قال : كانت والدتى بقرية قارة الشناهز ، قريبا من كحلان ، وكانت زوجتى بتريم ؛ فكان عيد عرفة وأنا عند والدتى ، ومنعتنى من الانحدار إلى تريم ، وحضور العيد عند زوجتى ؛ فلما جئت بعد العيد إلى تريم ، وجئت سيدى الحبيب ـ رضى الله عنه ـ فقال لى : كان العيد ، وأنت فى أى البلدين ؟ فقلت : بالقارة . قال : منعتك والدتك من الانحدار إلى تريم ؟ فقلت : نعم ، ولم يعلمه بذلك أحد سوى الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

(الحكاية التاسعة عشرة بعد المائتين)

أخبرني بعض الثقات ، وكان في حانوت يبتاع ويشتري . قال : كان سبب اعتقادي، وقوة تعلقي بسيدي الحبيب ، الشيخ عبدالله الحداد ؛ أنه كان يأخذ مني بعض حوائجه قرضاً؛ وأنا إذ ذاك قليل المال، فأكثر عليّ في الأخذ . فطالت عليّ المدة ، ففكرت في نفسي وقلت : كيف الحيلة ؟ ومتى يكون تسليم ما كان لي عنده ، واهتممت لذلك همّاً شديداً ، ولم أعلم بذلك أحداً أبداً . فلما أصبحت إذا بخادمه قد جاء بدراهم من سيدي . وقال : إنه يقول : استوف ما كان لك عليه فإذا هو بنحو ما كان لي عنده ؛ فدهشت وعرفت أنه كاشفني بما وقع لي .

(الحكاية العشرون بعد المائتين)

أخبرني السيد الجليل عقيل بن عيدروس باعقيل السقاف قال : لقيت السيد الصالح عبد الرحمن البار باعلوي . فقلت له : أطلبت الإلباس من سيدنا الأستاذ الأكبر عبد الله بن علوي فقال السيد : أشتهي ؛ ولكني لم أرني أهلا له ، ومن أكون أنا ؟ فاتفق أنه جاء إلى سيـــدي ؛ فألبسه ابتداء من غير طلب . وكان هذا السيد آية في التواضع، وإيثار الخمول، والرضاء بالدون من كل شيء إلا من الدين ـ نفع الله به .

وكذا أخبرني السيد الفاضل شيخان بن عبد الرحمن ابن السيد العارف عمر العطاس قال : وددت أن يلبسني سيدي خرقة الصوفية ؛ ولم أتجاسر على أن أسأله ذلك . فما لبثت أن جاء ابنه بدر الدين الحسن بكوفية لبسه منه ـ رضي الله عنه ـ ابتداء من غير سؤال مني .

(الحكاية الحادية والعشرون بعد المائتين)

حدثني سيدى وشيخى السيد الإمام أحمد بن زين الحبشى قال : كنت إلى جانب سيدى الإمام عبد الله ، نخطر لى لو أنه يمكنني من تكبيسه تبركاً ، فعند ذلك مد يده إلىّ ووضعها فى حجرى يريدنى أكبسها فكبستها .

وأخبرنى بعضهم قال: كان سيدى يأمرنى بتكبيس رجله مدة ؛ ثم لم يمكنى من بعد ذلك ، وودت أن يأمرنى ؛ ولكنى لم أتجاسر على أن أطلب ذلك منه فمد رجله إلىّ وقال : كبسها ؛ ففعلت .

وأخبرنى سيدى الحبيب أحمد بن زين أيضا قال : جاءنى مولود ذكر فكتبت إلى سيدنا الحبيب عبد الله إعلاما بذلك ، وطلبا للتسمية من قبله . فكتب إلى تهنئة به . وقال : سموه بما أضمرتموه فى أنفسكم ؛ وكنا قد أضمرنا اسما فسميناه به .

(الحكاية الثانية والعشرون بعد المائتين)

سمعت عن بعض أهل بلدة تريس . قال : مضيت من بلدى إلى بلد كذا ؛ فى طلب حاجة ، ومعى قليل من التمر فى ثوبى ؛ فاتفق أنه فاتنى فرض من الخمس ، وأنا فى الطريق . فمكثت مدة ثم جئت زائراً تريم إلى سيدى الأستاذ شيخ العباد عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ وكان من عادته أن يؤنسنى ، فلم يؤنسنى فى مجيئى هذا ، ولم يكلمنى إلى ثلاثة أيام . فقلت له : يا سيدى لعلكم لم تعرفونى . فقال له مولانا الحبيب : بلى نعرفك . أما أنت الذى خرجت من بلدك ، وقت كذا وكذا ، ومعك من التمر كذا ، وحان وقت الفريضة ، وفاتت الفريضة أم قد نسيت ذلك . فذكرت عند ذلك . وعرفت أنه اطلع على ذلك ، وأن سبب انقباضه على تفويتى الفريضة .

(الحكاية الثالثة والعشرون بعد المائتين)

حدثني بعض الثقات المتعلقين بسيدنا الإمام الكامل الشيخ عبد الله بن علوي الحداد ـ نفع الله به ـ قال : انحدرت لزيارته بتريم ومن بها من عباد الله الصالحين ؛ فلما كان يوم مسيري ، من عند سيدي ، بقيت أطوي ثيابي . وكان لها قيمة . فخرج سيدي ـ رضي الله عنه ـ لصلاة الظهر ، فلمسها بيده الشريفة ، فقال : لو أن أحداً أخذ هذا الثوب عليك أتتعب لذلك أم لا ؟ قال ذلك على سبيل المباسطة . ثم إنه صلى الظهر ، واستودعت منه بعد الصلاة ، وسرت . فلما كنا أثناء الطريق ، خرج علينا لصوص ، وأخذوا الثياب التي طويتها . فعرفت عند ذلك قول سيدي : لو أن أحداً أخذ ثيابك ، وأنه اطلع على ذلك ؛ فلما وصلت بلدي أخذت مدة ، ثم إن أخي أراد الانحدار لزيارة سيدي ـ نفع الله به ـ فقلت له : إن سألك عني فقل له : إنه تأخر عن زيارتك قصداً ، لما جرى عليه من نهب الثياب ، وهو جارك ، وصادر من زيارتك . فقال له أخي ما قلت له . فقال له ـ رضي الله عنه ـ : إنه ربما قدر أن يجرى عليه ما هو أعظم من نهب ثيابه ؛ لكنه لم يكن إلا هذا ، ببركة زيارته تلك ، أو قريبا من هذا بمعناه ـ نفع الله به

(الحكاية الرابعة والعشرون بعد المائتين)

أخبرني السيد الولي الصالح زين العابدين بن علوي الحبشي باعلوي ، أحد خواص الأصحاب قال : كنا يوما بعد أن صلينا الصبح مع سيدنا الحبيب عبد الله ، بمكانه الحاوي . فانصرف بعد الصلاة إلى البيت ؛ وليس من عادته . وسبب ذلك أن بعض نساء آل أبي علوي ، من آل داعن ، جاءت لزيارته . ثم

أرادت الاستيداع منه ، ذلك الوقت . فقام لهـــا ، وكان خطر لى أو لبعض الحاضرين : كيف يقوم لأجل امرأة ، فى هذا الوقت الشريف ، وليس ذلك من عادته ؛ وخالف عادته لأجل ذلك . فلما كان اليوم الثانى ، وصلينا معه ، وقرأنا الحزب ، بعد الصلاة المرتب أعنى حزب الأسبوع ؛ طالبنى أنا وذلك البعض بالخصوص . وقال لنا : انظروا فى آداب المريد مع شيخه ، فى كتابنا : رسالة المريد ؛ فعرفت أنه كاشفنا بمـــا خطر لنا ، فى جانبه الشريف ــ رضى الله عنه ، ونفعنا به ، وسائر الصالحين آمين .

***

(الحكاية الخامسة والعشرون بعد المائتين)

أخبرنى السيد الصالح محمد بن علوى مساوى باعلوى . قال : تعطلت عندى شهوة النساء ؛ فجئت إلى سيدى لزيارته ، وقصدى أشكو إليه من ذلك ، فبدأنى هو قائلا : أنت لابد أن تتزوج بتريم ؛ فعرفت عند ذلك أنه كاشفنى ، وأنها ستعود إلىّ الشهوة ؛ لأن معى زوجة ببلدى ؛ ثم إنى تزوجت بتريم ، كما وعد سيدى ــ رضى الله عنه ــ وعدت كما كنت .

وحدث الشيخ الصالح عبد الله باكثير ، فقــير سيدى الشيخ الحبيب عبد الله ــ نفع الله به ــ قال : أردت الاستيداع منه ، سائراً لبلدى شبام ، فخطر لى أن أسأله الرحمة والغيث من الله للمسلمين ، فابتدأنى قائلا : سر إلى بلدك ، ويوافيك المطر ، وأنت بباطبلة ، تحت بلدة سيون ؛ فسرت . وكان كما قال ؛ أدركني المطر فى ذلك المكان .

***

(الحكاية السادسة والعشرون بعد للمائتين)

حكى لى قال : حصل علينا جور من جهة الدولة ، ومعى شىء من التمر ، فجعلته فى موضع لايقع عليه أحد ، وجعلت فوقه حطبا يستره ، ولم يطلع عليه إلا الله تعالى ، وانحدرت أنا وجماعة إلى تريم ، وأخذت بها أياما ، ثم حصل معى انزعاج إلى بلدى ، فأعلمت سيدى الملاذ عبد الله بن علوى الحداد بانزعاجى . فقال لى ـ على سبيل المباسطة ـ : ما الذى أزعجك للمسير ؟ خفت على التمر الذى تحت الحطب ؟ فبهت من قوله ، وخجلت ، حيث لم يعلم به أحد ، واطلع هو عليه . فلما عزمت على المسير قلت له : إنى متخوف من الظلمة أن يظفروا بى . فقال لى : اجلس فى بيتك أياما ، ولا تخرج إلى السوق . فسرت وجلست فى بيتى مدة غير بعيدة ، ثم لم أصبر . وخرجت إلى السوق ، فظفر بى بعض الظلمة ، وأمسكنى وأخذ منى ما كنت أتخوفه . فعرفت أن ذلك بسبب مخالفة سيدى ، فى عدم السكون فى البيت ، كما أمرنى ، ثم بعد ذلك ذهب الجور الذى خوفى من أجله ، ولو أنى صبرت قليلا فى بيتى ، ربما لم يصلنى من الجور شىء .

(الحكاية السابعة والعشرون بعد المائتين)

أخبرنى بعض السادة قال : انحدرت من بلدى لزيارة سيدى الإمام عبد الله ابن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ ومعى جماعة ، وذلك آخر النهار ، واستصحبنا معنا لحما . فلما وصلنا أثناء الطريق ، وقفنا وشوينا ذلك اللحم وأكلناه . فلما وصلنا حذاء شعب الشيخ أحمد بن عيسى ، صعدنا وزرنا الشعب ، ثم سرنا وبتنا فى كحلان ، وتغدينا بمسجد السيد زين العابدين العيدروس ، بمكانه المسمى البدع ـ بباء موحدة ودال مهملة ساكنة وعين مهملة ـ فلما وصلنا إلى حضرة سيدنا

ومولانا الحبيب عبد الله قال لنا ابتداء: خرجتم من بلدكم آخر النهار ، ومعكم لحم ، وشويتموه بمكان كذا ، وزرتم الشعب ، وبتم بكحلاز ، وتغديتم بمسجد السيد زين العابدين . فقلت له : نعم فى جميع ما أخبرنى به ، وعرفت أنه كاشفنى بجميع ذلك ، من غير زيادة ولا نقصان ، على ما جرى لنا .

(الحكاية الثامنة والعشرون بعد المائتين)

حكى عبد الله باشراحيل ـ رحمه الله ـ قال : كنت عند سيدى بمسجد المجيرة ، مستنداً إلى جانبه الشرقى ، فأردت النهوض لشىء حاك فى صدرى ، وهممت أن أشاور سيدى فيه ، فأشار إلىّ من بعد عند أول خاطر لى أن أجلس ، فلم أقم .

وحدث عن عبد الله بن صالح المقدم ذكره ، أن الشيخ الصالح عمر باسالم ، فقير سيدى ـ نفع الله به ـ حصل عليه وجد ، وهو بمسجد آل أبى علوى بتريم ، بحضور سيدى فى جمع ، فكتمه خوف السلب من أحد من الحاضرين فكاشفه ـ رضى الله عنه ـ بقوله : إذا غلبك الوجد ، فعليك بقول : ألله ألله . ولا تخف من أهل تريم ، فإنهم فى القبضة .

(الحكاية التاسعة والعشرون بعد المائتين)

وعن باشراحيل أيضاً قال : أرسل سيدى بعض خدمه إلى بعض الناس ، يلتمس حاجة فقال المرسل إليه للرسول : قل له ما لقيته . فلما جاء الرسول إلى سيدى قال له ابتداء قال لك : قل له ما لقيته ، اطلاعا منه ـ رضى الله عنه .

عن السيد الجليل عبد الله بن عقيل السقاف قال : استشرت سيدى وشيخى عبد الله ـ نفع الله به ـ فى المسير إلى الحج ، فأذن لى . وقال : قد عرفنا قصدك ،

وهو مقصد حسن ديني . وكاشفني بجميع ما قصدته ، وقال لي : إنك تصل إلى مكة — إن شاء الله — لمضي يومين أو ثلاث ، من شهر رمضان . فكان الأمر كما قال — نفع الله به — .

وعنه : قال : أخبرني عوض بن محمد شراحيل ، وكان يخدم سيدنا الإمام عبد الله — نفع الله به — قال : انقطعت عني مكاتبات سيدي ، فاستوحشت لذلك ، وظننت أنه يجد عليّ في خاطره ، فما هو إلا أن وصلني منه كتاب . وقال لي : لا تظن أن انقطاع كتبنا عنك ، لوقوع شيء عندنا من جهتك ، ونحن داعون لك — نفع الله به .

(الحكاية الثلاثون بعد المائتين)

حدثني بعض الثقات من آل أبي شريف ، قبيلة معروفة بتريم . وكان بيته بجانب الهجيرة الكائن قريباً من مسجد الشيخ عمر المحضار ابن السيد الإمام عبد الرحمن السقاف — نفع الله بهما — قال : كنت أرى سيدنا الإمام عبد الله ابن علوي الحداد — نفع الله به — أوان بدايته ، يخرج كل ليلة من المسجد المذكور — إذا نام الناس — وحده ، ويأخذ نحو مسجد الشيخ عمر المحضار ، ولم أدر أين يذهب . فرصدته في بعض الليالي ، حتى خرج فتبعته من بعيد ؛ بحيث لا يحس بي ، وهو يسير على سنن الطريق ، من غير دليل ولا عصا ، ولم يمل عنها حرفا ، حتى وصل إلى تربة تريم آل أبي علوي زنبل . فجلست أنا خارج التربة . فزار وأطال وأنا واقف ، حتى خرج منها . وسلك غير الطريق التي جاء منها ، ومضى شرقي مسجد الجبانة ، وأنا أتبعه من بعد ، ثم مسجد ابن سالم المشهور ببارشيد ، ثم مسجد الشيخ علي بن محمد الخطيب صاحب الوعل ، ثم قطع البلاد

طولا ، ولم يحد عن الطريق أصلا حتى بلغ النويدرة المعروفة . وبلغ منها مكان مسجد السيد محمد الزاهر بن شهاب الدين ؛ قبل أن يبنى ، وأنا منه بعيد . فقام وقمت فالتفت إلىّ وناداني مكاشفاً قائلا : شريف ـ تصغير شريف ـ أما تترك الفضول ؟ أو قال : يكفيك من فضول ارجع ، فرجعت متعجباً من اطلاعه . ومضى نحو تربة بريح ومولى الراكة .

وأخبرني بعض الثقات عن والده قال : جئت ليلة ، وحضرت راتب الشيخ عبد الرحمن السقاف ، في مسجده الكبير ، ثم مكثت بعد تمامه مدة ، فإذا بسيدي عبد الله قد أقبل إلى ذلك المسجد وحـــده ، وهو لا ينظر . وكنت في جانب لم أتحرك ولم أتكلم ولم أصافحه . فناداني فجئت إليه وصافحته ، فآنسني ثم قال لي : أريد أن أزور التربة هذه الليلة أنا وأنت . فقلت : نعم يا سيدي ، فخرجت معه . فلما قربنا من مقبرة آل أبي علوي قال لي : اثبت ، ولا يفزعك ما ترى أو تسمع ، أو معنى ذلك : فقلت : إذا كنت معك إني إذاً لثابت . فلما وصـــل إلى قبر سيدنا الفقيه المقدم قال : السلام عليكم . فوالله لقد سمعت النداء عليه برد السلام من كل قبر ، فداخلني عند ذلك فزع . فضرب بيده على صدري وقال : لا ترع هؤلاء الأحياء . أتحسب أنهم موتى . نحن الموتى ، وهم الأحياء . فسكن بعض فزعي وما زالت يده على صدري حتى قمت ـ رضي الله عنه .

(الحكاية الحادية والثلاثون بعد المائتين)

أخبرني السيد الصالح محمد بن علوي مساوى قال : كنت عنـــد سيدي الأستاذ عبد الله وهو يدرس بعد العصر بمسجده فخطر لي أن أسأله دعاء ، يكون لي عدة للمهمات والملمات ، وقضاء الحوائج ، فحال ما خطر لي ذلك تكلم

قائلا : إن بعض السادة طلب منا دعاء يكون لقضاء الحوائج ، فأمرناه بقراءة منظومتنا التي أولها :

قد كفاني علم ربي ... من سؤالي واختياري

فدعائي وابتهالي ... شاهد لي بافتقاري

وكان ـ نفع الله به ـ يقول : من حزبه أمر أو أراد حاجة، فليدع بقصيدتنا هذه ، وبالأخرى :

ما في الوجود ولا في الكون من أحد ... إلى آخرها

ورأى بعض المنورين ، وكان في بلده حرب ، وشدة عظيمة : كأن سيدي رتب قراءة ما في الوجود ، فحصل الفرج بعد ذلك .

(الحكاية الثانية والثلاثون بعد المائتين)

حكى لي بعض الثقات المنورين قال : حصل لي همة وانزعاج ، لزيارة سيدي الإمام عبد الله الحداد ؛ ولأشاوره في السفر للحج . فلما وصلت إليه ، منعتني الهيبة عن مشاورته ، وما استطعت أن أخاطبه في ذلك . فناداني من قبل نفسه : يا فلان هل قد حججت ؟ قلت : لا يا سيدي . قال حج على بركة الله .

وكذا أخبرني بعض الثقات قال : كنت في مجلس سيدي يوماً ، فكأني سهوت عن سماع كلامه ؛ فلمت نفسي على ذلك . وقلت : من الآن أستمع إلى ما يتكلم به وأرتقب أول شيء ينطق به .

فابتدأ قائلا ـ ما معناه ـ : إن العارف لا يتكلم إلا عن إذن ، ليس على البديهة والاتفاق ؛ فعرفت أنه كاشفني .

وحدثني بعض المنتسبين هو ووالده إلى سيدنا عبد الله ـ رضي الله عنه ـ

قال : سافرت أنا ووالدى إلى دوعن ؛ فاتفق أن والدى سقط من راحلة هناك ولم يصبه شىء ، ولم يعلم به أحد . فلما وصلت إلى سيدى راجعاً قال مبتدئاً : كيف صار والدك ـ يعنى من السقوط الذى حصل ـ كالعالم بسقوطه ، كرر ذلك مراراً ثم قال : ظننا أنه حصل عليه أعظم مما وصفت ؛ فكأنه اطلع على وقوع ذلك ، وعلى كونه أعظم من ذلك ، فصغر بشفاعته ـ رضى الله عنه ـ لكون الذى سقط منسوبا إليه ؛ بل من أصحابه القدماء .

(الحكاية الثالثة والثلاثون بعد المائة)

أخبرنى الشيخ الصالح الأنور عبد الله شراحيل قال : حصل على بعض أهل بلدى أذى من بعض الظلمة ، فضاق صدرى لذلك ، وخرجت منها إلى قرية قريبة منها ؛ ثم إنى انحدرت إلى تريم لزيارة مولانا الحبيب ، واستشرته فى الرجوع إلى بلدى ، أو البقاء بالمكان الذى انتقلت إليه . فلما قربت من مدينة تريم ، انقلع عن خاطرى الهم ، بمشاورته فى هذا الأمر ، وسكنت نفسى ، مع أنه أغلب البواعث لى على المسير إليه ؛ فلما صافحته قال لى مبتدئا : أنت ساكن الآن فى أى مكان ؟ فقلت له : بمكان كذا . فقال : ولِمَ ؟ فأردت أن أعلمه بما جرى . فقال : قضيتك هذه طويلة ، ليس محل إيرادها ، فعرفت أنه اطلع على ما جرى . بقوله : قضيتك طويلة . فسكت . فلما أردت الاستيداع منه للمسير، جذب بيدى وقال لى : كيف خبرك ؟ فقصصته عليه . فقال : أما ترى هذه الأمور الجارية على إخواننا وفى بلدنا ، من الظلمة ، ونحن بين أظهركم ، ولم يكن منا قيام فى ذلك ، لأن الزمان اقتضى السكون ، وأنت ارجع إلى بلدك ، وكن حلس بيتك . وإذا رأيت المنكر ، وأنت خارج إلى المسجد ، فاغضض بصرك كأنك لم تره ،

والحلس : هو الذى يلى ظهر البعير تحت القتب . وفى الحديث : كونوا أحلاس بيوتكم ؛ أى الزموها .

وحدثنى السيد الولى محمد بن شيخ الأخضر باعلوى قال : شكا بعض الناس إلى سيدنا عبد الله ، تشويش الزمان ، وظهور أهــل الظلم والفساد فيه . قال : أين أهل الباطن هلا يقومون فى ذلك ؟ فقال مجيبا : إن الله تعـالى يريد ظهور أهل الباطل فى هذا الزمان على أهل الباطن ؛ فلم يكن منهم قيام .

(الحكاية الرابعة والثلاثون بعد المائتين)

أخبرنى السيد الأنور عقيل قال : كنت يوما عند سيدى ؛ فجاء درويش سائح ، فصافح سيدى . فقال له : ما اسمك ؟ قال : سليمان . قال له : ما اسمـك ؟ قال : سليمان . قال له : ما اسمك ؟ قال : سليمان . فقال له سيدى بعد الثلاثة : خف ؛ أما اسمك أحمد . قال : بلى ، فأطلق يده ، وأنا متعجب . فلقيت الدرويش بعد مدة بمكة المشرفة . فقلت له : أنشدتك الله ، ما اسمك ؟ فقــال : أحمد . فقلت : أنت الذى كتمت اسمك عن سيدى ، حيث سألك ؟ قال : نعم .

وكنت مرة عند سيدى ، فدخل عليه درويش ، من أهل السياحة ، أول دخول عليه . فقال ــ نفع الله به ــ : اسمك حسن بن على ؟ فقال : نعم ، من غير أن يعلمه به أحد ؛ وإنما ذلك مكاشفة .

(الحكاية الخامسة والثلاثون بعد المائتين)

أخبرنى السيد الحسين بن العيدروس الجفرى باعلوى . قال : انحدرت أنا ووالدى إلى تريم ؛ لزيارة من بهـــا ، من عباد الله الصالحين ــ رضى الله عنهم ــ قال : فزرنا تربة آل أبى علوى ، فصادفنا سيدى عبد الله يزور ، فزرنا معه ، فى

جمع عظيم ، ونحن فى زى البادية ؛ لأننا معنا إبل نرعاها ونباشرها بأنفسنا . فلما صافحه والدى قال له : مَن أنت ؟ فأخفى كونه شريفا ، وقال : أنا من آل باجابر الفقراء المعروفين . ومراده التغريب على سيدى ـ نفع الله به ـ فلما زار الشيخ العيدروس عبد الله ، جلس هو ومن معه حول قبته ، فجلسنا معه ؛ فناى والدى من بعيد . وقال له : أنت السيد حسين بن عيدروس الجفرى ؟ ـ ولعله لم يعرفه من قبل ـ فقال والدى : بلى ياسيدى . فعند ذلك عرف جماعة سيدى أننا أشراف فصافحونا .

(الحكاية السادسة والثلاثون بعد المائتين)

حكى لى بعض الثقات قال : زرت مع سيدى فى بعض الليالى سيدنا الفقيه المقدم ، بعد العشاء ، فقرأ سورة الإخلاص ثلاثا ، وخفف الزيارة جداً ؛ فتعجبت غاية العجب ، وخطر لى أنه كيف طلع من مكانه الحاوى ، قاصداً الزيارة ليلا . ومع هذا خفف هذا التخفيف ، ولم يزر إلا المقدم فقط . فلما انصرف ، وأراد أن يركب الفرس ، أخذ أذنى وعصرها . وقال : أما تدرى أن قراءة سورة الإخلاص ثلاثا ، تعدل ختمة ـ كما فى الحديث ؛ فعرفت أنه كاشفنى بما خطر لى ـ رضى الله عنه ـ .

وزار شخص تربة آل أبى علوى . فقال سيدنا الإمام : زرت آل أبى علوى فقال : زرت المقدم وحده . فقال : هو الشيء كله .

(الحكاية السابعة والثلاثون بعد المائتين)

أخبرنى السيد عقيل قال : أخبرنى الشيخ عبد الله بن سعيد العمودى ، أحد خواص أصحاب سيدى . قال : جئت لزيارته فى جماعة من الأصحاب ، فخرجت

إلى الجمعة يوما مع سيدى ، وأنا خلفه أمشى . فنظرت فإذا بجماعتى الذين جاءوا معى أكثر من الذين يتبعون سيدى ، فاستقللتهم واستكثرت من معى ؛ فحال خطور ذلك لى ، نادانى وقال : أما تدرى أن الزمان بأيدينا ، من أردناه جذبناه إلينا ، ومن أبيناه صرفناه عنا ؛ فعرفت اطلاعه على خاطرى .

قلت : وكان العمودى هذا رجلا صالحا ، ناسكا سالكا ، أخذ عن سيدى أخذاً تاما . وصنف كتبا فى الطريقة ، وشيئاً من إشارات الحقيقة ؛ منها كتاب حافل من بعض الوجوه ، أكثره سلوك، فى مجلدات . ومنها شرح خطبة لسيدى عبد الله ، بإشارة منه ، مذكورة فى مكاتباته ، فانظرها . أحسبه سماه كتاب : « القربة شرح الخطبة » وأوقف سيدى عليه فاستحسنه . وكانت له العبارة ، وكان ذكى الفهم، جيد الحفظ — رحمه الله — توفى برباط باعشن،المعروف بدوعن .

وحدث بعض المنشدين قال : كنت جالساً مع سيدى ، فى جمع ، عند قبة العيدروس فخطر لى : ليته يأمرنى بالإنشاد ؛ فحال ما خطر لى تبسم . وقال لى : أنشد .

(الحكاية الثامنة والثلاثون بعد المائتين)

عن باشراحيل قال : بلغنى أن بدر بن يمانى الكثيرى قال : كنت جالساً يوما ، عند سيدى فى بيته ؛ وعنده رجل من أبناء الدنيا ، وهو يحدثه ويؤنسه ، ويصغى إلى قوله . فقلت فى نفسى : كيف يؤنس مثل هذا ، ويصغى إلى كلامه ، وهو من أبناء الدنيا ؟ ثم إنى تألمت من هذا الخاطر القبيح ، فى جانب سيدى ، فصحت لذلك صيحة عظيمة ؛ فأمر سيدى بإخراجى من مجلسه . فخرجت إلى الدهليز ، فخرج ذلك الرجل هو وسيدى . فلما انصرف الرجل ، دعانى سيدى

فأتيت ؛ فوضع يده بين كتفى . وقال : أنت تقول فى سرك : إنى أصغى إلى كلام أبناء الدنيا ؛ أما علمت أن بعض الناس من لايحسن معه إلا ذلك . فكاشفنى بمـــا وقع لى ، فأردت أن أصيح ثانيا ؛ فزجرنى عند ذلك — رضى الله عنه — .

(الحكاية التاسعة والثلاثون بعد المائتين)

أخبرنى السيد الأكرم ، الصالح العالم مرزق ابن السيد الأنور المحترم : زين بن شيخ مرزق باعلوى .

قال : حججت سنة من السنين ، فلما رجعت ووصلت إلى بلدى ، أرسلت إلى سيدى هدية وكتبت عليها كتاباً إليه ، فلم يصلنى جواب لكتابى فأخذت مدة ؛ ثم انحدرت إلى تريم زائراً له ولمن بها من عباد الله الصالحين . فلما وصلنا إلى سيدى ، عزم علينا للعشاء فقلنا له : إنه قد سبق علينا وعد لفلان . فقال : الليلة القابلة .

قلنا : وكذلك علينا وعد آخر لبعض السادة . قال : فأخذنا أياماً ولم يعزم علينا بعد ذلك . قال : فقصدنا أنا نقول مرادنا زيارة الشيخ أبى بكر بن سالم ، صاحب عينات غدا ، ويكون العشاء الليلة القابلة عندكم ؛ للتبرك بطعامكم . ومرادنا أيضاً أنا نعلمه أنا كتبنا له كتاباً وأرسلنا هدية ، ولم يأتنا جواب . قال : فقدمت عليه وصافحته فابتدأنى قائلا : أنت الذى حججت هذه السنة ؟

فقلت نعم . فقال: وصلت إلينا الهدية منك والكتاب ، وأجبناك . فقلت : إنه لم يصل الجواب . فقال : كتابنا لا يضيع يأتيك ولو بعـــد حين . ثم قال : أتريدون المسير الليلة لزيارة الشيخ أبى بكر بن سالم ؟ فقلنا : نعم . فقال : سلموا

على الأموات ، وأما الأحياء فربما لا تصادفون منهم أحداً ، ويكون العشاء الليلة القابلة عندنا .

فكاشفني بجميع ما خطر لى . قال : ثم بعد ثلاثة أو أربعة أشهر ، وصل جواب سيدى من صنعاء اليمن ؛ لكونه صدر مع كتب من حضرموت إليها ، ثم رجع إلينا إتماماً لقوله : إن كتابنا لا يضيع ، وسيأتى ولو بعد حين ـ رضى الله عنه ، وعن سائر الصالحين .

(الحكاية الأربعون بعد المائتين)

أخبرنى السيد عقيل قال : أخبرنى عمى أخو والدى قال : دخلت على سيدى الحبيب عبد الله بن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ فى جماعة من السادة ، فوقع لى شيء الإنكار ، من تقبيل هؤلاء يده . وقلت فى نفسى : أنا أكبر سناً منه . كيف أقبل يده .

فلما صافحه الجماعة مددت يدى لأصافحه ، فمنع يده ، ولم يمدها إلىّ فأردت ثانياً فأبى ، ثم ثالثاً كذلك فأبى ؛ فعرفت أنه كوشف بما خطر لى ، فاستغفرت فى سرى وتبت من ذلك الإنكار . فمددت يدى لأصافحه ، فمد يده وصافحنى ـ رضى الله عنه ـ فاطلع على استغفارى ، بعد اطلاعه على إنكارى .

وحدثنى بعض الثقات قال : جئت زائراً لسيدنا فأخذنا أياماً بتريم ولم نأكل من طعام سيدى ، كما هى عادتنا ، وعادة غيرنا . فحصل معنا تحسر عظيم ، حيث لم نطعم من طعامه ، ولم نظهر ذلك لأحد . وقد هممنا بالمسير إلى بلدنا . فلما أردنا الاستيداع منه . قال لنا ابتداء منه : قفوا حتى تأكلوا من طعامنا ، فجاءوا إلينا بطعام ، فأكلنا خبزاً وتمراً ؛ وعرفنا أنه كاشفنا بالذى خطر لنا وودناه .

(الحكاية الحادية والأربعون بعد المائتين)

أخبرنى أيضاً قال : أردت التزوج ، ووددت أنى أشاور سيدى فى ذلك ، وكنت فى جماعة من الناس فاستحييت ، ولم أدر كيف أعمل ؛ فاتفق أن سيدى قال لرجل كان حاضراً : كيف لا تتزوج ؟ فاعتذر الرجل بعذر . فقال : أتريد أن ينقطع نسل آدم فيك . إن من امتنع من هذا الأمر ، وهو يطلبه ويقدر عليه يأثم بذلك ــ كررها ثلاثاً . قال : فكفانى قوله فى ذلك مشورة . واعتقدت أنه اطلع على خاطرى وأرادنى بهذا الكلام .

وأخبرنى بعض الثقات قال : أردت التزوج فأردت مشاورة سيدى فى ذلك فمنعتنى الهيبة . فكلما هممت امتنعت بذلك ؛ وأردت العزم إلى بلدى . فقال لى ابتداء : قد تزوجت ؟ قلت : لا . فقال لى : تزوج .

(الحكاية الثانية والأربعون بعد المائتين)

أخبرنى بعضهم قال : انحدرت من بلدى لزيارة نبى الله هود ــ عليه السلام ــ ومررت بتريم ، واجتمعت بسيدى . وقلت له : ائذنوا لى أن أتقدم لأزور الشيخ أبا بكر بن سالم بعينات ، على طريقى . فقال لى : قف معنا وأنت تزور الشيخ أبا بكر ، على رجوعك من زيارة هود . فامتثلت أمره ، وسرت معه للزيارة . فلما رجعنا ، نمت فى أثناء الطريق . وما استيقظت إلا وقد جاوزوا ، أى مضوا ، وظننت أنهم بعينات . فزرت الشيخ أبا بكر بن سالم تتميما لقوله : أنت تزور عند رجوعك ، ولم أجدهم ، فأخبرت أنهم مضوا تسع آل أبى علوى لزيارة السيد السيد العارف أحمد بن الفقيه المقدم ، المدفون بالعجز . فرجعت إليهم ، فلقيتهم بها . فلما صافحت سيدى قال لى : تخلفت عنا فى أى مكان ؟ فقلت : بمكان كذا

ولم يعلم أحد من جماعة ولا غيرهم بعزمي أبداً . فكاشفني هو وقال : جئت من زيارة الشيخ أبي بكر بن سالم ؟ فقلت : نعم . ولم يعلم بمروري أحد إلا الله تعالى وما ذلك إلا من قبيل الكشف والاطلاع فيما قبل على أني سأزوره ، وفيما بعد على أني زرته ـ رضي الله عنه ، ونفع به ـ آمين .

(الحكاية الثالثة والأربعون بعد المائتين)

أخبرني بعضهم قال : حصل بين أبي وعمي مشاجرة ، وهم في بيت واحد ؛ فجاء عمي من بلده ، وعلم سيدي ، بما جرى بينهما . فقال له ـ نفع الله به ـ : ارجع إلى بلدك وتجدهم قد أخذوا لك بيتا ـ يعني شراء على ما تريد وتشتهي ـ قال : فتعجبت حيث إنه يعز شراء البيت ببلده في ذلك الوقت ، مع قرب المدة . فسافر . فلما وصل إلى بلده ، لقي بعض أصدقائه ، قد اشترى له بيتاً على ما يريد ويبتغي .

وعن باشراحيل قال : جاء جماعة من أهل بلدي إلى سيدي ، فسألهم عني . فقالوا : إنه قد خرج من البلد قبلنا فأطرق مليا ، ثم قال : إنه بعد لم يخرج من بلده وأنه كذلك لم أخرج عند سؤاله لهم .

(الحكاية الرابعة والأربعون بعد المائتين)

حدثني بعض المنورين الثقات قال : تزوجت امرأة ، وأخذت معها مدة ؛ ثم إني فارقتها ، وانخلعت نفسي عنها ، ولم يبق لي ميل إليها . فكتبت إلى سيدي الإمام عبد الله بن علوي الحداد ، إعلاما له بما جرى من شأن المرأة ، ومشاورة له في أني أتزوج غيرها أو أراجعها هي . ووددت أن يشير علي بتزوج غيرها ، حيث

إن نفسى انحلت عنها ؛ فلم يأتنى منه جواب . فكتبت إليه ثانيا ، فلم يأتنى منه جواب ، إلى نحو أربعة أشهر . ومع هذا فقد رأيتنى ملت إلى المرأة ، واشتهيت المراجعة . فرأيته – رضى الله عنه – فى المنام ، وكأنه يقول لى : وصل كتابك الأول والثانى . ومن شأن المشاورة التى فيهما ، من حيث المراجعة للمرأة أو التزوج بغيرها ؛ فاعلم أنهــا إن كانت المرأة الأخرى التى تريدها ، تريد منك شيئا من المال فلا فائدة ، فقد المراجعة للأولى أصوب . ومن تعرف خير ممن لا تعرف . وذكر لى فى النوم جميع ما تضمنه الجواب الآتى ذكره ، فانظره . قال : فاستيقظت فرحا .

وجاء جواب سيــدى ذلك اليوم . وفيه وصل كتابكم الأول والثانى ؛ وذكرت أنك فارقت المرأة ، واستشرتنا فى استرجاعها . فاعلم – بارك الله فيك – أن هذا الزمان المبارك ، مطلوب فيه بالخصوص ، الأخذ بخواطر النســاء ، من حيث المعاشرة ، والتغافل عن بعض الأمور التى يحسن التغافل عنها ؛ لأن الوقت وقت فتنة ومباينة .

وأما من حيث الزواج فالحرمة التى كانت تحتك ، إن لم يكن بينك وبينها كبير أمر ، فإرجاعها أحق وأنسب . وقد تعرفها وهى تعرفك . وإن كان هناك أمر مزعل ، أو حال مضر ؛ فأنت أعرف بذلك . وتبصر لنفسك ، ونحن داعون لك بالانتباه لما فيه صلاح دينك ودنياك والسلام ؛ فاعتقدت أنه لم يؤخر جواب الكتابين إلى هذه المدة إلا حتى يحصل لى الميل إلى أم أولادى . وكأنه يريدها لى وكاشفنى فى الرؤيا قبل اليقظة – نفع الله به .

❦❦❦❦

(الحكاية الخامسة والأربعون بعد المائتين)

أخبرني بعض المحبين قال : كان والدى كثير التعلق بسيدى . وسبب ذلك أنه كان كثير التردد على السيد الولى المجذوب محمد بن أبى بكر العيـــدروس . قال : فاستشرته فى أمر . فقال : امض إلى السيد عبد الله الحداد ، واستشره فى شأنك هذا ، وخذ إشارته . قال : فجئت إليــه ، وهو بزاوية مسجد الهجيرة ، ولم أكن أعرفه قبـــل ذلك ، ولا رأيته ، ولا هو يعرفنى أصلا . فلما دخلت المسجد ، نادانى من الزاوية : فلان باسمى ونسبى ، هـلم إلىّ هنا . فجئت إليه فلقيته وحده ، وهو مكفوف البصر ، فتحيرت حيث عرفنى ، وهـو لايبصر . وكانت سنه إذ داك نحو عشرين سنة ، فامتلأ به قلبى ، وزدت له تعظيما .

(الحكاية السادسة والأربعون بعد المائتين)

أخبرنى بعضهم قال : سرق لعمى شىء كثير من الدراهم والحلى ، فأعيى فى طلب ذلك ، وبلغ الجهد . فأرسل والدى إلى سيدى يستغيث به ، ويلح عليه فى ذلك . فجاء فألح عليه فى ذلك جداً . فقال : سر إلى بلدك هذه الساعة ، وتظهر السرقة مع وصولك . قال : فقلت : إن الطريق مخوف . قال : لا تخف ، سر وخفيرك أمامك ، صاحب الفرس الذى تلقاه ، سر معه . قال : فسرت . فلما كنت حول جبل كحلان . إذا أنا بصاحب فرس ، فسرت معــه ، ووصلت بلدى ، فجلست فى بيتى قليلا ؛ وإذا بامرأة ، جاءت تخبرنا بظهور السرقة ، بمكان كذا ، ذلك اليوم . وكانت السرقة ، قبل ذلك بمدة طويلة ، لم يظهر خبرها ، إلا بعد رجوعى من حضرة سيدى ، واستغاثتى به .

(الحكاية السابعة والأربعون بعد المائتين)

حدثني الفقير المنور سعيد بامرحول قال : إن رجلا ـ أحسبه قال : من آل العمودى ـ قال : اؤتمنت أمانة دراهم ، لسيدي الحبيب الشيخ عبد الله ، من مكان بعيد . فاتفق أن الحاجة ألجأتنى إلى شيء منها ؛ فأخذت منها قرشا ؛ وكانت مصرورة في خرقة . وقلت : سأرجعه ؛ فلما وصلت إلى بلدي وأهلي ؛ رددت بدل القرش الذى أخذته منها ، وسرت معتمدا إلى تريم . فلما وصلت إلى حضرة سيدى ، سكت . ولم أذكر ما معى من الأمانة . فقال لى من قبله ؛ قبل أن أتكلم : فلان أين الأمانة التى معك لنا ؟ فأخرجتها وأعطيته إياها ؛ وأخبرته بالذى أخذته منها ، وأنى رددته ؛ فأطلق الصرة ، وتناول منها القرش الذى رددته بعينه ، لا أشك فيه ، بل أعرفه بعلامة . وقال : خذ هذا استعن به على بعض حوائجك .

(الحكاية الثامنة والأربعون بعد المائتين)

أخبرنى بعض المحبين قال : جئت إلى سيدي ومولاي الشيخ عبد الله ، وكان لى مطلبان ، أضمرتهما فى نفسى ، وشكوت إليه ، ولم أبد له ، ما فى نفسي ؛ فضرب على كتفى وقال : كم مطليك إنه ليسير . قال الراوى : والحاجة أنى أريد امرأة موافقة ، وبيتا مليحا فلما رجعت إلى بلدي ، خطبت امرأة ، جال وصولى ، وتزوجت بعد يومين ، أو ثلاثة أيام . واشتريت بعد ذلك بيتا مليحا جيدا . فكانت المرأة أم أولادى ، والبيت هو الذى أنا ساكنه الآن . وكان الزواج وشراء البيت ، بعد ثمانية أيام ، من قول سيدى لى : حاجتك متضية ـ نفع الله به .

(الحكاية التاسعة والأربعون بعد المائتين)

قال الفقيه العلامة عبد الله بن محمد بن قطنة : كنت مرة ملازما سيدى - نفع الله به - لعارض حصل عليه . فحضر وقت صلاة العصر ، وأنا عنده ، فتردد في صدرى الخروج . فقال لى : انطلق للصلاة ولا بأس - إن شاء الله - قال : وناولته إناء فيه طيب فأخذ منه ، ورده على ففهمت أن آخذ منه قليلا ، فمنعني الأدب معه . فقال هو ابتداء : خذ منه قليلا ، مكاشفة منه .

قال : وأمر بعض من عنده بطبخ قهوة من السكر الخالص فكأنه وسوس من تغيير السكر الباطن . فكاشفه فقال : اطبخها ولا توسوس - رضى الله عنه .

(الحكاية الخمسون بعد المائتين)

حدثنى الشيخ عمر بن الشيخ محمد شراحيل النريب قال : أخبرنى ابن عمى الفقيه الصالح أحمد بن عبد الله ابن الشيخ عمر شراحيل ، وهو أحد الآخذين عنه سيدى وشيخى أحمد قال : كنت أزور تربة شبام بالليل ، أو قال : آخر الليل . فلما كان في بعض الليالى ، زرت أهلى آل باشراحيل ، فرأيت على قبرى جدى : عمر وأخيه محمد وابنه الشيخ عبد القادر نورا ممتـــدا ، شبه الثوب الأبيض ، ففررت فزعا ، وصرت هاربا ، فإذا بالذى رأيته على تلك القبور قدامى . فلما وصلت قريبا من السقاية التى على طريق المقبرة ، برز من ذلك النور شىء ، يشبه السبع . فسقطت مغشيا على فلما أفقت لم أر شيئاً من ذلك النور ، فطلعت إلى البلد ، ثم إنى بعد ذلك عزمت على تريم لزيارة من بهـا ، من عباد الله الصالحين . فلما وصلت إلى سيدنا الأستاذ الأعظم عبد الله بن علوى الحداد -

نفع الله به ـ قال لى حال وصولى : أراك فزعت من الذى رأيت فى المقبرة . ثم قال : إن الذى أفزعك ضرغام الضراغيم عبد القادر .

فقلت : يفزعنى وهو صاحبى وابن عمى ؟

قال : نعم . إنه أشفق عليك من الزيارة بالليل ، لا تعد تزور بالليل .

قلت : هذا الفقيه الراوى الرائى المذكور ، كان قد تولى قضاء بلدة شبام مدة ، وكان سيدى القدوة أحمد يثنى عليه ، ويسند إليه كثيراً من مروياته ، وهو قد أدرك السيد العارف عمر العطاس ، وأخذ عنه . قال : وكان معه نحو من عشرين كوفية إلباسات ، من السادات أهل الفضل . وكان حسن الظن بهم كثيراً . وكان من الصالحين ، الخاشعين الورعين .

قال سيدى أحمد : كان هذا الفقيه ـ عند قراءتنا ـ لا يحتمل سماع كتب الرقائق . وكان كثير البكاء ـ رحمه الله .

(الحكاية الحادية والخمسون بعد المائتين)

حدثنى بعض فقراء سيدى ـ رضى الله عنه ـ قال : سمرت فى بعض الليالى ببيت سيدى الذى ببلدة تريم ، وسيدى إذ ذاك متوطن بمكانه الحاوى . قال : وحضر فى ذلك المجلس ، أناس أهل مزح ودعابة ، وكأنهم تكلموا بشىء من الفحش والخنا ، وسيدى لم يشعر بمجلسنا ذلك ، ولم يطلع عليه إلا الله تعالى . فلما أصبحت دعانى سيدى ، فجئت إليه أسعى . فلما وصلت إليه ، أمسك بفخذى ، وجعل يضربنى بخف كان معه ، ضربات متعددة ، وهو يقول لى : سمرتم البارحة ، بمكان كذا . وتلتم فى سمركم : كذا وكذا . وذكر جميع ما تلفناه ، من أوله إلى آخره . وخجلت أنا وبكيت ، وعجبت من ذلك أشد العجب ، حيث لم يطلع على ذلك إلا الله ـ سبحانه وتعالى .

(الحكاية الثانية والخمسون بعد المائتين)

أخبرنى بعض المنورين قال : جئت إلى تريم من بعض البلدان ، ومعى لسيدى حوائج نذرا . فلما قربت من مكانه الحاوى ، إذا به ـ نفع الله به ـ مقبلا على فرسه من البلد . فتقدمت إليه وصافحته . قال لى ابتداء : جئت بحوائجنا ، من بلد كذا ؟ قلت : نعم ياسيدى ، ولم يكن له علم بذلك من خارج . فقال : إذاً أنت بعير آل أبى علوى ـ رضى الله عنهم أجمعين .

وأخبرنى بعض المنتسبين إلى سيدى . قال جئت مرة إلى عند سيدى ، فاتفق ليلة من الليالى أنى تخلفت عن الضيفان فى العشاء . وكان عادتى أن أتعشى معهم كل ليلة ، إذ أنا عنده . فلما جئت وأردت العشاء ، وسيدى يحسب أنى معهم ، إذا بسيدى خرج من بيته، يريد بيت زوجته العيدروسية بالبلد . وكان من عادتى أسير معه إلى داخل البلد ، فآثرت سايرته تلك الليلة ، وإن فاتنى العشاء . فلما وصل إلى بيت الشريفة نادى أهل البيت : أن أخرجوا لفلان بعشاء ، فإنه ما قد تعشى . فتعجبت أنه حيث لم يسألنى ، ولم يدر أنى تخلف عن الضيفان ، وإنما ذلك من باب الكشف .

(الحكاية الثالثة والخمسون بعد المائتين)

أخبرنى بعض الثقات ، من أهل بلدة شبام . قال : لما خرج سيدى ـ نفع الله به ـ إلى الحج ، ودخل مدينة شبام ، قصد بيت أخيه لأبيه السيد أحمد ابن علوى الحداد ، وكان أسن منه . وكان هذا البيت المذكور قريبا من مسجد ابن أحمد الذى عمره سيدنا وشيخنا أحمد ، الكائن فى جانب البلد القبلى . وكانت صلاة سيدى أو بعضها مــدة إقامته بشبام ، فى المسجد المذكور . ويقال : إن

سيدنا الشيخ أبا بكر بن سالم كان يصلى فيه ، إذ هو مقيم بها ، فى حين أخذه عن الشيخ المعروف باجمال السكون بيته بجانب المسجد المذكور قال الراوى : فجئنا إلى سيدى إلى بيت أخيه ، أنا ووالدى ، وأنا إذ ذاك صبى صغير السن فقال له والدى : خاطرك ياسيدى مع هذا ، ادع له ونخطه - يعنى أبره - والمخطة : التأبير بلغة أهل حضرموت . وهو جعل طلع ذكور النخل فى طلع إناثه ، ليصلح ويزكو . فمسح سيدى بيده على رأسى . قال : فلما كبرت وأخذت مدة من السنين مديدة ، انحدرت لزيارة سيدى ، فى جماعة من أهل بلدى . فلما وصلت إليه صافحه أصحابى ، فسألهم عن أنسابهم . فلما صافحته ، قال لى - ابتداء من غير سؤال منه : أنت المخطط وذلك بعد طول المدة ، من لقائه ، وكونه - رضى الله عنه - مكفوف العينين . فقلت : نعم ياسيدى . وعرفت أنه كاشفنى - نفع الله به - .

وأخبرنى الشيخ الصالح عمر بن عبد القادر العمودى ، أحد أصحاب سيدى قال : أخبرنى بعض الثقات المباركين قال : مرضت - سنة من السنين - مرضا شديداً ، أشرفت منه على الهلاك ، ولم يبق فى يد من حضرنى من أهلى إلا انتظار خروج روحى ، لشدة ما بى . قال : فرأيت فى النوم شخصا قائما ، يشد فرسا ، ثم ركبها ، وأردفنى خلفه ، وأطلق عنانها . فما لبثنا يسيرا إلا ونحن عند قبر الشيخ سعيد بن عيسى العمودى ، من مسافة بعيدة . فخرج الشيخ سعيد بن عيسى من قبره ، لتلقائه . فطلب من الشيخ سعيد استمهالا لى فى العمر . فكتب لى خطا ، فأخذه ذلك الشخص ، وطرحه فى عمامته . وركب وركبت خلفه ، فما كان بأسرع من أن وصلنا إلى مكاننا ، مع بعد المسافة بينه وبين قيدون ، بلد الشيخ سعيد . قال : فبعد ذلك كأنى نشطت من عقال . فسرت زائراً سيدى عبد الله ، ولم أكن أعرفه قبل ذلك . فلما رأيته إذا هو الشخص الذى رأيته

فى النوم ، بعينه وإذا الفرس التى رأيتها أيضاً بعينها ، تحت بيت سيدى — رضى الله عنه ، وأرضاه ، ونفع به .

وأخبرنى بعض الثقات : عن بعض المتعلقين بسيدى من السادة ، وكان قد أعطاه سيدى خوذة من لباسه ، فسار إلى بلد فيها سحرة ، فبكاؤه بغير علم منه . والخوذة تحت رأسه ، فخرجت بنفسها ، وجعلت تضربهم بنفسها ، فى وجوههم وأعينهم ، حتى بطل كيدهم وسحرهم ، فعجبوا هم من ذلك أشد العجب ، وتابوا بأجمعهم . وحسبت أنهم لما علموا ، اعتقدوا فى سيدى — نفع الله به — وأحسنوا الظن به . وهذه وراثة موسوية .

●●●●

(الحكاية الرابعة والخمسون بعد المائتين)

ذكر باشراحيل قال : أخبرنى السيد الجليل محمد مولا خيلة . قال : حصل لسيدى العارف بالله ، الشيخ عبد الله الحداد ، دهش يوماً فى صلاة الصبح ، وأنا خلفه ، فرأيت ذلك منه فلما كان بعد الصلاة ، سألته عن ذلك . فقال : إن السلطان على بن بدر الكثيرى كاد أن يهلك ، وإن الله فداه بفلان .

والقصة فى ذلك : ما روى جماعة ثقات قالوا : إنه حصل بينه وبين السلطان حسن بن عبد الله الكثيرى نزاع ، على تولى بندر الشحر ، أخذها السلطان حسن ، فأراد السلطان على استردادها منه ، فجمع له عسكرا ، وهو بحضرموت ، وأراد المسير إليـــه ، من بلدة سيون . فقال سيدى عبد الله : انظروا هذا السلطان ، إن جاء إلينا ، واستودع منا ، نصر على عدوه ، وإلا فيهزم .

فلما كان يوم مسيره ، جاء على فرس ، وقصد عند سيدى ، وأخبره بمسيره ، ووعده سيدى بالنصر على عدوه ، بشرط أن يرفع القانون الذى وضع على المساكين ظلماً وجورا ، وأن يرد راتب الشيخ عبدالرحمن السقاف الذى رتبه ، ليلة الاثنين

والخميس ، الذى عطله طائفة الزيدية ، لما خرجوا إلى حضرموت . فأخذ على ذلك نحو أربعين سنة . فقبل الشرط ، فالتزمه . فطلب سيدى بخورا ، وجعله تحت ثياب السلطان . وقال له : احتفظ به .

وقيل : إنه أعطاه شيئاً من ثيابه ، فسار السلطان متوجهـــا إلى البندر ؛ فالتقى الجمعان وقت الفجر فضُرب مدفــع عظيم ، كاد يهلك السلطان ومن معه ، وممن هلك به الرجل الذى عيَّنه سيدى ـ رضى الله عنه ـ حيث قال : إن الله فداه به .

وقيل : إن المدفــع أصاب فرسه ، ولم يصبه شىء أبداً ونصره الله ، وهزم الآخر ، كما وعده سيدى . فلما رجع رفــع القانون عن للساكين ، ورد راتب الشيخ عبد الرحمن السقاف ـ رضى الله عنه .

قال بعضهم : إن السلطان لما خرج من عند سيدى قال : تحصل عليه شدة ؛ ولـكن يصير الأمر إليه فـكان الأمر كما قال ـ رضى الله عنه ، ونفع به ـ وكان السيد محمد هذا ، من الفضلاء الأخيار ، الصالحين الأبرار . وكان من الآخذين عن سيدنا ، والمترددين إليـــه ، من قرية بور . وكان عظيم الاعتقاد . وله كثير الثناء عليه . ويقول : إنى لقيت الشيخ محمود الـكردى ، فسألنى الشيخ محمود عن للسافة بين بلدنا بور وبين تريم ، فأخبرته . فقال : ينبغى لمن كان مثلـكم أن يزور سيدى عبد الله الحـداد كل يوم ، ولو كنت مثلـكم لم أتخلف عن الاجتماع به يوما واحداً .

❦❦❦❦

(الحكاية الخامسة والخمسون بعد المائتين)

قال باشراحيل ـ رحمه الله ـ : أخبرنى أحمد بن سعد مطران قال : أتيت مع سيدى عبد الله ـ رضى الله عنه ـ من بعض الأماكن إلى مسجد الهجيرة ، وسيدى ـ نفع الله به ـ إذ ذاك بزاوية المسجد المذكور . فلما وصلنا إلى الباب الحاكم على الزاوية ، وإذا على عتبته حرباء ، وهو الفخاخ ـ بلغة أهل حضرموت ـ فدخلنا الزاوية ، ولم أقل لسيدى شيئاً ، وهو لا ينظر بعينه الظاهرة ؛ وجلست معه . فقال : قم وقل للفخاخ يذهب وقل له : إن حاجتك مقضية ، فخرجت . وقلت له ذلك ، فانصرف فى الحال ، كأنه يسمعنى . فتعجبت منه . فقلت لسيدى : ما هــذا ؟ فقال : إنه شكا من الجن ، فأصلحنا أمره ، وأظنه قال : من الجن .

وروى أنه ـ رضى الله عنه ـ وجد شيئاً ميتا ، فى طريقه ، أو منزله ، فأمر به سيدى ، فلف فى خرقة ودفن . وقال : لعله من الجن الذين أسلموا على يد رسول الله ﷺ بنصيبين . وذكر قصة عمر بن عبد العزيز ، وأنه لقى ميتا فى الطريق . فناداه مناد : ادفنه فإنه من جن نصيبين ، الذين أسلموا على يد رسول ﷺ فإنه لايدفن واحداً منهم إلا رجل صالح ، أو أصلح زمانه ـ رضى الله عنه .

(الحكاية السادسة والخمسون بعد المائتين)

أخبرنى الشيخ عمر بن عبد القادر العمودى قال : أخــبرنى السيد الجليل عيسى بن محمد الحبشى قال : كنا فى البداية نجتمع ، نحن وسيدى عبد الله بن علوى الحداد ، على حضرات الذكر ؛ فربمـا رأيته محتبيا فى الهواء ، ولا يراه الناس إلا مثلهم . وقد كنا ليلة نسير بجف تريم ـ بالجيم والفاء ـ فإذا عمود من نور ، نزل من السماء ، وأنا أنظر ؛ فسقط على سيدى عبد الله ، دون من معه .

وأخبرني بعض السادة قال : تكلم مرة بكلام عظيم لا أفهمه . وأشهد لقد رأيته ملأ المكان الذي هو فيه . قال بعض السادة : كنت في ذلك المجلس . فقيل لسيدي : إن فلانا يزعم أنه يرى الله ـ عز وجل ـ فكان منه ما كان .

(الحكاية السابعة والخمسون بعد المائة)

عن عبد الله شراحيل . قال : أخبرني عبد الله باحمر العمودي . قال : أجدبت بلادنا في بعض السنين ، فانحدرت إلى سيدي عبد الله ، زائراً مستغيثا . فقال لي : تغرب عن بلدك مدة أولا . قال : فتغربت مدة ، ثم جئت مسترحما . فقال لي : ارجع إلى بلدك ، والرحمة واصلة ـ إن شاء الله ـ قال : فسرت إلى بلدي ، فبوصولي إليها نزلت الرحمة ، وأغاث الله بلدي ؛ ببركته .

وعنه قال : أخبرني على باسنة من آل وادي محمد . قال : قحطنا سنة من السنين ، وأجدبت أرضنا . فسرت إلى تريم زائراً ، ومستغيثا بسيدي ، في نزول الغيث ، وتعجيل السقيا . فقال لي : تغيب عن بلدك هنا وإلا هنا . فتغيبت ثم جئت إليه ثانياً . فقال : وصلت الرحمة ، وزال الشر بإذن الله . اعزم إلى بلدك تلق الخبر بشبام ، إنها سقيت . فسرت مستبشرا ، فوافيت الخبر بأنها سقيت .

(الحكاية الثامنة والخمسون بعد المائتين)

عنه أيضاً . قال : قال لي يوما بعض أخدام سيدنا القطب عبد الله بن علوي الحداد ـ نفع الله به ـ : أتريد لبلدك سيلا؟ قلت : نعم فقال لي : عليك كذا وكذا من الدجر . فقال : على شرط أن يكون الضامن في ذلك سيدي عبد الله ، فأخبرته بذلك . فقال : أعطه الدجر . وقال للخادم : تمسك بنا أنت . فما كان بأسرع من أن جاء الخبر بشرب بلدي ببركته .

وعنه قال : أخبرني بعض الناس قال : جئت إلى سيدي بحاجة من بلدي . فحال وصولي إليه قال : ارجع إلى بلدك ؛ لئلا يحجزك عنه السيل . فعرفت أنه اطلع على ذلك ؛ فرجعت في الحال. فلما وصلت جاء سيل عظيم ، ولو تخلفت لمنعني من النفوذ إلى بلدي .

وسمعت سيدنا ومولانا أحمد مرارا يقول : كنا عند سيدنا عبد الله بتريم ؛ إذ جاء إليه السيد الصالح المجذوب عمر حمدون باعلوي . فقال له : هلك الناس ، وتمادى عليهم الجدب . ادع الله أن ينزل الغيث ، وألح عليه . فقرأ الفاتحة ، هو ومن حضر ، بنية الغيث ، فما قريب أنزل الله الغيث ببركته .

قلت : كان السيد عمر حمدون هذا صالحا مجذوبا معتقدا . وكان إذا علم منكرا أنكره ، كائنا ما كان ، ومع من كان ؛ لا تأخذه في الله لومة لائم . وكان معروفا بذلك ، عند أهل تريم . مات بها. ودفن بمقبرة أهله آل أبي علوي ـ نفع الله بهم الجميع .

وعن بعضهم . قال : جئت إلى سيدي مستغيثا . فقال لي : اعزم إلى بلدك ، وينزل الغيث ـ إن شاء الله ـ فعزمت فحصل الغيث عند وصولي إليها ببركته .

(الحكاية التاسعة والخمسون بعد المائتين)

سمعت سيدي الوالد ـ رحمه الله ـ يقول : قال لي سيدي ـ نفع الله به ـ : يوم الجمعة ، في الجامع وأنا إلى جانبه ـ : هل أصلحوا ضمير وادي ثبي ـ وكان قد كسره السيل ، منذ زمان ؟ فقلت : لا . فقال : امض أنت إلى السيد زين العابدين العيدروس ، وقل له : يقول السيد عبد الله : قوموا في إصلاح الوادي . فخرجت من الجامع إلى بيت السيد زين العابدين ، وبلغته كلام سيدي . فقال : هذه إشارة من سيدي وبشارة ، فقاموا في الوادي وأصلحوه . فلما أكملوا

إصلاحه جاء السيل بالأثر ، وسقى النخيل جميعها ، ببركته واعتنائه ـ رضى الله عنه .

وأخبرنى بعض السادة . قال : خرج سيدى فى بعض السنين إلى مكاننا من أعمال وادى ثبى ـ بالمثلثة والموحدة التحتية ـ فبات عندنا . فلما أصبح قال : هل ترجون سيلا يأتى اليوم ؟ فقلت : لا ياسيدى ، لأنا ومن عندنا ، لم نحس برقا ولا رعدا أبدا . فقال : لعله يأتى . إنى عندما قمت للتهجد ، سمعت مثل الرعد . فما أتم كلامه إلا وقد جاء السيل ، فعرفنا أنه من قبيل الكشف ؛ لأنه فى ذلك الوقت قد ثقل سمعه جدا ، واعتقدنا أنه ببركة قدومه إلى ذلك الوادى .

وقال أيضا : خرج سيدى إلى مكاننا مرة أخرى ، فلما أراد الطلوع إلى الحاوى . قال لخادمنا : اخرج بالصماب إذا جاء السيل ؛ فعرفنا أنه كوشف بذلك . فبعد ثمانية أيام ، جاء السيل ، وسقى النخل .

(الحكاية الستون بعد المائتين)

حدثنى بعض الثقات عن بعض السادة . قال : ركبنا البحر فى بعض السفين، من أرض الهند ، قاصدين حضرموت ؛ وكنا ليلة نقرأ راتب مولانا الأستاذ عبد الله بن علوى الحداد ـ نفع الله به ـ بعد صلاة العشاء ، فحصل علينا شدة وحيرة فى البحر ، بحيث لم يعرف صاحب البحر فى أى مكان نحن ، ولم يكشف له عن البحر . فنذر كل من فى المركب لصاحب الراتب ، بشىء من المال ، على نية السلامة ، فحصل لهم التفريج ببركته ، من غد ذلك اليوم ، وكشف الله عنهم تلك الشدة ، بانكشاف البر ، وحصولهم على بندر السلامة ببركته ـ رضى الله عنه ـ لكون أهل المركب معتقدين فيه ، ومحبين له ؛ ولولا اعتقادهم

وحبهم لما حصل لهم مطلوبهم ؛ لأن عند العقائد تحصل الفوائد ؛ خصوصا في الشدائد .

●●●●

(الحكاية الحادية والستون بعد المائتين)

أخبرني بعضهم قال : جئت من قرية عينات ؛ وكان معي رجل ، وأردت المضي إلى سيدنا عبد الله للزيارة ، فأبى صاحبي ، وأراد أن يمنعني من الزيارة ، فأبيت وصرت عليه . وجئت إلى مكانه ، قبل صلاة الظهر ، وظننت أنه يخرج للصلاة . فقيل لي : إن له مدة سنة لا يخرج لصلاة الظهر ، للعجز بالكبر ؛ فاهتممت لذلك ، لكوني مسافراً خائفاً فوت الرفقة ؛ ولا يمكنني الوقوف إلى العصر . وشق عليّ الرجوع والسفر بغير اجتماعه .

فما لبثنا أن خرج للظهر ، خلاف العادة . فقيل : ما أخرجته إلا نيتك . فتقدمت وصافحته . فقال لي ابتداء : ماذا قال لك فلان ـ يعني الرجل الذي أراد أن يمنعني من المرور عليه ـ ثم قال لي : قل له : إن لم تجئنا جئناك ، ثم قرأ على صدري وأوصاني بطاعة الله عز وجل ـ رضي الله عنه .

●●●●

(الحكاية الثانية والستون بعد المائتين)

حصل على بعضهم حرقة البول . قال : لقيت منها شدة عظيمة ، ولم تزل عني بدواء أبداً ؛ بعد أن عالجتها العلاج الشديد . فرأيت سيدي عبد الله ـ رضي الله عنه ـ في المنام ، فشكوت إليه علتي واستغثت به . فمسح عليّ بيده ، فأصبحت وكأني لم أشك شيئاً من العلة التي أصابتني .

وحصل لبعض السادة مرض ، وطال نحواً من خمسه أشهر ؛ فرأى سيدنا الحبيب عبد الله ، وشكا إليه من بقية ذلك المرض ، واستغاث به ، فأخذ سيدي

بطنه ، ونقطه ثلاثاً . وقال له : ربما وإن بك ابتداء علة القولنج ، ولكن يحصل الشفاء . فانتبهت ، وكأنى لم أشتك ألماً ببركته .

قلت : وحصل لى صداع شديد بالليل . ومن عادتى أنه لا يزول عنى إلا ضحوة غد . فنمت فرأيت سيدي عبد الله بن علوى الحداد — رضي الله عنه — كأنى جئت إلى مكانه ، وكأنى بجموع عظيمة ، كيوم موته ؛ وكأنه فى البيت ، والناس خارجة ، ونحن فى المسجد . فما لبثنا إلا أن خرج سيدى الوالد — رحمه الله — من عنده مستبشراً ، وكأنه خرج إلى خادم سيدي ، وطلبني إلى داخل ، وأعطاني شيئاً من اللوبيا المقلية ، وقال لى : إنه لك من سيدى . فتناولته فى ردائى فكأنه يتكاثر فيه ، ويتزايد قليلا قليلا ، بحيث كاد الرداء أن يضيق عنه . وكان ذلك بحيث لا يراه أحد . وكأني أسمع صوت ابنه السيد الحسن قريباً منه . فاستيقظت وقد زال عنى ذلك الصداع فسررت بذلك ، حيث لم تكن عادتى . وحزنت حيث لم أنظر سيدى فى النوم . فنمت ثانياً ، فرأيت سيدى وحده ، كأنى إلى جانبه ، أو مقابله . وكأنى وإياه فى غاية السرور والأنس والفرح ، وكأنى أقول بيت الشيخ عبد الهادى السودى مشيراً إلى سيدى :

هيجت شجوي إليك ضحا صادحات الورق فى القضب

وكأنى أقرأ عليه أيضاً فى قصيدة السودى :

ليس عند الخلق من خبر عنك يا أغلوطة الفكر

فاستيقظت ، وبي من السرور ما يجل عن الوصف ، وقصصت هذه المبشرة على شيخنا ومولانا أحمد ، فأعجبته . وحسبت أنه قال : نحن الصادحات المهيجة للشجو إليه — رضى الله عنهما ، ونفع بهما .

ورأيته بعد موته ، فى جموع لا تحصى فى تريم ، قد ملأوا شوارعها حتى

سوتها ؛ وكأنهم يصلون وإمامهم سيدنا ومولانا ، وأحد أشياخنا عمر بن الحامد باعلوى . فلما انصرف السيد عمر من الصلاة ، وقد علاه النور والسرور ، تقدم وصافح سيدى عبد الله . فقال له : ما هى إلا طاعة طاعة . ثم صافحته أنا فقال لى ـ وهو ممسك يدى ـ : تمرّد النظر إلى وجه الله يمدك الله بالنظر منه سبحانه وتعالى .

٭٭٭٭

(الحكاية الثالثة والستون بعد المائتين)

سمعت سيدى العارف أحمد يقول : سمعت أن السيد الفاضل عبدالله بن عقيل ابن شيخ السقاف رأى رؤيا عظيمة . فقصها على رجل ، وكانت له اليد فى تعبير الرؤيا . فقال له : إن صدقت رؤياك يكن شيخك صاحب الوقت ، أو قال : يكن فتوحك على يد صاحب الوقت ، أو قال : القطب ، أو نحو هذا ؛ وفى هذه الرؤيا ذكر الرحا ودورانها . ثم إن السيد لازم سيدى ، وأخذ عنه ، وصار من خواص الآخذين عنه .

وكان يسأله عن مسائل فى علوم القوم الصوفية ، وكان له ذوق فى الطريق وكان كامل الأدب مع شيخه سيدنا الأستاذ عبد الله الحداد . وكان ـ رضى الله عنه ـ يقول فيه : إنه من أصحابنا الصادقين .

حكى أنه غاب له ابن بأرض الهند ، فجاء إلى قبر الشيخ سعيد العمودى ، فنادى ابنه ، فأجابه من قبر الشيخ سعيد . فقال لمن حضر : اشهدوا ؛ وهو الذى سأل سيدنا عن معنى قول القائل :

من كل معنى لطيف أستقى قدحا   وكل ناطقة فى الكون تطربنى

وعن قول الآخر :

يا قرة العين سل عيني هل اكتحلت بمنظر حسن مذ غبت يا أملي

فأجابه - رضي الله عنه - بما هو مثبت في فتاويه : « النفائس العلوية في المسائل الصوفية » جمع سيدنا وإمامنا أحمد بن زين الحبشي - رضي الله عنه .

(الحكاية الرابعة والستون بعد المائتين)

أخبرني السيد الجليل نور الدين على بن عبد الله بن عقيل السقاف . قال : أشار على سيدى الإمام عبد الله بن علوى الحداد بالسفر إلى الهند ؛ فسافرت إليها . فمكثت فيها عدة سنين ملازماً السيد العارف على بن عبد الله العيدروس ، وتتلمذت له وتحكمت .

وكان كثير الكرامات والمكاشفات لى ؛ من ذلك أنى نظرت فى بعض الكتب ، فرأيت فيه أن علامة كون الشريف شريفاً أن تكون فيه الشجاعة والسخاء ، ولم أر ذلك فىّ . فشككت فى كونى شريفاً ، وتحكم فى خاطرى هذا الوسواس جداً ، ولم أظهره لأحد ؛ فدخلت عليه يوما ، وعنده بعض الناس فقال لذلك الذى عنده : إن هذا - وأشار إلىّ - شريف حسينى من غير شك . فزال عنى الشك والوسواس من حينئذ .

قال : وكنت كثيراً ما أسمعه يثنى أبلغ الثناء على سيدنا الغوث عبد الله ابن علوى الحداد ويطرى فيه ، ويوصى بملازمته واغتنامه ، ويشير إلى أن الخير كله فى ملازمته والانقياد له .

فلما خرجت من الهند لازمته . ثم خطر لى كيف ، وقد تحكمت للسيد على وربما لا يصلح التحكم لشيخين ، واستقوى عندى ذلك الخاطر . فقال لى سيدى

الحبيب عبد الله مكاشفاً : لا منافاة بيننا وبين السيد على بن عبد الله نحن وإياه شيء واحد ؛ ولم يزد على هذا . ثم بعد ذلك سافرت إلى الحج، ولم يتفق لي زيارة الرسول ﷺ .

فلما رجعت إلى تريم . قال لى : زرت النبي ﷺ فاعتذرت بعذرى فعاتبنى أشد العتاب ، على ترك زيارته ﷺ وقال لى : ماذا تقول لبيك ، أو معنى هذا ثم قال : ارجع هذه السنة ، وزر النبي ﷺ فقلت : ليس معى ما أستعين به فى السفر ، حتى الزاد ، وليس لأهلى شىء ها هنا . فقال : لا بد أن تسافر ، ولا عذر من ذلك ، وأمورك ميسرة ـ إن شاء الله .

فلما رأيت منه الجد ، عزمت على ذلك وبعت ردائى ، وأخذت به زاداً ، وتركت لأهلى شيئاً ، وسافرت واثقاً بقوله : أمورك ميسرة . فلما وصلت بندر الشحر ، أخذت أياما ؛ فجاءنى صاحب المركب إلى بيتى ، وحملنى بغير نول بالتماس منه ، لا يطلب منى إلى الحديدة .

ولما دخلت بندر عدن تلقانى السادة بالإكرام والرحب والسعة والضيافة ؛ وجاءنى رجل وطلبنى أن أحج لبعض ذويه ، بأجرة كبيرة فتمنعت . فألح على وسهل الأمر فطاوعته . وأما أهلى فمنذ سرت ، قيض الله لهم من يقوم بجميع كفايتهم ، من غير معرفة ولا إلزام منى . وأرسلت لهم أكثر الأجرة، وتيسرت أمور ليست بخاطرى ، إلى أن رجعت ببركته وإشارته ـ نفع الله به .

(الحكاية الخامسة والستون بعد المائتين)

عن عبد الله بن محمد شراحيل ـ رحمه الله ـ قال : انحدرت إلى تريم لزيارة سيدي عبد الله ، والاستغاثة به فى طلب السقيا ؛ فتكلم فى موانع الرحمة ، من الظلم والمعاصى ، وغير ذلك . وقال : إنا لا نزال ندعو بنزول الغيث . والقاعدة

الفقهية : إذا تعارض المقتضى ـ ويشير إلى الدعاء والمانع ، ويشير إلى الذنوب ـ قدم المانع . نحن نبنى بالدعاء ، والناس يهدمون بالمعاصى . وقال الشاعر :

ولو ألف بانٍ خلفهم هادم كفى فكيف ببانٍ خلفه ألف هادم

ثم قال : ينزل الغيث ـ إن شاء الله ـ لمضى أربعين يوما . فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ الأربعون كثير . فقال : لو اطلعت على مراد الله فى خلقه رضيت ؛ فسكت . ومضى الأربعون ، ونزل الغيث ، وعم الجهة بالسقيا ببركته ، ودعوته وعنايته ـ رضى الله عنه وعنا به .

وعن باشراحيل المذكور قال : كنت عنده مرة ؛ فشربت بلدتى شبام . فلما بلغنى استأذنته فى للسير إليها . قال : لا تعجل ، وعادت بلدتك تسقى ثانية . قال : ثم بعد مدة سرت إلى بلدتى ؛ فوافيت الخبر فى الطريق بأنها سقيت ثانية .

(الحكاية السادسة والستون بعد المائتين)

عن باشراحيل المذكور عن عبد الله بن صالح باكثير . قال : قلت لسيدى عبد الله يوما : خاطرك يا سيدى بالرحمة ، والغيث للمسلمين . فقال ـ نفع الله به ـ تنزل الرحمة لمضى سبعة عشر يوما من رمضان ، فكان كما قال .

وعن باشراحيل قال : كنت عنده ـ نفع الله به ـ فشرب مكانه الحاوى . فقلت : خاطرك يا سيدى أن تُسقى بلدتنا . فقال : وما يدريك أنها لم تسق هذه الليلة ؛ فعرفت أنها سقيت . ثم جاء الخبر أنها سقيت ببركته ؛ لأنه بركة الوجود ، ومدده ظاهراً وباطنا ؛ لكونه صاحب الوقت وغوثه .

قال : وكنت مرة عنده ، فذكر الغيث . فقلت له : ما نريد بلدتنا تسقى ، فى نجم العوى ؛ لكون ثمر النخل يسقط عندنا إذا شرب فى ذلك النجم . فقال ـ

نفع الله به ـ : أما نحن فنريد تريم أن تشرب فيه ـ إن شاء الله ـ فسقيت تريم في العوى وبلدتنا في نجم السمك . ووعدني إن سقيت تريم أكلت عصيدة ؛ فأكلت حتى تضلعت ، وأنا قلت له : عليّ لكم كذا إن سقيت بلدتي . فقال : أعطه ابنك فلانا ، وهو منا له ـ نفع الله به .

(الحكاية السابعة والستون بعد المائتين)

سمعت سيدي الإمام أحمد بن زين الحبشي يقول : إن سيدنا عبد الله يقول : إن بعض السادة المنورين قال لي : إني رأيتك فاتحا فاك ، وكدت أن تلتقم فلانا ـ وأشار إلى بعض الأشياخ ـ غير أنك تركته لأجل شيخه فلان ـ يعني بعض أكابر السادة آل أبي علوى ـ وكان سيدي قد أخذ عن ذلك السيد قال : فقلنا له : لا علم لنا ولا شعور بذلك وإمكانه في القدرة . وأشار إلى أن المراتب لها خدام من الروحانيين ، يتصرفون فيها بمقتضاها ، لمن أقيم فيها ، بحسب تلك المراتب دفعا وجلبا ، وغير ذلك . وقد يعلم هو بذلك . وقد لا يعلم . والله أعلم .

وسمعته يقول : إن بعض الناس ممن كان يخدم سيدنا الإمام الحبيب عبد الله ؛ كان ربما أخذ من دهن سراج الشيخ الإمام عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف قال : فرأيت ليلة من الليالي ، كأنه أقبل المحضار فاتحا فاه ، يريد أن يبتلعني . ثم قال لي : لولا شيخك عبد الله الحداد لالتقمتك ، أو قريبا من هذا .

(الحكاية الثامنة والستون بعد المائتين)

أخبرني بعض السادة يقول : طلبت من سيدي ـ نفع الله به ـ أقرأ عليه في شيء من الكتب ، فأشار على ولدي بالقراءة . وقال : وأنت عادك تقرأ علينا ـ إن شاء الله . وكان عند وتحت نظري ابنة أخت لي ؛ فتزوجت من بعض السادة ،

ولم يكن بينهما ائتلاف أبداً . فطلقها ثلاثا . فأخبرت سيدى ، فعتب على ذلك ، حيث طلقها ثلاثا . وقال : ما الذى حمله على ما صنع ، ولكن للمرأة ـ إن شاء الله ـ خير منه وأبرك ؛ وسكت . فلما كان بعد مدة ، خطبها ـ نفع الله به ـ منى لنفسه . فعرفت عند ذلك تصديق قوله ـ نفع الله به ـ : لها خير منه وأبرك . فتزوج فى بيتى . فلما كان ذات يوم من الأيام قال لى : هاهنا شىء من الكتب ؟ فقلت : نعم . فقال : هاته وافتحه على البديهة ، واقرأ فى الذى يطلع ، من غير أن تقصد . فأولى شىء طلع على :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا   هم السلاطين والسادات والأمرا

قصيدة الشيخ أبى مدين ، وشرحها للشيخ أحمد علان . فقرأته ، وعرفت عند ذلك اطلاعه على أنى أقرأ عليه ؛ وكم غير هذا من الكرامات .

(الحكاية التاسعة والستون بعد المائتين)

حكى الفقير الصالح عبد الله بن محمد شراحيل الأشرم . قال : قال السيد الفاضل محمد بن عبد الرحمن خيله باعلوى : كنت أمشى مع سيدى عبد الله يوما ، وهو راكب على فرسه ، نخطر لى أنه قد ركب فرسه جماعة من أصحابه ؛ ووددت أن يكون لى مثل ذلك ، لأجل التبرك فما تم خاطرى حتى نادانى ـ نفع الله به ـ : أما قد ركبت الخيل ؟ قلت : لا . قال : إذا عزمت إلى بلدك فخذ فرسنا فاركبها .

ويروى أن بعض السادة جاء لزيارة سيدنا عبد الله ، فوقف ببابه ولم يستأذن . فقال له بعض الخدام: أتريدنى أن أستأذن لك على سيدى ؟ فقال : لا إلا خاطرى رسولى إليه . فما استتم كلامه ، حتى نادى سيدى من أعلى الدار ذلك السيد : اطلع إلى هنا. وكان السيد محمد خيله المذكور، ممن صحب سيدنا قديما، وانتفع به، وأكثر التردد إليه من بلدة بور إلى أن توفى بها . وكان عظيم الاعتقاد فيه .

وعن عبد الله بن صالح باكثير قال : زرت مع سيدى وادى دوعن . فلما رجعنا منه ، مضينا إلى السيد العارف عمر بن عبدالرحمن العطاس إلى حوره ، ثم طلبنا الاستيداع منه . فطلب المساء عنده تلك الليلة فقال سيدى عبد الله : افسحوا لنا وإن كنتم أردتم جلوسنا الليلة عندكم خوفا علينا من المطر ، فنحن نسير إن شاء الله ، ولا يكون شر . قال : فسرنا . فلما وصلنا إلى الكسر ـ بالسين المهملة والراء ـ طلع السحاب وأرعد . وكان هناك عريش فدخلناه جميعاً .

وكان مع سيدى بعض المسمعين ، فأمره بالتسميع وأنا فى طرف المجلس . فذكرت فى نفسى عند ذلك قول السيد عمر لنا فى المساء . ووقع لى أنه اطلع على وقوع ذلك . فعند ذلك كاشفنى سيدى قائلا : من هذا الذى يتألى على الله ويقول كذا وذكر ما خطر لى جميعه .

وقال عبد الله شراحيل : كنت فى بعض السنين عند سيدى . ومن عادتى أن لا أسافر إلا بإذنه . فكثرت لدىّ الخواطر ، من جهة الأهل والوطن ، ولم أتكلم بشىء . فأشرف علىّ ـ نفع الله به ـ من أعلى الدار . وقال لى : سافر إلى بلدك ، فقد أشغلتنا بخواطرك .

وسرق لبعض الناس من أصحابه شىء ـ نفع الله به ـ فقال ما تقولون لو أن أحداً كشف هذا السارق وفضحه ، ولكن الله أمر بالستر ، فعرفت اطلاعه على ذلك السارق .

❁❁❁❁

(الحكاية السبعون بعد المائتين)

أخبرنى السيد عقيل عن على بن دامس خادم سيدى عبد الله الحداد ـ رضى الله عنه ـ قال : أدنت لسيدى عبد الله دينا من بعض أهل تريم قرضا ، جملة من الدراهم فكأنها أبطأت عند سيدى .

فمضيت يوماً تحت بيت المقرض ، فأشرف عليّ . وقال: كيف صارت الدراهم التى عند السيد عبد الله وقال : أيجوز له أن يطعم الضيفان ، وأنا مظلوم . فقلت له : إن سيدى فى هذه الأيام ضنك ، وإن شاء الله يأتى الفتوح ويوفيك الذى لك . قال : ثم جئت إلى عند سيدى ، فوجدته جالسا على سجادته وعنده أناس ليسوا بكثير ، فصافحته . فقال : من أين جئت ؟ قلت : من بيتى . فقال : وأين مررت ، فأردت إخفاء قول ذلك الرجل . فبقى يفحص عنى ،حتى أخبرته بمرورى على بيت ذلك الرجل .

فلما قلت : إن سيدى ضنك فى هذه الأيام . فقال لى سيدى : الضنك أنت ورفع سجادته ، فإذا تحتها ذهب أحمر دنانير . فقال لى : خذ من هذه مقدار ما له علينا ولا تتردد . وخذ منها واحداً لك وواحداً لفلان : شخص عينه . فأخذت كما أمرنى ، ثم إنى جلست ، وأنا مبهوت مما جرى . فلما انقضى المجلس ، وقام إلى داخل البيت ، قمت أريد حمل السجادة إلى داخل ، وأنا أرقب ما تحتها ، فنحيتها فإذا تحتها بقية كناسة ولا شىء من الذى رأيته قبل . فعرفت أن ذلك من خوارق عاداته .

وسمعت بعض السادة يقول : سمعت أن علميا المذكور أدان لسيدى عبد الله دينا . فلما جاء يتقاضاه منه ناوله قارورة ماء ورد ، فإذا هى ذهب . وقال : وفاء الدين فى هذه . قال : فأخذتها وصرفتها وقضيت الدين منها ـ رضى الله عنه .

(الحكاية الواحدة والسبعون بعد المائتين)

أخبرنى أيضا السيد شيخ بن حسن الجفرى عن عبد الرحمن بن عبد العظيم شراحيل قال : جاء إلى سيدى أناس من آل كثير فعزم عليهم للعشاء ، وأراد

بطعم إداما لحما ؛ فأمرنى أن أشترى ذلك اللحم . فقلت : ليس عندى دراهم . فناولنى ثلاثة دنانير ذهباً وقال : اذهب إلى فلان ، وأعطه إياها . وخذ منها ثمن اللحم ، والبقية له ـ يعنى ذلك الرجل ـ وكان تاجراً نقاداً للدراهم والدنانير . وكان ربما استقرض منه سيدى .

قال : فلما رأى الرجل الدنانير ، تعجب غاية العجب وتحير . وقال : إنى قد رأيت جملة دنانير ؛ فما رأيت ذهباً مثل هذا من أين جاءه هذا ؟ فقلت له : هذا مما صاغته القدرة ـ رضى الله عنه .

وأخبرنى : أين هذا الرجل التاجر الذى كان سيدى يدان منه ؟ قال : مات والدى وعند سيدى له شىء من المال قرضاً ، وأخذ منى بعد ذلك قرضاً وصارت الجملة أربعين قرشا .

قال : فقدر الله أنى كنت ابتعت مالا بأربعين وليس معى الثمن وأردت أن أستقرض الثمن ممن كان مستوطناً بقرية عينات ، ولم يتحصل لى شىء قال : فجئت إلى تريم ، وقصدى تحصيل ثمن ذلك المال منها ؛ ولم يشعر بمجيئى أحد ، لعله كان مختفياً .

قال : فإذا بخادم سيدى عبدالله قد جاء إلىّ يطلبنى ، حتى استدلنى . فقلت له : وما علمك أننى جئت من بلدى ؟

قال : لا علم لى إلا من سيدى . قال لى : امض إلى فلان ، وقل له أن يأتينا إلى مكاننا ، فإنا نريده .

قال : فتعجبت من اطلاعه على مجيئى ، وجئت إليه ؛ فلقيت جماعة من السادة الفضلاء الأعيان فجلست حتى خرجوا فسألنى عن والدتى ، وكانت لسقيمة مقعدة منذ زمان لا تقدر على القيام مع أوجاع وآلام ، فأخرج من تحت فراشه خرقة ،

فيها أربعون قرشاً . وقال : هذه الدراهم التى أخذناها منك ومن والدك ، والخرقة التى هى مجمرلة فيها سخنرها على النار واجعلوها على بدنها - يعنى والدته كمداً .

قال : فحرت فى الأمر حيث أعطانى الدراهم مع يأسى منها ، وكونها مطابقة لحاجتى مع شدتها .

قال : وأما الخرقة فجعلناها على حرارة النار ، وكمدنا والدتى بها كما أمر ، فبرئت فى الحال وقامت وكأنها لم تشتك ألماً ؛ ببركته .

(الحكاية الثانية والسبعون بعد المائتين)

عن عبد الله شراحيل قال : أخبرنى أحمد بن محمد شراحيل قال : أقمت مدة أبتاع وأشترى بتريم ، وسيدى إذ ذاك يأخذ منى بعض حوائجه . فخرجت إلى سيدى يوماً أبتغى ما كان لى عنده . فقال لى قبل أن أتكلم : لعلك خرجت إلينا تريد الذى لك عندنا ؟ قلت : نعم . قال : اصبر إلى غد . فقلت : سمعاً وطاعة . فبينا أنا عنده إذ أقبل رجل يريد من سيــدى الذى أريد ؛ إذ كان يأخذ منه مثلى . فقال له : أتريد مالك علينا ؟ فقال : نعم . فقال : اصبر يومين . قال : لا صبر لى ولا ساعة ؛ لأن غريماً قائماً علىّ ، وهو فى بيتى الآن . قال : ولا بد من ذلك ؟ قال : نعم يا سيدى ؛ وكان بيده سبحة فضرب بها على سجادته ، أو على فراشه وقال له : كم لك علينا ؟ قال : ثلاثين أوقية ، وإذا تحت الفراش دراهم فقال لى : عد له ما كان له علينا ، وخذ أنت ما كان لك علينا . ففعلت ما أمرنى ، وبقيت بقية . فقال : خذها وتكون لنا عندك فى المستقبل .

قال الراوى : والله إنى أنا الذى بسطت ذلك الفراش بيدى ، وليس تحته فلس واحد ؛ وإنما ذلك بتصريف منه - رضى الله عنه - وعن سائر الصالحين .

(الحكاية الثالثة والسبعون بعد المائتين)

أخبرني بعض السادة الفضلاء قال : طلب الدولة من أخي شيئاً من الدراهم وكنا متعلقين بسيدي ؛ فشنع في ذلك ، فقبلت شفاعته في البعض ، وطالبوا أخي بنحو خمسة قروش فضة . فجئت سيدي ، فلقيته خارجاً من متوضاه ، قد توضأ . فأخبرته ، فمال بيده في الهواء وناولني الخمسة القروش . وقال لي : أعطهم ؛ فعجبت حيث إنه لم يتصور كون الدراهم في المحل الذي هو فيه لكونه محل الطهارة . فعرفت عند ذلك أنه أخذه من خزانة القدرة ـ نفع الله به .

(الحكاية الرابعة والسبعون بعد المائتين)

أخبرني أيضاً عن ابن عم له ، وكان صغيراً . فقال له سيدي الشيخ العارف بحر المعارف عبد الله الحداد : قل لوالدك نريد منك من الدراهم كذا قرضاً ، فجاء بها . فقال له : إذا أرادها والدك فتعال نعطيكها .

فبعد مدة قال والدي : امض إلى السيد ، وهات الدراهم التي لنا ؛ فجاء إلى سيدي ـ رضي الله عنه ـ فقال له : تعال آخر النهار نعطيكها . فبكى هيبة من أبيه ، إذا رجع إليه بغير شيء . قال : فلما أحس سيدي ببكائه . قال له : لا تبك ، وأدخل يده تحت بساطه ، وناوله الدراهم التي له ، من غير زيادة ولا نقصان ـ نفع الله به .

(الحكاية الخامسة والسبعون بعد المائتين)

أخبرني بعض الثقات عن عبد العظيم قال : أرسلني سيدي إلى رجل يريد منه شيئاً من الدراهم قرضاً . وكان المرسل إليه على سيدي دين متقدم فاعتذر عنه ذلك الرجل ، وكان موسراً . وقال : لا أقدر على شيء في هذه الأيام وقد أبرأته

مما سبق لى عنده . فرجع الرسول إلى سيدى ـ رضى الله عنه ـ فأخبره بما قال الرجل ، فأومأ بيده إلى الهراء وناولنى خمسة ، أو قال : أربعة دنانير ذهباً وقال لى : أعط الرجل الذى له علينا ، ولم يقبل براءته حيث إنه اعتذر من غير عذر وما بقى منها اشتر لنا به كذا ؛ ففعلت ما أمرنى به ـ رضى الله عنه وأرضاه .

(الحكاية السادسة والسبعون بعد المائتين)

أخبرنى السيد عقيل قال: أخبرنى على بن إبراهيم هرمز قال: لقيت درويشاً على ساحل بحر الحديدة ، على شبه الأتراك فقال : أعظم الله أجرك فى سيدى عبد الله الحداد ؛ فبهت من قوله . وقلت : أو قد مات ؟ قال : نعم . وقد حضر موته ، وصليت عليه ، وقد له من مات ثلاثة أيام . ثم انتشر الخبر من الحديدة إلى الحرمين وإلى اليمن ، وشاع وذاع فى تلك البلدان . ثم جاء خبر بنقضه واستمر على ذلك مدة ، ثم جاء الخبر المحقق بوفاته وأنه كما أخبر به الدرويش ، وأنه من أهل السر أرباب الخطوة لكونه بعد أن أخبر بهذا الخبر غاب ولم يعرف له خبر ولم يدر أين سلك بحراً أم براً .

(الحكاية السابعة والسبعون بعد المائتين)

أخبرنى بعض الثقات ـ وكان سيدى ـ نفع الله به ـ قد تزوج بعمته ـ قال : انحدرت لزيارة سيدى بتريم ؛ فأودعتنى عمتى المذكورة : إذا وصلت إلى عنده فقل له : تريد منك عمتى شيئاً من البخور بركة . فلما وصلت إليه ، منعنى من تبليغ الوصايا الهيبة منه والاستحياء . فلما أردت السير إلى بلدى ، دعانى وقال : أحملت لنا وصايا من أحد ؟

وكاشفنى فقلت ـ هيبة وحياء، حيث قد أبطأت عنده ولم أبلغه ـ: لا ياسيدى،

فأعطانى شيئاً من البخور مربوطاً فى خرقة. وقال لى: أعط هذا حمتك التى أودعتنى ثم قال لى: لا تبطىء بمجيئك إلينا هذه السنة لا تمكث إلا شهرين فى بلدك. وكان ذلك آخر الحجة؛ فتوفى قبل الحجة تلك السنة.

وهذه المرأة بعينها، لما خرج سيدى من الحج وهى رضيع، وصل بهذا البلد جاء بها إليه أبوها ليبرك ويمسح. فسأل: ما اسمها؟ قيل: عائشة. قال: عائشة أم المؤمنين.

وفى ذلك إشارة إلى أنها ستصير زوجته، وأنه اطلع على ذلك وكونه وارث جده — عليه السلام — كما سمعت ذلك من سيدى الإمام أحمد بن زين الحبشى — نفع الله بهما — توفيت بعده بنصف شهر، وفى بطنها له حمل مدة سنين. فقيل لسيدى: إنها حامل، وإن الحمل لم يخرج. فقال: بقاؤه فى بطنها خير لها. قال لى سيدى شيخنا أحمد: إنها طلبت من سيدى التزوج بها تبركاً به، وإن سيدى الحبيب أرسل إلينا نخطبها له وأرسل إلينا وكالة شرعية، فى قبول العقد، ثم بعد مدة أرسل إلينا فى طلاقها.

وكان ما كان من الأمرين؛ ولم يكن بيننا وبين سيدى خوض فيها قط، إلى أن توفى — رضى الله عنه.

❁❁❁❁

(الحكاية الثامنة والسبعون بعد المائتين)

حكى لى السيد الصالح محمد بن شيخ الجفرى أن درويشاً يقال له: عبد الله الجيلانى. وكان شاباً بهى المنظر، قوى الجأش، جامعاً لفنون العلم؛ جاء إلى سيدى الحبيب عبد الله — رضى الله عنه — بعد أن طاف جميع بلاد الإسلام، يطلب شيئاً. قال: وأضمرت فى نفسى أن شيخى هو الذى يفتينى فى مسألتين، عيشتهما فى نفسى، فلم يجبنى عنهما أحد. فخلا مع سيدى، فأجابه — نفع الله به —

عولا فى نفسه ؛ فسمعته يقول له : أنت شيخى حقاً ، أنا بين يديك كالميت بين يدى غاسله ، تقلبنى كيف شئت . وجلس عنده ، وعكف نفسه عليه ، وتتلمذ له ؛ وأقبل عليه سيدى إقبالا كليا ؛ لما رأى فيه من القوة والاستعداد فكان يراقبه جداً .

وبقى على ذلك نحو سنتين ، وهو يقرأ فيهما على سيدى وطلب أن يريضه فأبى ، وأمره أن يقرأ كتاب كسر الشهوتين من الإحياء . ولما قرأ البسملة من الكتاب المذكور ، أملى عليه مولانا ، وأورد علوما ، من بعد صلاة العصر إلى أن غربت الشمس ؛ ولم يقرأ ذلك اليوم عليه غيره . وكان ذلك الرجل جيد الفهم ، واسع العلم . ثم إنه بدا له الرجوع إلى وطنه ، فأبى عليه سيدى ، وأمره أن يزور نبى الله هود ـ عليه السلام ـ فمضى ومكث عنده مدة ، ثم رجع . وقال : إن النبى هود يقول : إن أبويك شكياك إلىّ ؛ أنك أبطأت علينا . فقال سيدنا : ذاك الشيطان ، ليس النبى هود أراد صرفك عنا . فمكث مدة ، ثم انزعج للمسير ، ولم يرض بذلك سيدى . ثم إنه قال له : سر إلى قيدون ، وزر الشيخ سعيد العمودى ، ثم انظر الإشارة . وإن حصل لك عائق فى الطريق ، فارجع إلينا . واعلم أنه منا . فخرج مسافرا ، قاصدا بلده ، غير ملتفت إلى ماناله سيدنا الحبيب عبد الله . فلما وصل عند قبر الشيخ باجلحبان ، الكائن خارج مدة تريم ، ابتلت رجله ، وأقعد عندم ، ولم يستطع القيام ، ولا السير قط .

قال السيد محمد المذكور : قال لى سيدى عبد الله بعد أيام : اخرج وانظر صاحبك مقعدا فى باجلحبان ، ولم يكن لى علم بذلك . فخرجت فإذا هو فى مسجد الشيخ ، وهو مقعد ، فتحيرت من أمره . فطلب دواء معروفا ؛ وكان عالما بالطب . ثم إنه أخذ على ذلك نصف شهر . وسار ولم أدر ما سبب انطلاقه ومسيره . ثم إنه كتب إلى مولانا كتابا كالمعتذر فيه بأنه لم يتأت له

الرجوع ، ولا زيارة الشيخ سعيد ، وقص فيه رؤيا رآها . فقال ـ نفع الله به ـ :
إن صدقت رؤياه يكون منه لبعض أولادنا مدد .

وحكى لى أن درويشاً آخر جاء إلى سيدى يطلب الإرادة . كان يريد استعمال الرياضات كعادتهم ، وأبى عليه سيدى إلا لزوم الأوراد ، والجماعات والصلاة والقراءة ونحو ذلك ، كما هى عادته ، وعادة من قبله من أسلافه المطهرين ؛ فكأنه اعترض على سيدى قائلا : أما تعرفون السلوك والرياضة ؛ لأنه كان يقلى له الطعام ويطحن ، ويذر به سويقاً . فحكى أنه حصل عليه بعد ذلك وجع فى أذنه ، يبيت يصيح طول الليل ، من شدة الوجع .

وكان يسير بالليل ويصيح ، حتى تأذى منه الناس ؛ وذلك بسبب اعتراضه وإنكاره . فنعوذ بالله من الإنكار والاعتراض على أهل الله ؛ فإنه لا طاقة لنا بذلك ، ونستشفع إلى الله فى ذلك ، ومن جميع المعاطب والمهالك ؛ إنه الولى اللطيف المالك . والحمد لله رب العالمين .

خاتمة هذا الباب

فى حكايات أخرى ، تنعطف على ما مضى من الحكايات ، فى الكرامات ، من حيث إن لها تعلقا بجنابه الشريف ، من حيث الجملة .

(الحكاية التاسعة والسبعون بعد المائتين)

أخبرنى السيد محمد بن شيخ الجفرى قال : جاء بعض الدراويش إلى سيدنا ومولانا الحبيب : عبد الله بن علوى الحداد ـ اسمه أنيس . وكان صاحب سلوك . ويقول : إنه كان لى حال فسلبته ، والتجأ إليه فى ذلك . فقال ـ رضى الله عنه ـ :

أقم عندنا ، وحالك يرجع إليك . وكان ذا خطٍّ حسن ، وأمره أن يحفظ قصيدة الشيخ أحمد بن علوان اليمنى التى مطلعها :

ألا عرِّج أضاء لك السبيل — على حىِّ الأحبة يا رسول

ولا تعدل يميناً أو شمالا — فإن أمامك السوح الأهيل

وإنما ذبت من عطش فأورد — حياضاً ماؤهن السلسبيل

حياضاً للأحبة ليس يشفى — لشارب مائها أبداً غليل

وبان بساحة النادى جميلا — يلوح لعينك الوجه الجميل

جميل ليس يبخـــل بالعطايا — وليس يئوده الخطب الجليل

إذا ما لاح فاستنخ المطايا — فثَم عليك قد وجب النزول

وعفِّر فى الثرى خدًّا ووجهاً — فذلك من تحيته قليل

وسل ما شئت مسكيناً ذليلا — يعينك أو يُنيلك أو يُقيل

ولا تستعظمنّ سؤال شىء — فإن عطاءه جم جزيل

وبقى منها نحو خمسة أبيات ، لم نطول بذكرها ، ولم نسمح بترك ما ذكرناه منها ؛ لما فيه من الرغبة والترغيب ، والشوق والتقريب ، إلى القريب المجيب ، لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب .

وأحسبه أيضاً ، أنه أمره بحفظ البردة فى مدح النبى ﷺ فكان ينشد بهما فى حضرات سيدنا حتى ذكر أنه رد إليه حاله .

(الحكاية الثمانون بعد المائتين)

أخبرنى السيد الحسين بن عمر بن الفقيه . قال : جاء شاب مغربى لزيارة سيدنا الشيخ الأكبر الحبيب عبد الله بن علوى الحداد ، وهـــو ــ رضى الله عنه ــ فى

بيتنا فأعلمته بمجيئه . فقال : مره أن يقف فى المسجد قليلا ، ثم أدخلوه إلى البيت ، وأعطوه غداء ، ففعلنا . فلما جئنا له بالغداء قال : لا آكل حتى أنظر إلى أبى العباس ، أو كلمة نحو هذه . فأخبرنا سيدى بقوله . فقال : أدخلوه . فطلع وأكب على قدمه يقبله ، وسيدى يسأله عن جهة الغرب وأهلها ، كأنه يعرفهم . ثم خرج فتبعته ، وسألته : من أين جئت ؟ قال : من بلدتى بأقصى المغرب ، لزيارة سيدى . وكان لى بها شيخ عظيم المسلك ، وكنت أطلب منه الإذن فى الحج . فقال لى : اخرج لزيارة الشيخ عبد الله الحداد بالمشرق ، خير لك من كذا حجة ؛ ولى من بلدى إلى دوعن نحو سبعة أيام . وكان مجيئه من دوعن . وكان ذلك آخر العهد به ؛ فعرفت أنه من أرباب الخطوة ؛ لأن بين بلده والحرمين مسيرة نحو سنة .

(الحكاية الحادية والثمانون بعد المائتين)

حكى عبد العظيم ، فى مؤلف له ، قال : كنت بمكة مع سيدى ؛ وكان وقت الهاجرة ، فأمرنى أن أجلس على الباب . وقال : لا تمكن أحداً من الدخول علىّ حتى أستيقظ ، وكان وقت رقوده للقيلولة . فأى إنسان عارف ؛ مستتر فى هيئة تاجر ، فسلم علىّ وسألنى عن رجل هناك ، كان يبيع الثياب . فقلت : لا أدرى ، فتنفس الصعداء ، ثم اشتم . وقال : إنى أجد نفس عارف من هاهنا ، فأخبرته بسيدى ، فطلب منى أن أستأذن له عليه ، فشعر به سيدى ، حين كلمنى ؛ فأذن له بالدخول ، فدخل وأنا معه . فرأيت منه عجبا ، من أدبه واحترامه وتواضعه . وأخبر سيدى أنه من بغداد ، وأفشى عليه أمره ، وطلب منه الإجازة والالباس ،

فأجازه وألبسه . فرأيت الرجل قد امتلأ نورا ؛ لأنه ظفر ، حين سبقت له من الله الموهبة . فلما خرج طرقني حزن ، حين رأيت الرجل وما أعطيه في أسرع وقت . فالتفت إلى سيدي وقال : ياعبد العظيم أمور أهل الله ومواهبهم لا ينالها أحد إلا بالتوفيق ، والجد في العمل ، والإخلاص لله تعالى . إن شئت أن تظفر وتنال مأمولك من ذلك ، فاعبده في السر والعلانية . وأما كثرة المجالسة والمخامرة ، مع قلة العمل ، فلا تفيدان ذلك ؛ وإن كان صاحبها لا يخيب إن صدق .

****

(الحكاية الثانية والثمانون بعد المائتين)

أخبرني السيد عبد الرحمن بن محمد بارقبة . قال : حججت سنة من السنين ؛ فرأيت رجلا مشاهدا للكعبة ، في زيّ الدراويش . فوقع لي أنه ولي لله ، وأحببته وملت إليه . وقال لي : إني أحبك .

فقلت : وأنا كذلك . وبقي يلاحظني . وسألته : مَن أنت ؟

فقال : من المغرب ، من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — .

فسألني : من أين أنت ؟

فقلت : من جهة حضرموت .

فقال : من أيّ بلد ؟

فقلت : من مدينة تريم .

فقال : بلدة طيبة ، ورب غفور . ثم قال لي : أتعرف السيد عبد الله الحداد ؟

قلت : نعم من بلدي .

فأقبل عليّ بكليته ؛ لما قلت له ذلك . فقلت له : وأنت تعرفه ؟

فقال: نتعارف بالأرواح، ثم بقي يذكر دائرة الولاية ويعددها؛ ويذكر أنه من أهل مرتبة كذا منها، وأن سيدي عبد الله صاحب هـذه الدائرة، وأنها تدور عليه، وأنه جمع العلم والولاية، والشرف النبوي. وقال: إن أعز شيء أن تجتمع هذه الثلاث في شخص. ثم قال: أود بنظرة فيه، وأنّى لي بذلك! وأوصيك وأحرّصك - إذا وصلت إليه - أن تقرئه عني السلام. وكرر عليّ ذلك، ثم قال لي: لابد أن نجتمع نحن وأنت بمدينة الرسول ﷺ وقلت له: أرني وليا لله، أتبرك به. فأشار إلى رجل قائم، في الحرم الشريف، فقمت إليه، وقبّلت يده ورجله، ولم يكلمني، وما كلمته.

قال: فسافرنا إلى المدينة، وزرنا. فلما كان يوم خروجنا منها، إذا به خارج منها، سائر إلى بلده، فودعته. وبكى وبكيت؛ ومضى لسبيله.

فلما وصلت إلى سيدي لم أتجاسر أن أعلمه بما جرى لي مع الرجل، ولا بتبليغ السلام منه. فلما كان في بعض الأيام. قال لي: مالك أبطأت عنا؟ أما سمعت يذكرنا هناك؟ ألم يقل أحد فينا شيئاً، مشيراً إلى الحرمين - رضى الله عنه، وعن سائر الصالحين.

وأخبرني السيد عقيل قال: لقيت رجلا في الحرم الشريف، فوضع يديه بين ثديي. وقال: قلب سليم، قلب سليم. فوقع لي أنه وليٌّ لله. فلما وصلت إلى تريم، أخبرت سيدي بما جرى من الرجل. فقال لي: إنا لما سافرنا إلى الحج، قصدنا أن نجتمع برجل ذائق للحقيقة، راسخ القدم في الشريعة. فقلت له إن ذلك منحصر فيكم؛ فسكت.

(الحكاية الثالثة والثمانون بعد المائتين)

أخبرني السيد الصالح محمد بن شيخ الأخضر . قال : كان السيد الجليل محمد ابن شيخ صاحب المقد وبات ، من الصالحين الآخذين عن سيدنا ، كثير الاعتقاد فيه إلى الغاية ، متوطنا بلده ديحوت . بلغ من انطوائه في سيدنا الحبيب عبد الله به ـ أنه مرض ببلده وأدنف ، وأشرف على الهلاك من ذلك المرض ؛ فحصل معه الانزعاج العظيم ، للقاء سيدنا عبد الله ورؤيته . وقال لأهله : احملوني إلى تريم ؛ فراجعوه في ذلك لشدة مرضه ، فأبى عليهم إلا ذلك . فحملوه من بلده . فلما بلغ قبر نبي الله هود ـ عليه السلام ـ لم يحمل على الراحلة ، فأرسل إلى بلدنا قسم : احملوا أنتم ومن يحملني معكم على الأعناق ، واستصحبوا معكم متاع الحي وجهاز الميت . فاستصحبنا ذلك معنا ، وجئنا إليه ، وحملناه على الأعناق .

فقلت : ما الذي حملك على الانزعاج ، وأنت بهذه الحالة ؟

قال لنا : زيارة في سيدي وشيخي عبد الله الحداد ، والموت بعدها .

فقلت : وما بلغ من حبك له ؟

قال : لا أقدر أن أصفه لك ، ولا تصدقونني أنتم ، ولو وصفت لكم .

فقلنا : صف لنا شيئاً منه ، واذكر لنا بعض علاماته .

قال : لو أمرني أن أدخل يدي في النار ، وهي تلتهب وتتأجج لفعلت ؛ وأعظم من ذلك وأكثر .

قال : فوصلنا به إلى مكان سيدي ، يوم عاشوراء ، وأجلسناه ؛ فخرج مولانا إليه ، وتعانقا طويلا . وهو يقول : الحمد لله ويكررها .

فقال سيدنا : طابت نفسك ، وقرّت عينك ، وحصلت على العافية الحقيقية . وهذا يوم عيد ، وهو عندنا عيدان ؛ بقدومك علينا .

قال : فمكث ذلك السيد يومين ، وتوفى بالحاوى ، مكان سيدى ، وقبر بتربة آل أبى علوى .

(الحكاية الرابعة والثمانون بعد المائتين)

أخبرنى السيد الولى وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بارقبة . قال : زرت تربة آل أبى علوى ؛ أنا وبعض الإخوان ، بكرة يوم الجمعة ، السابع والعشرين من شهر رمضان ، أظنها سنة ١٢٣٣ . فلما زرنا سيدنا المقدم ، وسيدنا السقاف ، وسيدنا المحضار ، وسيدنا العيدروس ، ومن عندهم ، زرنا سيدنا وشيخنا عبد الله ابن علوى الحداد — نفع الله بهم أجمعين — وأطلنا الجلوس عنده ، وقرأنا سورة الكهف وغيرها من الفواضل . ورجعنا إلى البلد ؛ فنمت فرأيت كأنى خرجت إلى التربة ، أنا وذلك الأخ فى ذلك اليوم . وزرنا السادة آل أبى علوى — كما سبق — يقظة .

فلما رجعنا من زيارة أستاذنا الأعظم عبد الله بن علوى الحداد — نفع الله به — وجاوزنا قبر سيدنا الشيخ الأكبر الفقيه المقدم من شرقيه ، إذ بخادم سيدنا عبد الله بن علوى الحداد أحمد باعكيم ، قد أقبل إلينا بوصاية من الحبيب عبدالله ، فاستبشرنا بذلك ، وأعطانى قطعة فضة منه ، فأخذتها وأعطيتها صاحبى ، فأخذها ووضعها تحت قدمه ، وهو ينظر إليها ؛ وكأنى أرى جماعة عند قبر سيدى من بعد ؛ فبينا نحن كذلك فى ذلك المكان إذ أقبل إلينا الخضر ، وأخذ بكتفى ، وبمنكب صاحبى الأيمن . وسرنا معه ؛ وكأنه يتكلم بشيء من علوم التوحيد ، ويدعو لنا بدعوات ، ونحن نؤمن على دعائه . فلما صرنا خارج التربة ، فى الجانب الشمالى منها قال لنا الخضر : ارتفعا على قدمى ، وطيرا فى الهواء ،

فارتفعنا وطرنا . وأخذت جانبا ، وصاحبي جانباً آخر ، حتى قربت من وادى دمون ، ثم رجعت إلى المكان الذى منه ارتفعت. وكان علىّ لباس من صوف، وكأنى أقول قول الشيخ العيدروس أبى بكر بن عبد الله ـ نفع الله به ـ :

سقى الله ربــع ليــلى	وســكان الأثيــلا
فهــل إليهم سبيــلا	سأفنى العمــر فيهــم
آنــس من لم يخــاطر	ومن هــاب العــوالى
فمــا يرقى المعــالى	حقيقــــة كل غــالى
يكون مرقاه عــالى	ولولا الشــــوك ما عز
مجــنى كل حــالى	ومن لم يــدمن الغــوص
ما جاء بالجــــواهر	ولا نــال الجــوائز
ولا يــدعى بفــائز	على التحقيــق عاجــز
ألذ العيــش كلــــه	مــع أرباب البصــائر
ولا الأســـرار إلا	لمــن صــفى السرائــر
ومــن لم يبــذل الروح	ما شــفى الخــواطــر

وأما صاحبي فلم يدركني ، صار أمره بعد طيرانه ؛ فوقع لنا أن هذه البشارة فى هذه المبشرة ، من بركات سيدى عبد الله ـ نفع الله به .

قال : ورأيت مرة كأنه ـ نفــع الله به ـ فى مسجد آل أبى علوى ؛ وكأنه أعطانى إناء ، فيه شيء ممزوج بشيء لم أعرفه . فشربت منه ، ما شاء الله . ثم أخذ الإناء ، وأعطاه لسيدى الأكمل العارف عمر بن الحــامد باعلوى ، أخذ خاصته ، للصطفى من تلامذته ، وسقاه من ذلك الإناء ، فى المسجد المذكور .

قال : ورأيته مرة أخرى ، فأمسك بكتفى وخطرت معه خطوات ، وكأنه

يقول لى : أنت تحبهم ، ويشير إلى أهل الله . فقلت : مفتت فى حبهم . ثم ركب على ظهرى ، وبسط يديه ، وهو يقول : يا رب يا رب ـ نحو عشر مرات ـ ثم دعا ، وهو يثقل علىّ قليلا ، حتى عجزت عن حمله ؛ وكانت لهذا السيد المنامات الصادقة الكثيرة لسيدى ؛ كما رأيت منها شيئاً فيما مضى ، ولغيره عموما .

(الحكاية الخامسة والثمانون بعد المائتين)

أخبرنى السيد الصالح سالم بن عمر ابن الشيخ أبى بكر بن سالم . قال : كنت مرة بتريم ، مكان سيدى عبد الله الحاوى نخرج جماعة من أهل تريم ، لحضور درسه صباحا ، فأبطأ بخروجه إليهم ، فرجع منهم ناس إلى البلد . فلما خرج للدرس ، سأل عمن خرج منهم ورجع فقال : ما معنا للناس إلا ما تمثل به مع أهل زمنه الشيخ أبو بكر بن سالم باعلوى ـ نفع الله به ـ :

ومن صد عنا حسبه البين والقِلا ومن فاتنا يكفيه أن نفوته

وأخبرنى قال : لما جاء السيد الشيخ على بن السيد أحمد بن الشيخ أبى بكر لزيارة سيدى ، والأخذ عنه . قال : نقول لك ما قاله الشيخ عمر بن الفارض للشيخ شهاب الدين الجبرى ـ لما اجتمع به ـ :

جزاك الله عن ذا السعى خيراً ولكن جئت فى الزمن القصير

وأخبرنى أيضاً قال : جئت مرة لزيارة مولانا الحبيب عبد الله ، والأخذ إلى مكانه الحاوى . فقيل لى : إنه بالبلد ، عند فلان . فطلعت إلى البلد ، فلقيته خارجاً منها ، راكباً فرسه ومعه سيدى أحمد بن زين الحبشى . فقلت له : جئتم عند فلان للذى جاء من بيته ؟ فقال : نعم . نحن والسيد أحمد بن زين الحبشى ، وبه عمر مجلسنا لأن قلوبنا تتروح إذا كان فى المجلس المتلقى . والقائل يشير إلى سيدى أحمد ـ نفع الله بهما .

وأخبرني أيضاً قال : كنت عند سيدي عبد الله بمكانه ، فوفد سيدي أحمد من بلده . فقال له : هل معك كتاب تقرأ فيه الآن ؟ فقال : ليس معي كتاب ولا غيره ؛ وما جئت إلا لوحا ممحوا فاكتبوا فيه ، أو معنى ذلك ـ رضي الله عنه ، وعن الجميع .

❊❊❊❊

(الحكاية السادسة والثمانون بعد المائتين)

سمعت سيدي العارف الكامل أحمد بن زين الحبشي يقول مراراً إن بعض قراباتنا ، من السادة قال لوالدي يوما : إني جئت إلى تريم ، ورأيت شخصاً من السادة يتبعه أناس ، ويفعل السجادة ، وهو كالغالب عليه ـ يعني به سيدي الحبيب عبد الله ـ نفع الله به .

قال : فسافر ذلك السيد إلى بندر المخا ، فصادف من أعطاه لسيدي شيئا من المال . فلما وصل إلى بلدنا انحدر ، واجتمع بسيدنا . فلما رجع سمعته يقول : إن إن ذلك الشخص ـ يعني سيدي عبد الله ـ نفع الله به ـ الذي غلبت عليه أمر بالظهور من كبار الشيوخ يستحق ما ظهر وأكثر ، أو قريبا من هذا بمعناه . وقال لوالدي : سر إلى تريم ؛ وإذا سرت إلى تريم ، فاحرص على اجتماعه : الله الله .

فسار والدي وأنا معه في سن ما دون البلوغ ؛ فقصدنا إلى بيت بعض السادة ثم جئنا بالليل إلى مسجد الهجيرة . فقيل : إن سيدي الليلة لم يخرج . فجئنا إلى بيته عند زوجته الصالحة الشريفة : خديجة بنت عبد الله فاستأذنا عليه . فخرج في عراضنا ، وطلعنا معه إلى البيت : وذلك بعد العشاء .

فلما استقر المجلس بنا قال له والدي : العارف ، أو قال : المحب مشغول ؟

ومستريح ؟ فأجاب - رضي الله عنه - بما يحير الألباب . وما زال يلقي عليه من العبارات البديعة في العلوم الوفية ، على تلك المسألة إلى أن كان آخر الليل ، ودموع والدي تجري . فلما كان الصباح ، أرسل لنا إلى بيت ذلك السيد شيئا من العود المليح ، والكاغد الحسن . فأخذ والدي العود ، وأعطاني الكاغد . فحصلت بعض كتب التجريد - نفع الله بالجميع .

خاتمة الخاتمة ، واقعة متضمنة وقائع لا تخلو من فوائد ومنافع . وهي :

قال الفقيه الصالح عبدون بن محمد بن قطنة : ظهر على سيدنا ومولانا الحبيب عبد الله الحداد - نفع الله به - مظهر من مظاهر الحق ، من الواردات الإلهية ، فأمرني بالمبيت عنده في بيته . فطرقته حالة فيها شدة ، تشبه شدة المحتضر ، فأمرني بقراءة يس . وكلما سكت أمرني ، حتى كررتها نحو العشر مرات ، أو تزيد عليها وبقي يلح بالأمر بالدعاء . واشتكى برداً كثيراً ، وبقي ينزعل من تلك الحالة ؛ وهو مع ذلك يكرر : الله الله وغيرها ، من الأذكار ، ويتلو آيات من القرآن ؛ من ذلك قوله تعالى : « ووصى بهـا إبراهيم بنيه ويعقوب » إلى أن بلغ قوله : « إلا من يتبع الرسول » فقال : اتبعنا الرسول .

ولما بلغ : « أم يقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى » قال : كذبوا عليهم . وجعل يستغيث بالنبي ﷺ وإبراهيم ، وجملة من الأنبياء - عليهم السلام - وفاطمة الزهراء ، والخلفاء الأربعة وزين العابدين وجعفر الصادق ومحمد الباقر والشيخ السقاف والمحضار والعيدروس والشيخ أبي بكر بن سالم - نفع الله بهم . وأخذ على ذلك مدة طويلة ؛ وكثيراً ما يسأل عن الوقت وحضوره ؛

فلما طلع الفجر، صلى الصبح، واستند؛ وتكلم بكلام، يشعر بوقوع فتنة، بل صرّح وقال: عرضت عليّ منذ ليال. ولا أدرى على اليمن تكون، أو على حضرموت.

قلت: فظهرت الفتنة العظيمة الهائلة بحضرموت التى أهلكت الحرث والنسل، وبقيت مستمرة إلى يومنا هذا، وهو عام سنة خمس وأربعين من سنة سبع عشرة ومائة وألف. والله المستعان وما أحببت التصريح بها، واللبيب يعرفها.

قال: وهو مع ذلك يوصى بالتمسك بالسنة وبمذهب الحق. ثم أمرنى بقراءة يس بنية حفظ الدين، وكفاية شر المؤذين. وأشار إلى أن بعض من جاء من جهات بعيدة إنما جاء لأغراض فاسدة.

فقال: نحن نريد صلاحهم، وهم يريدون الفساد، عليهم وعلى المسلمين، وحسبهم الله؛ والله يجعل كيدهم فى نحورهم. ثم أخذته حالة أخرى، فكان فيها بنحو ما كان فيه، فى الحالة الأولى من التلاوة والذكر، والنداء بمن سبق ذكرهم من الأنبياء والصحابة والأولياء. وزاد يدعو بحمزة والعباس وجعفر الطيار، وقراءة أول سورة هود، وأول الصافات وآيات أخر شتى، وأدعية نبوية، مع ظهور قوة الالتجاء والاجتهاد فى الدعاء، ويشكو ضيق الصدر، عند غلبة هذا الوارد الإلهى. فقيل له: لو أخذت قليلا من مربى الزنجبيل. فقال: هذا ما هو من هذا القبيل، الذى تذهبه الأدوية الظاهرة، أو المأكولات الحسية، ويشكو فتورا فى رجليه. ولا يزال يوصى بالتمسك بالدين، ومتابعة الحق، وموافقة الأفعال للأقوال، ويحذر من قول اللسان، مع عدم تحقق القلب به، ويحذر من متابعة أهل الزمان، المخالفة مذهب الحق،

وسبيل الرسول ﷺ وأصحابه ، من السلف الصالح . وقال : غيروا الاسم عن المقصود ، وأخرجوا الأدلة عن الموضوع ، فهو يشير إلى أهل الرسوم في العلوم .

قال : وحصلت عليه أيضا حالة أخرى قريبا مما تقدم . قرأ فيها سورة طه كلها أو بعضها ، والفاتحة وآية الكرسي وما بعدها ، وآخر آل عمران ، و « شهد الله » الآيات . وكرر : « إن الدين عند الله الإسلام » ، وقرأ : «واعتصموا بحبل الله» الآيات، وآخر سورة الكهف و« لقد نصركم الله - إلى - ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » ، « ثم أنزل عليكم » الآية، ثم قال : إنما أقرأ عليكم غرر القرآن ، فاحتفظوا بالقرآن .

ومما تكلم به في هذه الحالة ، أن قال : قدموني إلى الله ورسوله . كيف تبغون ؟

قلنا : الذي تبغي أنت .

قال : أبتغي الله ورسوله ، والدار الآخرة والعفو والعافية ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار . ثم قال: اليوم حلول المقابر خير وأكثر فوائد . ثم قال: قولوا مثل ما أقول . وشرع في حروف الهجاء : أ ب ت ث إلى آخرها . فقلناها . ولقننا الفاتحة ، وآية الكرسي إلى خالدون ، وآمن الرسول إلى آخر السورة . وقال : احتفظوا بما معكم من القرآن ، وبالحواس المدركة . وقال : كونوا جميعا ولا تتفرقوا . ولم يزل يكرر : الله الله ربي لا أشرك به أحدا .

ولما قيل له : إن الشمس قد دنت لغروب .

قال : تخوفت أنها طلعت من مغربها . وساق قصة الشيخ علي بن أبي بكر ، حيث كان يدرك من ينظر الشمس من أين تطلع ، ويكثر في هذه الحالة من :

اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقال : لا تتفرقوا فتتفرق قلوبكم ، ثم جلس ، فجعل يومىء برأسه . فخطر أنه يصلى بالإيماء ، ثم إنه لما صحا قضاها. وقال: سبحان الله ! سبحان الله! كيف كانت هذه الجهة فى طهارتها ونزاهتها، صارت إلى هذه الأحوال المتغيرة ؟ إنا لله وإنا إليه راجعون .

وقال : احذروا التلافيق ، وتمسكوا بما فى البخارى والترمذى . وقال : طه ك هى ع ص طسم حم ن ق .

وقال : نحمد الله ونشكره ، ونثنى عليه بما هو أهله . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . لا إله إلا الله . ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

وقال: اجتمعوا يجمع الله شملكم . وقال : الشياطين يلقفون العلم من أماكن كثيرة ، ويجمعونه فى مكان واحد ، لأغراض فاسدة ، مع أنه لأحكام كثيرة ، وأنواع كبيرة ، وتفاصيل شتى . وكل من تتبع مضمون القرآن ، من منطوقه ومفهومه ، عرف الحق . ومن تتبع بنيات الطريق ضيعه الله . قال الله تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل » الآية .

وقال : إن استطعتم أن تأخذوا فيما أخذنا فيه ، وإلا فلا تقلبونا عما نحن عليه . وفى هذه الحالات ، كثيراً ما يأمر بإشعال السراج بالليل ، مع أنه لا يبصره . ويقول : المصباح قائم ، المصباح ثابت ، النور عم المكان . قال : وفى ذلك إشارة إلى ارتباط الحسيات بالمعنويات ، والظواهر بالبواطن ، والحقائق بالصور .

وقال : ياقوم انظروا لأنفسكم نظر الآخرة . وقال : أخبروا بما رأيتم أو سمعتم – يعنى من أحوال الله الشريفة . وقال : أعطأ الذين جاءوا من خارج ، أولهم وآخرهم ، ذكرهم وأنثاهم . وربما تبسم من الفراش والجدار ، فى تلك الحالة .

وقيل له : تأخر قليلا .

فقال : لا تقولوا لى : تأخر ؛ فإن ذلك يوحشنى . وقال : لا إله إلا الله ، صُنع الحبيب حبيب . وقال : صفاء العيش فى هذا الزمان قليل ، وما شىء أحسن فى العيش من الانطراح ، بعد أن يأخذ الإنسان فيها بالاستطاع .

ويقول فى بعض الأوقات : هـذه دورات كثيرة واسعة ، وهذه دورة أخرى ، والأمور متباعدة ، وقد تعتريه هزة وارتكاض . فيقول عندها : الله الله ، سيما إذا سمع صوتا مزعجا . وفى هذه المدة لا يأكل إلا علقة من الطعام ، اللقمة واللقمتين ، فى اليوم والليلة . وقد لا يأخذ .

وأكثر ما تقوى عليه هذه الحالة بالليل ، تنهدّ عند ذلك قواه ، ويزيد فى ضعفه ودهشه ووله ، حتى نقول : إن هذا آخر عهده بالدنيا ، لما يظهر عليه من الشدة والوله .

وقد يتكلم بكلام لا نفهمه ، ولا نفهم المقصود منه .

وقد يعظم عليه الحال ، فيأمر بإغلاق الباب ، وأن لا يدخل عليه أحد . وكثيراً ما يقول : الأمر واضح ، والأمور بينة ، والأحوال صالحة . هل بقى إشكال ؟ هل بقيت شبهة ؟ الأمور محفوظة . هل حدث فى المكان حادث ؟

قلنا : لا . أما نحن فعلى قبلة محمد ﷺ فنقول : بلى .

وقال : هؤلاء شغلونا ، ما تركوا لنا استقراراً . وهـذه أمور متفاوتة . ما الذى يخصهم من ذلك ، مَن لا يعرف شيئاً لا يخض فيه . ينظرون أنا أخرج من الظلم ، أم لا .

ونهض مرة وقال : أريد أن أصلح المكان . وقال : هل حدث حادث فى البلد ؟ وكان ذلك اليوم ، حدث حادث من جهة الدولة ، وقبضوا على الناس فى البلد ، وكأنه اطلع على وقوع ذلك .

قال : وحصلت عليه حالة أخرى ، فبقى كالواله يتكىء مرة ، ويجلس أخرى طول الليـــل . ومع كثرة ملازمتى له ليلا ونهارا ، وبياتى عنده يقول : أين كنت ؟ أين بت البارحة ؟ وقد يتـــلو حروف الهجاء . وقال : حدث فى الساعة الانزعاجات فى وقت قريب ، كأنه يشير إلى أهـــل البرزخ منهم . وقال : قام الإشكال ، ولا يدرى الإنسان من أين أتى . وقال : الاعتمادات ثابتة . هل اختل شىء منها ؟ أو تركتم منها شيئاً ؟ وكان فى هذه الحالة كثيراً ما يسأل عن أحوال المسلمين ، ويقول: مَن أخبرنا بشىء من مساءة المسلمين ، فكأنما يستقبلنى بشهاب من نار . وقال :

لا تنظرنّ لغـير الله فى سبب فالرازق الله والأسباب آلات

وحال بياتى عنده كلما استيقظت ، سمعت له بالذكر والقراءة همهمة . وكثيراً ما يسأل عن الوقت . وقال: الدنيا تارة بتارة ، والصبر عيش المؤمن؛لأنها منقضية والبؤس والشدة فيها إلى غاية ونهاية . وقال : الأرض أرض الله ، والسماء سماؤه ، والجهات كلها جهاته . وقال : هذه الخوارق لها حقائق . وقال : رتبوا علينا حكما لا بعلم ولا معقول ، إنما هو بحكم الدور . وقال : الأمر واضح .

وكثيراً ما نسمعه فى تلك الشدة يكرر : الله الله ، والأدعية النبوية ، والصلاة على النبى ﷺ ويقول: طولوا علينا . أين المدى؟ أين المدى؟ هذا أمر وغير هذه دورات كثيرة . قد أريتكم الجهات . وقال : مستورون ـ إن شاء الله ـ فى الدنيا والآخرة ، ولـكن أين ستر العورة من ستر الحال . وكان فى تلك الحالة يحس الحركات اللطيفة ، ويحرص على استقبال القبلة ، فى سائر الأوقات، بغاية الإمكان.

ومن كلامه في هذه الحالة : الدين دين ، والعقل عقل ، والعلم علم ، والقلب قلب ، والجسم جسم . كل واحد من هذه على حدته ، ومنفك عن غيره .

انتهى ما نقلته ، من خط الفقيه الورع الصالح : عبد الله بن محمد قطنة ؛ مما نقله مما شاهده — جزاه الله خيراً ، وشكر سعيه — وكان له في الدارين .

وكان عبدون هذا فقيها صالحا ، عالما ورعا ، تقيا نقيا . طلب العلم بجهده ؛ حتى حصل منه نصيبا وافيا .

وكان صاحب فهم جيد وكان يدرس بتريم إلى أن مات . قرأ عليه من السادة آل أبي علوى وغيرهم جماعات ؛ ومنهم أولاد سيدنا عبد الله ، أو أكثرهم . وذلك بإشارة مولانا — نفع الله به — وكان يحبه ، ويثنى عليه ، ويشير إليه . وأشار عليه بتصنيف بعض الكتب ، أبان فيها عن أحكام ظاهرة ، وأسرار مخفية في الدنيا والآخرة ، من حيث الورع ، والأخذ بالأحوط . يعرف ذلك من نظر فيها ؛ وذلك مما اقتبسه من بركات شيخه ، مولانا عبد الله — نفع الله به — .

وكان صاحب عبارة رشيقة . وكان مدة إقامته بتريم ، يقرأ على سيدنا ، ويحضر جميع دروسه ، لايكاد يغيب عن مجلسه إلا عن ضرورة . قرأ عليه كتبا لا تحصر ؛ منها : ديوان الإسلام ، قوت القلوب للشيخ أبي طالب المكى؛ وحسبت أنه آخر ما قرأه ، وأنه مات وهو يقرؤه ، والله أعلم .

وكانت وفاته بتريم ، ودفن بمقبرة الفقراء . وقد اعتمدنا النقل عنه ، في هذا المؤلف مفرقا ، وهو العمدة ، ولو لم يكن إلا ما نقلناه عنه عن سيدنا الحبيب عبد الله ، من آثار هذا الوارد القوى الربانى ، كما قال سيدنا الإمام أحمد بن عمر الهندوان — لما علم به — ويكون هذا — إن شاء الله — خاتمة الخاتمة ، للباب الذى هو باب الكرامات ، وخوارق السادات ، والله الموفق لاغيره .

تتمـــــة مهمة

ربما تعجب الناظر في هذا الكتاب ، وفي غيره من سائر الكتب ، من إيراد بعض الوقائع ، مما لايوجد له كبير وقع في القلب ، ولا كثير أثر عند السامع لها . وكذا عدم مراعاة الترتيب والمناسبة إلا على حسب الموافقة . وعذرى في ذلك واضح ، وهو أنى ما قصدت إلا التشرف بخدمة هذا الإمام الكبير ، والجهبذ النحرير . وجمع ما رأيت ، وسمعت وفهمت ، من مناقبه الزكية ، وأحواله العلية ، وكراماته الخارقة ، وأنواره الشارقة ، وحفظ كل ما يتعلق به ، وينسب إليه ، تعلقا ونسبة ما ، لأن ذلك لايخلو من فائدة ما . ولو لم يكن إلا أنى وجدت الأثر بذلك حتى نقلته . ولكل امرئ ما نوى . وللدد في المشهد ؛ من ظن خيراً كان كذلك يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء .

قال سيدنا الإمام عبد الله بن علوى الحدا :

جسن ظنونك بالمولى ترى البشرى   فالرب عند ظنون العبد فلتدرا
جاء الحديث بذا فاصغى إلى الذكرى

وعمدة هذا الطريق خصوصا حسن الظن .

وقد قال المشائخ العارفون ـ ما معناه ـ : ما بلغناه إلا بحسن الظن .

وكان الشيخ العارف أبو بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف باعلوى ـ نفع الله بهما ـ يقول : ما نلت الذي نلت إلا بكثرة حسن ظنى في الصالحين وجميع المسلمين .

وقال الشيخ الإمام أبو بكر بن عبد الله العيدروس : ما خسر صاحب حسن ظن وإن أخطأ فإنه غير ملوم . حسن الظن كنز الله الأكبر ، والاسم الأعظم .

وقال بعضهم : حسن الظن والمحبة يلحقــان الأصاغر بالأكابر ، في أعالى المقامات العاليات .

وقال رسول الله ﷺ : لو اعتقد أحدكم فى حجر لنفعه . قال بعضهم : فحسن ظنك مؤثر لا محالة . فكن محسن الظن ، ومحقق الاعتقاد ، ومجموع الهمة فيما تعمل ؛ فإنك تصيب ولا تخطىء أبداً — إن شاء الله — فحقق فى نفسك ووهمك : أن الشيء الذى تفعله واقــع وكائن لا محالة . واعتمد على ذلك ، فإنه أصل فى الباب . والله الهادى للصواب . قاله العلماء أهل التحقيق . انتهى .

قال بعض العارفين : كان عندى — فى بدايتى — تشوق وطهارة ، فكنت أعتقد الحجارة — إذا رأيتها — أولياء اصطحبت عنى بالصورة الحجرية ، وكانت تأتينى الإمدادات والبركات منها .

ويروى أن الشيخ إسماعيل الجبرتى اليمنى ، دخل على بعض أشياخه ، فرآه يفلى القمل من ثوبه . فاعتقد فى نفسه ، أى إسماعيل أنه يتشاغل بالفلى عن الحقيقة التى يخفى من ظهورها عليه . قال : فحصل لى بذلك الاعتقاد خير كثير ، وحالة عالية ، ثم إنى سألت ذلك الشيخ يوما آخر : كنت ذلك اليوم تتشاغل بالفلى عن الحقيقة ؟ فقال : لا . إنما كنت أفلى ثوبى مثل الناس ، ولا شيء مما ظننت ، ولكن قد حصل المطلوب . انتهى بمعناه تعرف بذلك : إنمــا مدار الطريق إلى التحقيق : محض حسن الظن ، والقبول بالإيمــان والتصديق . وإن كان يعمل بالأحاديث الضعيفة فى فضائل الأعمال ، فمن باب أولى التصديق بأحوال الأولياء ، ووقائعهم العوال ، فإنها حاملة على العمل ، ومنعشة همم الطالبين ، للقرب من رب العالمين . وقد ورد عن رسول الله ﷺ : « من بلغــه عن الله شيء فيه فضله ، فأخذ به إيمانا به ، ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك » . وإن لم يكن كذلك فأصله ومنبعه كما ذكر الشيخ : حسن الظن . وكما ذكر شيء من ذلك هنا وفى أول

هذا الباب ، وفى مقدمة الكتاب . والثانى : الهمة العالية . قال الله عز وجل : «لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما» . وقال تعالى : «سابقوا إلى مغفرة من ربكم» وقال : «فاستبقوا الخيرات» وقال : «وفى ذلك فليتنافس المتنافسون» فتأمل هذه الآيات ، وتفهم معانيها ، تعرف بذلك شرف الهمة ، وعلو قدرها . ولله در القائل :

وأشرفهم من كان أشرف همة ... وأكثر إقداماً على كل معظم

وقيل أيضاً :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم ... وتأتى على قدر الكرام المكارم

وقال بعضهم : إن النظر فى حكايات المواهب والكرامات ، ومعارف العلوم الإلهيات ، تثير الهمم إلى طلب المراتب العاليات ، ويرقى بها من حضيض مقاعد قواعد الخوالف إلى أوج أفلاك فوائد من سبق من القرون السوالف .

وكان الفقيه العلامة العارف عبد الله بن محمد العمودى يقول : كثير الهمة والعزم يأتيان برسل التوفيق .

ومن كلام الإمام على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — : قليل من التوفيق خير من كثير من العقل

وقال بعضهم : من حُرِم الأدب حرم التوفيق

وقال بعضهم : اعلم أن قوة الهمة ونفوذ [illegible] أصل السعادات ، ومنبع المجاهدات ؛ لأنهما من جنود الله ، يمد بها من [illegible] سبحانه .

وقال الشيخ زروق : من علت همته ارتفعت رتبته ؛ ومن أنفذ عزيمته دامت هدايته .

وقال بعضهم : بالجد والاجتهاد تبلغ غاية المراد ، وبالعزمات الصحاح يشرق صباح الفلاح . وما حصلت الأمانى بالتوانى ، ولا استوفى الأملَ من استوطأ فراش الكسل . وإياك أن تقول: إن قدِّر شىء وصل إن كان فى الغيب مقتضى حصل . فبالحركات تحصل البركات ، بالهز يسقط الثمر . وأم العجز أبداً عقيم .

بقدر الجد تكتسب المعالى   ومن طلب العلا سهر الليالى
تروم المجد ثم تنام ليلا   يغوص البحر من طلب اللآلى

وقال الشيخ إسماعيل الجبرتى ، المقدم ذكره : ما تفاوت الناس إلا بالهمم .

وقال معاوية ـ رضى الله عنه ـ : همروا بمعالى الأمور ؛ فإنى هممت بالخلافة ، وما كنت أهلا لها قبلها .

وذكر حجة الإسلام ـ نفع الله به ـ أن رجلين عابدين متساويين فى العبادة إذا دخلا الجنة رفع إحداهما [illegible] الدرجات العلا على صاحبه . يقول: يا رب ما كان هذا فى الدنيا أكثر منى عبادة ، فرفعته علىّ فى عليين . فيقول الله عز وجل: إنه كان يسألنى فى الدنيا الدرجات العلا ، وأنت كنت تسألنى النجاة من النار ، وأعطيت كل عبد سؤله . وهذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل ؛ لأن المحبة أغلب على الراجى منها على الخائف ولذلك أمر الله بحسن الظن . ولذلك قال ﷺ : سلوا الله الدرجات العلا ؛ فإنكم تسألون كريماً . انتهى .

وقال ابن الأشكل ـ رحمه الله ـ : سمعت شيخنا ـ يعنى الجبرتى ـ يقول : اطلب الله ، وإن أعطاك خلة إبراهيم ، ومكالمة موسى ، فاطلب ما وراء ذلك .

وقوله هذا أبلغ ما قيل فى علو الهمة :

له همة لا منتهى لكبارها   وهمته الصغرى أجلّ من الدهر

وقال السهروردى فى العوارف : مقدورات الحق ومواهبه غير متناهية .
لهذا قال بعضهم : لو أعطيت روحانية عيسى ، ومكالمة موسى ، وخلة إبراهيم ،
لطلبت ما وراء ذلك ؛ لأن مواهب الله لا تنحصر . وهذه أحوال الأنبياء ولا
يعطيها إلا ولياً ، ولكن هذه إشارة من القائل إلى دوام تطلع العبد وتطلبه ، وعدم
قناعته بما هو فيه من أمر الحق تعالى ؛ لأن سيد الرسل ـ عليه السلام ـ نبه على
عدم القناعة . وقرع باب التطلب ، واستنزال بركة المزيد ، بقوله ﷺ : كل يوم
لا أزداد فيه علماً فلا بورك فى صبيحة ذلك اليوم .

وفى دعائه ـ عليه السلام ـ : اللهم ما قصر عنه رأيى ، وضعف عنه عملى ،
ولم تبلغه نيتى وأمنيتى ، من خير وعدته أحداً من عبادك ، أو خير أنت معطيه
أحداً من خلقك ، فإنى راغب إليك فيه وأسألكه . حتى تعلم أن مواهب الحق
لا تنحصر ، والأحوال مواهب ، وهى متصلة بكلمات الله التى ينفد البحر دون
نفادها ، وتنفد أعداد الرمال دون أعدادها . والله المنعم والمعطى . انتهى . وفى
الحديث : إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة ؛ فإن الله لا يتعاظمه شىء .

لا يؤيسنك من مجد تباعده فإن المجد تدريجا وتدريبا
إن القناة التى شاهدت رفعتها تنمو فتنبت أنبوبا فأنبوبا

وقال محيي الدين بن عربى ـ رحمه الله ـ : قال الله عز وجل لنبيه ﷺ :
« وقل رب زدنى علماً » مع كونه حصّل علوم الأولين والآخرين ، وأوتى جوامع
الكلم ؛ فإنه لا يتعاظم على الله شىء طلب منه ؛ فإن المطلوب منه لا يتناهى .

فاسع ـ إن كنت من العلماء بالله ، واجتهد أن لا تتهيب فى سؤال شىء
من أنواع الخير ، وإن بعد عليك ، فليس ببعيد عليك كل ما يمكن أن يكون
لبشر ، مما لا يقع النص بانسداد بابه كالنبوة ؛ إذ من شأن الكمل ، من الرسل

والأنبياء والأولياء أنهم لا يروزشيئاً متعذر الحصول عليهم ، بالنسبة إلى قبولهم على الإطلاق ؛ إلا ما أخبرهم الحق باستحالة حصوله .

فإذا رجوت فى أمر ، فلا بد من ذلك الأمر ، إلا أن يكون لك أو مثله . فلا تستبطئ ذلك ؛ فإن الأمور عند الله مؤقتة . فإذا جاء الوقت ظهر الأمر . وكن على ثقة من الله ، لا بد لك أن تحصل ما تعلقت همتك بتحصيله أو مثله ، أو أعظم منه . ولا يحملك تأخير ذلك والاستبطاء على ترك العمل . والذكر : هو أن تذكره عند الدعاء ؛ فإن الله يحب الملحين فى الدعاء . انتهى

وقال أيضاً ـ نفع الله به ـ : اختلاف الهمم باختلاف المطامع . وإن الهمم متعلقة بها . ولولا المطامع لانقطعت الهمم . ولولا الهمم لبطلت الأعمال . وعلمت علما يقينا أنما بلوغ الآمال بسيادة الأقدار بالاهتمام ، وموافقة التوفيق بالاهتمام به ، والاستقامة على سلوك سبيلها ؛ فإن سيادة التوفيق بالاهتمام بها ، والاستقامة على سلوك سبيلها ، من جملة القدر .

قال بعضهم : من شق عليه ركوب الأهوال لم يرتق إلى معالى الأحوال ومن لم يرتق إلى معالى الأحوال لم يبلغ مبالغ الرجال . انتهى .

قال الشيخ زروق التسترى ـ نفع الله به ـ : كل معنى تتوجه له مع انحلال فى القوى وتلكؤ فى الهمم ، فأثره بعيد بخلاف العكس . فاجمع قلبك ، واطلب ربك ، وفارق هواك يحصل لك مقصودك . والخواص تابعة فى الأقوال والأفعال والأعيان وأعظمها خواص الأذكار ؛ إذ ما عمل ابن آدم عملا أنجح منالا بذلك من ذكر الله .

❦❦❦❦

انتهى الكتاب المذكور . والله ورسوله أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . والحمد لله رب العالمين . آمين . آمين .

فهـــرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة